

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة السنة

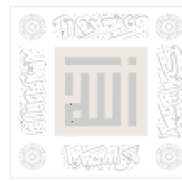
الأحاديث القدسية

الجزءان

الأول والثاني

الطبعة العاشرة

القاهرة
١٤١٨هـ / ١٩٩٧م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين ، وخاتم النبيين سيدنا محمد ، وعلى آله الطيبين ، وصحابته الأكرمين ، والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين .

وبعد : فهذا كتاب يشتمل على الأحاديث القدسية ، الموجودة فى كتب الحديث الآتية :

(١) موطأ الامام مالك ، إمام دار الهجرة ، رحمه الله تعالى .

(٢) صحيح إمام المحدثين ، محمد بن إسماعيل البخارى ـ رحمه الله تعالى .

(٣) صحيح أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ـ رحمه الله تعالى .

(٤) جامع الامام أبى عيسى الترمذى ، رحمه الله تعالى .

(٥) سنن الامام أبى داود السجستانى ـ رحمه الله تعالى .

(٦) سنن الامام أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، النسائى ـ رحمه الله تعالى .

(٧) سنن الامام ابن ماجه القزوينى ـ رحمه الله تعالى .

طريقة الجمع والترتيب

الطريقة فى جمع هذه الأحاديث ، أنه إذا كان فيها حديث مكرر ، اكتفت اللجنة بذكره مرة واحدة ، إذا لم تختلف فيه الروايات ، وكانت مروية عن صحابى واحد ، فاذا اختلفت الروايات ، ولو من كتاب واحد بالزيادة أو بالنقص ، أو بابدال عبارة بأخرى ، أو كان الصحابى غير الأول فلابد من ذكر الرواية الأخرى : كلها ، أو بالتنبيه على ما فيها من الزيادة أو النقص .

طريقة شرح هذه الأحاديث

استخرنا الله تعالى ، أن يكون شرح هذه الأحاديث مأخوذاً من شرح العلامة القسطلانى لصحيح البخارى ، فقد رضيه المحدثون الذين عاصروه ، والذين جاءوا بعده ، ومن شرح إمام الأئمة ، وقدوة العلماء ، الامام النووى ـ رحمه الله تعالى ، لصحيح مسلم ، لأن قوله هو العمدة عند العلماء ، والمرجع للمصنفين والمؤلفين ، وإذا نسب إليه القول ، يصير حجة قوية ، يخضع لها الخصوم .

وقد دعت الحاجة إلى الرجوع فى شرح بعض الأحاديث ، إلى كتب التفسير ، وكتب اللغة وغيرها ، وما نقلناه من شرح القسطلانى ، منه ما أخذناه كاملا ، ومنه ما لخصناه إما من موضع واحد ، أو من مواضع متعددة ، تكرر فيها الحديث فى صحيح البخارى ، وكثير من الأحاديث قد رجعنا فيها إلى أكثر من موضع .

وأكثر ما نقلناه من شرح النووى أخذناه دون اختصار ، لأن شرح النووى كاد يبلغ الغاية فى الايجاز ، مع الافادة للمقصود .

طريقة كتابة دليل الأحاديث

ولما انتهينا من شرح الأحاديث ، وأردنا كتابة دليل لها ، وجدناها أحاديث منثورة ، قد لا يسهل الاطلاع على الحديث منها لمن أراده ، فألهمنا الله تعالى ، أن نقسمها إلى مجموعات كل مجموعة تشير إلى أحاديث تتصل بها ، وتدخل تحتها ، وذكرنا أول كل حديث ورقمه ، فما على القارىء إلا أن يعرف المجموعة التى تتصل بالحديث المطلوب ، ثم يبحث عنه فى دائرة ضيقة .

وقد اشتمل الكتاب على نحو أربعمائة حديث ، باعتبار عد المكرر منها ، الذى اختلفت روايته ، أو تغير فيه الصحابى الذي رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وابتدأناه بمقدمة فى بيان معنى الحديث القدسى ، والفرق بينه وبين القرآن الكريم ، وبينه وبين الحديث النبوى ، تتميما للفائدة .

وعقبنا ذلك بذكر نبذة قصيرة فى التعريف بالأئمة أصحاب الكتب التى جمعنا منها هذه الأحاديث راجين الله تعالى أن يوفقنا الى السير على هدى هؤلاء الأئمة الأعلام ، فانهم نجوم الهداية ، ومصابيح الدنيا ، وخدام سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ باعوا حياتهم ، وأفنوا أعمارهم فى الحفاظ على السنة المحمدية ، وفى الذب عنها ، وتخليصها من دنس الوضع ، ومن شوائب الضعف ـ رضى الله عنهم وأرضاهم ، ونفع المسلمين بعلومهم . آمين .

والله نسأل أن يرزقنا العون والتوفيق الى الصواب ، كما نسأله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم إنه جواد كريم ، وبالاجابة جدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

مقدمة فى ابحاث تتعلق بالحديث القدسى

(١) معنى الحديث القدسى .

(٢) الفرق بين القرآن والحديث القدسى .

(٣) وجوه فى الفرق بين الحديث القدسى والحديث النبوى ، والقرآن الكريم وكتب الأنبياء السابقين عليهم أفضل الصلاة والسلام .

وهذه الأبحاث منقولة من كتاب الاتحافات السنية ، فى الأحاديث القدسية للمناوى ـ وقد ذكرها خاتمة لكتابه الاتحافات السنية ـ

وكذا نقلنا ما ذكره السيد جمال الدين القاسمى الدمشقى فى ذلك ، من كتابه المسمى (قواعد التحديث ، من فنون مصطلح الحديث) .

وقد ذكر كل من هذين الامامين آخر ما أمكنه الاطلاع عليه فى هذا الموضوع ولم يتيسر للجنة حين كتابة ذلك غير هذين الكتابين ، فنقلت ما كتب فى هذين الكتابين ، ثقة منها بجلالة قدر هذين الامامين الجليلين ـ رحمهما الله تعالى .

مع العلم بأنه لو تيسر لنا نقل آخر يزيد عما فيهما ، فسنلحقه بآخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . وافتتحت اللجنة بما قاله صاحب الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية .

قال رحمه الله تعالى : (الخاتمة فى شرح معنى الحديث القدسى)

القدس بضمتين وباسكان الثانى ، هو الطهر ، والأرض المقدسة : المطهرة .

وبيت المقدس منها معروف ـ وتقدس الله : تنزه ، وهو القدوس ، كذا فى المصباح .

وإنما نسب الأحاديث إلى القدس ، لاضافة معناها إلى الله وحده ، على ما فى التعريفات للحديث القدسى ـ فان ما أخبر الله به نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالالهام أو بالمنام ، فأخبر عليه الصلاة والسلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه ـ فالقرآن مفضل عليه ، لأن لفظه منزل أيضاً ـ أى من عند الله تعالى . انتهى .

وقال مولانا على القارى ـ عليه الرحمة ـ : الحديث القدسى ما يرويه صدر الرواة ، ومصدر الثقات ـ عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات ـ عن الله ـ تبارك وتعالى ـ تارة بواسطة جبريل ـ عليه السلام ـ وتارة بالوحى أو الالهام أو المنام ، مفوضا إليه التعبير بأى عبارة شاء ، من أنواع الكلام .

وهى تغاير القرآن الحميد ، والفرقان المجيد ، بأن نزوله لا يكون إلا بواسطة الروح الأمين ، ويكون مقيداً باللفظ المنزل من اللوح المحفوظ على وجه اليقين ، ثم يكون نقله متواترا قطعياً ، فى كل طبقة وفى كل عصر وحين ، ويتفرع عليه فروع كثيرة عند العلماء ، بها شهيرة :

منها عدم صحة الصلاة بقراءة الأحاديث القدسية ، ومنها عدم حرمة لمسها وقراءتها للجنب والحائض والنفساء ، ومنها عدم تعلق الاعجاز بها ، ـ ومنها عدم كفر جاهدها . ا هـ

فائدة فى الفرق بين القرآن والحديث القدسى

قال المولى الكرمانى فى أول كتاب الصوم : القرآن لفظ معجز ، ومنزل بواسطة جبرائيل ـ عليه السلام ـ وهذا غير معجز ، وبدون الواسطة ، ومثله يسمى بالحديث القدسى والالهى والربانى .

ثم قال : فان قلت : الأحاديث كلها كذلك ، كيف لا ، وهو ما ينطق عن الهوى ؟ قلت : الفــرق بأن الحديث القدسى مضاف إلى الله تعالى ، ومروى عنه بخلاف غيره .

وقد يفرق بأن القدسى ما يتعلق بتنزيه ذاته وصفاته الجلالية والجمــالية . قــال الطيبى : القرآن هو اللفظ المنزل به جبرائيل ـ عليه السلام ـ على النبى صلى الله عليه وســلم . ـ والقدسى : إخبار الله معناه بالالهام أو المنام ، فأخبر النبى عليه الصــلاة والســلام ـ أمته بعبارة نفسه ، وسائر الأحاديث لم يضفها إلى الله ، ولم يروها عنه ، كذا فى كتاب الفوائد ، لحفيد التفتازانى .

أيضا وجوه فى الفرق بين القرآن والحديث القدسى

ذكر الشيخ محمد على الفاروقى ، فى (كشاف الاصطلاحات والفنون) .

عند بيان أنواع الحديث وتقسيمها ، فقال :

الحديث إما نبوى وإما إلهى ، ويسمى حديثا قدسيا أيضا . فالحديث القدسى ، هــو الذى يرويه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ربه عز وجل ـ والنبوى : ما لا يكون كذلك . هكذا يفهم مما ذكر ابن حجر فى (الفتح المبين ، فى شرح الحديث الرابع والعشرين) .

وقال الحلبى فى حــاشية التلويح ، فى الركن الأول عند بيان معنى القــرآن : الأحــاديث الالهية : هى التى أوحــاها الله تعــالى ، إلى النبى ـ صــلى الله عليه وآله وســـلم ـ ليلة المعراج ، وتسمى بأسرار الوحى . اهـ

(فائدة) قال ابن حجر هناك : لابد من بيان الفرق بين الوحى المتلو ، وهــو القــرآن ، والوحى المروى عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن ربه عز وجل وهو ماورد من الأحاديث الالهية ، وتسمى القدسية ، وهى أكثر من مائة ، وقد جمعها بعضهم فى جزء كبير ـ قال :

اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام : أولهــا وأشرفهــا القــرآن لتميزه عن البقية بإعجازه ، وكونه معجزة باقية على ممر الدهور ، محفوظة من التغيير والتبديل ، وبحــرمة مسه للمحدث ، وتلاوته للجنب ، وروايته بالمعنى ، وبتعيينه فى الصلاة ، وبتسميته قــرآنا ، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات ، وبامتناع بيعه ، فى رواية عند أحمــد ، وكراهته عندنا ، وبتسمية الجملة منه آية وسورة .

وغيره من بقية الكتب ، والأحاديث القدسية ، لا يثبت لها شىء مــن ذلك ، فيجــوز مســه وتلاوته لمن ذكر ، وروايته بالمعنى ، ولا يجزىء فى الصلاة ، بل يبطلها ، ولا يسمى قــرآنا ، ولا يعطى قارئه بكل حرف عشر حسنات ، ولا يمنع بيعه ولا يكره اتفاقا ، ولا يسمى بعضه آية ، ولا سورة إتفاقا أيضا .

وثانيها ـ كتب الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قبل تغيرها وتبدلها .

وثالثها ـ بقية الأحاديث القدسية ، وهى ما نقل إلينا آحادا عنه ـ ﷺ ـ مع إسناده لها عن ربه ، فهى من كلامه تعالى ، فتضاف إليه وهو الأغلب ، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء ، لأنه المتكلم بها أولا ، ـ وقد يضاف إلى النبى ـ ﷺ ـ لأنه المخبر بها عن الله تعالى ، بخلاف القرآن ، فانه لا يضاف إلا إليه تعالى ، فيقال فيه : قال الله تعالى ـ وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يروى عن ربه .

واختلف فى بقية السنة ، هل كل السنة بوحى أولا ؟ ـ وآية (وما ينطق عن الهوى) تؤيد الأول ، ومن ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : (ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه) ـ ولا تنحصر تلك الأحاديث فى كيفية من كيفيات الوحى ، بل يجوز أن تنزل بأى كيفية من كيفياته ، كرؤيا النوم والالقاء فى الروع ، وعلى لسان الملك .

ولراويها صيغتان : إحداهما أن يقول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيما يرويه عن ربه ، وهي عبارة السلف .

وثانيتهما ـ أن يقول : قال الله تعالى ، فيما رواه عنه رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والمعنى واحد . اهـ كلامه .

وفى فوائد الأمير حميد الدين : (الفرق بين القرآن والحديث القدسى على ستة أوجه :

الوجه الأول ـ أن القرآن معجز ، والحديث القدسى ليس معجزاً .

والثانى ـ أن الصلاة لا تكون إلا بالقرآن ، بخلاف الحديث القدسى .

والثالث ـ أن جاحد القرآن يكفر ، بخلاف جاحد الحديث القدسى فلا يكفر .

والرابع ـ أن القرآن لابد فيه من كون جبرائيل ـ عليه السلام ـ واسطة بين النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبين الله تعالى ، بخلاف الحديث القدسى .

والخامس ـ أن القرآن يجب أن يكون لفظه من الله تعالى ، بخلاف الحديث القدسى ، فيجوز أن يكون اللفظ من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم .

والسادس ـ أن القرآن لا يمس إلا بالطهارة ، والحديث القدسى يجوز مسه من المحدث . اهـ

ثم قال : وتبين بهذا الفرق بين الحديث القدسى ، وبين ما نسخ تلاوته أيضاً ، لما عرفت فيما نقلناه من الاتقان ، من أنه يسمى بالقرآن والآية . انتهى النقل من آخر كتاب الاتحافات السنية . والله أعلم .

(المنقول من كتاب قواعد التحديث ، تاليف جمال الدين القاسمي الدمشقي)

بيان الحديث القدسي : قال العلامة الشهاب بن حجر الهيتمي فى شرح الأربعين النووية ، فى شرح الحديث الرابع والعشرين ، المسلسل بالدمشقيين ، وهو حديث أبي ذر الغفاري ــ رضى الله عنه ــ عن النبي ﷺ ، فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى ، أنه قال : (يا عبادى ، إني حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا . . . الحديث) ما نصه :

(فائدة) يعم نفعها ، ويعظم وقعها ، فى الفرق بين الوحي المتلو ، وهو القرآن ، والوحي المروى عنه ــ ﷺ ــ عن ربه عز وجل ــ وهو ما ورد من الأحاديث الالهية ، وتسمى القدسية ، وهى أكثر من مائة ، وقد جمعها بعضهم فى جزء كبير ، وحديث أبي ذر هذا من أجلها .

اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام ثلاثة :

أولها ــ وهو أشرفها : القرآن ، لتميزه عن البقية باعجازه من أوجه كثيرة ، وكونه معجزة باقية على ممر الدهور ، محفوظة من التغيير والتبديل ، وبحرمة مسه للمحدث وتلاوته لنحو الجنب ، وروايته بالمعنى ، وبتعينه فى الصلاة ، وبتسميته قرآناً ، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات ، وبامتناع بيعه فى رواية عند أحمد ، وكراهته عندنا ، وبتسمية الجملة منه آية وسورة .ــ وغيره من بقية الكتب والأحاديث القدسية لا يثبت لها شىء من نلك ، فيجوز مسه وتلاوته لمن ذكر ، وروايته بالمعنى ، ولا يجزىء فى الصلاة ، بل يبطلها ، ولا يسمى قرآنا ، ولا يعطى قارئه بكل حرف عشراً ، ولا يمنع بيعه ولا يكره إتفاقاً ، ولا يسمى بعضه آية ولا سورة اتفاقاً أيضاً .

ثانيها ــ كتب الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ، قبل تغييرها وتبديلها .

ثالثها ــ بقية الأحاديث القدسية ، وهى ما نقل إلينا آحاداً عنه ﷺ ــ مع إسناده لها عن ربه ، فهى من كلامه تعالى ، فتضاف إليه ، وهو الأغلب ، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء ، لأنه المتكلم بها أولا ، وقد تضاف إلى النبي ﷺ ، لأنه المخبر بها عن الله تعالى ، بخلاف القرآن ، فانه لا يضاف إلا إليه تعالى ، فيقال فيه : قال الله تعالى ، وفيها قال رسول الله ﷺ ــ فيما يروى عن ربه تعالى .

واختلف فى بقية السنة ، هل هو كله بوحي أولا ــ وآية (وما ينطق عن الهوى) تؤيد الأول ، ومن ثم قال ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » ولا تنحصر تلك الأحاديث القدسية فى كيفية من كيفيات الوحي ، بل يجوز أن تنزل بأى كيفية من كيفياته ، كرؤيا النوم ، والالقاء فى الروع ، وعلى لسان الملك .

ولراويها صيغتان . إحداهما أن يقول : قال رسول الله ﷺ فيما يروى عن ربه وهى عبارة السلف ، ومن ثم آثرها النووى ــ رحمه الله تعالى .

ثانيتهما ـ أن يقول : قال الله تعالى ، فيما رواه عنه رسول الله ﷺ والمعنى واحد . انتهى . وفى كليات أبى البقاء فى الفرق بين القرآن والحديث القدسى أن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله تعالى بوحى جلى ، وأما الحديث القدسى فهو ما كان لفظه من عند الرسول ﷺ ومعناه من عند الله تعالى بالالهام أو بالمنام .

وقال بعضهم : القرآن لفظ معجز ، وقول منزل بواسطة جبريل ، والحديث القدسى غير معجز ، وبدون الواسطة ، ومثله يسمى بالحديث القدسى والالهى والربانى .

وقال الطيبى : القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل على النبى ﷺ ، والقدسى إخبار الله معناه بالالهام أو المنام ، فأخبر النبى ﷺ أمته بعبارة نفسه ، وسائر الأحاديث لم يضفها إلى الله تعالى ، ولم يروها عنه تعالى . انتهى ما نقله عن ابن حجر الهيتمى .

ثم نقل بعد ذلك كلاماً صوفياً عن السيد أحمد بن المبارك فى الابريز فى صورة أسئلة لشيخه السيد عبد العزيز الدباغ ، وأجوبة نقلها عنه ، فليراجعها من أرادها . والله أعلم

نبذة فى التعريف بأصحاب الكتب المأخوذ منها الأحاديث القدسية

أولا : الامام مالك ـ رحمه الله تعالى

هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحى ، إمام دار الهجرة ، ولد سنة خمس وتسعين من الهجرة ومات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة ، وله يومئذ أربع وثمانون سنة .

هو إمام الحجاز ، بل إمام الناس فى الفقه والحديث ، وكفاه فخرا أن الامام الشافعى رحمه الله تعالى من تلاميذه .

أخذ العلم عن ابن شهاب الزهرى ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، ونافع مولى ابن عمر رضى الله عنهما ، وغيرهم ـ وأخذ عنه العلم خلق لا يحصون كثرة ، منهم الشافعى رحمه الله تعالى ، ومحمد بن ابراهيم بن دينار ، وابن عبد الرحمن المخزومى ، وعبد العزيز ابن أبى حازم ، وهؤلاء نظراؤه من أصحابه ، ومعن بن عيسى القزاز ، وعبد الملك ابن عبد العزيز الماجشون ، ويحيى بن يحيى الأندلسى ، وعبد الله بن مسلمة القعنبى ، وعبد الله بن وهب ، وأصبغ بن الفرج ـ وهؤلاء هم مشايخ البخارى ، ومسلم ، وأبى داود ، والترمذى ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وغيرهم من أئمة الحديث ، وروى الترمذى فى جامعه عن أبى هريرة رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ : (يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل ، يطلبون العلم ، فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة) .
قال : وهذا حديث حسن .

قال عبد الرزاق وسفيان بن عيينة ، إنه مالك بن أنس .

قال مالك ـ رحمه الله ـ قل من كتبت عنه العلم مات حتى يجيئنى ويستفتينى . ـ ولقد حدث يوماً عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، فاستزاده القوم من حديثه ، فقال : ما تصنعون بربيعة وهو نائم فى ذلك الطاق ؟ فأتى ربيعة ، فقيل له : أنت ربيعة الذى يحدث عنك مالك ؟ قال : نعم . فقيل له : كيف حظى بك مالك ، ولم تحظ أنت بنفسك ؟ قال : أما علمتم أن مثقالا من دولة خير من حمل من علم .

وكان مالك ـ رحمه الله ـ مبالغاً فى تعظيم العلم ، إذا أراد أن يحدث ، توضأ وجلس على وقار وهيبة ، واستعمل الطيب ، وكان مهيباً ـ ولبعض المدنيين فيه :

يدع الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعن سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

قال يحيى بن سعيد القطان : ما فى القوم أصح حديثا من مالك . ـ وقال الشافعى رحمه الله : إذا ذكر العلماء فمالك النجم .

وروى أن المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكره ، ثم دس إليه من يسأله ، فروى على ملأ من الناس : (ليس على مكره طلاق) فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث .

ولما حج الرشيد سمع الموطأ من مالك ، وأعطاه ثلاثة آلاف دينار ، ثم قال له : ينبغى أن تخرج معنا ، فأنى عزمت أن أحمل الناس على الموطأ ، كما حمل عثمان ـ رضى الله عنه ـ الناس على القرآن فقال : أما حمل الناس على المؤطأ فليس إلى ذلك سبيل ، فان أصحاب النبى ـ ﷺ ـ افترقوا بعده فى البلاد ، فعند أهل مصر علم ، وقد قال النبى ﷺ : (اختلاف أمتى رحمة) ـ وأما الخروج معك فلا سبيل اليه ، قال رسول الله ﷺ : (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) وهذه دنانيركم كما هى ، فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ .

وقال الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ : رأيت على باب مالك كراعاً من أفراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه ، فقلت له : ما أحسنه ، فقال : هو هدية منى إليك ، فقلت له : دع لنفسك منها دابة تركبها ، فقال : إنى أستحيى من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ . بحافر دابة ـ ومناقبه أكثر من أن تحصى ـ رحمة الله عليه ـ آمين .

ثانيا : ترجمة الامام البخارى ـ رحمه الله تعالى

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه ، الجعفىْ البخارى . وإنما قيل له الكعفى ، لأن المغيرة أبا جده كان مجوسياً أسلم على يدى يمان البخارى الجعفى ، فنسب إليه ، وجعفى أبو قبيلة من اليمن .

ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، وتوفى ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ، وله اثنتان وستون سنة ، إلا ثلاثة عشر يوماً ، ولم يعقب ذكراً .

رحل فى طلب العلم إلى جميع محدثى الأمصار ، وكتب عن الحفاظ ، مثل مكى ابن إبراهيم البلخى ، وعبد الله بن عثمان المروزى ، وعبيد الله بن موسى العبسى ، وأبى نعيم الفضل بن دكين ، وعلى بن المدينى ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين وغيرهم رحمهم الله تعالى . وأخذ عنه الحديث خلق كثير ، قال الفيربرى : سمع كتاب البخارى تسعون ألف رجل ، ولم يبق منهم أحد يرويه عنه غيرى .

وطلب العلم وله عشر سنين ، ورد على المشايخ وله إحدى عشرة سنة .

قال البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ خرجت كتابى الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث وما وضعت فيه حديثاً الا وصليت ركعتين .

ولما قدم بغداد جاءه أصحاب الحديث وأرادوا امتحانه ، فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ، ودفعوها إلى عشرة رجال ، وأمروهم أن يلقوها إليه ، فانتدب رجل

منهم ، فسأله عن حديث منها : فقال : لا أعرفه ، فسأله عن آخر ، فقال : لا أعرفه ، حتى فرغ من العشرة ، والبخارى يقول : لا أعرفه ، ثم انتدب آخر من العشرة ، فكان حاله معه كذلك ، إلى تمام العشرة ، والبخارى لا يزيدهم على قوله : لا أعرفه . فأما العلماء فعرفوا بانكاره أنه عارف ، وأما غيرهم فلم يدركوا ذلك . ـ فلما فرغوا التفت البخارى إلى الأول منهم ، فقال : أما حديثك الأول فهو كذا ، وأما حديثك الثانى فهو كذا ، على النسق إلى آخر العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده ، وكل إسناد إلى متنه ، ثم فعل بالباقين مثل ذلك ، فأقر الناس له بالحفظ ، وأذعنوا له بالفضل . اهـ

ثالثا : ترجمة الامام مسلم ـ رحمه الله تعالى

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى ، النيسابورى . ـ ولد سنة أربع ومائتين ، وتوفى لست بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين وله سبع وخمسون سنة .

رحل فى طلب العلم إلى الأقطار ، وأخذ الحديث عن يحيى بن يحيى ، وقتيبة بن سعيد ، وإسحاق ابن راهويه ، وأحمد بن حنبل ، والقعنبى ، وحرملة بن يحيى ، وغيرهم من أئمة الحديث .

قدم بغداد غير مرة ، وحدث بها ، وأخذ عنه الحديث خلق كثير ، وكان يقدم فى معرفة الصحيح على أهل عصره ، وقال : صنفت المسند من ثلاثمائة ألف حديث ـ مسموعة ، وقال الخطيب البغدادى : إنما قفا مسلم طريق البخارى : نظر فى علمه ، وحذا حذوه . ـ رحمهما الله تعالى آمين .

رابعا : ترجمة الإمام أبى داود ـ رحمه الله تعالى

هو الامام سليمان بن الأشعش بن إسحاق الأسدى ، السجستانى ، رحل فى طلب العلم ، وطوف وجمع ، وصنف كتباً كثيرة ، وكتب عن أهل العراق والشام ومصر وخراسان .

ولد سنة اثنتين ومائتين ، وتوفى بالبصرة لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين .

وأخذ الحديث عن مشايخ البخارى ومسلم ، كأحمد بن حنبل ، وعثمان بن أبى شبته ، وقتيبة بن سعيد ، وغيرهم من أئمة الحديث ، وأخذ عنه ابنه عبد الله ، وأبو عبد الرحمن النسائى ، وأبو على اللؤلؤى ، وخلق سواهم .

عرض كتابه السنن على أحمد بن حنبل ، فاستجاده واستحسنه .

قال أبو داود ـ رحمه الله تعالى ـ كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث فانتخبت منها أربعة آلاف وثمانمائة حديث ضمنتها هذا الكتاب ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه ، ويكفى الانسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث : أحدها قوله ﷺ : (الأعمال بالنيات) والثانى قوله ﷺ : (من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه) والثالث قوله ﷺ :

(لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه) والرابع : (الحلال بين ، والحرام بين . . . الحديث)

وكان أبو داود ــ رحمه الله تعالى ــ فى أعلى درجة من العلم والنسك والورع . روى أنه كان له كم واسع ، وكم ضيق ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : الواسع للكتب ، والآخر لا يحتاج إليه .

قال الخطابى : لم يصنف فى علم الدين مثل كتاب السنن لأبى داود ، وقد رزق القبول من كافة الناس على اختلاف مذاهبهم .

قال أبو داود : ما ذكرت فى كتابى حديثاً أجمع الناس على تركه .

قال ابن الأعرابى : لو أن رجلا لم يكن عنده من العلم الا المصحف ، وهذا الكتاب ــ يعنى السنن لأبى داود ــ لم يحتج معهما إلى شىء من العلم .

وكان علماء الحديث قبل أبى داود صنفوا الجوامع والمسانيد ونحوها ، فتجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام أخباراً ، وقصصاً ومواعظ وآدابا .

فأما السنن المحضة فلم يقصد أحد منهم إفرادها واستخلاصها ، ولا اتفق له ما اتفق لأبى داود . ــ وقال إبراهيم الحربى : لما صنف أبو داود هذا الكتاب ألين له الحديث ، كما ألين الحديد لداود عليه السلام . اهـ

خامسا : ترجمة الامام الترمذى ــ رحمه الله تعالى

هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى . ــ ولد سنة مائتين هجرية ، وتوفى بترمذ ليلة الاثنين ، الثالث عشر من رجب ، سنة تسع وسبعين ومائتين .

وهو أحد العلماء الحفاظ ، لقى الصدر الأول من المشايخ ، مثل قتيبة بن سعيد ، ومحمد ابن بشار ، وعلى بن جحر ، وغيرهم من أئمة الحديث .

وأخذ عنه خلق كثير ، وله تصانيف كثيرة ، فى علم الحديث ، وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب ، وأكثرها فائدة ، وأقلها تكراراً .

قال الترمذى ــ رحمه الله ــ : عرضت هذا الكتاب على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به واستحسنوه ، ومن كان فى بيته فكأنما فى بيته نبى يتكلم . اهـ

سادسا : ترجمة الامام أبى عبد الرحمن النسائى ــ رحمه الله تعالى

هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر النسائى .

ولد سنة خمس عشرة ومائتين ، ومات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة . وهو أحد العلماء الأئمة الحفاظ . ــ أخذ العلم عن قتيبة بن سعيد ، وعلى بن خشرم ، وإسحاق بن إبراهيم ، ومحمد بن بشار ، وأبى داود السجستانى ، وغيرهم . . . وأخذ عنه خلق كثير ، وله كتب كثيرة فى الحديث ، وكان شافعى المذهب ، وله مناسك على مذهب الامام الشافعى ــ رحمه

الله تعالى ـ وكان ورعا متحرياً ، قال على ابن عمر الحافظ : أبو عبد الرحمن النسائى مقدم على كل من يذكر فى زمانه فى هذا العلم .

اجتمع به جماعة من الشيوخ والحفاظ ، منهم عبد الله بن أحمد بن حنبل بطرسوس وكتبوا كلهم بانتخابه .

وسأله بعض الأمراء عن كتابه السنن : أكله صحيح ؟ فقال : فيه الصحيح ـ والحسن وما يقاربهما ، قال : فاكتب لنا الصحيح منه مجرداً ، فصنع المجتبى من السنن ،ترك كل حديث تكلم فى إسناده بالتعليل اهـ .

قال صاحب تيسير الوصول ، الذى نقلت منه هذه التراجم :

هذا قليل من كثير من أحوال هؤلاء الأئمة ، يستدل بها على جلالة قدرهم ، وعلو مرتبتهم فى هذا العلم ـ رضى الله عنهم أجمعين ، آمين .

سابعا : ترجمة الامام ابن ماجة القزوينى ـ صاحب السنن ـ رحمه الله تعالى

هو أبو عبد الله ، محمد بن يزيد ، بن ماجه ، صاحب كتاب السنن المشهورة ، وهى دالة على عمله وعلمه وتبحره واطلاعه ، واتباعه للسنة فى الأصول والفروع .

ويشتمل على اثنين وثلاثين كتاباً ، وألف وخمسمائة باب ، وعلى أربعة آلاف حديث ، كلها جياد ، سوى اليسير منها .

ولابن ماجة تفسير حافل ، وتاريخ كامل ، من لدن الصحابة إلى عصره ، وقد روى عنه الكبار الدماء : ابن سيبويه ، ومحمد بن عيسى الصفار ، وإسحاق بن محمد ، وعلى ابن إبراهيم .

توفى رحمه الله لثمان بقين من رمضان سنة ٢٧٣ ثلاث وسبعين ومائتى سنة عن أربع وستين سنة . رحمه الله تعالى . اهـ من البداية والنهاية لابن كثير جـ ١١ ص ٥٢ .







١ ـ (ما جاء فى فضل ذكر الله تعالى وكلمة التوحيد)

حديث فضل الذكر من صحيح البخارى

من باب فضل الله تعالى جـ٨ ص ٨٦-٨٧ متن البخارى طبعة ميرى

(١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ (إِنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً ، يَطُوفُونَ فِى الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ ، قَالَ : فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ :

شرح الحديث من شرح القسطلانى

(يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر) معناه ما ورد فى رواية مسلم : (سياحين فى الأرض يبتغون مجالس الذكر) وهى الأمكنة التى يذكر الله تعالى فيها .

(تنادوا هلموا . .) الخ أى نادى بعضهم بعضا ، ينادون بقولهم : هلموا أى تعالوا الى حاجتكم ، وهى بغيتكم وطلبتكم ـ كما ورد فى بعض الروايات .

(فيحفونهم بأجنحتهم . . الخ) اى يديرون أجنحتهم حول الذاكرين ، ويملأون الأجواء الى سماء الدنيا ـ فيحفونهم) بفتح الياء التحتية ، وضم الحاء ، أى يحيطون بهم .

وفى رواية مسلم زيادة (فضلا) وهو بضم الفاء ، وسكون الضاد ، جمع فاضل ، كنزل ونازل ـ وهو صفة السيارة .

وفى رواية الترمذى : (فضلا عن كتاب الناس) وهو بفتح الفاء وسكون الضاد ، ومعناه : أنهم غير الملائكة الذين يكتبون الحسنات والسيئات ، فهم زيادة عن الملائكة الكتبة ، وكذا هم زائدون عن الحفظة وغيرهم ، من المرتبين مع الخلائق ، فلا وظيفة لهم الا حلق الذكر .

(وعند البخارى : فيحفونهم بأجنحتهم ـ وعند مسلم : حف بعضهم بعضا بأجنحتهم ـ ولا تعارض بينهما ، لأنهم يطوفون بأهل الذكر ، ويحف بعضهم بعضا ، وبذلك يحفون أهل الذكر بأجنحتهم .

قوله : (وهو أعلم بهم) أى منهم ، هى جملة معترضة ، لدفع ايهام الجهل عند السؤال ، ـ والحكمة فى سؤال الله الملائكة عن العباد ـ بيان فضل بنى آدم للملائكة ، الذين

فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ- : مَا يَقُولُ عِبَادِى ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِى؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ . لَا ، وَاللهِ مَا رَأَوْكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِى ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا ، وَأَكْثَرَ تَسْبِيحًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونَنِى ؟ قَالَ : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لا ، وَاللهِ يَارَبِّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ، قَالَ : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ ، قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا ، وَاللهِ يَارَبِّ . مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً ، قَالَ : فَيَقُول أُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قَالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : فِيهِمْ فُلَانٌ ، لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : هُمُ الجُلَسَاءُ ، لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) .

قالوا : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) أى فهم الآن يشهدون لبنى آدم أنهم أيضا يسبحون الله ، ويمجدونه عن غيب ، مع وجود الشهوات عندهم ، وخلو الملائكة عن الشهوات والصوارف ، فيكون ذلك اعترافا منهم بفضل بنى آدم .

(هم القوم ، لا يشقى بهم جليسهم) ـ أو لا يشقى لهم جليس : فالله تعالى يغفر لمن حضر مجلسهم لحاجة لنفسه ، ولم يرد الحضور للذكر معهم ، لأن حضور مجالس الذكر

حديث فضل الذكر من صحيح مسلم

من باب فضل مجالس الذكر ـ جـ١٠ من هامش القسطلانى .

(٢) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِنَّ لِلهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً ، سَيَّارَةً فُضْلًا ، يَبْتَغُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ ، قَعَدُوا مَعَهَمْ ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّماءِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا انْصَرَفُوا عَرَجُوا وصَعِدُوا إِلَى السَّمَاء ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ـ : مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَاد لَكَ فِى الْأَرْضِ ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ ، قَالَ : وَمَا يَسْأَلُونِى ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ ، قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِى ؟ قَالُوا : لَا ، أَىْ رَبِّ ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِى ؟ قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ ، قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِى ؟ قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَارَبِّ ، قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِى ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِى ؟ قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا ، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا ، قَالَ : يَقُولُونَ : رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ ، عَبْدٌ خَطَّاءٌ ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَلَهُ غَفَرْتُ ، هُمُ الْقَوْمُ ، لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) .

= يحيى القلوب الميتة ، فيحيا قلب هذا ، وان لم يقصد الحضور للذكر . وفضل الله عظيم وفى ذلك تنويه بفضل مجالس الذكر والعبادة وحضورها ، وهى تشمل جميع أنواع العبادات من دراسة علم ومذاكرته وقراءة قرآن وذكر وتهليل وغيرها ، فهى مجالس النور والحياة . والله أعلم .

حديث فضل الذكر من صحيح الترمذى

باب ما جاءَ (إن لله ملائكة سياحين فى الأَرض) ج٢ ص ٢٨٠

(٣) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ وَأَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِى - رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فى الْأَرْضِ ، فَضْلًا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللهَ ، تَنَادَوْا : هَلُمّوا إلَى بُغْيَتِكُمْ ، فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إلَى سَماءِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ اللهُ : عَلَى أَىِّ شَىْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِى يَصْنَعُونَ ؟ فَيقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيَذْكُرُونَكَ قَالَ : فَيَقُولُ : فَهَلْ رَأَوْنِى ؟ فَيَقُولُونَ : لَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِى ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ لَكَ تَحْمِيدًا ، وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا ، وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَأَىَّ شَىْءٍ يَطْلُبُونَ ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : مِنْ أَىِّ شَىْءٍ يَتَعَوَّذُونَ ؟قَالُوا : يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَا ، فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا هَرَبًا ، وأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا ، وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَإِنِّى أُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، فَيَقُولُ : هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ) .

قال الترمذى : حديث حسن صحيح

حديث (إذا قال العبد : لا إلٓه إلا الله يقول الله : صدق عبدى)

أخرجه ابن ماجه فى سننه ـ باب ـ (فضل لا إلٓه إلا الله) جـ٢ ص٢١٩

(٤) عَنِ أَبِى إِسْحَاقَ ، عَنِ الْأَغَرِّ أَبِى مُسْلِمٍ ، أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِى هُرَيْرَةَ وَأَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ قَالَ : إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لا إِلَٓهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، قَالَ : يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : صَدَقَ عَبْدِى ، لَا إِلَٓهَ إِلَّا أَنَا ، وَأَنَا اللهُ أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَٓهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ ، قَالَ : صَدَقَ عَبْدِى ، لَا إِلَٓهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِى ، وَإِذَا قَالَ : لا إِلَٓهَ إِلَّا اللهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، قَالَ : صَدَقَ عَبْدِى ، لَا إِلَٓهَ إِلَّا أَنَا وَلَا شَرِيكَ لِى ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَٓهَ إِلَّا اللهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، قَالَ : صَدَقَ عَبْدِى ، لَا إِلَٓهَ إِلَّا أَنَا ، لِى الْمُلْكُ ، وَلِىَ الْحَمْدُ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَٓه إِلَّا اللهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، قَالَ : صَدَقَ عَبْدِى ، لَا إِلَٓهَ إِلَّا أَنَا ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِى .

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : ثُمَّ قَالَ الْأَغَرُّ شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ ، قَالَ : فَقُلْتُ لِأَبِى جَعْفَرٍ : مَا قَالَ ؟ فَقَالَ :

(مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ)(١)

* * *

(حديث فضل الحامدين)

أخرجه النسائى فى سننه ، من باب ـ فضل الحامدين ـ جـ٢ ص٢٢٠

(٥) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن عُمَرَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى

شرح الحديثين

(١) أولا حديث فضل (لا اله الا الله) المعنى أن أبا هريرة وأبا سعيد الخدرى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حَدَّثَهُمْ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبادِ اللهِ قَالَ : يَارَبِّ ، لَكَ الْحَمْدُ ، كَمَا يَنْبَغِى لِجَلَال وَجْهِكَ وَلِعظِيم سُلْطَانِكَ ، فَعَضَلَتْ بالْمَلَكَيْن ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا ، فَصَعِدا إِلَى السَّماءِ ، وَقَالَا : يَارَبَّنَا ، إِنَّ عَبْدَكَ قَالَ مَقَالَةً ، لَا نَدْرِى كَيْفَ نَكْتُبُهَا ؟ قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ ـ :مَاذَا قَالَ عَبْدِى ؟ قَالَا يَارَبِّ ، إِنَّهُ قَالَ : يَارَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِى لِجَلَال وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، فَقَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا : اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِى ، حَتَّى يَلْقَانى فَأَجْزِيَهُ بِهِ)[١] .

رضى الله عنهما أخبرا عن رسول الله ﷺ بهذا الحديث الذى قاله عن الله سبحانه وتعالى والحال أنهما على يقين مما سمعا منه وبما أخبرا به ، وهى شهادة حق منهما ليس فيها شك ولا توهم ، ويتحملان عاقبة اثمها أن كانت على خلاف الواقع ، فالكلام لتأكيد الخبر .

ومعنى الحديث أن الله تبارك وتعالى يرضى عما يقوله العبد من أنواع الذكر الموجود ف الحديث ، ويصدقه فيما يقول .

وثمرة تصديقه رضاه عنه واثابته على ما يقول بحسن الجزاء ، وعظيم المثوبة .

والمراد بقوله : (من رزقهن عند موته ، لم تمسه النار) أن العبد اذا لم يزل معتقدا لما كان يقوله من هذا الذكر ، حتى أنه رزقهن عند موته ، قولا واعتقادا ، فبذلك ينجيه الله تعالى من النار ، لأنه كثيرا ما كان يقول :

(لا اله الا الله) والله أكبر ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، لا اله الا الله ، له الملك وله الحمد ، لا اله الا الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله) فهذا جملة الذكر ينبغى الاكثار منه والله أعلم .

(١) ثانيا (فضل الحامدين) (أن عبدا من عباد الله قال : يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ، فعضلت بالملكين ، فلم يدريا كيف يكتبانها) .

أى اشتدت على الملكين هذه الكلمة فلم يعلما مقدار ما يكتب لها من الثواب ليكتباه لقائلها ، لأن أجرها عظيم لا يعلمه الا الله تعالى ، ولم يطلعهما على مقداره .

قال فى القاموس : عضل به الامر : اشتد به الأمر كأعضل . ا ه فالمعنى اشتدت هذه الكلمة عليهما . ا ه .

حديث كثرة قول النبى صلى الله عليه وسلم
(سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ، وأتوب إليه)

من صحيح مسلم ـ كتاب الصلاة ـ باب ما يقال فى الركوع والسجود ج ٣ ص ١٢٨ هامش القسطلانى .

(٦) حَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ مُثَنَّى ، حَدَّثَنِى عَبْدُ الْأَعْلَى ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ ، عَنْ عَامِرٍ ، عَنْ مَسْرُوق ، عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : خَبَّرَنِى رَبِّى ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنِّى سَأَرَى عَلَامَةً فِى أُمَّتِى ، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، فقَدْ رَأَيْتُهَا ، (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) .

وفى رواية لمسلم عنها زيادة : (اللَّهُمَّ اغفِرْ لِى ، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ)[1]

---

(١) لفظ الرواية الثانية لمسلم (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمده ، اللهم اغفر لى ، يتأول القرآن) .

قال النووى رحمه الله : معنى يتأول القرآن ـ يعمل ما أمر به فى قول الله : (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) ـ وكان صلى الله عليه وسلم يقول هذا الكلام البديع فى الجزالة ، المستوفى ما أمره الله به فى الآية ، وكان يأتى به فى الركوع والسجود لأن حالة الصلاة فيهما أفضل من غيرها ، فكان يختارهما لأداء هذا الواجب الذى أمر به ليكون أكمل ، والخضوع لله فيهما يكون أوضح وأظهر من غيرهما .

ومعنى سبحان الله : براءة وتنزيها لله من كل نقص وكل صفة للحادث (وبحمده) أى وبحمدك سبحتك أى بتوفيقك وهدايتك وفضلك على سبحتك ، لا بحولى وقوتى .

ففيه شكر الله على نعمه والاعتراف بها ـ والاستغفار منه صلى الله عليه وسلم وهو مغفور له من باب العبودية والافتقار الى الله . والله أعلم ا . هـ نووى .

حديث (فيمن يموت وهو يشهد أن لا إلَه إلا الله)

أخرجه الترمذى فى جامعه ـ باب (فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله)

(٧) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن عمرو بن الْعَاصِ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ :إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِى عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ لَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجلاً ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِى الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، يَارَبِّ ، فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، يَارَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلَى ، إِنَّ لَكَ حَسَنَةً ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتُخْرَجُ بطَاقَةٌ ، فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنَكَ ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟ فَقَالَ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ، قَالَ : فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِى كِفَّةٍ ، وَالبِطَاقَةُ فِى كِفَّة ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ أَحَدٌ) .

(وقال أبو عيسى الترمذى : حديث حسن غريب) .

* * *

(٨) وأخرج هذا الحديث ابن ماجه فى سننه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أيضاً ـ من باب (ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة) .

وألفاظه مثل ألفاظ الترمذى ـ إلا أنه زاد فيه :

(أَلَكَ عَنْ ذَلِكَ حَسَنَةٌ ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ ، فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقولُ : بَلَى ، إِنَّ لَكَ حَسَنَات ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ (الخ).

حديث (أُشهدكم أَنى قد غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة)

أَخرجه الإمام الترمذى فى جامعه

(من أَبواب الجنائز) جـ١ ص ١٨٣ . قال بسنده :

(٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مَا مِنْ حَافِظَيْنِ رَفَعَا إِلَى اللهِ مَا حَفِظَا مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، فَيَجِدُ اللهُ فى أَوَّلِ الصَّحِيفَةِ ، وَفى آخِرِ الصَّحِيفَةِ خَيْرًا ، إِلَّا قَالَ اللهُ تَعَالَى : أُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِى مَا بَيْنَ طَرَفى الصَّحِيفَةِ) .

* * *

(حديث فى فضل ذكر الله ، والخوف منه تعالى)

أَخرجه أَبو عيسى الترمذى جـ ٢ ص ٩٨

(١٠) عَنْ أَنَس ـ رَضى اللهُ عَنْهُ ـ عَن النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ قَالَ : يَقُولُ اللهُ : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنى يَوْمًا ، أَوْ خَافَنِي فى مَقَامٍ) .

قال أَبو عيسى الترمذى : حديث حسن غريب .

* * *

(حديث فى تفرغ القلب لعبادة الله والتوكل عليه)

أَخرجه الترمذى فى جامعه بسنده قال :

(١١) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَاابْنَ آدَمَ ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتى ، أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنىً ، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ ، وَإِلاَّ تَفْعَلَ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا ، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ) .

قال أَبو عيسى الترمذى رحمه الله : حديث حسن غريب

حديث قول الله تعالى : (انظروا إلى عبدى هذا ،

يؤذن ويقيم الصلاة يخاف منى)

(أخرجه النسائى فى سننه ـ باب (الأَذان لمن يصلى وحده) جـ٢ ص ٢٠

(١٢) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِى غَنَم ،فى رَأْسِ شَظِيَّةِ الْجَبَلِ ، يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّى فيَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : انْظُرُوا إِلَى عَبْدِى هَذَا ، يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ ، يَخَافُ مِنِّى ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِى ، وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ) .

* * *

حديث : (خلقت عبادى كلهم حنفاءَ)

من صحيح الإمام مسلم

(باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أَهل الجنة وأَهل النار) جـ١٠ ص ٣١٤ وما بعدها .

(١٣) حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمَسْمَعِىُّ ، وَابْنُ مُثَنًّى ، قَالَا : حَدَّثَنَامُعَاذُ ابْنُ هِشَام ، حَدَّثَنِى أَبِى ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِىِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : ذَاتَ يَوْمٍ فى خُطْبَتِهِ : أَلَا إِنَّ رَبِّى أَمَرَنِى أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِى يَوْمِى هَذَا : كُلُّ مَال نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ ، وَإِنِّى خَلَقْتُ عِبَادِى حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُم الشَّيَاطِين ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ ،

وأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِى مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَمَقَتَهُمْ : عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَقَالَ : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِىَ بكَ ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِى أَنْ أَحْرِقَ قُرَيْشًا ، فَقُلْتُ : رَبِّ ، إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِى ، فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً قَالَ : اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقُ عَلَيْكَ ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ ، قَالَ : وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ . مُتَصَدِّقٌ ، مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ ، رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِى قُرْبَى وَمُسْلِمٍ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ — قَالَ : وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ : الضَّعِيفُ الَّذِى لَا زَبْرَ لَهُ ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا ، لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا ، وَالْخَائِنُ الَّذِى لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِى ، إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ — أَو الْكَذِبَ ، وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ .

ولم يذكر أبو غسّان فى حديثه : (وَأَنْفِقْ فَسَيُنْفَقُ عَلَيْكَ) .

* * *

(١٤) وَحَدَّثَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُثَنًّى الْعَنَزِىُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى عَدِىٍّ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يَذْكُرُ فى حديثِهِ : (كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ) .

وأخرجه الإمام مسلم برواية أُخرى قال : حدثنى عبد الرحمن ، عن بشر العدوى حدثنا يحيى بن سعيد ، عن هشام صاحب الدستوائى ،

حدثنا قتادة ، عن مطرف ، عن عياض بن خمار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم ، ـ وساق الحديث .

* * *

(١٥) وَحَدَّثَنِى أَبُو عَمَّار حُسَيْنُ بْنُ حُرَيْث ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى ، عَن الْحُسَيْنِ ، عَنْ مُطَرِّف . ـ حَدَّثَنِى قَتَادَةُ ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حَمَّار ، أَخِى بَنِى مُجَاشِع ، قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا ، فَقَالَ : إِنَّ رَبِّى أَمَرَنِى ـ وساق الحديث ، بمثل حديث هشام عن قتادة ، وزاد فيه :

شرح الحديث ـ من شرح النووى على صحيح مسلم

قال النووى ـ رحمه الله تعالى ـ : قوله صلى الله عليه وسلم : (ان ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم ، مما علمنى يومى هذا ، كل مال نحلته عبدا حلال) .

معنى (نحلته) أعطيته ، وفى الكلام حذف ، أى قال الله تعالى : كل مال أعطيته عبدا من عبادى فهو حلال .

والمراد : انكار ما حرموا على أنفسهم ، من السائبة والوصيلة ، والبحيرة والحامى وغير ذلك ، وأنها لم تصر حراما بتحريمهم ، ـ وكل مال ملكه العبد ، فهو له حلال ، حتى يتعلق به حق .

وقوله تعالى : (وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم) أى مسلمين ، وقيل : طاهرين من المعاصى .

وقيل : مستقيمين منيبين لقبول الهداية .

وقوله تعالى : (وانهم أتتهم الشياطين ، فاجتالتهم عن دينهم) .

قال النووى ـ رحمه الله : هكذا هو فى نسخ بلادنا ـ فاجتالتهم ـ بالجيم ، وكذا نقله القاضى من رواية الأكثرين .

وعن رواية الحافظ أبى على الغسانى ـ فاختالتهم ـ بالخاء المعجمة ، قال : والأول أصح

وأوضح ، أى استخفوهم فذهبوا بهم ، وأزالوهم عما كانوا عليه ، وجالوا معهم بالباطل كذا فسره الهروى وآخرون وقال شمر : اجتال الرجل الشيء ذهب به ، واجتال أموالهم ، ساقها وذهب بها .

قال القاضى ومعنى : فاختالوهم ـ بالخاء على رواية من رواه ، أى يحبسونهم عن دينهم ، ويصدونهم عنه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (وان الله تعالى نظر الى أهل الأرض ، فمقتهم : عربهم وعجمهم ، الا بقايا من أهل الكتاب) .

المقت : أشد البغض ، والمراد بهذا المقت وجوده بالنظر لحالهم الأولى وما كانوا عليه ، قبل بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والمراد ببقايا أهل الكتاب : الباقون على التمسك بدينهم الحق ، من غير تبديل . وقوله سبحانه وتعالى : (انما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك) .

معناه : لأمتحنك بما يظهر منك ، من قيامك بما أمرتك به ، من تبليغ الرسالة ، وغير ذلك من الجهاد فى الله حق جهاده ، والصبر فى الله تعالى ، وغير ذلك . وأبتلى بك من أرسلتك اليهم : فمنهم من يظهر ايمانه ، ويخلص فى طاعاته ، ومنهم من يتخلف ، وينابذ بالعداوة والكفر ، ومنهم من ينافق .

والمراد : أن يمتحنهم ليصير ذلك واقعا بارزا ، فان الله تعالى انما يعاقب العباد على ما وقع منهم ، لا على ما يعلمه قبل وقوعه منهم .

والا فهو سبحانه وتعالى عالم بجميع الأشياء قبل وقوعها .

وهذا نحو قوله تعالى : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أى نعلمهم فاعلين ذلك متصفين به ، فنجزيهم بما فعلوا .

وقوله تعالى : (وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائما ويقظان) أما قوله : (لا يغسله الماء) فمعناه : أنه محفوظ فى الصدور ، لا يتطرق اليه الذهاب ، بل يبقى على مر الزمان يتناقله الخلف عن السلف . أما قوله : (تقرؤه نائما ويقظان) فقال العلماء : معناه يكون محفوظا لك فى حالتى النوم واليقظة . ـ وقيل : تقرؤه فى يسر وسهولة .

وقوله : (فقلت : يارب) اذا يثلغوا رأسى ، فيدعوه خبزة) يثلغوا ـ بالثاء المثلثة ، أى يشدخوه ويشجوه ، كما يشدخ الخبز ، أى يكسر .

(وَهُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْغُونَ أَهْلًا ولَا مَالًا) ــ فقلت : فيكون ذلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَاللهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُهُمْ فى الْجَاهِلِيَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْعَى عَلَى الْحَىِّ ، مَا بِهِ إِلاَّ وَلِيدَتُهُمْ يَطَؤُهَا) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (وأهل الجنة ثلاث : (١) ذو سلطان مقسط متصدق موفق (٢) ورجل رحيم ، رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم) ــ مسلم بالجر معطوف على ذى قربى (٣) وعفيف متعفف ذو عيال) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (الضعيف الذى لا زبر له) بفتح الزاى واسكان الباء الموحدة ، أى لا عقل له يزبره ، ويمنعه عما لا ينبغى .

وقيل : هو الذى لا مال له . وقيل : هو الذى ليس عنده ما يعتمد عليه .

ــ ويبغون ــ بالباء الموحدة والغين المعجمة ، أى لا يطلبون أهلا ولا مالا ، ولعل المراد منه أنهم كسالى لا يسعون الى تحصيل مال ولا ولد ــ (وهم فيكم تبعا) أتباع للرؤساء ، لا رأى لهم فى الدين وغيره .

وقوله صلى الله عليه وسلم :

(والخائن الذى لا يخفى له طمع وان دق ، الا خانه) معنى ــ لا يخفى ــ لا يظهر . قال أهل اللغة : يقال : خفيت الشىء ــ اذا أظهرته ، وأخفيته ــ اذا سترته وكتمته . هذا هو المشهور وقيل : هما لغتان جميعا .

وقوله : (وذكر البخل ــ أو الكذب) هكذا هو فى أكثر النسخ ــ أو الكذب ــ بأوف بعضها ــ والكذب ــ بالواو ــ والأول هو المشهور فى نسخ بلادنا .

وقال القاضى : روايتنا عن جميع شيوخنا بالواو ــ الا ابن أبى جعفر عن الطبرى ــ فبأو

وقال بعض الشيوخ : ولعله الصواب ، وبه تكون المذكورات خمسة . وأما الشنظير ــ فبكسر الشين والظاء المعجمتين ، واسكان النون بينهما ، وفسره فى الحديث بأنه الفحاش ، وهو السىء الخلق .

وقوله : (فيكون ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : نعم ، والله لقد أدركتهم فى الجاهلية ، وان الرجل ليرعى على الحى ، ما به الا وليدتهم ، يطؤها) .

أبو عبد الله هو مطرف بن عبد الله ، والقائل هو قتادة .

وقوله : (لقد أدركتهم فى الجاهلية) لعله يريد أواخر أمرهم ، وآثار الجاهلية فيهم لا تزال باقية لم تتغير بالاسلام .

والا فمطرف بن عبد الله صغير عن ادراك زمن الجاهلية حقيقة هو يعقل . أ هـ من شرح النووى . والله أعلم .

حديث : (يسبّ ابن آدم الدهر)

من البخارى فى كتاب التفسير ــ (سورة الجاثية) ج٦ ص ١٣٣ .

(١٦) حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ ، عَنْ أَبِى هريْرَةَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : قَالَ اللهُ ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ : يُؤْذِينِى ابْنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِى الْأَمْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ).

وأخرجه البخارى أيضاً ، فى باب (لا تسبوا الدهر) ج٨ ص ٤١ من كتاب الأدب .

***

(١٧) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : قَالَ اللهُ : (يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ) .

و أخرجه البخارى أيضاً فى كتاب التوحيد ــ باب قول الله تعالى : (يريدون أن يبدّلوا كلام الله) باللفظ المذكور هنا ، منقولا من كتاب التفسير .

وأخرج هذا الحديث مسلم وأبو داود فى الأدب . والنسائى فى التفسير . وفى رواية لمسلم بلفظ :

***

(١٨) (يُؤْذِينِى ابْنُ آدَمَ ، يَقُولُ : يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ ، فَإِنِّى أَنَا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ) .

وبقية روايات مسلم كروايات البخارى هنا ، فلا داعى لذكرها .

شرح حديث : (يسب ابن آدم الدهر)

من شرح القسطلانى – فى مواضعه الثلاثة : جـ ٩ ص ١٠٦ – جـ ١٠ ص ٤٣٤ .

قوله : (يؤذينى ابن آدم) أى يخاطبنى الخطاب الذى يؤذى سامعه المخاطب به ، وبذلك يتعرض من يقول ذلك للأذى من المخاطب السامع له ، والله تعالى منزه عن أن يصل اليه من الغير أذى ، فالمراد : أن من يقول هذا القول ، يعرض نفسه للأذى من الله تعالى .

وقوله : (يسب الدهر) أى يقول اذا أصابه مكروه :

(تبا لك يا دهر) .

(وأنا الدهر) أى أنا خالق الدهر ، وخالق الحوادث التى تكون فيه . ولذا قال : (بيدى الأمر) أى الأمر الذى ينسبونه الى الدهر ، ويسبونه من أجله ، أنا الذى أوجدته بقدرتى ، وليس للدهر تأثير فى شىء أبدا (أقلب الليل والنهار) .

أى أنا الذى أصرف الحوادث التى تكون فى الليل والنهار .

وعند أحمد بسند صحيح ، عن أبى هريرة – رضى الله عنه :

(لا تسبوا الدهر ، فان الله تعالى قال : أنا الدهر : الأيام والليالى لى ، أجددها وأبليها ، وآتى بملوك بعد ملوك) .

أى فاذا سب ابن آدم الدهر على أنه فاعل لهذه الأمور ، عاد السب الى الله تعالى ، لأنه الفاعل الحقيقى ، والدهر انما هو ظرف لمواقع هذه الأمور .

فالمعنى : أنا مصرف الدهر ، فحذف اختصارا للفظ واتساعا للمعنى .

وجاء الحديث لتصحيح العقيدة ، وحسن الأدب فى اللفظ ، فقد كان الناس يزعمون أن مرور الأيام والليالى هو المؤثر فى هلاك الأنفس ، ويضيفون كل حادث الى الدهر .

وأشعارهم ناطقة بشكوى الزمان .

وكانوا يقولون : (يا بؤس الدهر ، ويا خيبة الدهر) .

والله سبحانه وتعالى – هو وحده الفاعل لجميع الحوادث ، والزمان ظرف لها ، فجاء النهى عن سب الدهر لذلك . والله أعلم . أ . هـ .

حديث (كذبنى ابن آدم ، ولم يكن له ذلك)

أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ـ من سورة الإخلاص جـ٦ص ١٦٠

(١٩) حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : قَالَ اللهُ تَعَالَى : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ ، فَقَوْلُهُ : لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ ، فَقَوْلُهُ : اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ) .

* * *

(٢٠) وفى رواية عنه : (أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ ، أَنْ يَقُولَ : إِنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كَمَا بَدَأْتُهُ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ ، أَنْ يَقُولَ : اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا ، وَأَنَا الصَّمَدُ ، لَمْ أَلِدْ ، وَلَمْ أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ) .

* * *

وأخرجه النسائى فى سننه ـ باب أرواح المؤمنين ـ جـ٤ ص ١١٢ فقال بعد السند .

(٢١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ ، وَلَمْ

شرح الحديث مأخوذ من شرح القسطلانى

(أبو اليمان) هو الحكم بن نافع (شعيب) هو ابن أبى حمزة (أبو الزناد) عبد الله بن ذكوان (الأعرج) عبد الرحمن بن هرمز ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى (كذبنى ابن آدم) بتشديد الذال المعجمة ، أى بعض بنى آدم ، وهم من أنكر البعث ، أو المراد جنس ابن آدم (ولم يكن له ذلك) أى لم يكن له

يَكُنْ ينبَغِى لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِى ، وشَتَمَنِى ابْنُ آدَمَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَشْتُمَنِى ، أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّاىَ فَقَوْلُهُ : إِنِّى لا أُعِيدُهُ كَما بَدَأْتُهُ ، وَلَيْسَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَعَزَّ عَلَىَّ مِنْ أَوَّلِهِ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّاىَ فَقَوْلُهُ : اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا ، وَأَنَا اللهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ ـ لَمْ أَلِدْ وَلَم أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِى كُفُوًا أَحَدٌ) .

* * *

ذلك التكذيب ، أى لا يحق له أن يكذب (وشتمنى ولم يكن له ذلك) الشتم .

(فأما تكذيبه اياى فقوله : لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون على من اعادته) أى بل فى العادة أن الاعادة أهون من البدء ، وان كان كلاهما بالنسبة الى الله سواء ، فانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .

(وأما شتمه اياى ، فقوله : اتخذ الله ولدا) وانما كان ذلك شتما لما فيه من التنقيص ، لأن الولد انما يكون عن والد يحمله ، ثم يضعه ، ويستلزم ذلك سبق نكاح ، والناكح يستدعي باعثا على ذلك ، والله تعالى منزه عن ذلك .

(وأنا الأحد الصمد) صمد ـ فعل بمعنى مفعول ، أى مصمود اليه ومقصود من كل الخلق

(لم ألد ولم أولد) لأنه تعالى لما كان واجب الوجود لذاته ، كان قديما موجودا قبل كل موجود ، ولما كان كل مولود محدثا ـ أى له أول ـ انتفت الولدية .

ولما كان الله لا يشبه أحد من خلقه ولا يجانسه ، حتى لا يكون له من جنسه صاحبة ، فيتوالد ، انتفت الوالدية .

(ولم يكن له كفوا أحد) أى مكافئا ومماثلا .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ـ رحمه الله تعالى ـ : السلوب الواجبة لله تعالى على قسمين : ـ أحدهما سلب نقيصه ، كالسنة والنوم والموت ـ وسلب للمشارك فى الكمال ، كسلب الشريك .

وأما قوله : (لم يلد ولم يولد) فانه سلب للنقص ، اذ الولد والوالد لا يكونان الا من جسمين ، وهما من الأغيار ، والأغيار نقص يتنزه الله تعالى عنه .

وان كانا يدلان بالالتزام على أن الولد مثل الوالد ، فبذلك يعودان الى سلب المشاركة فى الكمال . اهـ .

ثم قال أبو عبد الله البخارى ـ رحمه الله تعالى :

حديث (أصبح من عبادى مؤمن بى و كافر)

أخرجه البخارى ـ من أبواب الاستسقاء ـ باب ـ قول الله تعالى : (وتَجعَلُونَ رِزقَكُم أَنَّكم تُكذِّبُون) .

(٢٢) حَدَّثَنَا إسمَاعِيلُ ، قَالَ : حَدَّثَنى مَالِكٌ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ زَيْدِ بْن خَالِدِ الْجُهَنِيِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ :صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ

(قوله : الله الصمد) والعرب تسمى أشرافها الصمد .

قال أبو وائل شقيق بن سلمة : هو السيد الذى انتهى سؤدده .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : هو الذى تصمد اليه الخلائق فى حوائجهم ومسائلهم ، وهو من صمد اذا قصد ، وهو الموصوف به على الاطلاق ، فانه مستغن عن خلقه وعن غيره مطلقا ، وكل ما عداه محتاج اليه ، فى جميع جهاته .

وقال الحسن وقتادة : هو الباقى بعد خلقه .

وعن الحسن : (الصمد : الحى القيوم ، الذى لا زوال له) .

وعن الضحاك والسدى : (الذى لا جوف له) أى فلا يكون محتاجا .

وعن عبد الله بن يزيد : (الصمد نور يتلألأ) .

وكل هذه الأوصاف صحيحة فى صفاته تعالى .

ثم قال القسطلانى عن الغزالى فى فتوح الغيب ما يأتى .

فقوله : (الله أحد) دليل على اثبات ذاته المقدسة ، المنزهة ، والصمدية تقتضى نفى الحاجة ـ عن الله تعالى ، وتقتضى احتياج غيره اليه .

(ولم يلد . . الى آخر السورة) .

تسلب ما يوصف به غيره ، عنه تعالى .

ولا طريق فى معرفته تعالى أوضح من سلب صفات المخلوقين عنه تعالى . انتهى ملخصا والله أعلم .

النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ لَهُمْ : هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي ، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي ، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) .

* * *

وأخرج البخارى - رحمه الله تعالى - هذا الحديث فى كتاب التوحيد - باب - (يريدون أن يبدلوا كلام الله) جـ٩ ص ١٤٥ (بسنده) .

* * *

(٢٣) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : مُطِرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : قَالَ اللهُ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي كَافِرٌ بِي ، وَمُؤْمِنٌ بِي) .

* * *

(٢٤) وأخرجه الإمام مالك -رحمه الله تعالى - فى الموطأ ، عن زيد ابن خالد الجهنى أيضاً بلفظ كلفظ البخارى المذكور هنا أوّلا ، من باب الاستسقاء . جـ١ من الموطأ هامش المصابيح ص ٩١ .

وأخرجه النسائى فى سننه - باب كراهية الاستمطار بالكواكب بروايتين : إحداهما عن أبى هريرة ، والثانية عن زيد بن خالد الجهنى ، ورواية أبى هريرة مختصرة عن رواية زيد بن خالد وهى هذه :

(٢٥) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ــ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ــقَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : قَالَ اللهُ ــعَزَّ وَجَلَّ ــ : مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِى مِنْ نِعْمَةٍ ، إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ ، يَقُولُونَ : الْكَوْكَبُ ، وَبِالكَوْكَبِ) .

* * *

وأما رواية زيد بن خالد الجهنى . فهى باللفظ الآتى :

(٢٦) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِىِّ ــرَضِىَ اللهُ عَنْهُ ــ قَالَ : مُطِرَالنَّبِىُّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَقَالَ ــ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمُ اللَّيْلَةَ ؟ قَالَ : مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِى مِنْ نِعْمَةٍ ، إِلَّا أَصْبَحَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِهَا

شرح الحديث من القسطلانى جـ ٢ ص ٢٥٧

(اسماعيل) هو ابن أبى أويس (مالك) هو ابن أنس امام دار الهجـرة ، (عن زيد بن خالد الجهنى ، أنه قال : صلى لنا) أى صلى لأجلنا ، وهو من باب المجاز ، لأن الصــلاة لله وحده ، لا لغيره ، أو اللام بمعنى الباء .

(رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحـديبية) الحـديبية مخففـة الياء وعليه المحققـون ، ومشددة عند الأكثرين من المحدثين ، سميت بشجرة حدباء ، كانت بيعة الرضوان تحتها .

(على اثر سماء) بكسر الهمزة ، وسكون المثلثة على المشهور ، أى عقب مـطر ، وأطلق عليه سماء ، لكونه ينزل من جهتها ، وكل جهة علو تسمى سماء .

(كانت من الليلة) بالافراد ، وللأصيلى والكشميهنى ــ مـن الليل . (فلمـا انصرف النبى ﷺ) أى من صلاته ، أو من مكانه . (أقبل على الناس) بوجهه الكريم (فقال) لهم : (هل تدرون ماذا قال ربكم ؟) لفظه لفظ الاستفهام ، ومعناه التنبيه .

وللنسائى من رواية سفيان عن صالح : (ألم تسمعوا ما قـال ربكم الليلة ؟ قـالوا : الله ورسوله أعلم) قال أى رسول الله ﷺ : قال أى الله (أصبح من عبادى مؤمن بى ، وكافر) أى كفر اشراك ، لمقابلته للايمان ــ أو كفر نعمة ، بدلالة ما فى مسلم : قال الله ، مـا أنعمـت على عبادى من نعمة ، الا أصبح فريق منهم بها كافرين) .

والاضافة فى عبادى للملك ، لا للتشريف .

كَافِرِينَ ، يَقُولُونَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا ، وَكَذَا ، فَأَمَّا مَنْ آمَنَ بِى ، وَحَمِدَنِى عَلَى سُقْيَاىَ ، فَذَاكَ الَّذِى آمَنَ بِى ، وَكَفَرَ بِالْكَوْكَبِ ،

(فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى ، كافر بالكوكب) ـ وللحموى وابن عساكر وأبى الوقت : مؤمن بى ، وكافر بالكوكب) .

(وأما من قال : مطرنا بنوء كذا ، وكذا) بفتح النون ، وسكون الواو وبالهمزة ، أى بكوكب كذا ، معتقدا ما كان عليه بعض أهل الشرك ، من اضافة المطر الى النوء ، وأن المطر كان من أجل أن الكوكب ـ ناء ـ أى سقط وغاب ، أو نهض وطلع ، وأنه هو الذى هاجه .

(فذلك كافر بى) لأن النوء وقت ، والوقت مخلوق ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا .
(مؤمن بالكوكب) .

ومن قال : مطرنا فى وقت كذا ، فلا يكون كفرا .

قال الامام الشافعى ـ رحمه الله ـ : وغيره من الكلام أحب الى . يعنى حسما للمادة . فمن زعم أن المطر يحصل عند سقوط الثريا مثلا فانما هو اعلام للوقت والفصول ، فلا محذور فيه ، وليس من وقت ولا زمن الا وهو معروف بنوع من مرافق العباد يكون فيه دون غيره .

وحكى عن أبى هريرةأنه كان يقول : مطرنا بنوء الله تعالى ، وفى رواية (مطرنا بنوء الفتح) ـ ثم يتلو : (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) .

وقال ابن العربى : أدخل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ هذا الحديث فى أبواب الاستسقاء لوجين أحدهما أن العرب كانت تنتظر السقيا فى الأنواء ، فقطع النبى ﷺ هذه العلاقة بين القلوب والكوكب .

الوجه الثانى : أن الناس أصابهم القحط فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال للعباس ـ رضى الله عنه ـ : كم بقى من أنواء الثريا ؟ فقال له العباس : زعموا يا أمير المؤمنين انها تعترض فى الأفق سبعا ، فما مرت حتى نزل المطر . ـ فانظروا الى عمر والعباس ، وقد ذكرا الثريا ونوأها ، وتوكفا ذلك فى وقتها .

ثم قال : ان من انتظر المطر من الأنواء على أنها فاعلة له من دون الله فهو كافر ، ومن اعتقد أنها فاعلة بما جعل الله فيها فهو كافر ، لأنه لا يصح الخلق والأمر الا لله تعالى ، ـ كما قال تعالى : (ألا له الخلق والأمر) .

ومن انتظرها وتوكف المطر منها على أنها عادة أجراها الله تعالى فلا شىء عليه ، لأن الله

وَمَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا ، وَكَذَا ، فَذَاكَ الَّذِى كَفَرَ بِى ، وَآمَنَ بِالْكَوْكَبِ) .

* * *

حديث (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى)

أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد

(باب) قول الله : «والله خلقكم وما تعملون» ج٩ ص ١٦٢

(٢٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْل ، عَنْ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِى زُرْعَةَ ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : قال اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقوا حَبَّةً ، أَوْ شَعِيرَةً)

تعالى قد أجرى العوائد فى السحاب والرياح والأمطار لمعان ، ترتبت فى الخلقة ، وجاءت على نسق فى العادة . ا هـ .

وقوله : (بنوء كذا وكذا) كذا وكذا كلمة مركبة من كاف التشبيه ، وذا للاشارة مكنيا بها عن العدد وتكون كذلك مكنيا بها عن غير عدد كما فى الحديث القائل : (انه يقال للعبد يوم القيامة : أتذكر يوم كذا وكذا ، فعلت كذا وكذا) وتكون أيضا كلمتين باقيتين على أصلهما : من كاف التشبيه ، وذا للاشارة .

كقوله : رأيت زيدا فاضلا ، ورأيت عمرا كذا – وتدخل عليها ها التنبيه ، كقوله تعالى : (أهكذا عرشك) فهذه الثلاثة الأوجه المعروفة فى ذلك . ا هـ قسطلانى .

وقوله فى رواية النسائى : (ما أنعمت على عبادى من نعمة الا أصبح طائفة من عبادى بها كافرين) ظاهر هذه العبارة العموم فى كل نعمة ينعم الله بها على عباده : سواء كان المطر ، أو غيره ، ولما كان الأهم من النعم هو الماء ، فحين يكفرون برزق الماء ، الذى هو أصل الأرزاق ، فقد كفروا بكل نعمة ، أنعم الله بها على عباده ، لذلك جاء التخصيص بقوله : (يقولون : مطرنا . . الخ) والا فكل نعمة من الله يكثر الكافرون بها ، ويقل الشاكرون .

اللهم وفقنا لشكر نعمتك . آمين .

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب اللباس - باب - نقْضِ الصور)

فقال :

(٢٨) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ ، حَدَّثَنَا عُمَارَةُ ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ أَبِى هُرَيْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ ، فَرَأَى فى أَعْلَاهَا مُصَوِّرًا يُصَوِّرُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : (أى قال الله تعالى) : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِى ؟ فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً ، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً) .

ثُمَّ دَعَا بِتَوْرٍ مِنْ مَاءٍ ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ حَتَّى بَلَغَ إِبِطَهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، شَىْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : مُنْتَهَى الْحِلْيَةِ » .

* * *

(٢٩) وأخرجهِ مسلم فى صحيحه بلفظ : (دَخَلْت مَعَ أَبِى هُرَيْرَةَ فِى دَارِ مَرْوَانَ فَرَأَى فِيهَا تَصَاوِيرَ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول : قَال اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِى ؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً) .

شرح الحديث من القسطلانى جـ ١٠ ص ٤٧٧

(محمد بن العلاء) الهمدانى ، أبو كريب ، الكوفى (ابن فضيل) هو محمد بن فضيل بضم الفاء ، وفتح الضاد المعجمة ، ابن غزوان ، الضبى مولاهم الحافظ أبو عبد الرحمن (عمارة) بضم العين وتخفيف الميم ، ابن القعقاع (عن أبى زرعة) هرم بكسر الراء ، ابن عمرو ، بن جرير ، البجلى . (سمع أبا هريرة رضى الله عنه ، قال : سمعت النبى ﷺ يقول : قال الله عز وجل : (ومن أظلم ممن ذهب) أى قصد (يخلق كخلقى ؟) أى لا أحد أظلم ممن قصد أن يصنع ويقدر كخلقى .

وهذا التشبيه لا عموم له ، يعنى كخلقى فى فعل الصورة ، لا من كل الوجوه .

واستشكل التعبير بأظلم ، لأن الكافر أظلم قطعا أى من المصور . وأجيب بأنه اذا صور الصنم للعبادة كان كافرا ، فهو هو ، أو يزيد عذابه على سائر الكفار ، لزيادة قبح كفره
(فليخلقوا ذرة) بفتح الذال نملة صغيرة ، أو الهباء .
(أو ليخلقوا حبة) بفتح الحاء ، أى حبة منتفعا بها كالحنطة (أو شعيرة) هو من باب عطف الخاص على العام ، أو هو شك من الراوى .
والمراد : تعجيزهم وتعذيبهم تارة بطلب خلق الحيوان ، وأخرى يخلق غير الحيوان .

شرح الحديث الثانى من القسطلانى جـ ٨ ص ٥٣٧

(موسى بن اسماعيل) المنقرى بكسر الميم ، وسكون النون ، وفتح القاف ، أبو سلمة التبوذكى ، بفتح التاء ، وضم الموحدة ، وسكون الواو ، وفتح الذال (حدثنا عبد الواحد) ابن زياد (حدثنا عمارة ، قال : حدثنا أبو زرعة ، قال : دخلت مع أبى هريرة) رضى الله عنه (دارا بالمدينة) لمروان بن الحكم كما فى مسلم (فرأى فى أعلاها) أى فى سقف الدار رجلا (مصورا) بكسر الواو المشددة (يصور) بلفظ المضارع (قال) أى أبو هريرة : (سمعت رسول الله ﷺ يقول) أى قال الله تعالى : (ومن أظلم ممن ذهب) أى قصد (يخلق كخلقى) فى مسلم : خلقا كخلقى ، أى فعل الصورة وحدها ، لا من كل الوجوه ، اذ لا قدرة لأحد على خلق مثل خلقه تعالى ، فالتشبيه فى الصورة وحدها ، وظاهره يتناول ما له ظل وما ليس له ظل ، فلذا أنكر أبو هريرة رضى الله عنه ما نقش فى سقف الدار .
(فليخلقوا) أى فليوجدوا (حبة) من قمح ، زاد ابن فضيل : وليخلقوا شعيرة ، وهو قرينة تدل على أن المراد هنا حبة من قمح (وليخلقوا ذرة) بفتح الذال المعجمة ، وتشديد الراء ، نملة صغيرة .
والمراد تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان ، وهو أشد ، وتارة بتكليفهم بخلق غير حيوان ، وهو أهون ، ومع ذلك لا قدرة لهم عليه .
(ثم دعا أبو هريرة بتور) بباء مكسورة ، فتاء فوقية مفتوحة ، وواو ساكنة ، فراء : اناء كطست (من ماء) أى فيه ماء ، فتوضأ منه (فغسل يديه) بالتثنية (حتى بلغ ابطه) بالافراد .

زاد الاسماعيلى : وغسل رجليه حتى بلغ ركبتيه . قال ابو زرعة : فقلت : (يا أبا هريرة) هل تبليغ الماء الى الأبط (شيء سمعته من رسول الله ﷺ ؟) على تقدير الاستفهام (قال أبو هريرة) تبليغ الماء الى الأبط (منتهى الحلية) أى فى الجنة .
والحلية : التحجيل من أثر الوضوء ، أو من التحلية المذكورة فى قوله تعالى : « يحلون فيها من أساور من ذهب » . . . ا هـ والله أعلم .

(أحاديث تتعلق بالتصوير) :

وهذه أحاديث تتعلق بالتصوير من حيث الصنع ، ومن حيث الاستعمال سأذكرها تتميما للفائدة ، وان لم يكن بعضها من الأحاديث القدسية .

ولما كانت هذه الأحاديث مأخوذة من صحيحى البخارى ومسلم ، اقتصرت فيها على ذكر الصحابى فقط ، اعتمادا على صحة السند من هذين الصحيحين . وقد ذكرتها مع الشرح خارجة عن العدد المذكور للأحاديث القدسية ، وها هى ذى الأحاديث ، من البخارى .

أحاديث البخارى من كتاب اللباس

(باب التصاوير) عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن أبى طلحة رضى الله عنه قال النبى ﷺ : (لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ، ولا تصاوير) .

ثم ذكر البخارى تعليقا عن الليث الى ابن عباس سمع أبا طلحة ، قال : (سمعت النبى ﷺ بذلك) .

(باب عذاب المصورين) ـ عن مسلم الهمدانى ، قال : كنا مع مسروق فى دار يسار ابن نمير ، فرأى فى صفته تماثيل : فقال سمعت عبد الله قال سمعت النبى ﷺ يقول) (ان أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون) .

وعن نافع أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أخبره أن رسول الله ﷺ قال : (ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم) .

(باب نقض الصور) .

عن عمران بن حطان ، أن عائشة رضى الله عنها حدثته أن النبى ﷺ لم يترك فى بيته شيئا فيه تصاليب الا نقضه) .

ولأبى ذر عن الكشميهنى : (فيه تصاوير الا نقضه) . حدثنا أبو زرعة ، قال : دخلت مع أبى هريرة دارا بالمدينة ، فرأى فى أعلاها مصورا يصور ، قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أى قال الله تعالى) ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا أجنة وليخلقوا ذرة) .

(باب ما وطىء من التصاوير)

قال سفيان : سمعت عبد الرحمن بن القاسم ـ وما بالمدينة يومئذ أفضل منه ـ قال : سمعت أبى (هو القاسم بن محمد بن أبى بكر)قال : سمعت عائشة ـ رضى الله عنها ـ تقول : قدم رسول الله ﷺ من سفر ، وقد سترت بقرام لى على باب سهوة لى ، فيها تماثيل ، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه ، وقال : (أشد الناس عذابا يوم القيامة ، الذين يضاهون بخلق الله) قالت : (فجعلناه وسادة ، أو وسادتين) .

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قدم النبى ﷺ من سفر ، وعلقت درنوكا (هو ستر له خمل) فيه تماثيل ، فأمرنى أن أنزعه فنزعته وكنت اغتسل أنا والنبى ﷺ من اناء واحد) .

(باب من كره القعود على الصور)

عن عائشة رضى الله عنها، انها اشترت نمرقة (وسادة صغيرة) ـ فيها تصاوير، فقام النبى ﷺ بالباب، فلم يدخل، فقلت: أتوب الى الله مما أذنبت، قال: ما هذه النمرقة؟ قلت: لتجلس عليها وتوسدها، قال: ان أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: (أحيو ما خلقتم، وان الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصور).

وعن زيد بن خالد الجهنى ـ رضى الله عنه ـ عن أبى طلحة الأنصارى رضى الله عنه، صاحب رسول الله ﷺ ـ قال: ان رسول الله ﷺ قال (ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة) ـ قال بسر: ثم اشتكى زيد ـ أى ابن خالد ـ فعدناه، فاذا على بابه ستر فيه صورة، فقلت لعبيد الله ـ أى ابن الأسود الخولانى ـ ربيب ميمونة زوج النبى ﷺ: ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال (الا رقما فى ثوب؟).

ب٣من البخارى (باب كراهية الصلاة فى التصاوير)

عن انس رضى الله عنه، قال: كان قرام لعائشة (وهو الستر، فيه نقوش) سترت به جانب بيتها، فقال لها النبى ﷺ: (أميطى عنى)، (أى قرامك) فانه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى).

ومنه أيضا (باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة)

عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: وعد للنبى ﷺ جبريل، فراث (أى أبطأ) عليه، حتى اشتد على النبى ﷺ، فخرج النبى ﷺ فلقيه، فشكا اليه ما وجد فقال له ـ أى جبريل ـ: (انا لا ندخل بيتا فيه صورة، ولا كلب)

(باب من لم يدخل بيتا فيه صورة)

عن القاسم بن محمد، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ زوج النبى ﷺ، أخبرته أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب، فعرفت الكراهية فى وجهه، قالت: يا رسول الله، أتوب اليه، والى رسوله، ماذا أذنبت؟ قال ما بال هذه النمرقة؟ فقالت: اشتريتها لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: (ان أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وقال: ان البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة).

ومنه (باب من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)

(حدثنا سعيد، قال: سمعت النضر بن أنس بن مالك، يحدث عن قتادة، قال ـ أى النضر ـ كنت عند ابن عباس ـ رضى الله عنهما، وهم يسألونه، ولا يذكر النبى ﷺ، حتى سئل، فقال ـ وعند مسلم: فجعل يفتى، ولا يقول: قال رسول الله ﷺ حتى سأله رجل

فقال : انى رجل أصور هذه الصور فقال له ابن عباس : ادنه فدنا الرجل فقال ابن عباس رضى الله عنهما :سمعت محمداﷺ يقول : (من صور صورة فى الدنيا ، كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ) . ا هـ من البخارى .

أحاديث مسلم

فى روايات مسلم لهذا الحديث الأخير زيادة عن رواية البخارى ، نذكرها تتميما للفائدة وهى بعد السند ما يأتى :

(جاء رجل الى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقال : انى رجل أصور هذه الصور ، فأفتنى فيها ، فقال له : ادن منى ، فدنا منه ، ثم قال : ادن منى ، فدنا حتى وضع يده على رأسه ، قال : أنبئك بما سمعت من رسول الله ـ ﷺ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : (كل مصور فى النار ، يجعل له بكل صورة صورها ـ نفسا ، فتعذبه فى جهنم) وقال : ان كنت لابد فاعلها فاصنع الشجر ، ولا نفس له . أ هـ .

وأخرجه مسلم ـ رحمه الله ـ بروايات عديدة ، لا تخرج كثيرا عما ذكرنا . وكذلك أخرج مسلم ـ رحمه الله ـ جميع الأحاديث ، التى أخرجها البخارى ـ رحمه الله ـ ولم يختلف عنه كثيراً غير حديث : ففيه زيادة يحسن زكرها وهى : عن زيد بن خالد الجهنى ، عن أبى طلحة الأنصارى ـ رضى الله عنهما ، قال سمعت رسول الله ـ ﷺ يقول :

(لا تدخل الملائكة بيتا ، فيه كلب ولا تماثيل ، قال : فأتيت عائشة رضى الله عنها فقلت : ان هذا يخبرنى أن النبى ﷺ قال : لا تدخل الملائكة بيتا ، فيه كلب ولا تماثيل ، فهل سمعت رسول الله ـ ﷺ ذكر ذلك ؟ ـ فقالت : لا ، سأحدثكم ما رأيته فعل ، رأيته خرج فى غزاته ، فأخذت نمطا ، فسترته على الباب ، فلما قدم فرأى النمط ، عرفت الكراهية فى وجهه ، فجذبه حتى هتكه ـ أو قطعه ، وقال : ان الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين ، وقالت : فقطعنا منه وسادتين ، وحشوتهما ليفا ، فلم يعب ذلك على) . ا هـ .

وكل أحاديث البخارى أخرجها مسلم كما مر .

(ما يتعلق بذلك من الأحكام)

أولا ـ المختار : ان الملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب ، ولا تماثيل هم الملائكة الذين ينزلون بالرحمة ، والذين يستغفرون للعبد .

أما الحفظة والكتبة فانهم لا يفارقون العباد فى حال من الأحوال . كما قاله الخطابى وغيره .

والمراد بالبيت الذى لا يدخلون فيه : هو المكان الذى يستقر فيه الانسان : سواء كان بيتا أو خيمة أو غيرهما .

واستثنى الخطابى وغيره الكلاب التى أذن الشارع فى اتخاذها ، وهى التى للصيد أو للزرع أو للماشية .

ثانيا ـ التصاوير المحرمة : هى التى تكون تشبه الحيوان ، ما لم تقطع رأسه وما لم يمتهن ـ وقيل : هو عام فى كل الصور .

وسبب الامتناع كونها معصية فاحشة ، اذ فيها مضاهاة لخلق الله تعالى ، وبعضها يكون فى صورة ما يعبد من دون الله تعالى .

وقيد فى الحديث بقوله : (ومن أظلم من ذهب يخلق كخلقى) أى يصورون أشكال الحيوانات ، فيحكونها بتخطيط ، أو تشكيل عالمين بالحرمة ، قاصدين التشبه بخلق الله تعالى ، لأنهم يكفرون بذلك ، فلا يبعد دخولهم مدخل آل فرعون ، أما من لم يقصد ذلك فانه يكون عاصيا به فقط .

وقال النووى ـ رحمه الله :قال العلماء تصوير الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر ، لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد ، وسواء صنعه لما يمتهن أم لغيره ، وأما تصوير ما ليس فيه صورة حيوان ، فليس بحرام .اهـ .

قالوا :وهذا كله فى غير لعب البنات ، وأما فى لعب البنات فليس بحرام مطلقا . ثم قال القسطلانى : والحاصل مما سبق كراهة الصور المنقوشة على سقف أو وسادة ، وانه يجوز كل ما يكون ممتهنا ، كفرش ونسيج سجاد ، وكذا مقطوع الرأس لأن المنصوب المرتفع يشبه الأصنام .

وقوله : (كلف أن ينفخ فيها الروح . الخ) هذا يقتضى تخليده فى النار ، وهذا فى حق الذى يصور التماثيل للعبادة ، ، أما غيره فهو عاص اذا لم يستحله ، ويكون الحديث للزجر فقط . والله أعلم .

والتصوير الشمسى غير داخل فى التصوير المحرم ، لأنه ظل للشخص المصور ، والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام على التصوير وما يتعلق به من الأحكام

نقول ــ وبالله التوفيق ــ قد وردت أحاديث تفيد النهى عن التصوير عامة ، وأحاديث استثنى فيها الرقم فى الثوب ، وأحاديث تجيزها اذا كانت ممتهنة ، وأحاديث تدل على ان النهى عنها ، لأن النظر اليها يذهب بالخشوع فى العبادة ــ وأحاديث تدل على أن عرض الصورة اذا كان للتعريف بصاحب الصورة فهو جائز وغير ممنوع منه ــ كما فى حديث عرض جبريل عليه السلام صورة عائشة رضى الله عنها فى المنام على النبى ﷺ فان المقصود من ذلك العرض انما هو تعريف النبى ﷺ بشخصية من اختارها الله تعالى لتكون زوجا له .

فللجمع بين هذه الأحاديث ــ يحمل التحريم الشديد على من قصد بالتصوير مضاهاة خلق الله تعالى ، أو صورها لعبادتها وتعظيمها ، ويشير الى ذلك قوله ﷺ : (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى) أى قصد ذلك ، وقوله : (المصورون الذين يضاهون خلق الله) ــ فهذا العمل حرام لذاته ، لأنه اما شرك ، أو قريب من الشرك .

وأما التصوير للصالحين والعظماء ليقتدى بهم فى أعمالهم ــ فذلك مقصد حسن فى ذاته ولكنها تحرم للخوف من تعظيمها وعبادتها كما كان شأن الأصنام فى أولها وفى نهايتها ــ ولا سيما اذا وضعت فى أمكنة العبادة كالمساجد ، ولا يظن أن ذلك بعيد ، فقد يتطاول الزمان ويكثر الجهل ، فيفتح الشيطان بذلك بابا من الشر على الناس ، وقد قال النبى ﷺ : (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه)

وذلك كله فى الصور التى لها جرم تعيش به ، فلو قطع رأسها ، أو خرق بطنها وجوف تجويفا واسعا ، فلا تحرم ــ وكذلك الصور التى هى أرقام على الثياب ونحوها ــ إذا كانت بحالة امتهان ــ وأما لو كانت بحالة تعظيم فتكون مكروهة ، حيث لا يبلغ تعظيمها مبلغ تعظيم العبادة ، وإلا حرمت .

وأما التصوير لقصد التعريف بشخصية المصور ، كصور البطاقات ونحوها ، وكصور المشبوهين وجواسيس الأعداء للنجاة من شرهم وكصور الحيوانات الضارة والنافعة للانتفاع بخواصها ــ فذلك كله ــ مع ما فيها من قصد التعريف والعلم بشخصية المصور ــ مما تدعو اليه الحاجة ، فهذه مطلوبة ، وقد تشتد اليه الحاجة فتنزل منزلة الضرورة ، فيكون واجبا ، لأنها وسيلة إلى العلم ، فتعطى حكم العلم المطلوب : الوجوب أو الاستحباب ــ ومن الأمور المباحة تصوير الآباء والأجداد لتحفظ صورهم للأبناء والأحفاد ليعرفوا هيئتهم ، وذلك بشرط أن لا يعرضها الآباء على أبنائهم عرض تعظيم ، بل يكون لمجرد التعريف بهم فقط .

ويؤخد من قوله ﷺ لعائشة : (أميطى عنا قرامك ، فانه لا تزال تصاويره تعرض لى ف صلاتى) ولا شك أنها كانت أرقاما ـ فيؤخذ من ذلك أن صور الأرقام إذا أدت إلى محظور ، كالصور الخليعة ، التى يثير النظر اليها الشهوة لا سيما عند الشبان ، فتكون حراما لذلك ـ ومثل ذلك عرض الأفلام ، فهى فى ذاتها يقصد منها التعريف بالمعروض فى ذلك الفيلم ، فإن كان يستفاد منه تربية النشىء خلقيا أو علميا ، أو كان عرضا لموقعة حربية ، أو تمثل خروجا من ضيق يقع فيه الشخص ـ فذلك كله مطلوب كطلب العلم لذلك ـ وأما إذا كان فيها أحوال الجنس ، وإثارة الغرائز ، أو كان عرضها بصورة خليعة أو أوضاع شائنة كما يوجد فى الاعلانات المعلقة فى الميادين ، فذلك حرام قولا واحدا ، لأن فيها ضياع الأخلاق والحث على الفساد ـ وكذلك تحرم الأفلام التى تكون وسيلة لتعليم عمل الجريمة ، القتل والسرقة والخيانة ، والوصول إلى العشق والزنا ، لأنها تفتح باب الفساد بالايحاء إلى الغافل ، وتعليم الجاهل أسباب الوصول اليها ، والحيل التى بها ينجو من الوقوع تحت دائرة العقاب ـ فضلا عما فيها من انحلال المجتمع ، وانصرافه إلى الضار وتركه النافع .

هذا . .

وقد استثنى علماؤنا من الصور والتماثيل لعب الأطفال فهى مباحة ، لبعدها عن جميع المقاصد التى تحرم بها الصور . أ هـ .

هذا بالاختصار آخر ما وصل اليه الجهد فى هذا الموضوع . والله أعلم ، وهو الهادى إلى أقوم سبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

حديث : (إنَّ أمتك لا يزالون يقولون : ما كذا ؟ ما كذا ؟ حتى يقولوا : هذا الله ... الخ) .

أخرجه الإمام مسلم - رحمه الله تعالى - فى كتاب الإيمان - بابُ (الوسوسة فى الإيمان) .

(٣٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَارَةَ الْحَضْرَمِيُّ ، حَدَّثَنا مُحَمَّدُ ابْنُ فُضَيْلٍ ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : قَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : إنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ : مَا كَذَا ؟ مَا كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولُوا : هَذَا اللهُ ، خَلَقَ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خلَقَ اللهَ ؟) .

* * *

(٣١) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَنْبَأَنَا جَرِيرٌ (ح[1]) وَحَدَّثنا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ زَائِدَةَ ، كِلَاهُمَا عَنِ الْمُخْتَارِ ، عَنْ أَنَس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - بِهَذَا الْحَدِيثِ) .

غير أن إسحاق لم يذكر قالَ : قَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ : (إنَّ أُمَّتَكَ).

* * *

وكذلك أخرجه مسلم بروايات كثيرة ، ليس فى واحدة منها - (قال الله تعالى) : - فمنها ما رواه بسنده إلى أبى هريرة :

(٣٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لَا يَزَالُ النَّاس يَتَسَاءلُونَ ، حَتَّى يُقَالَ : هَذَا - خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ : آمَنْتُ بِاللهِ)

---

(١) رمز تحويل السند .

(٣٣) ومنها : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : يَأْتِى الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ ، فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ، وَكَذَا ، حَتَّى يَقُولَ لَهُ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ ، وَلْيَنْتَهِ).

وكذا أخرجه مسلم بروايات عن أبى هريرة مثل الرواية الأولى ، وكلها ليس فيها : (قال الله ... الخ).

(شرح الحديث من النووى على مسلم من باب بيان الوسوسة فى الايمان)

قال رحمه الله : (فيه أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : جاء ناس من أصحاب النبى ﷺ فسألوه : انا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : (وقد وجدتموه ؟) قالوا : نعم ، قال : (ذاك صريح الايمان) .

وفى الرواية الأخرى : (سئل النبى ﷺ عن الوسوسة ، فقال) (تلك محض الايمان) .

وفى الحديث الآخر : (لا يزال الناس يتساءلون : حتى يقال : هذا ، خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ أن وجد من ذلك شيئا ، فليقل : آمنت بالله) .

وفى الرواية الأخرى : (فليقل) آمنت بالله ورسله) .

وفى الرواية الأخرى : (يأتى الشيطان أحدكم ، فيقول : من خلق كذا وكذا ؟ ـ حتى يقول له : من خلق ربك ؟ ـ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) .

قال النووى رحمه الله :

أما معانى الأحاديث وفقهها : فقوله ﷺ ذلك صريح الايمان ، ومحض الايمان ـ معناه استعظامكم الكلام به ، هو صريح الايمان ، فان استعظام هذا ، وشدة الخوف منه ومن النطق به ـ فضلا عن اعتقاده ـ انما يكون ممن استكمل الايمان ، استكمالا محققا .

وقيل : معناه أن الشيطان انما يوسوس لمن أيس من اغوائه ، فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن اغوائه .

وأما الكافر فيأتيه من حيث شاء ، ولا يقتصر فى حقه على الوسوسة ، بل يتلاعب به كيف أراد . ـ فعلى هذا يكون معنى الحديث ، أن سبب الوسوسة هو محض الايمان ، أو الوسوسة علامة محض الايمان وهذا القول ، هو اختيار القاضى عياض .

وأما قوله ﷺ (فمن وجد من ذلك شيئا ، فليقل : آمنت بالله) ـ وفى الرواية الأخرى ، فليستعذ بالله ، ولينته) . فمعناه الاعراض عن هذا الخاطر الباطل ، والالتجاء إلى الله تعالى فى اذهابه .

حديث : (إن الله تعالى قال : من ذا الذى يتألى علىَّ ، أن لا أغفر لفلان) .

أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، ـ باب النهى عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى) .

(٣٤) حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيد ، عَنْ مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِىُّ ، عَنْ جُنْدُب ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ

قال الامام المازرى ـ رحمه الله ـ : ظاهر الحديث أنه ﷺ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالاعراض عنها ، والرد لها من غير استدلال ولا نظر فى ابطالها .

قال : والذى يقال فى هذا المعنى : أن الخواطر على قسمين : فأما التى ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت ، فهى التى تدفع بالاعراض عنها ، وعلى هذا يحمل الحديث ، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة ، فكأنه لما كان أمرا طارئا بغير أصل ـ رفع بغير نظر فى دليل ، إذ لا أصل له ينظر فيه .

وأما الخواطر المستقرة التى أوجبتها الشبهة ، فانها لا تدفع إلا بالاستدلال ، والنظر فى ابطالها . والله أعلم .

وأما قوله ﷺ : (فليستعذ بالله ، ولينته) فمعناه : إذا عرض له هذا الوسواس فليلجأ إلى الله تعالى ، فى دفع شره عنه ، وليعرض عن الفكر فى ذلك ، وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة الشيطان ، وهو انما يسعى بالفساد ، والاغواء ، فليعرض عن الاصغاء إلى وسوسة الشيطان ، وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها . والله أعلم . أهـ من النووى .

شرح حديث مسلم من شرح النووى لصحيح مسلم

قال الامام النووى ـ رحمه الله تعالى ـ :

قوله ﷺ : (ان رجلا قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وان الله تعالى قال : من ذا الذى يتألى على أن لا أغفر لفلان ، فانى قد غفرت لفلان ، وأحبطت عملك) .

معنى (يتألى) يحلف ، والألية اليمين . قال فى القاموس : والألوة ـ ويثلث ، والألية والأليا : اليمين ، وائتلى وتألى أقسم . أهـ .

قال النووى : وفيه دلالة لمذهب أهل السنة ، فى غفران الذنوب بلا توبة ، إذا شاء الله غفرانها .

اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانَ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ ذَا الَّذِى يَتَأَلَّى عَلَىَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَان ، فَإِنِّى قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ ، أَوْ كَمَا قَالَ)

وأخرج نظير هذا الحديث أبو داود فى سننه ـ (باب فى النهى عن البغى) جـ ٤ ص ٢١٥ بلفظ أطول ، ومعه قصة ، وهاهو ذا بسنده ، قال :

* * *

(٣٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ بْنِ سُفْيَانَ ، أَنْبَأَنَا عَلِىُّ بْنُ ثَابِت ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّار ، قَالَ : حَدَّثَنِى ضَمْضَمُ بْنُ جَوْس ، قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : كَانَ رَجُلَانِ فى بَنِى إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ ، و الْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فى الْعِبَادَةِ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ ، فَيَقُولُ لَهُ : أَقْصِرْ ، فَقَالَ : خَلِّنِى وَرَبِّى ،

واحتجت المعتزلة بالحديث فى احباط الأعمال بالمعاصى الكبائر ، ومذهب أهل السنة أنها لا تحبط إلا بالكفر ، ويتأول حبوط عمل هذا على أنه أسقطت حسناته فى مقابلة سيئاته ، وسمى احباطا مجازا ، ويحتمل أنه جرى منه أمر آخر ، أوجب الكفر ، ويحتمل أن هذا فى شرع من قبلنا ، وكان هذا حكمهم . أ . هـ نووى .

(شرح حديث أبى داود)

(كان رجلان فى بنى اسرائيل متواخيين) أى اتخذ كل واحد منهما الآخر ـ أخا له فى الله تعالى ، يتناصحان لعمل الخير ، لذلك كان المجتهد فى العبادة ينكر على الآخر الذنب ، ويقول له : أقصر ، أى كف عن فعل الذنوب وتب إلى الله تعالى ، (فقال له) المذنب : (خلنى وربى) أى اتركنى وما يفعل ربى بى ، فانى أعتقد أن الله تعالى غفور رحيم ، يغفر الذنوب جميعا ، ورحمته وسعت كل شىء .

وفيه اشارة إلى أنه كان حسن الظن بالله تعالى ، راجيا منه أن يغفر له ذنوبه ، إذا تاب منها ، وندم عليها ، واستغفر ربه منها ، ولذا قال : (خلنى وربى) أى فان ظنى بالله

أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا ؟ فَقَالَ : وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ ، أَوْلَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا ، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَقَالَ (أى الله) لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ : أَكُنْتَ عَالِمًا بِى ؟ ـ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِى يَدِى قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِى ، وَقَالَ لِلْآخَرِ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ) .

قال أبو هريرة وَالذى نفسى بيده لَتَكَلَّمَ بكلمة أَوْبَقَتْ دنياه وآخرته .

وبمغفرته عظيم ، ثم قال له) (أبعثت) أى أرسلت (على رقيبا) من جهة الله تعالى ، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : (وماأنت عليهم بوكيل) .

فالرقيب على العباد هو الله تعالى وحده ، وهذا منه حسن فى العقيدة . تستأهل وتستدر مغفرة الله تعالى لمن اتصف بها .

(فقال) له المجتهد فى العبادة : (والله لا يغفر الله لك) أو قال له : (والله لا يدخلك الله الجنة) وهذه الكلمة كما قال أبو هريرة رضى الله عنه هى التى أوبقت وأهلكت دنياه وآخرته .

أوبقت دنياه ، فأحبطت أعماله الصالحة التى كان يجتهد فيها ، لكفره بذلك ، قال تعالى : (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين) وأوبقت آخرته ، فلم تبق لأعماله ثوابا ، ولا أجرا .

لذلك استحق أن يقال فيه : (اذهبوا به إلى النار) .

ويحتمل كما قال النووى أن المراد اذهبوا به الى النار مخلدا ، إذا كان قد صدر منه ـ ولو بقلبه ـ ما يكون كفرا .

ويحتمل أن المراد اذهبوا به إلى النار يعذب فيه عذاب عصاة المؤمنين تطهيرا لهم من ذنوبهم التى ارتكبوها ، لأن هذا اقترن اثما عظيما ، وهو حكمه جازما بأن الله تعالى لن يغفر لأخيه العاصى ، ولا يدخله الجنة .

والله تعالى يقول : (أهم يقسمون رحمة ربك)؟ والمغفرة والعذاب الوارد الوعد والوعيد بهما ، تحت مشيئة الله وحده ، ليس لمخلوق أن يجزم بحصول أحدهما لمخلوق : لنفسه أو لغيره ، والا كان تحكما منه فى ارادة الله وعلى أفعاله تعالى .

فالمذنب الراجى لمغفرة الله أدخله الله الجنة ، والطائع الذى تألى على الله دخل النار .

نعوذ بالله تعالى من الزلل فى القول والعقيدة والعمل ـ آمين .

٣ ـ (ما جاء من كرم الله تعالى فى مضاعفة جزاء الأعمال الصالحة)

حديث (مَنْ هَمَّ بحسنة أو بسيئة)

أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق ـ ج ٨ ص ١٠٣ .

(٣٦) حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَر ، حَدّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ ، حَدّثَنا جَعْدٌ أَبُوعثمان ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجاءٍ الْعَطَارِدِيُّ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضىَ الله عَنْهُمَا ـ عَن النَّبِيِّ ـ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِيمَا يَرْوِى عَنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قال : قَالَ : إنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنَدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بها فَعَمِلَهَا ، كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ . إلى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ إلى أَضْعَافٍ كَثِيرةٍ . وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا ، كَتَبَهَا الله سَيِّئَةً وَاحِدَةً) .

* * *

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب التوحيد ـ من باب ـ (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ج ٩ ص ١٤٤ .

(٣٧) فقال بسنده إِلَى أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَقُولُ اللهُ : إِذَا أَرَادَ عَبْدِى أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً ، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَابِمِثْلِهَا ،

وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِى فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، وَإِذَا أَرَادَ عَبْدِى أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، إِلَى سَبْعمائَةِ ضِعْفٍ) - وزاد فى بعض الروايات : (إِلَى أَضْعاف كَثِيرة) .

***

وأخرج الحديث مسلم فى صحيحه بسنده إلى أبى هريرة - من باب- (تجاوز الله تعالى عن حديث النفس والخواطر بالقلب ....

وبيان حكم الهَمِّ بالحسنة والسيئة) ج ٨ هامش القسطلانى ص٤٨٦.

(٣٨) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : إِذَا هَمَّ عَبْدِى بِسَيِّئَة فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً وَإِذَ هَمَّ بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا فاكْتُبُوهَا عَشْرًا) .

***

وفى رواية ثانية لمسلم ، قال بسنده إلى أبى هريرة :

(٣٩) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا هَمَّ عَبْدِى بِحَسَنَة وَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْف ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا ، لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ . فَإِنْ عَملَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً) .

وفى رواية لمسلم ، قال بعد السَّنَدِ :

(٤٠) حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَذَكَر أَحَادِيثَ ، مِنْهَا : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ . إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِى بِأَنْ يَعْمَل حَسَنَةً ، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ - حَسَنَةً ، مَالَمْ يَعْمَلْ ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً ، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : رَبِّ ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً - وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ - فَقَالَ : ارْقُبُوهُ ، فَإِنْ عَمِلَهَا ، فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا ، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّاىَ) .

***

(٤١) وفى صحيح مسلم بسنده قال : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ ، فَكُلُّ حَسَنَة يَعْمَلُهَا ، تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْف ، وَكُلُّ سَيِّئَة يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى) .

***

وفى رواية أُخرى ، أَخرجها مسلم بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما . فقال :

(٤٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرْوِى عَنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ : إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا ،

كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا ، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَات ، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْف ، إِلَى أَضْعَاف كَثِيرة ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا ، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) .

وزاد فى رواية أُخرى :(أَوْ مَحَاهَا اللهُ ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ) .

* * *

وأَخرج هذا الحديث الترمذى فى صحيحه - باب سورة الأَنعام - جـ٢ ص ١٨٠ .

(٤٣) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : قَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَقَوْلُهُ : الْحَقُّ - إِذَا هَمَّ عَبْدِى بِحَسَنَة ، فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْر أَمْثَالِهَا ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَة ، فَلَا تَكْتُبُوهَا ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا ، فَإِنْ تَرَكَهَا - وَرُبَّمَا قَالَ : لَمْ يَعْمَلْ بِهَا ، فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، ثُمَّ قَرَأَ : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) .

(قال أَبو عيسى الترمذى - رحمه الله تعالى : حديث حسن صحيح)

* * *

وأَخرج الحديث أَيضاً النسائى فى القنوت ، والرقائق كما فى القسطلانى .

وأَخرجه أَيضاً ابن ماجة فى سننه ، عن أَبى ذرّ - رضى الله عنه. فقال :

(٤٤) عَنْ أَبِى ذَرٍّ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ

عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَة سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، أَوْ أَغْفِرْ ، وَمَنْ تقربَ مِنِّ شِبْرا تقربْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعا . وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانى يَمْشِى أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ، وَمَن لَقِيَنى بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً ، ثُمَّ لَا يُشْرِكُ بى شَيْئًا ، لَقِيتُهُ بمِثْلِهَا مَغْفِرَةً) .

شرح حديث (من هم بحسنة . . الخ)

من شرح الامام النووى لصحيح مسلم جـ ١ هامش القسطلانى ص ٤٩١

قال النووى رحمه الله تعالى :

(وأما قوله : ﷺ . إذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه ما لم يعملها . . الخ) ـ وفى الحديث الآخر فى الحسنة (إلى سبعمائة ضعف) . ـ وفى الآخرة فى السيئة : (انما تركها من جراى) .

فقال المازرى ـ رحمه الله ـ : مذهب القاضى أبى بكر بن الطيب أن من عزم على المعصية بقلبه ، ووطن نفسه عليها ، أثم فى اعتقاده وعزمه .

ويحمل ما وقع فى هذه الأحاديث وأمثالها ، على أن ذلك فيمن لم يوطن نفسه على فعل المعصية ، وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى ذلك هما ، ويفرق بين الهم والعزم .

هذا مذهب القاضى أبى بكر ـ رحمه الله تعالى ـ

وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين ، وأخذوا بظاهر الحديث .

قال القاضى عياض ـ رحمه الله ـ عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب اليه القاضى أبو بكر ، للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب ، لكنهم قالوا :ان هذا العزم يكتب سيئة ، وليست هى السيئة التى هم بها ، لكونه لم يعملها ، وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى ، والانابة اليه لكن نفس الاصرار والعزم معصية ، فيكتب معصية ، فإذا عملها كتبت معصية ثانية ، فان تركها خشية لله تعالى ، كتبت حسنة ، كما فى الحديث ، فانما قال : (فانما تركها من جراى) فصار تركه لها لخوف الله تعالى ، ومجاهدته نفسه الأمارة بالسوء فى ذلك ، وعصيانه هواه حسنة

وأما الهم الذى لا يكتب فهى الخواطر التى لا توطن النفس عليها ، ولا يصحبها عقد ، ولا نية ولا عزم .

وذكر بعض المتكلمين خلافا فيما إذا تركها لغير خوف الله تعالى ، بل لخوف الناس ، هل تكتب حسنة أو لا تكتب حسنة ؟ .

قال : لا ، لأنه إنما حمله على تركها الحياء . ـ وهذا ضعيف لا وجه له .

قال النووى : هذا آخر كلام القاضى ، وهو ظاهر حسن ، لا مزيد عليه .

وقد تظاهرت النصوص على المؤاخذة بعزم القلب المستقر ، ومن ذلك قوله تعالى « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة » الآية .

وقوله تعالى : « اجتنبوا كثيرا من الظن أن بعض الظن اثم) والآيات فى هذا كثيرة .

وقد تظاهرت نصوص الشرع ، وإجماع الأمة على تحريم الحسد ، واحتقار المسلمين ، وارادة المكروه بهم ، وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها . والله أعلم .

وقال النووى ـ رحمه الله تعالى : معنى قوله : (أحسن اسلامه) انه أسلم اسلاما حقيقيا ، وليس كإسلام المنافقين .

وأما قوله ﷺ : (ولا يهلك على الله إلا هالك) ـ فقال ان القاضى عياض ـ رحمه الله : قد اتسعت رحمة الله تعالى بعباده وكرمه بهم ، فجعل السيئة حسنة إذا لم يعملها ، وإذا عملها جعلها سيئة واحدة ، وجعل الحسنة إذا لم يعملها حسنة ، وإذا عملها جعلها عشرا ، إلى سبعمائة ضعف .

فمن حرم هذا الفضل ، وكثرت سيئاته حتى غلبت على حسناته ، مع أن السيئة أفراد ، والحسنات مضاعفة ، فهو الهالك المحروم لأنه لم يهتم بفعل الحسنات ، ولم يتورع عن السيئات حتى كثرت وزادت على سيئاته . أ هـ .

قال الامام أبو جعفر الطحاوى ـ رحمه الله تعالى ـ : فى هذه الأحاديث دليل على أن الحفظة يكتبون أعمال القلوب وعقدها ـ أى عزمها المصمم ـ خلافا لمن قال : انها لا تكتب إلا الأعمال الظاهرة . والله أعلم .

وأما قوله ﷺ : (إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة) ففيه تصريح بالمذهب الصحيح المختار عند العلماء ، أن التضعيف لا يقف على سبعمائة ضعف .

وحكى أبو الحسن أقضى القضاة الماوردى أن التضعيف لا يتجاوز سبعمائة ضعف وهو غلط لهذا الحديث . والله أعلم .

ثم قال الامام النووى ـ رحمه الله تعالى :

وفى أحاديث الباب بيان ما أكرم الله تعالى به هذه الأمة ـ زادها الله شرفا ـ وبيان ما خففه الله عنهم مما كان على غيرهم من الأصر ـ وهو الثقل والمشاق .

وبيان ما كانت الصحابة رضى الله عنهم ـ عليه من المسارعة إلى الانقياد لأحكام الشرع .

قال أبو اسحاق الزجاج : هذا الدعاء ، الذى فى خواتيم البقرة من قوله تعالى : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . . إلى آخر السورة) أخبر الله به النبى ﷺ والمؤمنين ، وجعله فى كتابه ، ليكون دعاء من يأتى بعد النبى ﷺ والصحابة ـ رضى الله عنهم . فهو من الدعاء الذى ينبغى أن يحفظ ويدعى به كثيرا . أ هـ .

ويشير بذلك إلى حديث : (ان الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ، ما لم يتكلموا أو يعملوا به) . ـ أ هـ من شرح النووى .

(من شرح القسطلانى جـ ٩ ص ٢٨٠ وما بعدها)

(عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما عن النبى ﷺ ـ فيما يرويه عن ربه ـ عز وجل) أى مما تلقاه بلا واسطة ، أو بواسطة الملك وهو الراجح .

(أنه ﷺ قال : قال ان الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات) أى قدرهما فى علمه ، أى وقدر لهما الجزاء على وفق الواقع الذى أخبر به النبى ﷺ ـ أو أمر الحفظة أن تكتب ذلك .

(ثم بين ذلك) أى فصل الذى أجمله ، وبين كيف يكون الجزاء على كل منهما (فمن هم بحسنة) زاد فى سنن أحمد وصححه ابن حبان : (فمن هم بحسنة ، يعلم الله أنه قد أشعر بها قلبه ، وحرص عليها) . (فلم يعملها ، كتبها الله) أى قدرها له ـ أو أمر الملائكة الحفظة الكرام الكاتبين بكتابتها (له عنده) تعالى (حسنة كاملة) . فلا يتوهم نقصها ، لكونها نشأت عن الهم فقط ، دون عمل لها . ولا تضعيف فيها ، لأن التضعيف مختص بالحسنة التى عملها .

قال الله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » والمجىء بها : هو العمل . والعندية للشرف .

ويحتمل أن يكتبها الله بمجرد الهم ، وان لم يعزم عليها زيادة فى الفضل .

وقيل : انما تكتب الحسنة بمجرد الارادة ، لأن ارادة الخير سبب إلى العمل . وارادة الخير خير ، لأن الخير من عمل القلب .

وقوله : (فلم يعملها) ظاهرة حصول الحسنة بمجرد الترك : سواء كان لمانع أم لا ، ويتجه أن يتفاوت عظم الحسنة بحسب المانع ، فإن كان خارجيا ، وقصد الشخص الذى هم مستمر ، فهى عظيمة القدر ، وإن كان من قبل الذى هم ، فهى دون ذلك .

فإن قصد الاعراض عنها جملة ، فالظاهر أن لا تكتب له حسنة أصلا ، لا سيما أن عمل بخلافها ، كأن هم أن يتصدق بدرهم فصرفه بعينه فى معصية .

(فإن هو هم بها) أى بالحسنة (فعملها كتبها الله له عنده) تعالى اعتناء بصاحبها ، وتشريفا له (عشر حسنات) وهذا أقل ما وعد به من الأضعاف (إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة) بحسب الزيادة فى الاخلاص وصدق العزم ، وحضور القلب ، وكثرة النفع ،

(ومن هم بسيئة فلم يعملها) خوفا من الله تعالى ـ كما فى حديث أبى هريرة ـ (كتبها الله له عنده حسنة كاملة) غير ناقصة ، ولا مضاعفة .

وذهب القاضى الباقلانى وغيره إلى أن من عزم على المعصية بقلبه ، ووطن نفسه عليها أنه يأثم ، وحمل الأحاديث الواردة فى العفو عمن هم بسيئة ولم يعملها ، على الخاطر الذى يمر بالقلب ولا يستقر .

قال الماوردى : وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، ونقل ذلك عن نص الشافعى رحمه الله تعالى ، ويدل له حديث أبى هريرة عند مسلم ، بلفظ : (فأنا أغفرها له مالم يعملها) فإن الظاهر أن العمل هنا هو عمل الجارحة بالمعصية التى هم بها .

وتعقبه القاضى عياض بأن عامة السلف على ما قاله ابن الباقلانى ، لا تفاقهم على المؤاخذة بأعمال القلوب ، لكنهم قالوا : ان العزم على السيئة يكتب سيئة مجردة ، لا السيئة التى هم بها ، كمن يأمر بتحصيل معصية ، ثم لا يفعلها بعد حصولها ، فانه يأثم بالأمر المذكور ، ولا بالمعصية .

وقد تظاهرت نصوص الشريعة بالمؤاخذة على عزم القلب المستقر ، كقوله تعالى : (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم) الآية .

والحاصل أن كثيرا من العلماء على المؤاخذة بالعزم المصمم :

وافترق هؤلاء : فمنهم من قال : يعاقب عليه فى الدنيا بنحو الهموم والغموم والإحزان .

ومنهم من قال : يعاقب عليه يوم القيامة ، لكن بالكتاب ، لا بالعقاب . واستثنى قوم ممن قال بعدم المؤاخذة بالهم ما وقع بحرم مكة ولو لم يصمم لقوله تعالى : (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) لأن الحرم يجب اعتقاد تعظيمه ، فمن هم بالمعصية فيه خالف الواجب بانتهاك حرمته . فصارت المعصية فى الحرم أشد من المعصية فى غيره .

ومن هم بالمعصية قاصدا الاستخفاف بالحرم عصى ، ومن هم بمعصية الله قاصدا الاستخفاف بالله كفر ، وانما المعفو عنه ألهم بالمعصية مع الذهول عن قصد الاستخفاف . أ هـ ملخصا من الفتح . ـ

(فإن هم هو بها) أى بالسيئة (فعملها كتبها الله له) أى للذى عملها (سيئة واحدة) أى من غير تضعيف .

ولمسلم من حديث أبى ذر : (فجزاؤه بمثلها ـ أو يغفر له) .

وله من حديث ابن عباس : (أو يمحها) أى يمحها بالفضل ، أو بالتوبة أو بالاستغفار ، أو بعمل الحسنة التى تكفر السيئة لقوله تعالى : « ان الحسنات يذهبن السيئات » وقوله : (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه . نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) .

واستثنى بعضهم وقوع المعصية فى حرم مكة ، لتعظيمها ، كما تقدم فى الهم بالمعصية .

والجمهور على التعميم فى الأزمنة ، أى فى أن فعل السيئة يكتب سيئة واحدة ، دون تضعيف .

لكن قد تتفاوت بالعظم ، فى الأزمنة أو الأمكنة وغيرهما .

وفى الحديث بيان سعة فضل الله تعلى على هذه الأمة المحمدية حيث تضاعف الحسنات التى عملها العبد ، ولا تضاعف السيئة وحيث تكتب الحسنة التى هم بها حسنة كاملة وان لم يعملها ، ولا تكتب السيئة إلا إذا عملها . ولولا ذلك لكاد أن لا يدخل أحد الجنة ، لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم للحسنات . والله أعلم . أ هـ .

من البخارى فى كتاب التوحيد ـ باب ـ (ويحذركم الله نفسه).
وقوله جل ذكره : (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) ج ٩ ص ١٢٠ ـ قسطلانى ج١٠ ص ٣٨١ .

(٤٥) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْص ، حَدَّثَنَا أَبى ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ ، عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ الله عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَقُولُ الله تَعَالَى :(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بى ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنى ، فَإِنْ ذَكَرَنى فِى نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى ، وَإِنْ ذَكَرَنى فِى مَلإٍ ذَكَرته فِى مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ بِشِبْرٍ ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تقرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا ، تقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانى يَمْشِى ، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) .

وذكره البخارى أيضاً فى كتاب التوحيد مختصرا .

***

وأخرجه مسلم فى صحيحه ، بثلاث طرق عن أَبى هريرة رضى الله عنه .

(٤٦) الأُولى قريبة من اللفظ . مما ذكر البخارى هنا ، ولم يختلف إلا فى قوله : (وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنى ، إِنْ ذَكَرَنى فى نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فى نَفْسِى ، وَإِنْ ذَكَرَنى فى مَلَإٍ ، ذَكَرْتُهُ فى مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ) .

***

(٤٧) والرواية الثانية لم يذكر فيها : (وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا) .

والرواية الثالثة فيها : (هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر أحاديث ، منها :

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : إِنَّ اللهَ قَالَ : إِذَا تَلَقَّانِى عَبْدِى بِشِبْرٍ ، تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ ، وَإِذَا تَلَقَّانِى بِذِرَاعٍ ، تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ ، وَإِذَا تَلَقَّانِى بِبَاعٍ ، جِئْتُهُ بِأَسْرَعَ مِنْهُ) .

صحيح مسلم من هامش القسطلانى ـ ج ١٠ ص ٠٠٠ وما بعدها

***

وأخرجه الترمذى ـ رحمه الله تعالى فى جامعه ـ باب ـ حسن الظن بالله عز وجل ولفظه :

(٤٨) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : إِنَّ اللهَ يَقُولُ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِى) .

قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

***

(٤٩) وفى رواية للترمذى (عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رضى اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِى ، فَإِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى ، وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلَإٍ ، ذَكَرْتُهُ فِى مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَىَّ شِبْرًا ، اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِى يَمْشِى ، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) .

قال الترمذى رحمه الله : حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجة فى سننه ـ باب ـ (فضل الذكر) جـ٢ ص٢١٨ فقال :

(٥٠) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ : أَنَا مَعَ عَبْدِى إِذَا هُوَ ذَكَرَنِى ، وَتَحَرَّكَتْ بِى شَفَتَاهُ) .

***

وأخرجه ابن ماجة أيضاً فى فضل العمل جـ٢ ص ٢٢٣ فقال :

(٥١) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِى ، فَإِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى ، وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلَإٍ ، ذَكَرْتُهُ فِى مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ ، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَىَّ شِبْرًا ، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِى يَمْشِى ، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) .

شرح الحديث من القسطلانى جـ ١٠ ص ٣٨١

يقول الله ـ تعالى ـ : (أنا عند ظن عبدى بى) أى ان ظن أنى أقبل أعماله الصالحة ، وأثيبه عليها ، وأغفر له ان تاب ، فله ذلك منى ، وان ظن أنى لا أفعل به ذلك ، فسيكون له ذلك .

وفيه اشارة إلى ترجيح جانب الرجاء ، على جانب الخوف .

وقيد بعض أهل التحقيق ذلك بالمحتضر ، وأما قبل ذلك فأقوال ثلاثة :

أصحها الاعتدال ، فينبغى للمرء أن يجتهد بقيام وظائف العبادة ، موقنا بأن الله تعالى يقبله ، ويغفر له ، لأنه وعده بذلك ، وهو لا يخلف الميعاد ، فان اعتقد أو ظن ذلك ، فهو آيس من رحمة الله ، وهو من الكبائر ، ومن مات على ذلك وكل إلى ظنه .

وأما ظن المغفرة مع الاصرار على المعصية ، فذلك محض الجهل والغرور ، أ . هـ ببعض تصرف .

(وأنا معه إذا ذكرنى) وهى معية خصوصية ، أى معه برحمتى وتوفيقى وهدايتى ، ورعايتى وعنايتى ، فهى غير المعية المعلومة من قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » فإن معناها المعية بالعلم والاحاطة .

(فإن ذكرنى) بالتنزيه والتقديس سرا (فى نفسه) وقلبه وضميره ذكرته بالثواب (فى نفسى) أى لم يطلع عليه غيرى (وان ذكرنى فى ملأ) هو بفتح الميم واللام مهموزا ـ أى فى جماعة جهرا (ذكرته) بالثواب وبالثناء عليه (فى ملأ خير منهم) وهم الملأ الأعلى .

ولا يلزم منه تفضيل الملائكة على بنى آدم ، لاحتمال أن يكون المراد بالملأ الذين هم خير من الذاكرين ـ الأنبياء والشهداء ، فلم ينحصر فى ذلك الملائكة .

وأيضا فإن الخيرية انما حصلت بالذاكر والملأ معا ، فالجانب الذى معه رب العزة خير من الجانب الذى ليس فيه بلا ارتياب ، فالخيرية حصلت بالنسبة للمجموع .

وهذا قاله الحافظ ابن حجر مبتكرا ، لكن قال : إنه سبقه إلى معناه ابن الزملكانى ، فى الجزء الذى جمعه فى الرفيق الأعلى (هذا) .

أقول ـ (وأنا العبد الضعيف) ـ : قد قال ذلك هؤلاء الأئمة الأعلام . ولكن لم يظهر لى أن الأفضلية انما حصلت بالذاكر والملأ معا ، بعد أن قال فى الحديث : (ذكرته فى ملأ خير منهم ـ وقال فى رواية مسلم : (ذكرته فى ملأهم خير منهم ـ ففيه تصريح بوصف نفس الملأ بأنهم خير منهم فالوصف بالخيرية لنفس الملأ ، وبعيد فى عرف الخطاب أن يراد بذلك الذاكر والملأ معا . والله أعلم .

(وان تقرب إلى بشبر) وفى نسخة ـ (شبرا) ـ باسقاط الخافض وبالنصب ـ أى مقدار شبر (تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب إلى ذراعا) أى بقدر ذراع (تقربت اليه) وفى نسخة ـ منه ـ (باعا) أى مقدار باع .

وهو طول ذراعى الانسان وعضديه ، وعرض صدره (وان أتانى يمشى) وفى رواية ـ ومن أتانى يمشى (أتيته هرولة) أى اسراعا ، يعنى من تقرب إلى بطاعة قليلة ، جازيته بمثوبة كثيرة ، وكلما زاد فى الطاعة ، زدته فى المثوبة ، وان كان إتيانه بالطاعة على التأنى ، فاتيانى بالثواب له على السرعة .

والتقرب والهرولة مجاز ، على سبيل المشاكلة ، أو الاستعارة ، أو قصد ارادة لوازمها ، والا فهذه الاطلاقات ، وأشباهها ، لا يجوز اطلاقها على الله تعالى ، إلا على المجاز ، لاستحالتها على الله تعالى .

وفى الحديث جواز اطلاق النفس على الذات ، فإطلاقه فى الكتاب والسنة اذن شرعى فيه .

أو يقال : هو بطريق المشاكلة ، لكن يعكر على هذا الثانى قوله تعالى :

« ويحذركم الله نفسه » أى ففيها اطلاق النفس دون مشاكلة . أ هـ قسطلانى .

من شرح الامام النووى لصحيح مسلم

قوله ـ عز وجل : (أنا عند ظن عبدى بى) قال القاضى : قيل : معناه : عند ظنه بالغفران له ، إذا استغفر ، والقبول إذا تاب ، والاجابة إذا دعا ، والكفاية إذا طلب الكفاية .

وقيل : المراد به الرجاء وتأميل العفو ، وهذا أصح .

وقوله تعالى : (وأنا معه حين يذكرنى) أى معه بالرحمة والتوفيق ، والهـداية والرعاية والاعانة .

وأما قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » فمعناه أنه معكم بالعلم والاحاطة .

وقوله تعالى : (ان ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى) .

قال المازرى : النفس تطلق فى اللغـة على معـان : منهـا الدم ، ونفس الحيوان ، وهمـا مستحيلان فى حق الله تعالى .

ومنها الذات ، والله تعالى ذات حقيقة ، وهو المراد بقـوله : (فى نفسى) . ومنهـا الغيب ، وهو أحد الأقوال فى قوله تعالى : « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسـك » أى تعلم مـا فى غيبى ، ولا أعلم ما فى غيبك ، فيجـوز أن يكون أيضـا مـرادا فى الحـديث ، أى إذا ذكر اللهخاليا ، أثابه الله وجازاه عما عمل بما لما لم يطلع عليه أحد من الخلق .

وقوله : (وان ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير منهم) .

مذهب أصحابنا وغيرهم أن الأنبياء أفضل من الملائكة ، لقوله تعالى : فى بنى اسرائيل : (وفضلناهم على العالمين) ـ ويتأول هـذا الحـديث على أن الذاكرين يكون غالبا طـائفة لا نبى فيهم ، فإذا ذكره الله تعالى فى خلائق من الملائكة ، كانوا خيرا من تلك الطائفة الذين ذكر الله فيهم .

قوله : (وان تقرب منى شبرا ، تقربت منه باعا . . الخ) فى أحاديث الصفات مرات .

ومعناه : من تقرب إلى بطـاعتى ، تقـربت إليه برحمتى ، وبالتوفيق والاعانة وان زاد فى الطاعة ، زدته توفيقا وإعانة ، فإن أتانى يمشى وأسرع فى طاعتى ، أتيته هرولة ، أى صببت عليه الرحمة ، وسبقته بها ، ولم أحوجه إلى المشى الكثير للوصول إلى المقصود .

والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه الينا بالطاعة .

وقوله فى رواية : (وإذا تلقانى بباع ، جئته أتيته) .

هكذا هو فى أكثر النسخ : جئته أتيته ـ وفى بعضها : (جئته بأسرع) فقط ، وفى بعضها : (أتيته) وهاتان ظاهرتان ، والأول صحيح أيضا ، وتكون الثانية للتأكيد ، وهو حسن ا . هـ نووى .

حديث : (أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت .. الخ)

من صحيح البخارى – باب –(صفة أهل الجنة) ج٤ ص ١١٨

(٥٢) حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – : قَالَ اللهُ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِى الصَّالِحِينَ مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) .

* * *

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب التفسير ج٦ ص ١١٥ .

(من سورة تنزيل السجدة) .

(٥٣) حَدَّثَنَا ، عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ أَبِى الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – عَنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : قَالَ اللهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِى الصَّالِحِينَ ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) .

* * *

وأخرجه البخارى أيضا فى الباب نفسه – ج ٦ ص ١١٦ بلفظ :

(٥٤) حَدَّثَنِى إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِح ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِىِّ –

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ـ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَرَأَ : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

* * *

(٥٥) وفى رواية للبخارى : (مِنْ بَلْهِ مَا أَطْلَعْتُهُمْ عَلَيْهِ) .

وكذلك أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ـ جـ٩ ص ١٤٤ كالرواية الأولى هنا .

* * *

وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ـ من (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) ـ جـ١٠ ص ٢٨٢ هامش القسطلانى بروايات متعددة .

(٥٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِى كِتَابِ اللهِ : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

* * *

(٥٧) وزاد فى رواية ثانية . بعد قوله : «ولاخطر على قلب بشر » .
(ذُخْرًا ، بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللهُ عَلَيْهِ) .

* * *

(٥٨) وفى رواية ثالثة : (ذُخْرًا بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللهُ عَلَيْهِ) ثُمَّ قَرَأَ : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) .

(٥٩) وفى رواية رابعة زيادة : (ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

***

وأخرجه الإمام الترمذى ـ باب ـ (سورة الواقعة) جـ٢ ص ٢٢٥ بلفظ :

(٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ـ يَقُولُ اللهُ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ـ وَفِى الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فى ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا ، واقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ : (وَظِلٍّ مَمْدُود) وَمَوْضِعُ سَوْطٍ فى الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) .

قال أبو عيسى الترمذى : حديث حسن صحيح .

***

وأخرجه ابن ماجه فى سننه ـ باب صفة الجنة جـ٢ ص ٣٠٥ .

(٦١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ

بَشَرٍ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : (وَمِنْ بَلْهِ مَا أَطْلَعَكُمُ اللهُ عَلَيْهِ) ـ اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

شرح حديث (أعددت لعبادى الصالحين)

أولا ـ قال الامام النووى ـ رحمه الله تعالى ـ فى شرح مسلم ج ١٠ ص ٢٨٣ هامش القسطلانى :

قوله : (ذخرا بله ما أطلعكم الله عليه) وفى بعض النسخ (ما أطلعكم عليه) وفى بعضها (ما أطلعتكم عليه) ـ هكذا هو فى رواية أبى بكر بن أبى شيبة (ذخرا) فى جميع النسخ .

ثم قال : (فأما بله) فبفتح الباء الموحدة ، واسكان اللام . . ومعناها : دع عنك ما أطلعكم عليه ، فالذى لم يطلعكم غليه أعظم ، وكأنه أضرب عنه استقلالا له فى جنب ما لم يطلع عليه . .

وقيل : معناها غير ـ وقيل : معناها كيف ـ أ هـ .

ثم قال النووى : قوله : (ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب . . الخ) . وفى رواية (يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ، لا يقطعها) . قال العلماء : والمراد بظلها كنفها ، وهو ما يستر أغصانها . والمضمر بفتح الضاد ، والميم المشددة ـ وباسكان الضاد وفتح الميم هو الذى ضمر ليشتد جريه . أ . هـ المراد منه .

ثانيا ـ

قال القسطلانى فى شرح الحديث من كتاب التفسير ـ (تنزيل السجدة) جـ ٧ ص ٢٩١ (أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت) قال فى شرح المشكاة : ـ ما هنا إما موصولة ، أو موصوفة ، ـ وعين نكرة وقعت فى سياق النفى ، فأفاد الاستغراق ، والمعنى : ما رأت العيون كلهن ، ولا عين واحدة منهن .

ثم قال : (ولا خطر على قلب بشر) خص البشر هنا ، دون القرينتين السابقتين ، لأنهم الذين ينتفعون بما أعد لهم ، ويهتمون لشأنه ببالهم فيخطر به ، بخلاف الملائكة ، ثم قرأ الآية : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين . الآية) .

والحديث كالتفصيل لهذه الآية ، لأنها نفت العلم ، وهو (أى الحديث) نفى طرق حصوله .

وقوله : (ذخرا) بضم الذال ، وسكون الخاء المعجمتين . قال فى الصحاح فى فصل الذال المعجمة : ذخرت الشىء أذخره ذخرا ، وكذلك أذخرته وهو افتعلت .

وقال الكرمانى : وذخرا منصوب متعلق بأعددت ، وقال فى الفتح : أى جعلت ذلك له مدخورا . أ هـ .

وقوله : (بله ما أطلعتم عليه) بضم الهمزة وكسر اللام . ولأبى ذر : (ما أطلعتهم عليه) بفتح الهمزة واللام ، وزيادة هاء بعد التاء .

وقوله : (بله) بفتح الباء الموحدة ، وسكون اللام ، وفتح الهاء ، وللأربعة (من بله) بزيادة (من) الجارة وجر ـ بله ـ بها ، كذا فى الفرع المعتمد المقابل على أصل اليونينية ، المحرر بحضرة امام العربية أبى عبد الله بن مالك ، وكذا رأيته فى أصل اليونينى المذكور . ـ وحينئذ فينظر فى قول الصاغانى : اتفق جميع النسخ على ـ من بله ـ والصواب اسقاط كلمة ـ من ـ ، وقول ابن التين : ان ـ بله ـ ضبط مع ـ من ـ بالفتح والكسر هو حكاية ما وجده فلا يمنع ما ذكرته من الفتح مع عدم الجار ـ والكسر مع ثبوته . فأما الفتح فقال الجوهرى : (وبله ـ كلمة مبنية على الفتح ، مثل كيف ، ومعناها : دع ـ وأنشد قول كعب ابن مالك ، يصف السيوف :

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها ... بله الأكف كأنها لم تخلق

قال فى المغنى : وقد روى بالأوجه الثلاثة . قال شارحه : ومعنى ـ بله الأكف ـ على رواية النصب : دع الأكف ، فأمرها سهل ، وعلى رواية الجر : كترك الأكف منفصلة ، وعلى الرفع فكيف الأكف ، التى يوصل اليها بسهولة .

اما وجه الفتح مع ثبوت ـ من ـ فقال الرضى : إذا كانت ـ بله ـ بمعنى كيف ـ جاز أن تدخله ـ من ـ ، حكى أبو زيد : ان فلانا لا يطيق حمل الفهر ، فمن بله أن يأتى بالصخرة أى كيف ومن أين ، قال فى المصابيح : وعليه تتخرج الرواية فتكون بمعنى ـ كيف ـ التى يقصد بها الاستبعاد ـ وما ـ مصدرية وهى مع صلتها فى محل رفع ، والخبر من بله ، والضمير المجرور بعلى ـ عائد على الذخر ، أى كيف ومن أين اطلاعكم على ما ادخرته لعبادى الصالحين ، فإنه أمر عظيم ، قلما تتسع له عقول البشر ، ولا يمكنها إدراكه ولا الاحاطة به ، قال : وهذا أحسن ما يقال فى هذا المحل . أ هـ ثم قال : وأما الجر . فوجه بأن ـ بله ـ بمعنى غير والكسرة التى على الهاء حينئذ ـ اعرابية .

قال فى الفتح : وهو (أى كون ـ بله ـ بمعنى غير ـ أوضح التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب ، حيث وقع فيه .

(ولا خطر على قلب بشر ، ذخرا من بله ما أطلعتم عليه) وذلك بين لمن تأمله . أ هـ ثم قال : وقال أبو السعادات فى نهايته :

بله ـ اسم من أسماء الأفعال ، بمعنى دع واترك ، تقول : بله زيدا ، وقد توضع موضع المصدر ، وتضاف ، فتقول : بله زيد ، أى ترك زيد ، وقوله : (ما أطلعتم عليه) يحتمل أن يكون منصوب المحل ، ومجروره على التقديرين ، والمعنى : دع ما أطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها . أهـ

زاد الخطابى : فانه سهل يسير فى جنب ما ادخرته لهم . (ثم قرأ عليه الصلاة والسلام : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مفعول له ، أى أخفى الجزاء ، فان اخفاءه لعلو شأنه ـ أو مصدر مؤكد لمعنى الجملة قبله ، أى جوزوا جزاء .

٦ ـ (ما جاء فى نداء الله العباد ان يدعوه ويرجوه)

حديث : (يتنزل ربنا إلى سماء الدنيا)

أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات ـ باب ـ (الدعاء فى نصف الليل) جـ ٨ ص ٧١ .

(٦٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ أَبِى عَبْدِ اللهِ الْأَغَرِّ وَأَبِى سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ ، فيقولُ : مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِى فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِى فأَغفِرَ لَه ؟) .

***

(٦٣) وأخرجه البخارى فى كتاب الصلاة فى آخره ، وأخرجه أيضاً فى كتاب التوحيد ـ باب ـ (يريدون أن يبدلوا كلام الله) جـ٩ ص ١٤٣ ـ بألفاظ قريبة مما ذكر هنا أو مثلها .

وأخرجه الإمام مالك فى الموطإ ، بمثل لفظ البخارى .

***

وأخرج الحديث مسلم فى صحيحه ، بروايات متعددة : الأُولى .

(٦٤) مثل لفظ البخارى هنا ، إلا أنه قال : (يَنْزِلُ رَبُّنَا) كما فى نسخة من البخارى .

(٦٥) والثانية – عن أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ ، فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الْمَلِكُ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ) .

* * *

(٦٦) والرواية الثالثة : (إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ) .

* * *

(٦٧) والرواية الرابعة : (يَنْزِلُ اللهُ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ ثُمَّ يَقُولُ : مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ ؟) .

* * *

(٦٨) والرواية الخامسة زاد فيها : (ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ وَلَا ظَلُومٍ) .

* * *

(٦٩) والرواية السادسة : (إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ ، نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ؟ هَلْ مِن تَائِبٍ ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ) .

(٧٠) وأخرجه أبو داود فى باب (أى الليل أفضل) بلفظ مثل رواية البخارى جـ١ ص ٣٦٤ . وأخرجه أيضاً فى باب الرؤية جـ٤ ص ١٨٣ .

وأخرجه الترمذى فى باب (نزول الرب عز وجل إلى السماء كل ليلة) جـ١ ص ٩٠ ولفظه :

* * *

(٧١) (يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، حِينَ يَمْضِى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ ، فَيَقُولُ ، أَنَا الْمَلِكُ ، مَنْ ذَا الَّذِى يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِى يَسْأَلُنِى فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ ذَا الَّذِى يَسْتَغْفِرُنِى فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ) .

(قال أبو عيسى الترمذى : حديث حسن صحيح) .

شرح الحديث من النووى على مسلم جـ ٤ ص ٢٦ هامش القسطلانى

قال النووى ـ رحمه الله تعالى ـ : هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء ، سبق إيضاحهما فى كتاب الايمان ، ومختصرهما ـ أن أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى ، وأن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ، ولا يتكلم فى تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات ، وسائر سمات الخلق .

والثانى : مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف ، وهو محكى هنا عن مالك والأوزاعى ـ أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها ، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين :

أحدهما : تأويل مالك بن أنس رضى الله عنه وغيره ، معناه : تتنزل رحمته وأمره ، أو ملائكته ، كما يقال : فعل الشيطان كذا ـ إذا فعله أتباعه بأمره .

والثانى : أنه على الاستعارة ، ومعناه : الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف . والله أعلم .

وقوله ﷺ : (حين يبقى ثلث الليل الآخر ، وفى الرواية الثانية : (حين يمضى ثلث الليل الأول) وفى رواية (إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه) .

قال القاضي عياض : رواية : (حين يبقى ثلث الليل الآخر) الصحيحة ، كذا قال شيوخ الحديث .

قال : ويحتمل أن يكون النزول بالمعنى المراد بعد الثلث الأول ، وقوله : (من يدعونى) يعنى أن الدعاء بعد الثلث الأخير . هذا كلام القاضي .

ثم قال النووى : قلت : ويحتمل أن يكون النبى ـ ﷺ ـ أعلم بأحد الأمرين فى وقت فأخبر به ، ثم أعلم بالآخر فى وقت آخر فأعلم به ، وسمع أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ الخبرين فنقلهما جميعا ، وسمع أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ خبر الثلث الأول فقط ، فأخبر به مع أبى هريرة ، كما ذكره مسلم فى الرواية الأخيرة ، وهذا ظاهر .

وفيه رد لما أشار اليه القاضى من تضعيف رواية الثلث الأول ، وكيف يضعفها ـ وقد رواها مسلم فى صحيحه ، باسناد لا مطعن فيه عن صحابيين : أبى سعيد وأبى هريرة ؟ والله أعلم .

وقوله سبحانه وتعالى : (أنا الملك ، أنا الملك) هكذا هو فى الأصول والروايات مكرر ، للتوكيد والتعظيم .

وقوله ﷺ : (فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر) فيه دليل عن امتداد وقت الرحمة واللطف التام إلى اضاءة الفجر ، وفيه الحث على طلب الدعاء والاستغفار فى جميع الوقت المذكور إلى إضاءة الفجر ، وفيه التنبيه على أن آخر الليل للصلاة والدعاء والاستغفار وغيرها من الطاعات أفضل من أوله . والله أعلم .

وقوله فى بعض الروايات : (ينزل الله فى السماء) وهو صحيح . ـ وقوله سبحانه وتعالى : (من يقرض غير عديم ولا ظلوم) وفى الرواية الأخرى (غير عدوم) هكذا فى الأصول فى الرواية الأولى (عديم) والثانية (عدوم) قال أهل اللغة : يقال : أعدم الرجل ـ إذا افتقر ، فهو معدم ، وعديم ، وعدوم والمعنى من يقرض الله الذى هو ليس عدوما ولا ظلوما .

والمراد بالقرض ـ والله أعلم ـ عمل الطاعة : سواء فيه الصدقة والصلاة والصوم والذكر وغيرها من الطاعات ، وسماه سبحانه وتعالى قرضا ملاطفة لعباده ، وتحريضا لهم على المبادرة إلى الطاعة ، فان القرض انما يكون ممن يعرفه المقترض ، وبينه وبينه مؤنسة ومحبة ، فحين يتعرض للقرض يبادر المطلوب منه باجابته ، لفرحه بتأهيله للاقتراض منه ، وإدلاله عليه وذكره له ، وبالله التوفيق .

وقوله : (ثم يبسط يديه سبحانه وتعالى) هو اشارة إلى نشر رحمته وكثرة عطائه واجابته واسباغ نعمته . أهـ من النووى رحمه الله

شرح الحديث :

عنان السماء بفتح العين ، يطلق على السحاب ، وعلى نواحى السماء .

فقال فى القاموس :

(حديث (يا ابن آدم إنَّك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك)

أَخرجه أَبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله ـ فى جامعه ـ باب ـ (فضل التوبة والاستغفار) .

(٧٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : قَالَ اللهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِى ، يَاابْنَ آدَمَ ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى ، غَفَرْتُ لَكَ

والعنان بالفتح : السحاب ، أو التى تمسك الماء ، واحدتها (عنانه) بهاء . . ومن السماء نواحيها ، وعنانها بالكسر : ما بدا لك منها إذا نظرتها ، ومن الدار جانبها . أ هـ من القاموس

وقراب الأرض : ما يقارب قدرها .

قال فى القاموس : وقراب الشيء بالكسر ، وقرابه ، وقرابته بضمهما : ما قارب قدره . أ هـ منه .

والمعنى : أن الله تعالى يقول : يا ابن آدم ، انك مادمت تدعونى لمغفرة ذنوبك وترجونى لقبول دعائك ـ وذلك بأن تتوب من ذنوبك ، وتدعو الله تعالى مغفرة ذنوبك ، وترجو منه قبول توبتك ، وتحسن الظن بربك ، وأنه يغفر ذنب التائبين ـ كما وعدهم بذلك ـ فان الله تعالى يغفر لك كل ذنوبك ـ مع ما كان فيك وقت فعل الذنب ، من الغفلة والنسيان ـ ولا أبالى بأحد ، يسألنى ويقول : لم غفرت لفلان ، لأنى لا أسأل عما أفعل ، قال تعالى : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » . وقد قلت فى كتابى العزيز : « ان الحسنات يذهبن السيئات » فقد أذنبت ثم رجعت إلى واستغفرتنى ، والرجوع إلى والاستغفار من أكبر الحسنات ، فهو يمحو السيئات ، كما قال النبى ﷺ : (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) .

يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك جوانب السماء فى العلو والكبر والكثرة فملأت الفراغ الذى بين السماء والأرض ـ ثم استغفرتنى أى طلبت منى أن أغفرها لك ، وندمت عليها ، وتبت منها ، فانى أغفرها لك ، ولا أبالى من أحد يمنعنى من ذلك ، لأنى أنا الفعال لما أشاء وأريد وقد وعدت بذلك فضلا منى ورحمة ـ وأنا لا أخلف الميعاد .

يا ابن آدم انك لو أتيتنى بما يقارب قدر الأرض خطايا وذنوبا ، وكان معك التوحيد ـ فلم تشرك بى شيئا ـ لأتيتك بما يقارب قدر الأرض ـ أو ما يقارب قدر الخطايا والذنوب مغفرة كى تتلاشى تلك الذنوب أمام مغفرتى فى الميزان ، فلا يكون لك خطيئة تعذب عليها .

وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِى لَا تُشْرِكُ بِى شَيْئًا ـ ، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً) .

(قال الترمذى رحمه الله تعالى : حديث حسن غريب) .

* * *

(ما جاء فى ليلة النصف من شعبان)

أخرجه ابن ماجة فى سننه ـ باب ما جاء فى ليلة النصف من شعبان جـ١ ص ٢١٧ .

(٧٣) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، فَقُومُوا لَيْلَهَا ، وَصُومُوا نَهَارَهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ ، إِلَى سَماءِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : أَلَا مِن مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ أَلَا مُسْتَرْزِقٌ ، فَأَرْزُقَهُ ؟ أَلَا مُبْتَلىً فَأُعَافِيهُ ؟ أَلَا كَذَا ؟ أَلَا كَذَا ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ).

قال فى الزوائد : إسناده ضعيف ، لضعف ابن أبى بسرة ، واسمه أبو بكر بن عبد الله بن محمد أبى بسرة .

قال فيه أحمد بن حنبل وابن معين : يضع الحديث . اهـ .

والحديث فيه رجاء عظيم ، وبشرى للتائبين ، وحث لهم على المسارعة بالتوبة وحسن الرجاء ، والتمسك بالتوحيد .

والأفضل للمؤمن أن يغلب الخوف على الرجاء وقت شبابه وصحته ، ويغلب الرجاء عند الكبر والمرض . والله أعلم

ثانيا ـ الحديث الثانى فيه بيان فضل ليلة النصف من شعبان ، وفضل الصلاة فيها ، وصيام يومها ـ فصومه مستحب .

وفيه بيان فضل الله تعالى وسعة رحمته بعباده الذين يدعونه ، ويستغفرونه ويتوبون اليه ، وأن هذه الليلة المباركة من مواسم الخير ، وفيها نفحات من نفحات الرحمة ، فالأفضل للعبد المؤمن أن يتعرض لنفحات الله تعالى بالدعاء والاستغفار والتوبة من الذنوب . وفقنا الله تعالى لما يرضيه آمين . والله أعلم .

٧ — (محبة الله تعالى للعبد وأثرها فى محبة الخلق)

حديث : (إذا أحب الله عبدا ، نادى جبريل الخ)

أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق ـ باب ذكر الملائكة ـ جـ٤ ص ١١١

(٧٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِى مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ ، عَنْ نَافِعٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُوهُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ :

وتابعه أَبُو عَاصِمٍ عنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِى مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ ، نَادَى جِبْرِيلَ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِى جِبْرِيلُ فِى أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى الْأَرْضِ) .

* * *

وقد رواه البخارى أيضاً فى كتاب الأدب ـ باب المقت من الله) ، أى المحبة جـ٨ ص ١٤ .

(٧٥) بلفظ قريب من لفظه هنا ـ إلا أنه قال فيه : (ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى أَهْلِ الْأَرْضِ) .

* * *

(٧٦) وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب التوحيد ـ باب : (كلام الرب مع جبريل ، ونداءُ الملائكة) جـ٩ ص ١٤٢ . بلفظ مثل ما هنا ـ وقال : (وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى أَهْلِ الْأَرْضِ) .

وهذه رواية مسلم لحديث : (إذا أحب الله عبدا) .

وأخرجه الإمام مسلم من كتاب البر والصلة جـ ١٠ ص ٦٣ هامش القسطلانى . باب : (إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده) .

(٧٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ سُهَيْلِ بْن أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ ، عَن أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَال رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقالَ : إِنِّى أُحِبُّ فلَانًا فأَحِبَّهُ ، قَال : فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُم يُنادِى فى السَّماءِ فَيقُولُ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ ، قَالَ : ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فى الْأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللهُ عَبْدًا ، دَعَا جِبْرِيلَ ، فَيَقُولُ : إِنِّى أُبْغِض فُلانًا فَأَبْغِضْهُ ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ - ثُمَّ يُنَادِى فى أَهْلِ السَّماءِ : إِنَّ اللهَ يُبْغِض فُلَانًا ، فَأَبْغِضُوهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُونَهُ ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فى الْأَرْضِ) .

***

وأخرجه الإمام مالك - رحمه الله - فى الموطإ - ص ٢٠٩ هامش الجزء الثانى مصابيح السنة - باب - (ما جاء فى المتحابين فى الله) .

(٧٨) عَنْ مَالِك ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِى صَالِحٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : إِذا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ ، قَالَ لِجِبْرِيلَ : قَدْ أَحْبَبْتُ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِى فى أَهْلِ السَّماءِ : إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا ، فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فى الْأَرْضِ ، وَإِذَا

أَبْغَضَ اللهُ الْعَبْدَ ـ قَالَ مالكٌ ـ لَا أَحْسِبُهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِى الْبُغْضِ مِثْلَ ذَلِكَ) .

* * *

وأَخرجه الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ باب سورة مريم ـ جـ٢ ص ١٩٨ .

(٧٩) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا ، نَادَى جِبْرِيلَ : إِنِّى قَدْ أَحْبَبْتُ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ، قَالَ : فَيُنَادِى فِى السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِى أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا) ـ وَإِذَا أَبْغَضَ اللهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ : إِنِّى قَدْ أَبْغَضْتُ فُلَانًا ، فَيُنَادَى فِى السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِى الْأَرْضِ).

(قال أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله ـ حديث حسن صحيح)

شرح الحديث من شرح النووى على مسلم

قال النووى ـ رحمه الله ـ: قال العلماء : محبة الله تعالى لعبده ـ هى ارادته الخير له ، وهدايته وانعامه عليه ورحمته . وبغضه : ارادته عقابه ، أو شقاوته ونحوه .

وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين :

أحدهما ـ استغفارهم له وثناؤهم عليه ، ودعاؤهم له .

والثانى ـ أن محبتهم على ظاهرها المعروف من المخلوقين ، وهو ميل القلب اليه ، واشتياقه الى لقائه ، ـ وسبب حبهم اياه كونه مطيعا لله تعالى محبوبا له . ومعنى (يوضع له القبول فى الأرض) أى يلقى الحب فى قلوب الناس ، له ورضاهم عنه ، فتميل اليه القلوب ، وترضى عنه ، وقد جاء : (فتوضع له المحبة) . اهـ من شرح النووى .

وعن سهيل بن أبى صالح ، قال : كنا بعرفة فمر عمر بن عبد العزيز ، وهو على الموسم فقام الناس ينظرون اليه ، فقلت لأبى يا أبت ، يا أبت ، انى أرى الله تبارك وتعالى يحب عمر بن عبد العزيز ، قال : وما ذاك ؟ قلت : لما له من الحب فى قلوب الناس قال : بأبيك أنت سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر مثل حديث جرير عن سهيل المذكور هنا . اهـ من صحيح مسلم .

٨ ــ (جزاء معاداة أولياء الله تعالى وافضل ما يتقرب به الى الله تعالى)

حديث (من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب)

أخرجه البخارى ــ جـ٨ ص ١٠٥ ــ (باب التواضع) .

(٨٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَد ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَال ، حَدَّثَنِى شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِى نَمِرٍ عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ قَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : إِنَّ اللهَ ــ عَزَّ وَجلَّ ــ قَالَ : مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا ، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِى لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لَأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ عَبْدِى الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) .

شرح الحديث من القسطلانى جـ ٩ صـ ٢٨٩
من باب التواضع

(محمد بن عثمان بن كرامة) بفتح الكاف ، وتخفيف الراء ، العجلى بكسر العين وسكون الجيم ، الكوفى (خالد بن مخلد) بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة (القطوانى) الكوفى (سليمان بن بلال) أبو أيوب التميمى (شريك بن عبد الله بن أبى نمر) بفتح النون وكسر الميم ، القرشى (عطاء) بن يسار ، (من عادى لى وليا) فعيلا بمعنى مفعول ، وهو من يتولى الله سبحانه وتعالى أمره ، قال تعالى : (وهو يتولى الصالحين) ولا يكله الى نفسه لحظة ، بل يتولى الحق رعايته .

أو هو فعيل مبالغة من الفاعل ، وهو الذى يتولى عبادة الله وطاعته ، فعباداته تجرى على التوالى من غير أن يتخللهـا عصـيان ، وكلا الوصـفين واجـب ، حتى يكون الولى وليا ، بحسب قيامه بحقوق الله تعالى على الاسـتقصاء والاسـتبقاء ، ودوام حفـظ الله اياه فى السراء والضراء

ومن شرط الولى أن يكون محفوظا ، كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما ، فكل من كان للشرع عليه اعتراض ، فهو مغرور مخادع .

قال القشيرى : والمراد بكون الولى محفوظا ان يحفظه الله تعـالى مـن تمـاديه فى الزلل والخطأ ، فان وقع فيهما يلهمه الله التوبة ، فيتوب منهما ، والا فهما لا يقدحان فى ولايته .

وقوله : (لى) هو فى الأصل صفة لقوله : (وليا) ـ لكنه لما تقدم صـار حـالا وفى رواية أحمد : (من آذى لى وليا) .

(فقد آذنته) بمد الهمزة ، وفتح الذال المعجمة ، وسكون النون ، أى أعلمته (بالحـرب) أى أعمل معه ما يعمله العدو المحارب من الايذاء ونحوه ، فـالمراد لازمـه . ـ وفيه تهـديد شديد ، لأن من حاربه الله أهلكه .

قال الفاكهانى : وهو من المجاز البليغ ، لأن من كره من أحـب الله ، خـالف الله ، ومـن خالف الله عانده ، ومن عانده أهلكه .

واذا ثبت هذا فى جانب المعاداة ، ثبت ضده فى جانب الموالاة ، فمن والى أولياء الله أكرمه الله .

وفى رواية أبى ذر عن الكشميهنى (بحرب) دون الألف واللام . (وما تقـرب الى عبدى) وفى رواية : (عبد) (بشىء أحب الى) بفتح أحـب صـفة لقـوله : (بشىء) وبالرفـع على تقدير ـ هو أحب الى ، (مما افترضت عليه) سواء كان عينا أو كفـاية . وظـاهر قـوله : (افترضته) الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته ، وهل يدخل ما أوجبه المكلف على نفسه ـ (وما يزال) بلفظ المضارع ، ـ ولأبى ذر عن الحموى والمستملى : (وما زال عبدى يتقـرب الى بالنوافل) أى مع الفرائض كالصلاة والصيام (حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت) ولأبى ذر : (حتى حببته ، فكنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها) بضم الطاء فى اليونينية ، وبكسرها فى غيرها (ورجله التى يمشى بها) .

وزاد عبد الواحد بن ميمون ، عن عروة ، عن عائشة عند أحمـد والبيهقـى ، فى الزهـد : (وفؤاده الذى يعقل به ، ولسانه الذى يتكلم به) .

وفى حديث أنس : (ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ، ومؤيدا) وهو مجـاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته ، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الحواس التى يستعين بها .

ولذا وقع فى رواية : (فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشى) قاله العوفى . ـ أو أن سمعه بمعنى مسموعه ، لأن المصدر قد جـاء بمعنى المفعـول ، مثل ـ فـلان أملى ، بمعنى مأمولى .

والمعنى : أنه لا يسـمع الا ذكرى ، ولا يلتذ الا بتلاوة كلامـى وقـراءة كتابى ، ولا يأنس الا بمناجاتى ، ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى ، ولا يمد يده الا فيما رضـاى ، ورجله كذلك . قاله الفاكهانى .

وقال الاتحادية : انه على حقيقته ، وأن الحق عين العبد ، محتجين بمجـىء جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى .

وللشيخ قطب الدين القسطلانى كتاب بديع فى الرد على أصحاب هذه المقالة . ـ أثابه الله تعالى . وعن أبى عثمان الجيرى أحد أئمة الصوفيه ، مما أسنده عنه البيهقـى فى الزهـد ، قال : معنى الحديث ـ كنت أسرع ـ بفتح العين ـ الى قضـاء حـوائجه مـن سـمعه فى الاستماع ، ومن عينه فى النظر ، ومن يده فى اللمس ، ومن رجله فى المشى .

(وان سألنى لأعطيته) ما سأل (ولئن استعاذنى) بالنون فى الفرع كأصله : وفى غيرهما بالباء (لأعيذنه) أى مما يخاف .

وفى حديث أبى أمامة عند الطبرانى والبيهقى فى الزهد :

(واذا استنصر فى نصرته) . ـ وفى حديث حذيفة عند الطبرانى :

(ويكون من أوليائى وأصفيائى ، ويكون جارى مـع النبيين والصـديقين والشـهداء فى الجنة) .

(وما ترددت عن شىء أنا فاعله ، ترددى عن نفس المؤمن) أى ما رددت رسلى فى شىء أنا فاعله ، كترديدى اياهم فى نفس المؤمن أى فى قبض نفسه ، كما فى قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك الموت ، ـ وترديده اليه مرة بعد أخـرى ، وأضـاف تعـالى ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره (يكره الموت) لما فيه من الألم العـظيم (وأنا أكره مسـاءته) بفتح الميم ، وبالسين المهملة ، بعدها همزة ، فوقية . وقال الجنيد : الكراهـة هنا لما يلقـى المؤمن من الموت وصعوبته ، وليس المعنى أنى أكره له الموت ، لأن الموت يورده الى رحمـة الله ومغفرته ، وقال غيره : لما كانت مفارقة الروح الجسد ، لا تحصل الا بألم عظيم جـدا ، والله تعالى يكره أذى المؤمن ـ أطلق على ذلك ، الكراهة .

ويحتمل أن تكون المساءة بالنسـبة الى طـول الحياة ، لأنهـا تؤدى الى أرذل العمـر ، وتنكيس الخلق ، والرد الى أسفل سافلين .

وفى ذلك دلالة على شرف أولياء الله ورفعة منزلتهم ، حتى لو تأتى أنه تعـالى لا يذيقهـم الموت الذى حتمه على عباده لفعل .

ولهذا المعنى ورد لفظ التردد ، كما أن العبد اذا كان له أمـــر لابد له أن يفعله بحبيبه لكنه يؤلمه ، فان نظر الى ألمه انكف عن الفعل ، وان نظر الى أنه لابد منه أن يفعله لمنفعته ، أقدم عليه ، فيعبر عن هذه الحالة فى قلبه بالتردد ، فخاطب الله الخلق بذلك على حسب ما يعرفون ودلهم به على شرف الولى عنده ، ورفعة درجته .

٩ – (ما جاء فى أن الخشية من الله تعالى والخوف منه من أسباب مغفرة الذنوب)

(حديث الرجل الذى أمر أهله بإحراقه بعد موته)

أخرجه البخارى فى صحيحه ، من كتاب بدء الخلق – باب (ما ذكر عن بنى إسرائيل) ج٤ ص ١٦٩ .

(٨١) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، حَدَّثَنَا – عَبْدُ الْمَلِكِ ، عَنْ رِبْعِىِّ بْنِ حِرَاشٍ ، قَالَ : قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو لِحُذَيْفَةَ : أَلَا تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ؟ قَالَ : إِنِّى سَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ مَعَ الدَّجَّالِ إِذَا خَرَجَ مَاءً وَنَارًا ، فَأَمَّا الَّذِى يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ ، فَمَاءٌ بَارِدٌ ، وَأَمَّا الَّذِى يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ ، فَنَارٌ تُحْرِقُ ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِى الَّذِى يَرى أَنَّهَا نَارٌ ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ ، قَالَ حُذَيْفَةُ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ رَجُلاً كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُ ، قِيلَ لَهُ : انْظُرْ ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنِّى كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِى الدُّنْيَا ، وَأُجَازِيهِمْ فَأُنْظِرُ الْمُوسِرَ ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ ، فَأَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ . – قَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ ، أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا أَنَا مُتُّ ، فَاجْمَعُوا لِى حَطَبًا كَثِيرًا ، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا ، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِى ، وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِى ، فَامْتُحِشَتْ ، فَخُذُوهَا ، فَاطْحَنُوهَا ، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا : فَاذْرُوهُ فِى الْيَمِّ ، فَفَعَلُوا ، فَجَمَعَهُ اللهُ ، فَقَالَ لَهُ : لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ :

مِنْ خَشْيَتِكَ ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ ـ قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرو ، أَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَاكَ وَكَانَ نَبَّاشًا) .

شرح الحديث مختصرا من القسطلانى

(موسى بن اسماعيل) المنقرى (وأبو عوانة) الوضاح بن عبد الله اليشكرى (وعبد الملك) هو ابن عمير الكوفى (وربعى) بكسر الراء وسكون الباء ابن حراش ـ بكسر الحاء ، المهملة ، وتخفيف الراء الغطفانى (وعقبة بن عمرو) لا عمر ـ الأنصارى المعروف بالبدرى (حذيفة) هو ابن اليمان .

(ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا) وعند مسلم عن أبى هريرة : (وانه يجيء معه مثل الجنة والنار ، فالتى يقول : انها الجنة هى النار) وهذا من فتنته التى امتحن الله بها عباده ، ثم يفضحه الله ويظهر عجزه . .

أقول : أحاديث الدجال صحيحة ، وقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرا ما يتعوذ من فتنة الدجال ، فليس لنا أن ننكر ذلك ، بل هو من الغيب الذى نؤمن به ، ونفوض علمه ووقته الى الله تعالى) .

(قوله : وخلصت الى عظمى) أى وصلت اليه (فامتحشت) بالبناء للفاعل ، أو بالبناء للمفعول ، أى احترقت .

وقوله : (يوما راحا) هو بفتح الراء ممدودة ، وبحاء مهملة منونة ، أى كثير الريح .

وقوله : (فاذروه) بهمزة وصل ، وبذال معجمة ، أى طيروه فى الريح حتى لا يجتمع .

وقوله : (ففعلوا) أى فعلوا ما أوصاهم به أبوهم . (فجمعه الله) أى جمع ذراته وأحياه وقال له : (لم فعلت ذلك ؟) أى لم أوصيت باحراقك وذروك فى الريح ؟ (قال : من خشيتك) أى فعلت ذلك وأوصيت به يارب من خشيتك . وخوفا منك ، فغفر الله له . (وكان نباشا) أى كان هذا الرجل ، مع أنه لم يفعل خيرا ، نباشا للقبور ويسرق أكفان الموتى ـ وظاهره أن ذلك من قول عقبة ، لكن أورده ابن حبان من طريق ربعى عن حذيفة قال : توفى رجل كان نباشا ، فقال لولده : (أحرقونى) . اهـ قسطلانى

وأخرجه البخارى فى كتاب (بدء الخلق) أيضاً بروايات متعددة ، جـ٤ ص ١٧٦

(٨٢) حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ عُقْبَةَ بْن عَبْدِ الْغَافِرِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - هُوَ الْخُدْرِيُّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللهُ مَالًا ، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ : أَىَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرُ أَبٍ ، قَالَ : فَإِنى لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اسْحَقُونى ، ثُمَّ ذَرُّونى فى يَوْمٍ عَاصِفٍ ، فَفَعَلُوا ، فَجَمَعَهُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ : مَخَافَتُكَ ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ) .

***

ومن البخارى أيضاً :

(٨٣) حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ رِبْعِىِّ بْنِ حِرَاشٍ ، قَالَ ؛ قَالَ عُقْبَةُ - هُوَ ابْنُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِى ، لِحُذَيْفَةَ : أَلَا تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ، لَمَّا أَيِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ ، إِذَا مِتُّ فَاجْمَعُوا لِى حَطَبًا كَثِيرًا ، ثُمَّ أَوْرُوا نَارًا ، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِى ، وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِى ، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا فَذَرُونِى فى الْيَمِّ فى يَوْمٍ حَارٍّ - أَوْ رَاحٍ - فَجَمَعَهُ اللهُ ، فَقَالَ : لِمَ فَعَلْتَ ؟ قَالَ : خَشْيَتِكَ ، فَغَفَرَ لَهُ) .

ومن البخارى أيضاً :

(٨٤) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّد ، حَدَّثَنا هِشَامٌ ، أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِى ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِى الله عنه عَنِ النَّبِىِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفسِهِ ، فَلَمَّا حضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ : إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونى ، ثُمَّ اطْحَنُونى ، ثُمَّ ذَرُّونى فى الرِّيح ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَىَّ رَبِّى لَيُعَذِّبَنِّى عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا ، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى الْأَرْضَ ، فَقَالَ : اجْمَعِى مَا فِيكِ مِنْهُ فَفَعَلَتْ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : يَارَبِّ ، خَشْيَتُكَ حَمَلَتْنِى ، فَغَفَرَلَهُ)
وقال غيره - أى غير أبى هريرة : (مَخَافَتُكَ يَارَبِّ) .

***

ومن البخارى أيضاً جـ٩ ص ١٤٥ - باب (يريدون أن يبدلوا كلام الله) .

(٨٥) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنِ أَبِى الزِّنَادِ ، عَن الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ : إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ، واذْرُوا نِصْفَهُ فى الْبَرِّ ، وَنِصْفَهُ فى الْبَحْرِ فَوَاللهِ ، لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَأَمَرَ اللهُ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَغَفَرَ لَهُ) .

وأخرجه البخارى أيضاً من رواية أبى سعيد الخدرى ، فقال :

(٨٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ ، حَدَّثَنا مُعْتَمِرٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي سُلَيْمَانَ التيمى ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ سَلَفَ ـ أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالَ : كَلِمَةً ـ يَعْنِي أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا وَوَلَدًا ، فَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ ، قَالَ لِبَنِيهِ : أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرُ أَبٍ ، قَالَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ ـ أَوْ لَمْ يَبْتَئِزْ ـ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا ، وَإِنْ يَقْدِرِ اللهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبْهُ ، فَانْظُرُوا إِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونى ، حَتَّىٰ إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونى ، أَوْ قَالَ : فَاسْحَكُونى ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ ، فَأَذْرُونى فِيهَا ـ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّى ، فَفَعَلُوا ثُمَّ أَذْرَوْهُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ، فَقَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : كُنْ ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ ، قَالَ اللهُ : أَىْ عَبْدِى ، مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَافَعَلْتَ ، قَالَ : مَخَافَتُكَ ، أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ ، قَالَ : فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَهَا ، وَقَالَ مَرَّةً : فَمَا تَلَافَاهُ غَيْرُهَا) .

* * *

قال : أى سليمان التيمى فحدثت به أبا عثمان عبد الرحمن النهدى فقال : سمعتُ هذا من سلمان ، غير أنه زاد فيه : (فى البحر ـ أو كما حدث) .

وحدثنا موسى ، حدثنا معتمر ، وقال : (لم يَبْتَئِرْ) ـ

وقال خليفة ، حدثنا معتمر ، وقال : (لم يَبْتَئِزْ) ـ فسره قتادة ـ لم يدّخر . اهـ .

شرح الحديث من القسطلانى جـ ١٠ ص ٤٣٩ ـ وما بعدها

(سمعت أبى) هو سليمان بن طرخان التيمى (حدثنا قتادة بن دعامة عن عقبة ابن عبد الغافر) الأزدى (عن أبى سعيد) سعد بن مالك الخدرى رضى الله عنه . وقوله : (قال كلمة) يعنى أى هى قوله : (أعطاه الله مالا وولدا) وفى رواية (رغسة الله) وهى معنى أعطاه (فلما حضرت الوفاة) أى حضرته الوفاة ولأبى ذر (فلما حضره الوفاة ، قال لبنيه : أى أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب) قال أبو البقاء : هو ينصب ـ أى ـ على أنه خبر ـ كنت ـ وجاز تقديمه لكونه استفهاما . ـ ويجوز الرفع ـ قلت : وهو الذى فى الفرع وصحح عليه . (وخير أب) قال أبو البقاء : الأجود فيه النصب ، على تقدير ـ كنت خير أب ـ فيوافق ما هو جواب عنه ، ويجوز الرفع بتقدير أنت خير أب .

(قال : فانه لم يبتئز) بفتح الياء التحتية ، وسكون الباء ، وفتح التاء الفوقية بعدها همزة مكسورة ، فراء . قال فى المصابيح : وهو المعروف فى اللغة . (أو قال : لم يبتئز) بالزاى المعجمة بدل الراء المهملة ، وقال فى المطالع : وقع للبخارى فى كتاب التوحيد على الشك فى الراء والزاى ـ وفى بعضها (يأتبر) أى (لم يقدم عند الله خيرا) ليس المراد نفى كل خير على العموم ، بل نفى ما عدا التوحيد ولذلك غفر له ، والا فلو كان التوحيد منتفيا عنه ، لتحتم عقابه ولم يغفر له (وان يقدر الله على) أى ان يضيق الله على ، فهو من قدر يقدر بمعنى ضيق عليه ، ومنه قوله تعالى : (ومن قدر عليه رزقه) أى ضيق عليه ، ومثله قوله تعالى فى قصة يونس عليه السلام : (فظن أن لن نقدر عليه) أى ظن أن لن يضيق الله عليه ، وليس ذلك شكا منه فى قدرة الله على احيائه ، ولا انكارا للبعث ، وإلا لم يكن موقنا ، وقد أظهر ايمانه بأنه انما فعل ذلك من خشية الله تعالى وقال النووى ـ رحمه الله ـ : انما قال ذلك فى حال دهشته وغلبة الخوف عليه بحيث ذهب تدبره فيما يقول ، فصار كالغافل والناسى الذى لا يؤاخذ بما صدر منه ولم يقله قاصدا لحقيقته .

وقوله : (حتى اذا صرت فحما فاسحقونى ـ أو قال : فاسحكونى) بالكاف بدل القاف (فاذا كان يوم ريح عاصف) أى شديد (فأذرونى فيها) بهمزة قطع ، وبإسقاطها فى اليونينية (فأخذ مواثيقهم على ذلك وربى) وربى ، قسم من النبى صلى الله عليه وسلم المخبر بذلك ـ وقوله : (فما تلافاه أن رحمه عندها) قال فى الكواكب : ما ـ موصولة أى الذى تلافاه هو الرحمة ـ أو ما نافية وكلمة الاستثناء محذوفة عند من جوز حذفها . والمعنى : فما تلافاه الا برحمته ، ويؤيده قوله : (وقال مرة : فما تلافاه غيرها . أى ما تداركته غير الرحمة والمغفرة) ا . هـ والله أعلم .

وأخرج الحديث الإمام مسلم فى صحيحه ج ١٠ ص ١٨٤ هامش القسطلانى قال بسنده .

(٨٧) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ ، فَقَالَ : إِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونى ، ثُمَّ اسْحَقُونى ، ثُمَّ أَذْرُونى فى الْبَحْرِ ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَىَّ رَبِّى لَيُعَذِّبَنِّى عَذَابًا ، مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ : أَدِّى مَا أَخَذْتِ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : خَشْيَتُكَ يَارَبِّ ، أَوْ مَخَافَتُكَ ـ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ) .

* * *

وأخرجه النسائى فى سننه بروايتين عن أبى هريرة ، وعن حذيفة ابن اليمان ـ رضى الله عنهما ـ ج٤ ص ١١٢ ـ ١١٣ . فقال فى رواية أبى هريرة :

(٨٨) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : أَسْرَفَ عَبْدٌ عَلَى نَفْسِهِ ، حَتَّى حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، قَالَ لِأَهْلِهِ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونى ، ثُمَّ أَذْرُونى فى الرِّيحِ فى الْبَحْرِ ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَىَّ لَيُعَذِّبَنِّى عَذَابًا ، لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ ، قَالَ : فَفَعَلَ أَهْلُهُ ذَلِكَ ، قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لِكُلِّ شَىْءٍ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا : أَدِّ مَا أَخَذْتَ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : خَشْيَتُكَ ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ

وأما رواية النسائي في سننه ، عن حذيفة بن اليمان ـ فهي هذه :

(٨٩) عَنْ حُذَيْفَةَ ـ أَي ابْنِ الْيَمَانِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كَانَ رَجُلٌ ، مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، قَالَ لأَهْلِهِ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اطْحَنُونِي ، ثُمَّ أَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ ، فَإِنَّ اللهَ إِنْ يَقْدِرْ عَلَيَّ لَمْ يَغْفِرْ لِي ، قَالَ : فَأَمَرَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الْمَلائِكَةَ فَتَلَقَّتْ رُوحَهُ ، قَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ؟ قَالَ : يَارَبِّ ، مَا فَعَلْتُ إِلَّا مِنْ مَخَافَتِكَ ، فَغَفَرَ لَهُ) .

* * *

وأخرجه ابن ماجة في سننه ، جـ٢ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ـ

(٩٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ ، فَقَالَ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اسْحَقُونِي ، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا ، مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا ، قَالَ : فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ : أَدِّي مَا أَخَذْتِ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : خَشْيَتُكَ ـ أَوْ مَخَافَتُكَ ـ يَارَبِّ ، فَغَفَرَ لَهُ لِذَلِكَ) .

شرح الحديث من شرح النووي على صحيح مسلم جـ ١٠ ص ١٨٢ وما بعدها هامش القسطلاني

قال النووي رحمه الله تعالى : (قوله صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي لم يعمل حسنة أوصى بنيه أن يحرقوه ويذروه في البحر والبر ، وقال : فوالله لئن قدر على ربي ليعذبني

عذابا ما عذبه أحدا ، ثم قال فى آخره : لم فعلت هذا ؟ قال : من خشيتك يارب ـ وأنت أعلم ـ فغفر له) ـ قال : اختلف العلماء فى تأويل هذا الحديث ، فقالت طائفة : لا يصح حمل هذا على أنه أراد نفى قدرة الله ، فان الشاك فى قدرة الله تعالى كافر ، وقد قال فى آخر الحديث : انه انما فعل هذا من خشية الله تعالى والكافر لا يخشى الله تعالى ، ولا يغفر له .

قال هؤلاء : فيكون له تأويلان : أحدهما أن معناه لئن قدر على العذاب ، أم قضاه ، يقال منه : قدر بالتخفيف ، وقدر بالتشديد بمعنى واحد .

والثانى أن قدر هنا بمعنى ضيق على ، قال الله تعالى : (فقدر عليه رزقه) وهو أحد الأقوال فى قوله تعالى : (فظن أن لن نقدر عليه) ـ أى لن نضيق عليه .

وقالت طائفة : اللفظ على ظاهره ، ولكن قاله هذا الرجل ، وهو غير ضابط لكلامه ، ولا قاصد لحقيقة معناه ، ولا معتقد لها ، بل قاله فى حالة غلب عليه فيها الدهش والخوف وشدة الجزع ، بحيث ذهب تيقظه وتدبر ما يقوله ، فصار فى معنى الغافل والناسى وهذه الحالة لا يؤاخذ فيها ، وهو نحو قول القائل الآخر ، الذى غلب عليه الفرح حين وجد راحلته : (أنت عبدى وأنا ربك) فلم يكفر بذلك للدهش والغلبة والسهو وقد جاء فى هذا الحديث فى غير مسلم : (فلعلى أضل الله) أى أغيب عنه .

وهذا يدل على أن قوله : (لئن قدر الله على) على ظاهره .

وقالت طائفة : هذا من مجاز كلام العرب ، وبديع استعمالها ، يسمونه مزج الشك باليقين كقوله تعالى : (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) ـ فصورته صورة الشك ، والمراد به اليقين .

وقالت طائفة : هذا الرجل جهل صفة من صفات الله تعالى ، وقد اختلف العلماء فى تكفير جاهل الصفة : ـ قال القاضى . وممن كفره بذلك ابن جرير الطبرى ، وقاله أبو الحسن الأشعرى أولا .

وقال آخرون : لا يكفر بجهل الصفة ، ولا يخرج به عن اسم الايمان ، بخلاف جحدها واليه رجع أبو الحسن الأشعرى ، وعليه استقر قوله ، لأنه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا ، وانما يكفر من اعتقد أن مقاله حق .

قال هؤلاء : ولو سئل الناس عن الصفات لوجد العالم بها قليلا .

وقالت طائفة : كان هذا الرجل فى زمن من فترة حين ينفع مجرد التوحيد ، ولا تكليف قبل ورود الشرع على المذهب الصحيح ، لقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقالت طائفة : يجوز أنه كان فى زمن شرعهم فيه جواز العفو عن الكافر بخلاف شرعنا وذلك من مجوزات العقول عند أهل السنة ، وانما منعناه فى شرعنا بالشرع ، وهو قوله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به) وغير ذلك من الأدلة . والله أعلم ، وقيل : انما وصى بذلك تحقيرا لنفسه وعقوبة لها ، لعصيانها واسرافها رجاء أن يرحمه الله تعالى ، مع العلم بأن ذلك ليس جائزا فى شريعة الاسلام .

(تنبيه) قد ذكر الامام مسلم فى صحيحه مع هذا الحديث حديثا آخر ، هو حديث المرأة التى حبست الهرة ، ثم نقل عن الزهرى تعليقا عليهما ، فقال : (ذلك لئلا يتكل رجل ولا ييأس رجل) ـ ولفظه كالآتى :

(حدثنا محمد بن رافع وعبد بن حميد ، قال عبد أخبرنا ، وقال ابن رافع ـ واللفظ له حدثنا عبد الرازق ، أخبرنا معمر قال : قال لى الزهرى : ألا أحدثك بحديثين عجيبين ، قال الزهرى : أخبرنى حميد بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أسرف رجل على نفسه ، فلما حضره الموت أوصى بنيه ، فقال : اذا أنا مت فأحرقونى ثم اسحقونى ، ثم أذرونى فى الريح ، فوالله لئن قدر على ربى ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا ، قال : ففعلوا ذلك به ، فقال للأرض : أدى ما أخذت ، فاذا هو قائم ، فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ قال : خشيتك يارب ـ أو قال : مخافتك ـ فغفر له بذلك) ـ قال الزهرى : وحدثنى حميد ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : دخلت أمرأة النار فى هرة ربطتها ، فلا هى أطعمتها ، ولا هى أرسلتها ، تأكل من خشاش الأرض ، حتى ماتت) .

قال الزهرى : ذلك لئلا يتكل رجل ـ (أى فيخاف مما فعلت هذه المرأة بتلك الهرة) ولا ييأس رجل (أى فيرجو مغفرة الله ويخافه كما فعل ذلك الرجل) والله أعلم . اهـ .

١٠ — (ما جاء فى خلق آدم عليه السلام)

حديث خلق آدم عليه السلام ـ أَخرجه البخارى رحمه الله

فى كتاب (بدءِ الخلق) ـ باب ـ (خلق آدم) جـ٤ ص ١٣١

(٩١) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ هَمَّامٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : (خَلَقَ اللهُ آدَمَ ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا ، ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ ، فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَبُّونَكَ ، تَحِيَّتُكَ ، وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ ، فقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ ، ـ فَزَادُوهُ : (وَرَحْمَةُ اللهِ) ـ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ ، فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ) .

* * *

وأَخرجه البخارى أيضاً فى كتاب الاستئذان ـ باب ـ (بدءِ الأَذان) جـ٨ ص ٥٠ ولفظه :

(٩٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ هَمَّامٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا ، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ : اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، جُلُوسٌ ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ ، وَرَحْمَةُ اللهُ فَزَادُوهُ : (وَرَحْمَةُ اللهِ)ـ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ ، فَلَمْ يزَلِ الخَلْقُ يَنْتَقُصُ حَتَّى الْآنَ)

وأخرج هذا الحديث الإمام مسلم فى صحيحه ، فى بيان صفة الجنة – ج١٠ ص ٢٩٤ من هامش القسطلانى – فقال :

(٩٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّه ، قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَذَكَر أحاديث منها : وقَالَ رَسُول اللهِ – صلى الله عليه وسلم – خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ – آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا ، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ : اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ بِهِ ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ ، قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ ، فَزَادُوهُ : (وَرَحْمَةُ اللهِ) قَالَ : فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ) .

شرح الحديث من القسطلانى ج ٥ ص ٣٢١

(خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام) زاد عبد الرازق عن معمر : (على صورته) – والضمير يعود لآدم ، أي ان الله أوجده على الهيئة التى خلقها الله عليها ، ولم ينتقل فى النشأة أحوالا ، ولا تردد فى الأرحام أطوارا ، كما هو الحال فى خلق بنى آدم ، بل خلقه كاملا سويا .

وعورض هذا التفسير بقوله فى حديث آخر : (خلق الله آدم على صورة الرحمن) . – وأجيب عن ذلك بأن هذه الاضافة تشريف وتكريم ، لأن الله تعالى خلقه على صورة – لم يشكلها شىء من الصور فى الكمال والجمال (وطوله ستون ذراعا) زاد أحمد من حديث سعيد بن المسيب عن أبى هريرة مرفوعا : (فى سبعة أذرع عرضا) – (ثم قال) تعالى له : (اذهب فسلم على أولئك) أى النفر (من الملائكة ، فاستمع ما يحيونك) من التحية ، وهذه (تحيتك وتحية ذريتك) من بعدك .

وفى الترمذى من حديث أبى هريرة : (لما خلق الله آدم ، ونفخ فيه الروح عطس . فقال الحمد لله ، فحمد الله باذنه . . الى قوله : اذهب الى أولئك الملائكة ، الى ملأ منهم جلوس (فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه : ورحمة الله)

وهذا أول مشروعية السلام ، وتخصيصه بالذكر ، لأنه فتح لباب المودة ، وتأليف قلوب الأخوان ، المؤدى الى استكمال الايمان ، كما فى حديث مسلم عن أبى هريرة مرفوعا : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) (فكل من يدخل الجنة) يدخلها وهو (على صورة آدم عليه السلام) فى الحسن والجمال والطول ، ولا يدخلها على صورته من السواد ، أو بوصف من العاهات (فلم يزل الخلق ينقص) فى الجمال والطول (حتى الآن) أى فانتهى التناقص الى هذه الأمة ، فاذا دخلوا الجنة عادوا الى ما كان عليه آدم عليه السلام ، من الجمال وطول القامة .

وفى كتاب مثير الغرام فى زيارة القدس والخليل عليه الصلاة والسلام ، لتاج الدين التدمرى مما نقله عن ابن قتيبة فى المعارف ما يأتى :

(ان آدم عليه السلام كان أمرد وسيما ، وانما نبتت اللحية لولده بعده ، وكان طوالا كثير الشعر ، جعدا أجمل البرية) .

وحديث الباب أخرجه البخارى أيضا فى الاستئذان ، ومسلم فى صفة الجنة ، وصححه ابن حبان ، ورواه البزار والترمذى ، والنسائى من حديث سعيد المقبرى وغيره عن أبى هريرة مرفوعا .

(ان الله خلق آدم من تراب ، فجعله طينا ، ثم تركه حتى اذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره ، ثم تركه حتى اذا صار صلصالا كالفخار ـ كان ابليس يمر به فيقول : (خلقت لأمر عظيم) ـ ثم نفخ فيه من روحه ، فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه ، فعطس فقال : الحمد لله ، فقال الله : يرحمك ربك . . الحديث) .

وفى حديث أبى موسى مما أخرجه أبو داود ، وصححه ابن حبان مرفوعا : (ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض) ـ ففى هذا أن الله تعالى لما أراد خلق آدم وابرازه من العدم الى الوجود قلبه فى الستة الأطوار . طور التراب ، وطور الطين اللازب ، وطور الحمأ المسنون ، وطور الصلصال ، وطور التسوية ، وهى جعل الخزفة ، التى هى الصلصال عظما ولحما ودما ، ثم نفخ فيه الروح .

ثم قال القسطلانى ـ رحمه الله تعالى :

وقد خلق الله الانسان على أربعة أضرب : انسان من غير أب ولا أم ، وهو آدم عليه السلام ، وانسان من أب لا غير ، وهو حواء ، وانسان من أم لا غير ، وهو عيسى عليه

السلام ، وانسان من أب وأم ، وهو الذى خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ، ـ يعنى من صلب الرجل ، ومن ترائب الأم .

وهذا الضرب يتم بعد ستة أطوار أيضا : النطفة ، ثم العلقة ، ثم المضغة ، ثم العظام ، ثم كسوة العظام لحما ، ثم نفخ الروح .

وقد شرف الله الانسان على سائر المخلوقات ، فهو صفوة العالم وخلاصته وثمرته قال الله تعالى : (ولقد كرمنا بنى آدم ـ وقال : (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه) .

ولا ريب أن من خلقت لأجله وسببه جميع المخلوقات ، علويها وسفليها خليق بأن يرفل فى ثياب الفخر على من عداه ، وتمتد الى اقتطاف زهرات النجوم يداه ، وقد خلقه الله واسطة بين شريف ، وهو الملائكة ـ ووضيع ، وهو الحيوان ، ولذلك كان فيه قوى العالمين ، وأهل لسكنى الدارين ، فهو كالحيوان فى الشهوة ، وكالملائكة فى العقل والعلم والعبادة ، وخصه برتبة النبوة ، واقتضت الحكمة أن تكون شجرة النبوة صنفا منفردا ، ونوعا واقعا بين الانسان والملك ومشاركا لكل منهما على وجه ، فانه كالملائكة فى الاطلاع على ملكوت السموات والأرض ، وكالبشر فى أحوال المطعم والمشرب وغيرهما .

واذا طهر الانسان من نجاسته النفسية ، وقاذوراته البدنية ، وجعل فى جوار الله ـ كان حينئذ أفضل من الملائكة ، قال الله تعالى :

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم) .

وفى الحديث : (الملائكة خدم أهل الجنة) .

قال ابن كثير : واختلف هل ولد لآدم فى الجنة ؟ فقيل : لا ، وقيل : ولد فيها قابيل وأخته ـ قال : وذكروا أنه كان يولد له فى كل بطن ذكر وأنثى . وفى تاريخ ابن جرير : أن حواء ولدت أربعين ولدا فى عشرين بطنا ، وقيل : مائة وعشرين بطنا ، فى كل بطن ذكر وأنثى ، أولهم قابيل وأخته اقليما .

(وفى القاموس) واقليمياء بالكسر بنت آدم عليه السلام)

وآخرهم عبد المغيث ، وأخته أمة المغيث ، وقيل : أنه ـ أى آدم ـ لم يمت حتى رأى من ذريته : من ولده وولد ولده أربعمائة ألف نسمة . فالله أعلم . وذكر السدى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره : أنه كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى البطن الآخر ، وأن هابيل أراد أن يتزوج أخت قابيل ، فأبى ـ قابيل ، فأمرهما آدم أن يقربا قربانا ، ففعلا ، فنزلت نار ، فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل ، فغضب قابيل ، وقال لهابيل : لأقتلنك حتى لا تتزوج أختى فقال له : (انما يتقبل الله من المتقين) . وضرب قابيل هابيل فقتله ، كما قص الله ذلك فى كتابه العزيز .

وكانت مدة حياة آدم ألف سنة ، وعن عطاء الخراسانى مما رواه ابن جرير أنه لما مات بكت الخلائق عليه سبعة أيام . اهـ من القسطلانى جـ ٥ ص ٣٢٠ .

وقال القسطلانى ـ رحمه الله تعالى فى شرح الحديث

من كتاب الاستئذان ـ باب (بدء السلام) جـ ٩ ص ١٣٠

(خلق الله آدم على صورته) الضمير عائد على آدم ، أى خلقه تاما مستويا ، لم يتغير عن حاله ، ولا كان من نطفة ، ثم علقة ، ثم من مضغة ، ثم جنينا ، ثم طفلا ، ثم رجلا ، حتى تم ، ولم ينتقل فى هذه الأطوار كذريته .

وفيه ابطال لقول الدهرية : انه لم يكن قط انسان الا من نطفة ، ولا نطفة الا من انسان ذكر ذلك ابن بطال . اهـ

وللبخارى فى الأدب المفرد ، وأحمد من طرق ابن عجلان عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا : (لا يقولن قبح الله وجهك ، ووجه من أشبه وجهك ، فان الله خلق آدم على صورته) أى صورة المدعو عليه بهذه المقالة .

وهو ظاهر فى عود الضمير على المقول له ذلك ، وهو المدعو عليه .

وقيل : الضمير لله تعالى ، لما فى بعض الطرق : (خلقه على صورة الرحمن) أى على صفته تعالى من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك ، وان كانت صفات الله تعالى لايشبهها شىء

وقال التوربشتى : وأهل الحق فى ذلك على طبقتين : احداهما المتنزهون عن التأويل مع نفى التشبيه ، واحالة ذلك الى علم الله تعالى ، الذى أحاط بكل شىء علما ، وهذا أسلم الطريقتين .

والطبقة الأخرى يرون الاضافة فيها اضافة تكريم وتشريف ، وذلك أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورة لم يشاكلها شىء من الصور فى الجمال والكمال وكثرة ما احتوت عليه من الفوائد الجليلة .

وقال الطيبى : التأويل فى هذا المقام حسن ، يجب المصير اليه ، لأن قوله : (طوله) بيان لقوله : (على صورته) كأنه قال : خلق آدم على ما عرف عليه ، من صورته الحسنة ، وهيئته من الجمال والكمال وطول القامة ، وخص الطول منها ، لانه لم يكن بين الناس ؤ اهـ قسطلانى

أقول : ومما يقوى هذا التأويل قوله تعالى ممتنا على الانسان : (وصوركم فأحسن صوركم) والله أعلم

أخرجه الترمذى فى جامعه ، فى ثلاثة مواضع

باب (سورة الأعراف) جـ٢ ص ١٨٠

(٩٤) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَة ، هُو خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَى كُلِّ إِنْسَان مِنْهُمْ وَمِيضًا مِنْ نُورٍ ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ ، فَقَالَ : أَىْ رَبِّ ، مَنْ هؤلاءِ ؟ قَالَ : هٰؤلاءِ ذُرِّيَّتُكَ ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَقَالَ : أَىْ رَبِّ ، مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ . مِنْ ذُرِّيَّتِكَ ، يُقالُ لَهُ دَاوُدُ ، فَقَالَ : رَبِّ ، كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ ؟ قَالَ : سِتِّينَ سَنَةً ، قَالَ : أَىْ رَبِّ ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِى أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا قُضِىَ عُمرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، فَقَالَ : أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِى أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟ قَالَ : فَجَحَدَ آدَمُ ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، وَنَسِىَ فَنَسِيتْ ذُرِّيَّتُهُ ، وَخَطِىءَ آدَمُ ، فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ) .

قال أبو عيسى الترمذى حديث حسن صحيح .

* * *

(٩٥) وفى رواية أُخرى له : (ثُمَّ أَكْمَلَ اللهُ تَعَالَى لِآدَمَ ـ أَلْفَ سَنَة ، وأَكْمَلَ لِدَاوُدَ مِائَة) .

انتهى من الإتحافات السنيّة ، فى الأحاديث القدسيّة .

* * *

وأخرجه الترمذى أيضاً ، فى الباب نفسه ، ولفظه :

(٩٦) عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَار الجُهَنِىِّ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب رَضِىَ

اللَّهُ عَنْهُ ـ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) ـ قَالَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّاب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُسْئَلُ عَنْهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً ، فَقَالَ : خَلَقْتُ هَؤُلَآءِ لِلْجَنَّةِ ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً ، فَقَالَ : هَؤُلَآءِ خَلَقْتُ لِلنَّارِ ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَارَسُولَ اللَّهِ ، فَفِيمَ الْعَمَلُ ؟ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّار ، فَيُدْخِلَهُ اللَّهُ النَّارَ) .

***

قال أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله تعالى : هذا حديث حسن ، ـ ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وقد ذكر بعضهم فى هذا الإسناد بين مسلم بن يسار ، وبين عمر رجلا مجهولا . اه ـ أقول : : لعله يكون بذلك حسنا لغيره . والله أعلم

وأخرجه الترمذى أيضاً فى آخر كتاب التفسير - باب - دون عنوان جـ٢ ص ٢٤١ - فقال بسنده :

(٩٧) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ ، عَطِسَ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ للهِ ، فَحَمِدَ اللهَ بِإِذْنِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ : رَحِمَكَ اللهُ يَا آدَمُ ، اذْهَبْ إِلَى هَؤُلَآءِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى مَلَإٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ ، فَقُل : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، قَالُوا : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّه ، فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ اللهُ لَهُ - وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ - : اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ ؟ قَالَ : اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّى - وَكِلْتَا يَدَىْ رَبِّى يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ - ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ - وَذُرِّيَّتُهُ ، فَقَالَ : أَىْ رَبِّ ، مَا هَؤُلَآءِ ؟ فَقَالَ : هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَءُهُمْ - أَوْ مِنْ أَضْوَئِهِمْ - قَالَ : يَارَبِّ ، مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ ، قَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قَالَ : يَارَبِّ ، زِدْهُ فِى عُمْرِهِ قَالَ : ذَاكَ الَّذِى كَتَبْتُ لَهُ ، قَالَ : أَىْ رَبِّ ، فَإِنِّى قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمْرِى سِتِّينَ سَنَةً ، قَالَ : أَنْتَ وَذَاكَ ، ثُمَّ أَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ ما شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا ، فَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ قَالَ : فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ : قَدْ عَجَّلْتَ ، قَدْ كُتِبَ لِى أَلْفُ سَنَةٍ ، قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً ، فَجَحَدَ ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، وَنَسِىَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، قَالَ : فَمِنْ يَوْمَئِذٍ أُمِرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ) . قال الترمذى : حديث حسن غريب .

حديث خلق آدمَ عليه السلام

من موطأ الإمام مالك ـ رحمه الله ـ فى باب ـ

النهى عن القول بالقدر

(٩٨) عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ سُئِلَ عُمَرُ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُسْأَلُ عَنْهَا ، فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ بِيَمِينِهِ ، حَتىَّ اسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً ، فَقَالَ : خَلَقْتُ هَؤُلآءِ لِلْجَنَّةِ ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ، ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً ، فَقَالَ : خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، فَفِيمَ الْعَمَلُ ؟ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ـ : إِنَّ اللهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ) .

شرح روايات الترمذى لحديث آدم عليه السلام

قوله : (لما خلق الله آدم مسح ظهره .. الخ) للعلماء فى ذلك رأيان : [١]

أولا : بعضهم يفسر ذلك على الحقيقة ، ويحمل المسح على معنى يليق به تعـالى ، وهـو

قوله للشيء كن فيكون ــ أو يأمر بعض ملائكته الموكلين بأرواح بنى آدم ، أن يمسحوا ظهره ، ويستخرجوا منه نسم بنيه .

وقد ذكر ذلك العلامة أبو السعود ، عند تفسير قوله تعالى : (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم . الآية) ــ فقال :

وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة ، كما روى عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ من أنه لما خلق الله آدم ــ عليه السلام ــ مسح على ظهره . . ثم ذكر هذا الحديث المذكور هنا . .

ثم قال : وليس المعنى أنه أخرج الكل من ظهر آدم ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالذات ، بل أخرج من ظهره عليه الصلاة والسلام أبناء الصلبية ، وأخرج من ظهورهم أبناءهم الصلبية وهكذا ، الى آخر السلسلة ، أى كما يرشد اليه قوله تعالى : (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) .

ثم قال العلامة أبو السعود ــ رحمه الله تعالى ــ : لما كان المظهر الأصلى ظهره عليه الصلاة والسلام ، وكان مساق الحديثين بيان حال الفريقين اجمالا ، من غير أن يتعلق بذكر الوسائط غرض ــ نسب اخراج الكل اليه ــ أى فى الحديث الشريف .

وأما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم ــ اقتضى الحال نسبة الأخراج الى ظهور آبائهم ، من غير تعرض لاخراج الأبناء الصلبية لآدم ــ عليه السلام ــ من ظهره قطعا ، وعدم بيان أخذ الميثاق فى حديث عمر ــ رضى الله عنه ــ ليس بيانا لعدمه ، ولا مستلزما له .

واعترض بأن أخذ الميثاق عليهم لاسقاط عذر الغفلة ، حسبما ينطق به قوله تعالى : (أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) لا يكون ذلك حجة عليهم ، لأن ذلك لا يكون دافعا لغظتهم فى دار التكليف ، اذ لا فرد من أفراد البشر يذكر ذلك الميثاق المأخوذ عليهم .

وأجيب بأن ذلك مردود ، لأن قوله تعالى : (أن تقولوا . . الآيتين) ليس مفعولا له لقوله : (وأشهدهم) وما يتفرع عليه ، من قولهم : (بلى شهدنا أن تقولوا . . الخ) حتى يجب أن يكون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا كل منهما لهم ، فيتم الزامهم به ــ بل هو مفعول لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام .

والمعنى : فعلنا ما فعلنا من الأمر : بذكر الميثاق وتذكيركم به ، وبيناه لكم فيما أنزلنا على رسولنا ، كراهة أن تقولوا : الآيتين ــ أو لئلا تقولوا أيها الكفرة يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين ــ أى هذا الميثاق ، ولم ينبهنا اليه أحد فى دار التكليف ، ولو نبهنا اليه أحد لعملنا بموجبه .

هذا على قراءة الجمهور : (أن تقولوا) بالتاء ــ وأما على القراءة بالياء (أن يقــولوا) فهو مفعول له لفعل الأمر المضمر الذى تعلق به الظرف ، وهو ــ اذ ــ فى قــوله : (واذ أخــذ ربك) والمعنى : واذكر لهم الميثاق المأخــوذ عليهــم فيمــا مضى ، لئلا يعتذروا يوم القيامــة بالغفلة عنه ، أو بتقليد آبائهم فى الاشراك وترك التوحيد . اهـ من تفسير أبى السعود ببعض تصرف

ثانيا : قال العلامة أبو السعود ــ رحمه الله تعالى قبل ذلك فى معنى الآية :

وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا فى مبدأ الفــطرة ، مســتعدين للاســتدلال بالدلائل المنصوبة فى الآفاق وفى الأنفس ، المؤدية الى التوحيد والاســلام ، كمــا ينطــق به وله عليه الصلاة والسلام : (كل مولود يولد على الفــطرة . . الحــديث) ــ أى وكذا قــوله تعــالى : (فطرة الله التى فــطر الناس عليهــا لا تبديل لخلق الله) أى لا تبدلوا خلق الله الذى خلقــه فطرة سليمة .

ثم قال ــ رحمه الله تعالى ــ : وهذا التمثيل مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها ، بما ركز فيهــم مــن العقــول والبصــائر ، ونصب لهم فى الآفاق والأنفس من الدلائل تمكينا تاما ، ومن تمكنهم منها تمــكنا كامــلا ، وتعرضهم لها تعرضا قويا ، شبهت هذه الهيئة ــ بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الأمر ، ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم أصــلا ، مــن غير أن يكون هناك أخذ واشهاد ، وسؤال وجواب ، كما فى قوله تعالى : (فقال لهــا وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) . اهـ بتصرف أيضا

أقول : وبقية الحديث كقوله تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هــم أضل أولئك هم الغافلون) .

قال العلامة أبو السعود ــ رحمه الله تعالى ــ فى تفسير الآية :

أى خلقناهم لدخول جهنم ، لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهــم ، مــا يؤدى الى ذلك ، ــ بل لعلمه تعالى بأنهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحــق أبدا ، بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ، ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر .

فبهذا الاعتبار خلقهم مغيا ــ بضم الميم وفتح الغين وتشديد الياء منونة ــ بها ، كما نطق به قوله تعالى :

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

وقوله : (لهم قلوب لا يفقهون بها) تنكير القلوب لابهامها وكونها غير معهودة مخــالفة

لسائر أفراد الجنس ، فاقدة لكماله بالكلية ، لكن لا بحسب الفطرة حقيقة ، بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيل الحق .

وهذا وصف لها بكمال الاغراق فى القساوة ، فانها حيث لم يتأت منها الفقه بحال ، فكأنها غير قابلة له رأسا . اهـ مما فهم من تفسير العلامة أبى السعود رحمه الله .

أقول : ومن ذلك يفهم ما ذكر فى أحاديث الترمذى : من مسح ظهر آدم واخراج ذريته من ظهره ، وأن الله تعالى قد قضى لبعضهم بدخول الجنة ، ويوفقه للعمل الذى يكون سببا لدخوله الجنة وقضى لبعضهم بدخول النار ـ ويعملون كل عمل يكون سببا لدخولهم النار ، فيدخلون النار ، من غير أن يكون هناك جبر لهم على عمل قطعا ، بل الكل مختار فى عمله ، قال الله تعالى :

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ـ والله أعلم .

اللهم انا نضرع اليك ، وندعوك أن توفقنا لعمل الخير ، حتى نستوجب دار كرامتك ، ونفوز برضوانك . والحمد لله رب العالمين . آمين .

حديث (إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أُمه)

أخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه : فأخرجه فى بدء الخلق ـ باب ـ (ذكر الملائكة) جـ ٤ ص ١١١ ـ وفى باب ـ (خلق آدم) جـ ٤ ص ١٣٣ ـ وذكره فى كتاب القدر ـ جـ ٨ ص ١٢٢ ـ وذكره فى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) جـ ٩ ص ١٣٥ ونذكر رواية الحديث من كتاب التوحيد :

(٩٩) حَدَّثَنَا آدَمُ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، سَمِعْتُ زَيْدَ ابْنَ وَهْبٍ ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ـ : إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فى بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ـ أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ ، فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ ، وَعَمَلَهُ ، وَشَقِيٌّ أَو سَعِيدٌ ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّىٰ لَا يَكُون بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُ النَّارَ ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّىٰ مَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا) .

(١٠٠) وفى بعض الروايات زيادة : (فَوَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ ـ أَو الرَّجُلُ) وفى بعضها : (غَيْرُ ذِرَاع أَوْ ذِرَاعَيْنِ) وفى بعضها : (إِلَّا بَاعٌ) وفى بعضها تقديم الجنة .

* * *

وأخرجه ابن ماجة فى سننه ، من باب فى القدر ـ ج ١ ص ٢٠ ـ ٢١ فقال بسنده .

(١٠١) قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ـ أَنَّهُ يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُمْ فى بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ ، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَع كَلِمَاتٍ ، فَيَقُولُ : اكْتُبْ عَمَلَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَرِزْقَهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَل أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بعمل أَهل النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَل أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا) .

* * *

وأَخرجه الإمام مسلم فى صحيحه بروايات متعددة ، عن ابن مسعود وغيره من الصحابة ، سنذكرها لما فيها من الفوائد الكثيرة . قال : ـ باب ـ (كيفية خلق الآدمىّ فى بطن أُمه) . ج ١٠ ص ١٩ هامش القسطلانى .

(١٠٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ وَوَكِيعٌ (ح)

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نُمَيْرٍ الْهَمَدَانِى ، واللفظ لَهُ ، حَدَّثَنَا أَبِى ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ ، ووَكِيعٌ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ـ (أَى ابن مسعود) رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِى بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ فِى ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِى ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى الْمَلَكَ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكَتْبِ رِزْقِهِ ، وَأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِىٌّ أَوْ سَعِيد ، فَوَاللهِ الَّذِى لَا إِلَٰهَ غَيْرُهُ ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ وَاحِدٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا) .

* * *

(١٠٣) وفى حديث وكيع : (إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِى بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ـ وفى حديث جرير وعيسى : (أَرْبَعِينَ يَوْمًا) .

* * *

(١٠٤) وكذا فى حديث معاذ عن شعبة ـ بدل أربعين يوماً (أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) .

(١٠٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ — واللفظ لابن نمير — قَالَا : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينار عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَبِي أَسِيدٍ — أى الغِفَارِىِّ — يَبْلُغُ بِهِ النَّبِىَّ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ : يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِى الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، أَشَقِىٌّ أَوْ سَعِيدٌ ؟ فَيُكْتَبَانِ ، فَيَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى ؟ وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ ، وَأَثَرُهُ ، وَأَجَلُهُ ، وَرِزْقُهُ ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ) .

* * *

وفى صحيح مسلم أيضاً — ج ١٠ ص ٧٤ من هامش القسطلانى .

(١٠٦) حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّىِّ ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ — رَضِىَ اللهُ عَنْهُ — يَقُولُ : الشَّقِىُّ مَنْ شَقِىَ فِى بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، فَأَتَى (هو أى عامر) رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يُقَالُ لَهُ : حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الغِفَارِىُّ ، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، فَقَالَ : وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَقُولُ : إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً ، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا ، فَصَوَّرَهَا ، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا ، وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ، ثُمَّ قَالَ :

يَارَبِّ ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ؟ فَيَقْضِى رَبُّكَ مَا شَاءَ ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَارَبِّ ، أَجَلُهُ ؟ فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِى يَدِهِ ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى أَمْرٍ وَلَا يَنْقُصُ) .

***

(١٠٧) وأخرج مسلم فى الباب قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ابْن أَبِى خَلَفٍ ، حَدَّثَنَا يَحْيَ بْنُ أَبِى بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ أَبُو خَيْثَمَةَ ، حَدَّثَنِى عَبْدُ اللهِ بْنُ عَطَاءٍ ، أَنَّ عِكْرَمَةَ بْنَ خَالِدٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ حَدَّثَهُ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِى سَرِيحَةَ ـ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِىِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِأُذُنَىَّ هَاتَيْنِ يَقُولُ : إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِى الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلَكُ ـ قَالَ زهير : حَسِبْتُهُ قَالَ : الَّذِى يُخَلِّقُهَا ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ؟ فَيَجْعَلُهُ اللهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى ، ثُمَّ يَقُولُ : يَارَبِّ ، أَسَوِىٌّ أَمْ غَيْرُ سَوِىٍّ ؟ فَيَجْعَلُهُ اللهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِىٍّ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَارَبِّ ، مَا رِزْقُهُ ؟ مَا أَجَلُهُ ؟ مَا خُلُقُهُ ؟ ثُمَّ يَجْعَلُهُ اللهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا) .

***

(١٠٨) وفى رواية عن حذيفة : (إِنَّ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِالرَّحِمِ ، إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا بِإِذْنِ اللهِ لِبِضْعٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ثم ذكر نحو حديثهم .

***

(١٠٩) وفى رواية عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ وَرَفَعَ الْحَدِيثَ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ اللهَ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا ، فَيَقُولُ : أَىْ رَبِّ ،

نُطْفَةٌ ، أَىْ رَبِّ ، عَلَقَةٌ ، أَىْ رَبِّ ، مُضْغَةٌ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِىَ خَلْقًا ، قَالَ : قَالَ : الْمَلَكُ : أَىْ رَبِّ ، ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى ؟ شَقِىٌّ أَوْ سَعِيدٌ ؟ فَمَا الرِّزْقُ ؟ فَمَا الْأَجَلُ ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِى بَطْنِ أُمِّهِ) .

سريحة : بفتح السين ، وكسر الراء . وأسيد : بفتح الهمزة وكسر السين . نووى .

شرح خلق ابن آدم فى بطن امه

أولا من شرح القسطلانى من كتاب التوحيد ـ باب ـ قول الله تعالى : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) جـ ١٠ ص ٤١٦ طبعة ميرى قال رحمه الله : (حدثنا آدم) هو ابن أبى اياس (حدثنا شعبة) بن الحجاج قال : (حدثنا الأعمش) سليمان (سمعت زيد بن وهب) هاجر الى المدينة ففاتته رؤيته ﷺ ـ قال : (سمعت عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ يقول : حدثنا رسول الله ـ ﷺ ـ وهو الصادق) فى نفسه (المصدوق) فيما وعده به ربه (ان خلق أحدكم) قال ابو البقاء لا يجوز فى ـ أن ـ الا الفتح ، لأن ما قبله ـ حدثنا ـ قال البدر الدمامينى : بل يجوز الأمران : الفتح والكسر ، أما الفتح فلما قال ، وأما الكسر فان بنينا على مذهب الكوفيين فى جواز الحكاية بما فيه معنى القول دون حروفه فواضح ، وان بنينا على مذهب البصريين ـ وهو المنع ـ نقدر قولا محذوفا ، يكون ما بعده محكيا به ، فتكسر همزة ـ أن ـ والتقدير : حدثنا فقال : ان خلق أحدكم (يجمع) بضم أوله ، وفتح ثالثه ، أى ما يخلق منه ـ وهو النطفة ـ تقر وتخزن (فى بطن امه أربعين يوما وأربعين ليلة) ليتخمر ما فيها حتى يتهيأ للخلق (ثم يكون علقة) دما غليظا جامدا (مثله) مثل ذلك الزمان ، وهو أربعون يوما وأربعون ليلة (ثم يكون مضغة) قطعة لحم قدر ما يمضغ (مثله ثم يبعث اليه الملك) ولأبى ذر عن الحموى والمستملى : ثم يبعث الله اليه الملك الموكل بالرحم ، أى فى الطور الرابع حين يتكامل بنيانه ، وتتشكل أعضاؤه فيؤذن بأربع كلمات) يكتبها (فيكتب) من القضايا المقدرة فى الأزل (رزقه) كل ما يسوقه اليه مما ينتفع به كالعلم والرزق : حلالا وحراما ، قليلا وكثيرا (وأجله) طويلا أو قصيرا (وعمله) أصالح أم لا ؟ (وشقى أم سعيد) حسبما اقتضته حكمته وسبقت كلمته . (ثم ينفخ فيه الروح) بعد تمام صورته (فان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة) من الايمان

والطاعة (حتى لا) ولأبى ذر عن الحموى والمستملى : حتى ما (يكون بينها وبينه الا ذراع) مثل يضرب لمعنى المقاربة الى الدخول (فيسبق عليه الكتاب) الذى كتبه الملك وهو فى بطن أمه ، عقب ذلك (فيعمل بعمل أهل النار) من المعصية والكفر (فيدخل النار ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينها وبينه الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها) فيه أن ظاهر الأعمال من الطاعات والمعاصى أمارات ، وليست بموجبات ، فان مصير الأمور فى العاقبة الى ما سبق به القضاء ، وجرى به القدر فى السابقة . . ا هـ .

ثانيا ـ شرح الحديث برواياته ، منقولا من شرح الامام النووى على صحيح مسلم ـ رحمهما الله تعالى ـ قال رحمه الله تعالى :

أما قوله : (الصادق المصدوق) فمعناه الصادق فى قوله ، المصدوق فيما يأتيه من الوحى الكريم .

وأما قوله : (ان أحدكم) فبكسر الهمزة ، على حكاية لفظه ﷺ . وقوله : (بكتب رزقه) وهو بالباء الموحدة فى أوله على البدل من أربع ، وقوله : (وشقى أو سعيد) مرفوع خبر مبتدأ محذوف ، أى وهو شقى أو سعيد ؟ قوله ﷺ فى هذا الحديث : (ثم يرسل اليه الملك) ظاهره أن ارساله يكون بعد مائة وعشرين يوما .

وفى الرواية التى بعد هذا : (يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين ، أو خمسة وأربعين ليلة ، فيقول : يارب ، أشقى أم سعيد ؟) .

وفى الرواية الثالثة : (اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله اليها ملكا ، فصورها ، وخلق سمعها وبصرها وجلدها) .

وفى رواية حذيفة بن أسيد : (ان النطفة تقع فى الرحم أربعين ليلة ، ثم يتسور عليها الملك)

وفى رواية : (ان ملكا موكلا بالرحم : اذا أراد أن يخلق شيئا باذن الله لبضع وأربعين ليلة ـ وذكر الحديث .

وفى رواية أنس بن مالك رضى الله عنه : (ان الله قد وكل بالرحم ملكا فيقول : أى رب ، نطفة ، أى رب ، علقة ، أى رب ، مضغة) .

قال العلماء : طريق الجمع بين هذه الروايات : أن للملك ملازمة تامة ، ومراعاة لحال النطفة ، وأنه يقول : يارب ، هذه نطفة ، هذه علقة ، هذه مضغة ، فى أوقاتها ، فكل وقت يقول فيه ما صارت اليه باذن الله تعالى ، وهو سبحانه أعلم ، ولكلام الملك وتصرفه أوقات :

أحدهما : حين يخلقها الله نطفة ، ثم ينقلها علقة ، وهو أول علم الملك بأنه سيكون ولدا ، لأنه ليس كل نطفة تصير ولدا ، وذلك عقب الأربعين الأولى .

وحينئذ يكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقاوته ، أو سعادته .

ثم للملك فيه تصرف آخر ، فى وقت آخر وهو تصويره ، وخلق سمعه ، وبصره ، وجلده وعظمه ، وكونه ذكرا أو أنثى ، ـ وذلك انما يكون فى الأربعين الثالثة ، وهى مدة المضغة ، وقبل انقضاء هذه الأربعين ، وقبل نفخ الروح فيه ، لأن نفخ الروح لا يكون الا بعد تمام صورته .

وأما قوله فى احدى الروايات : (فاذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله اليها ملكا فصورها ، وخلق سمعها وبصرها ، وجلدها ، ولحمها وعظامها ، ثم قال : يا رب ، اذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، وذكر رزقه) .

فقال القاضى وغيره : ليس هو على ظاهره ، ولا يصح حمله على ظاهره ، بل المراد بتصويرها وخلق سمعها . . الخ : أنه يكتب ذلك ، ثم يفعله فى وقت آخر ، لأن التصوير عقب الأربعين الأولى غير موجود فى العادة ، وانما يقع فى الأربعين الثالثة ، وهى مدة المضغة ، كما قال الله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما) .

ثم يكون للملك فيه تصوير آخر ، وهو وقت نفخ الروح عقب الأربعين الثالثة ، حين يكمل له أربعة أشهر .

واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون الا بعد أربعة أشهر ، ووقع فى رواية البخارى : (ان خلق أحدكم يجمع فى بطن امه أربعين ، ثم يكون علقة مثله ، ثم يكون مضغة مثله ، ثم يبعث اليه الملك ، فيؤذن بأربع كلمات : فيكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه) فقوله : (ثم يبعث) بحرف ـ ثم ـ يقتضى تأخير كتب الملك هذه الأمور الى ما بعد الأربعين الثالثة ـ والأحاديث الباقية تقتضى الكتب بعد الأربعين الأولى .

وجوابه : أن قوله : (ثم يبعث اليه الملك ، فيؤذن فيكتب) معطوف على قوله : (يجمع فى بطن أمه) ومتعلق به ، لا بما قبله ، وهو قوله : (ثم يكون مضغة مثله) ويكون قوله : (ثم يكون علقة مثله ، ثم يكون مضغة مثله) معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه ـ وذلك جائز موجود فى القرآن والحديث الصحيح وغيره من كلام العرب .

قال القاضى وغيره : والمراد بارسال الملك فى هذه الأشياء : أمره بها وبالتصرف فيها بهذه الأفعال ، والا فقد صرح فى الحديث بأنه موكل بالرحم ، وأنه يقول : يا رب ، نطفة ، يارب ، علقة .

قال القاضى : وقوله فى حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ : (واذا أراد الله ان يقضى خلقا ـ قال : يارب ، أذكر أم أنثى ، شقى أم سعيد ؟) لا يخالف ما قدمناه ، ولا يلزم منه أن يقول ذلك بعد المضغة ، ـ بل هو ابتداء كلام واخبار عن حالة اخرى ، فأخبر أولا ، بحال الملك مع النطفة ، ثم أخبر أن الله تعالى اذا أراد اظهار خلق النطفة علقة ، قال : كذا وكذا .

ثم المراد بجميع ما ذكر من الرزق والأجل ، والشقاوة والسعادة والعمل ، والذكورة والأنوثة : أنه يظهر ذلك للملك ، ويأمره بانفاذه وكتابته ، والا فقضاء الله تعالى سابق على ذلك وعلمه وارادته لكل ذلك موجود فى الأزل . والله تعالى أعلم .

وقوله ﷺ : (فوالله الذى لا اله غيره ، إن احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها ، وان أحدكم ليعمل بعمل النار ــ الخ) .

المراد بالذراع : التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه ، وأن تلك الدار ما بقى بينه وبين أن يصلها الا كمن لم يبق بينه وبين موضع من الأرض ــ يريد أن يصل اليه ــ الا ذراع واحد .

والمراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع فى نادر من الناس ، لا أنه غالب فيهم . ثم انه من لطف الله تعالى ، وسعه رحمته انقلاب الناس من الشر الى الخير فى كثرة ، وأما انقلابهم من الخير الى الشر ، ففى غاية الندور ، ونهاية القلة .

وهو نحو قوله تعالى : (ان رحمتى سبقت غضبى ، وغلبت غضبى) ويدخل فى هذا من انقلب الى عمل النار بكفر أو معصية ، لكن يختلفان فى التخليد وعدمه ، فالكافر يخلد فى النار ، والعاصى الذى مات موحدا لا يخلد فيها ، كما سبق تقريره . وفى هذا الحديث تصريح باثبات القدر ، وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها ، وأن من مات على شىء حكم له به : من خير أو شر ، الا أن أصحاب المعاصى غيرالكفر فى المشيئة . والله أعلم . ا هـ من شرح النووى على مسلم .

وقال النووى : (حذيفة بن أسيد) هو بفتح الهمزة . وقوله : (فيكتبان) فى الموضعين بضم أوله ، ومعناه : يكتب أحدهما ــ (دخلت على أبى سريحة) هو بفتح السين وكسر الراء

وقوله : (ثم يتصور عليها الملك) هكذا هو فى جميع نسخ بلادنا ــ بالصاد ــ وذكر القاضى : يتسور ــ بالسين ، والمراد بيتسور : ينزل ، وهو استعارة من (تسورت الدار اذا نزلت من أعلاها) فيحتمل أن تكون الصاد الواقعة فى بلادنا مبدلة من السين . والله أعلم . ا هـ من النووى .

١٢ ـ (ما جاء فى خطاب رب العزة للرحم)

حديث خطاب الرحم أخرجه البخارى فى كتاب التفسير من سورة القتال ـ باب ـ (وتقطعوا أرحامكم) ج ٦ ص ١٣٤ .

(١١٠) حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي مُزَرِّدٍ ، عَنْ عَمِّهِ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ ، فَأَخَذَتْ بِحِقْوِ الرَّحْمٰنِ ، فَقَالَ لَهُ : مَهْ ، قَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : أَلَا تَرْضَيْنَ ، أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَارَبِّ ، قَالَ : (فَذَاكِ لَكِ) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ ، وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) ـ .

***

(١١١) وفى رواية فى هذا الباب للبخارى ، بسنده إلى أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ (ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : (فَهَلْ عَسَيْتُمْ) .

***

وأخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ، وفى كتاب الأدب .

وأخرجه مسلم فى الأدب ، والنسائى فى التفسير .

***

(١١٢) وأخرجه الترمذى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْف ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : قَالَ

اللهُ : أَنَا اللهُ ، وَأَنَا الرَّحْمٰنُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ ، وَشَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي .
فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ) .

(قال الترمذي ـ رحمه الله تعالى : حديث حسن صحيح) .

(١١٣) وأخرجه أيضاً أبو داود ، عن عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْف ـ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ :
قَالَ اللهُ : (أَنَا الرَّحْمٰنُ ، وَهِيَ الرَّحِمُ ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي ،
مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا بِنْتُهُ) .

أخرجه في باب (في صلة الرحم) جـ ٢ ص ٧٧ .

شرح الحديث من القسطلاني حـ ٧ ص ٨٤٢

(حدثنا خالد بن مخلد) بفتح الميم واللام ، بينهما خاء معجمة ، الكوفى (حدثنا سليمان) ابن بلال ، قال : (حدثنى معاوية بن أبى مزرد) بضم الميم وفتح الزاى وكسر الراء ، وفى اليونينية بفتحها مشددة ، بعدها دال مهملة)

اسمه عبد الرحمن بن يسار ، بالياء وتخفيف السين المهملة (عن عمه سعيد بن يسار ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ) أنه (قال : خلق الله الخلق ، فلما فرغ منه) أى قضاه وأتمه ، أو نحو ذلك ، فانه سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن ، (قامت الرحم) أى حقيقة ، بأن تجسمت (فأخذت بحقو الرحمن) بفتح الحاء المهملة ، وفى اليونينية بكسرها ، وعند الطبرى : (بحقوى الرحمن) بالتثنية . ـ والحقو : الازار والخصر ، ومشد الازار .

قال البيضاوى : لما كان من عادة المستجير أن يأخذ بذيل المستجار به أو بطرف ردائه وازاره ، وربما أخذ بحقو إزاره مبالغة فى الاستجارة . فكأنه يشير به إلى أن المطلوب أن يحرسه ويذب عنه ما يؤذيه ، كما يحرس ما تحت ازاره ، ويذب عنه ، فانه لاصق به ، لا ينفك عنه ، فاستعير ذلك للرحم .

وقال الطيبى : وهذا مبنى على الاستعارة التمثيلية ، التى ينتزع فيها الوجه من أمور متوهمة للمشبه المعقول ، وذلك بأن شبه حالة الرحم وما هى عليه من الافتقار الى الصلة ، والذب عنها من القطيعة ـ بحال مستجير يأخذ بذيل المستجار به ، وحقو ازاره ، ثم أدخل

صورة حال المشبه فى جنس المشبه به ، واستعمل فى حال المشبه ما كان مستعملا فى المشبه به من الألفاظ بدلائل قرائن الأحوال .

ويجوز أن تكون مكنية ، بأن يشبه الرحم بإنسان مستجير بمن يحميه ، ويحـرسه ويذب عنه ما يؤذيه ، ثم أسند على سبيل الاستعارة التخييلية ما هو لازم المشبه به ، مـن القيام ليكون قرينة مانعة من ارادة الحقيقة ، ثم رشحت الاستعارة بأخذ الحقو ، والقول ، وقوله : (بحقو الرحمن) استعارة أخرى .

وقال القابسى : أبى ـ بفتح الباء ـ أبو زيد أن يقرأ لنا هذا الحرف ـ (أى بحقو الرحمن لاشكاله ، وقال : هو ثابت ، لكن مع تنزيه الله تعالى .

ويحتمل أن يكون على حذف مضاف ، أى قام ملك ، فتكلم على لســانها ، أو على طـريق ضرب المثل والاستعارة .

والمراد : تعظيم شأن الرحم ، وفضيلة واصلها ، واثم قاطعها .

وتثنية ـ حقو ـ المروية عند الطبرى للتأكيد ، لأن الأخذ باليدين آكد فى الاســتجارة مــن الأخذ بيد واحدة .

(فقال الله) تعالى (له : مه) أى للرحم مه ، بفتح الميم ، وسكون الهاء ـ اسم فعل ـ أى اكفف وانزجر .

وقال ابن مالك : هى هنا ـ ما ـ الاستفهامية ، حذفت ألفها ، ووقف عليها بهاء السكت ، والشائع أن لا يفعل بها ذلك الا وهى مجرورة . قال : ومن استعمالها كمـا وقـع هنا غير مجرورة ، قول أبى ذؤيب الهذلى : قدمت المدينة ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج ، فقلت : مه ؟ فقالوا : قبض رسول الله ـ ﷺ . ا هـ

فان كان المراد الزجر فواضح ، وان كان المراد الاســتفهام ـ فـالمراد الأمـر باظهـار الحاجة ، التى من أجلها تستجير ، دون الاستعلام ، فانه تعالى يعلم السر وأخفى .

(قالت : هذا مقام العائذ) بالذال المعجمة ، أى قيامى هذا قيام العائذ المستجير (بك من القطيعة) .

وفى حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد : أنها تكلمت بلسان طلق ذلق (قال) الله تعـالى : (الا ترضين أن أصل من وصلك) بأن أتعطف عليه ، وأرحمه لطفا وفضلا (وأقـطع مـن قطعك) فلا أرحمه (قالت : بلى : يارب) رضيت (قال) الله تعالى : (فذاك) بكسر الكاف ، زاد الاسماعيلى (لك) قال أبو هريرة : فـــاقرأوا ان شــئتم : (فهـــل عســـيتم ان توليتم) أحكام الناس وتآمرتم عليهم ـ أو توليتم وأعرضــتم عن القــرآن وأحـكامه (أن تفسدوا فى الأرض) بالمعاصى وسفك الدماء (وتقطعوا أرحامكم) .

وفى رواية للبخارى ـ قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : (اقــرأوا ان شــئتم : فهــل

عسيتم) ـ ومراد البخارى بذكر هذه الرواية أن ذلك الاستدلال مـن كلام رسـول الله ﷺ وليس موقوفا على أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ .

قال النووى : لا خلاف أن صلة الرحم واجبة فى الجملة ، وقطيعتها معصية ، والصلة درجات ، بعضها أرفع من بعض ، وفى حديث أبى بكرة مرفوعا : (ما مـن ذنب أحـرى أن يعجل الله عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحـم) رواه أحمد ـ

وعنده من حديث ثوبان مرفوعا : (من سره النساء فى الأجل والزيادة فى العمر ، فليصل رحمه) . ا هـ والله أعلم .

(حديث فرض الصَّلوات – والإسراءِ)

أخرجه البخارى – فى باب – كيف فرضت الصلاة فى الإسراءِ ،. جـ ١ ص ٧٨ – ٧٩ .

(١١٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : كَانَ أَبُو ذَرٍّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي ، وَأَنَا بِمَكَّةَ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَفَرَجَ صَدْرِى ، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَأَفْرَغَهُ فِى صَدْرِى ، ثُمَّ أَطْبَقَهُ ،

شرح الحديث من القسطلانى جـ ١ ص ٣٨٢

(يحيى بن بكير) بضم الموحدة (الليث) بن سعد الامام (عن يونس) بن زيد (عن ابن شهاب) الزهرى (عن أنس بن مالك ، قال : كان أبو ذر) رضى الله عنه (يحدث أن رسول الله ﷺ قال : فرج) بضم الفاء وكسر الراء أى فتح (عن سقف بيتى) أضافه لنفسه ، لأن الاضافة تكون بأدنى ملابسة ، والا فهو بيت أم هانىء ، كما ثبت (وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام من الموضع المفروج فى السقف مبالغة فى المفاجأة (ففرج) بفتحات أى شق صدرى ثم غسله بماء زمزم (ثم جاء بطست) بفتح الطاء وسكون السين المهملة ، وهى مؤنثة وتذكر على معنى الاناء من ذهب لمناسبة صفاء قلبه ﷺ وكان ذلك بمكة قبل تحريم آنية الذهب (ممتلىء حكمة وايمانا) أى شيئا تحصل الحكمة والايمان بملامسته فأطلقا عليه ، تسمية للشىء باسم مسببه – أو هو تمثيل لينكشف بالمحسوس ما هو معقول ، كمجىء الموت فى صورة كبش أملح .

والحكمة عبارة عن العلم بالأحكام المشتملة على معرفة الله المصحوبة بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به ، والصد عن اتباع الهوى والباطل – وقيل : هى

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِى ، فَعَرَجَ بِى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ : افْتَحْ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ قَالَ : هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَعِى مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ : أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ ، عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِىِّ الصَّالِحِ ، وَالإِبْنِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ الَّتِى عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِى عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى ،

النبوة ، وقيل : هى الفهم عن الله تعالى (فأفرغه) أى ما فى الطست (فى صدرى ، ثم أطبقه) أى الصدر الشريف فختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء ، فجمع الله له أجزاء النبوة وختمها فهو خاتم النبيين ، وختم عليه ، فلم يجد عدوه اليه سبيلا ، لأن الشىء المختوم عليه محروس ـ وإنما فعل) ذلك ليتقوى على استجلاء الأسماء الحسنى والثبوت فى المقام الأسنى (ثم أخذ بيدى فعرج) صعد (بى الى السماء الدنيا ، فلما جئت الى السماء الدنيا ، قال جبريل لخازن السماء : افتح قال : من هذا) الذى يقرع الباب ؟ (قال : جبريل قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معى محمد ﷺ فقال : أرسل اليه ؟) أى للعروج ، وليس السؤال عن أصل رسالته ، لاشتهارها فى الملكوت (قال جبريل : نعم ، فلما فتح الخازن علونا الى السماء الدنيا ، فاذا رجل قاعد ، على يمينه أسودة ، أى أشخاص (وعلى يساره أسودة ، فاذا نظر قبل يمينه) أى جهة يمينه (ضحك ، واذا نظر قبل) أى جهة (يساره بكى) وللأربعة شماله فقال : مرحبا بالنبى الصالح ، والأبن الصالح) أى أصبت رحبا لا ضيقا ، وهى كلمة تقال عند تأنيس القادم ، ووصفوه بالصلاح ، لأن الصلاح وصف شامل لسائر الخصال المحمودة المدوحة من الصدق وغيره (قلت لجبريل : من هذا قال : هذا آدم وهذه الأسودة التى عن يمينه وشماله نسم بنيه) جمع نسمة ، وهى نفس الروح أى أرواح بنيه ، ولعلها مثلت له فى أشباح (فأهل اليمين منهم أهل الجنة ،

حَتَّى عَرَجَ بى إلى السَّمَاءِ الثَّانِيةِ ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا : افْتَحْ ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُ ، فَفَتَحَ ، قَالَ أَنَسٌ : فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فى السَّمٰوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ ، وَمُوسَى ، وَعِيسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، وَإِبْرَاهِيمَ فى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، قَالَ أَنَسٌ : فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِإِدْرِيسَ ، قَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِح ، وَالأَخ الصَّالِح ، فَقُلْتُ : : مَنْ هٰذَ ؟ قَالَ : هَذَا إِدْرِيسُ ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، وَالْأَخ الصَّالِح ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا مُوسَى ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخ الصَّالِحِ . وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، قُلْتُ :

والأسودة التى عن شماله أهل النار) ـ (فاذا نظر عن يمينه ضحك) مسرورا بأولاده الذين هم أهل الجنة (واذا نظر قبل شماله بكى) حزنا على أولاده (حتى عرج بى الى السماء الثانية ، فقال لخازنها : افتح ، فقال له خازنها مثل ما قال الأول ولم يثبت كيف منازلهم) أى لم يعين أبو ذر لكل نبى سماء (غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا ، وابراهيم فى السادسة) فى حديث أنس عن مالك بن صعصعة عند الشيخين أنه وجد آدم فى السماءالدنيا وفى الثانية يحيى وعيسى وفى الثالثة يوسف وفى الرابعة ادريس وفى الخامسة هارون ، وفى السادسة موسى ، وفى السابعة ابراهيم (فلما مر جبريل بالنبى) أى مصاحبا بالنبى ﷺ (بادريس قال : مرحبا بالنبى الصالح ، والأخ الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا إدريس . ثم مررت بموسى فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح قلت : من هذا؟ قال : هذا موسى ، ثم مررت بعيسى ، فقال : مرحبا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى ،) قال القسطلانى : وليست ـ ثم ـ هنا على بابها فى الترتيب ، لأن الروايات قد اتفقت على أن المرور بعيسى كان قبل المرور بموسى عليه السلام ـ قال : ثم مررت بابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح ، والابن الصالح ، قلت : من هذا) يا جبريل (قال : هذا ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قال ابن شهاب)

مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا عِيسَى ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، والإِبْنِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا إِبْرَاهِيمُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ ابْنُ شِهَاب : فَأَخْبَرَنِى ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَيَّةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولَانِ : قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّىٰ ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ ، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : فَفَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِى خَمْسِينَ صَلَاةً ، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ ، حَتَّى مَرَرْتُ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : مَا فَرَضَ اللهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَاجَعْتُ ، فَوَضَعَ عَنِّي شَطْرَهَا ، فَرَجَعْتُ

محمد بن مسلم الزهرى : (فأخبرنى ابن حزم) بفتح الحاء وسكون الزاى هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، قاضى المدينة ، وأميرها زمن الوليد المتوفى سنة عشرين ومائة ، عن أربع وثمانين سنة (أن ابن عباس وأبا حية) بفتح الحاء وتشديد الياء البدرى (الأنصارى ، كانا يقولان : قال النبى ﷺ : ثم عرج بى) بفتحات على البناء للفاعل ، وبضم الأول وكسر الثانى على البناء للمفعول ، (حتى ظهرت) أى علوت (لمستوى) أى موضع مشرف يستوى عليه ، وهو المصعد ، واللام فيه للعلة ، أى علوت لاستواء مستوى (أسمع فيه صريف الأقلام) أى تصويت الأقلام حالة كتابة الملائكة ما يقضيه الله تعالى مما تنسخه من اللوح المحفوظ ، أو ما شاء الله أن يكتب لما أراد الله تعالى من أمره وتدبيره ، والله غنى عن الاستذكار بتدوين الكتب ، اذ علمه محيط بكل شىء (قال النبى ﷺ : ففرض الله على أمتى خمسين صلاة) أى فى كل يوم وليلة ، كما عند مسلم من حديث ثابت عن أنس ، لكن بلفظ : ففرض الله على ، وذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على أمته ، وبالعكس (فرجعت بذلك ، حتى مررت على موسى ، فقال : ما فرض الله على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ، قال : فارجع الى ربك) أى الى الموضع الذى ناجيته فيه (فان أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعت ، فوضع عنى شطرها) أى جزءا منها وهو خمس

إِلَى مُوسَى ، قُلْتُ : وَضَعَ عَنِّى شَطْرَهَا ، فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ، فَرَاجَعْتُ ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَاجَعْتُهُ ، فَقَالَ : هِيَ خَمْسٌ ، وَهِيَ خَمْسُونَ ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ ، فَقُلْتُ : قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي ، حَتَّى

(فوضع عنى شطرها) قال القسطلانى : وفى رواية مالك بن صعصعة (فوضع عنى عشرا) ـ وفى رواية ثابت : (فحط عنى خمسا) وزاد فيها أن التخفيف كان خمسا خمسا .

قال الحافظ بن حجر : وهى زيادة معتمدة ، يتعين حمل ما فى الروايات عليها قوله : (فقال) جل وعلا : (هى خمس) أى بحسب الفعل (وهى خمسون) أى بحسب الثواب والأجر ، قال تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)

ولأبى ذر عن المستملى ، ونسبها فى الفتح لغير أبى ذر : (هن خمس ، وهن خمسون) واستدل به على عدم فرضية ما زاد على الخمس ، كالوتر .

وفى الحديث جواز النسخ قبل الفعل ، خلافا للمعتزلة ، قال ابن المنير : لكن الكل متفقون على أن النسخ لا يتصور قبل البلاغ .

(لا يبدل القول لدى) أى لا يبدل القضاء المبرم ، لا المعلق ، الذى يمحو الله منه ما يشاء ويثبت فيه ما يشاء .

وأما مراجعته عليه الصلاة والسلام ربه فى ذلك ، فللعلم بأن الأمر الأول ليس على وجه القطع والابرام ، قال عليه الصلاة والسلام : (فرجعت الى موسى ، فقال : ارجع الى ربك فقلت : قد استحييت من ربى) وجه استحيائه انه لو سأل الرفع بعد الخمس لكان كأنه قد سأل رفع الخمس بعينها ـ أى لأن كل مرة يخفف عنه خمسا ، فكيف يسأله التخفيف وقد تكرر التخفيف فى كل مرة بخمس ، ولاسيما وقد قال الله : « لا يبدل القول لدى » .

انْتَهَى بِى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِى مَا هِىَ ؟ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللُّؤْلُؤِ ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ) .

(ثم انطلق بى) بفتح الطاء واللام (حتى انتهى بى الى سدرة المنتهى) ـ وهى فى أعلى السموات وسميت بالمنتهى ، لأن علم الملائكة ينتهى اليها ، ولم يجاوزها أحد الا رسول الله ﷺ أو ينتهى اليها أرواح الشهداء (حبائل اللؤلؤ) أى عقود وقلائد من اللؤلؤ ـ وروى (جنابذ اللؤلؤ) وهى القبة (واذا ترابها المسك) أى تراب الجنة رائحته رائحة المسك .

اهـ والله أعلم .

حديث فرض الصلاة من صحيح مسلم

في باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات ج ٢ ص ٥٣ هامش القسطلاني .

* * *

(١١٥) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ ، فَوْقَ الْحِمَارِ ، وَدُونَ الْبَغْلِ ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ ، قَالَ : فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، قَالَ : فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ ، قَالَ : ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قِيلَ : وَبُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : لَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَرَحَّبَ بِي ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟

(شيبان بن فروخ) فروخ أعجمي لا ينصرف (البناني) بضم الباء منسوب الى بنانة ، قبيلة معروفة . (أتيت بالبراق) هو بضم الباء . قال أهل اللغة : البراق اسم الدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الاسراء ، قال الزبيدي في مختصر العين ، وصاحب التحرير هي دابة كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يركبونها ـ قال النووي : وهذا يحتاج الى نقل صحيح . وسمي براقا لسرعته ، وقيل : لشدة صفائه ، وتلألؤه وبريقه . ا هـ نووي

قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ـ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ : وَقدْ بُعِثَ إليْهِ ؟ قالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَيَحْيَ بْنِ زَكَرِيَّا ، فَرَحَّبَا بِى ، وَدَعُوا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفَتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ ، قَالَ : فَرَحَّبَ بِى ، وَدَعَا لى بِخَيْرٍ ،

(يربطه بهـا الأنبياء) أعاد الضـمير الى الحلقـة مـذكرا على معنى الشيء ، وفى ربط الأنبياء البراق ، الأخذ بالاحتياط وتعاطى الأسباب ، وأن ذلك لا يقدح فى التوكل ، اذا كان الاعتمـاد على الله . (اخترت الفـطرة) أى قيل له : اختر أى الاناءين شئت ؟ فـألهم النبى ﷺ اختيار اللبن وفسروا الفطرة بالاسلام والاستقامة ، واللبن علامـة له ، لكونه سـهلا طيبا سائغا للشاربين سليم العاقبة وأما الخمر فـانها أم الخبائث ، وجـالبة الشرور . اهـ نووى .

(ثم عرج بنا) عرج بفتح العين والراء : صعد . (وقـوله : جبريل) فيه بيان الأدب فيمـن استأذن بدق الباب ، فقيل له : من أنت ؟ فينبغى أن يذكر اسمه ، ولا يقول : أنا ، فقد جـاء الحديث بالنهى عنه ، ولأنه لا فائدة فيه . (قوله : قد بعـث اليه ؟) مـراده :قـد بعـث إليه للاسراء وصعود السماوات . وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فـأن ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة ، هذا هو الصحيح . وفى الحديث اثبات استحباب الاسـتئذان . والله أعلم . اهـ نووى .

(قـوله ﷺ فـاذا أنا بآدم ﷺ ، فـرحب بى ودعا لى بخير) ذكر مثل ذلك فى غيره مـن الأنبياء ـ وفيه استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب ، والكلام الحسـن ، والدعاء لهم ، وان كانوا أفضل من الداعى ، ـ وفيه جواز مدح الانسـان فى وجهـه اذا أمـن عليه الاعجاب وغيره من أسباب الفتنة .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ :وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ،فَفَتَحَ لَنَا ،فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ ، فَرَحَّبَ بِى ، وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ ،قَالَ اللهُ ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) ــ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِالْخَامِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ،قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قَالَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ــ عَلَيْهِ السَّلَامُ ــ فَرَحَّبَ بِى ، وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ، فَرَحَّبَ بِى ، وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ ، سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ ، قَالَ : فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِىَ ، تَغَيَّرَتْ ،

(قوله : فاذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا) عليهما السلام قال الأزهرى : قال ابن السكيت : يقال : هما ابنا عم ، ولا يقال : ابنا خال ، ويقال : هما ابنا خالة ولا يقال : هما ابنا عمة . اهـ من النووى .

(قوله : ظهره الى البيت المعمور) قال القاضى رحمه الله : يستدل به على جواز الاستناد الى القبلة ، وتحويل الظهر اليها .

فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا ، فَأَوْحَى إِلَّى مَا أَوْحَى ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ : مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ ، قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي ، فَقُلْتُ : يَارَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي ، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقُلْتُ : حَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ وَبَيْنَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ حَتَّى قَالَ اللهُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ ، كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، قَالَ : فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ـ عَلَيْهِ

(الى السدرة المنتهى) هكذا وقع فى الأصول : (السدرة) بالألف واللام ـ وفى الروايات بعد هذا (سدرة المنتهى) قال ابن عباس والمفسرون : سميت سدرة المنتهى ، لأن علم الملائكة ينتهى اليها ، ولم يجاوزها أحد الا رسول الله ﷺ ـ وحكى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، انما سميت بذلك لكونها ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ، وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى (واذا ورقها كآذان الفيلة) ورد أنه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها . وقال : واقرأوا : (فى ظل ممدود) (وثمرها) أى النبق منها مثل القلال جمع قلة وهى الجرة العظيمة تسع قربتين أو أكثر . اهـ نووى .

قوله ﷺ : (فرجعت الى ربى) معناه : رجعت الى الموضع الذى ناجيته منه أولا ، فناجيته فيه ثانيا . (وقوله : بين ربى وبين موسى) معناه : بين موضع مناجاة ربى . والله أعلم (فحط عنى خمسا) فى بعض الروايات : (حط عنى شطرها) قال القاضى عياض رحمه الله : المراد بالشطر هنا الجزء ، وهو الخمس ، كما بينته هذه الرواية ، وليس المراد

السَّلَامُ ـ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي ، حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ .

بالشطر النصف لأن حديث الشطر لم يذكر فيه مرات المراجعة ، أى ففيه اختصار . اهـ من النووى ملخصا

(تنبيه) : بقية روايات مسلم ليس فيها الازيادات قليلة فلا داعى لذكرها ، ومن أرادها فليراجعها هناك اهـ .

حديث فرض الصلوات

من سنن النِّسائى ـ من كتاب الصلاة ج ١ ص ٢١٧

ذَكَرَ اختلاف النَّاقلين فى إسناد حديث أَنس رضى الله عنه ثم قال :

***

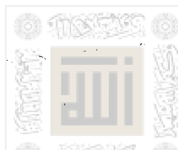
(١١٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْت بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ ، إِذْ أَقْبَلَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فَأُتيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، مَلْآن حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَشَقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ ، فَغَسَلَ الْقَلْبَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ مُلِىءَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ مَرْحَبًا بِهِ ، وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ ، ثُمَّ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيةَ قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، فَمِثْلُ ذَلِكَ ، فَأَتَيْتُ عَلَى يَحْيَ وَعِيسَى ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمَا ، فَقَالَا : مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ ، وَنَبِيٍّ ، ثُمَّ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ،

أحد (الثلاثة بين الرجلين) قد ورد أن النبى ﷺ قال : جاءنى جبريل واسرافيل ، ومعهما ملك آخر ، فهؤلاء هم الثلاثة ، كانوا بصورة رجال ، فأقبل عليه أحدهم . اهـ والله أعلم .

قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، فَمِثْلُ ذَلِكَ ، فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ ، وَنَبِيٍّ ثُمَّ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ، فَمِثْلُ ذَلِكَ ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ ، ثُمَّ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَمِثْلُ ذَلِكَ فَأَتَيْتُ عَلَى هَارُونَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ ، وِمِنْ نَبِيٍّ ، ثُمَّ أَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّادِسَةَ ، فَمِثْلُ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى ، قِيلَ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : يَارَبِّ ، هَذَا الْغُلَامُ الَّذِى بَعَثْتَهُ بَعْدِى يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ وَأَفْضَلُ مِنْ أُمَّتِى ، ثُمَّ أَتَيْتُ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ ، فَمِثْلُ ذَلِكَ ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ ، ثُمَّ رُفِعَ لِى الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، يُصَلِّى فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ فَإِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ رُفِعَتْ لِىَ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ، فَإِذا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا فى أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنهار : نَهْرَان بَاطِنَان ، وَنَهْرَان ظَاهِرَانِ ، أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِى الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ ،

قوله : (فأتيت هارون) أى فى السماء الخامسة ، وهذه الرواية أصح من الرواية الأخرى ، التى تفيد أن هارون فى الرابعة ، وأن أدريس فى الخامسة ، فادريس كان فى الرابعة ، كما فى روايتنا هذه ، وهارون فى الخامسة . والله أعلم .

قوله : (نهران باطنان ونهران ظاهران) نحن نؤمن بما صح فى حديث رسول الله ﷺ ونفوض علم حقيقة ذلك الى الله تعالى ، ولا سيما أقول إن الماء رحمة الله ينزل من السماء ، والجنة محل الرحمة ، وقد قال الله (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه)



ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى ، فقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً ، قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ ، إِنِّي عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لَنْ يُطِيقُوا ذَلِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ، وَاسْأَلْهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكَ ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنِّي ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : جَعَلَهَا أَرْبَعِينَ ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولَى ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ - فَجَعَلَهَا ثَلَاثِينَ ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولَى ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي ، فَجَعَلَهَا عِشْرِينَ ، ثُمَّ عَشَرَةً ، ثُمَّ خَمْسَةً ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولَى : فَقُلْتُ : (إِنِّي

فى الارض) والله أعلم ولعل فى الحديث اشارة الى أن سكان حوضى هذين النهرين يكونون من المسلمين الذين ينتشر بهم الاسلام فى غيرهما من البقاع .والله أعلم .

قوله : (فجعلها أربعين ، ثم ثلاثين . . الخ)

قد تقدم ما قاله القسطلانى والنووى - رحمهما الله تعالى - نقلا عن القاضى عياض بأن الشطر المراد به هنا هو الجزء ، وهو الخمس فى كل مـرة ، وليس المراد به النصـف ، لأن حديث الشطر لم يذكر فيه مرات المراجعة .

وقد ورد فى رواية ثابت عند مسلم : (فحـط عنى خمسـا) وزاد فيهـا أن التخفيف كان خمسا خمسا .

أَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْهِ ، فَنُودِيَ أَنْ قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي ، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي ، وَأَجْزِي بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله - : وهى زيادة معتمدة ، يتعين حمل الروايات كلها عليها اهـ . أى لأن هذه مفصلة وتلك فيها الاجمال ، ويحمل المجمل على المفصل ، قالوا : ولو كان المراد بالشطر النصف ، لكان التخفيف بالشطر الثانى اثنتى عشرة صلاة ونصفا ، ولا يكاد ذلك يتحقق . اهـ والله أعلم .

وأخرج النسائى أيضا حديث فرض الصلوات

ج ١ ص ٢٢١

(١١٧) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَابْنُ حَزْمٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : فَرَضَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى أُمَّتِى خَمْسِينَ صَلَاةً ، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ ، حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ : مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ لِى مُوسَى : فَرَاجِعْ رَبَّكَ - عَزَّ وَجَلَّ - فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَاجَعْتُ رَبِّى ، فَوَضَعَ عَنِّى شَطْرَهَا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَجَعْتُ إِلى رَبِّى - عَزَّ وَجَلَّ - فَقَالَ : (هِىَ خَمْسٌ ، وَهِىَ خَمْسُونَ ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ ، فَقُلْتُ : قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّى - عَزَّ وَجَلَّ) .

(قوله : فوضع عنى شطرها) تقدم أن المراد بالشطر الجزء ، وهو خمس كما فى رواية ثابت : (فحط عنى خمسا) وزاد فيها أن التخفيف كان خمسا خمسا .

قال الحافظ ابن حجر : وهى زيادة معتمدة ، يتعين حمل ما فى الروايات عليها ، كما أن حديث الشطر لم يذكر فيه مرات المراجعة . أهـ من النووى والقسطلانى ، وفى الحديث دليل على شدة رأفة الأنبياء بالمؤمنين ، فقد أشفق موسى عليه السلام على أمة محمد ﷺ وطلب من النبى ﷺ أن يراجع ربه ويسأله التخفيف .

وكان من موسى دون ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ، لأن موسى كليم ، ووظيفته التكلم ، وابراهيم خليل ومرتبته التسليم ، ولذا استسلم للأمر بذبح ولده ، وللالقاء فى النار ، وقد لطف الله به فيهما . والله أعلم .

(١١٨) عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِى مَالِكٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : أُتِيتُ بِدَابَّةٍ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ ، خَطْوُهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهَا ، فَرَكِبْتُ وَمَعِى جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَسِرْتُ ، فَقَالَ : انْزِلْ فَصَلِّ ، فَفَعَلْتُ ، فَقَالَ : أَتَدْرِى أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ ، وَإِلَيْهَا الْمُهَاجَرُ ، ثُمَّ قَالَ : انْزِلْ فَصَلِّ ، فَصَلَّيْتُ ، فَقَالَ : أَتَدْرِى أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ صَلَّيْتَ بِطُورِ سَيْنَاءَ ، حَيْثُ كَلَّمَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ثُمَّ قَالَ : انْزِلْ فَصَلِّ فَنَزَلْتُ فَصَلَّيْتُ ، فَقَالَ : أَتَدْرِى أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ صَلَّيْتَ بِبَيْتِ لَحْم ، حَيْثُ وُلِدَ عِيسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَجُمِعَ لِى الْأَنْبِيَاءُ ـ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ ـ فَقَدَّمَنِى جِبْرِيلُ حَتَّى أَمَمْتُهُمْ ثُمَّ صُعِدَ بِى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ ثُمَّ صُعِدَ بِى إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَإِذَا فِيهَا ابْنَا الْخَالَةِ : عِيسَى وَيَحْيِى ـ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ـ ثُمَّ صُعِدَ بِى إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَإِذَا فِيهَا يُوسُفُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ ثُمَّ صُعِدَ بِى إِلى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَإِذَا فِيهَا هَارُونَ ـ

(قول جبريل : انزل فصل الخ) فيه دليل على أن المؤمن يستحب له العبادة فى الأماكن الفاضلة ، ففى صلاته فى طيبة بلد المهاجر ، بفتح الجيم ، أى مكان الهجرة اشارة الى أنها ستكون مصدرا لنور الايمان ، ومنها ينتشر فى الآفاق ، وكذا صلاته فى طور سيناء وفى بيت لحم ، للاشارة الى أنهما مصدران لنور الايمان ، الذى أتى به موسى وعيسى ـ عليهما وعلى نبينا وجميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام . والله أعلم .

ثُمَّ صُعِدَ بى إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ، فَإِذَا فِيهَا إِدْرِيسُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ثُمَّ صُعِدَ بى إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَإِذَا فِيهَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ثم صُعِدَ بى إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا فِيهَا إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ثُمَّ صُعِدَ بى فَوْقَ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ فَأَتَيْنَا سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، فَغَشِيَتْنِى ضَبَابَةٌ ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا ، فَقِيلَ لِى : إِنِّى يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلَاةً ، فَقُمْ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ ، فَرَجَعْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَلَمْ يَسْأَلْنِى عَنْ شَىْءٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى ، فَقَالَ : كَمْ فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ بِهَا أَنْتَ وَلَا أُمَّتُكَ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّى ، فَخَفَّفَ عَنِّى عَشْرًا ، ثُمَّ أَتَيْتُ مُوسَى ، فَأَمَرَنِى بِالرُّجُوعِ ، فَرَجَعْتُ فَخَفَّفَ عَنِّى عَشْرًا ، ثُمَّ رُدَّتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُ مُوسَى ، قَالَ : فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّهُ فَرَضَ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ صَلَاتَيْنِ ، فَمَا قَامُوا بِهِمَا ،

(قوله : فاذا فيها هارون الخ) الروايات الكثيرة على أنه وجد فى السماء الرابعة ادريس ، وفى الخامسة هارون - عليهما السلام . والله أعلم .

(قوله : فخفف عنى عشرا) هذه الرواية ونظائرها فيها اجمال ، بينته الرواية الصحيحة التى ذكر فيها مرات المراجعة وأنه قد حط عنه خمسا خمسا ، فتدل باقى الروايات عليها كما تقدم .



فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي ، فَسَأَلْتُهُ التَّخْفِيفَ ، فَقَالَ : إِنِّي يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمواتِ وَالْأَرْضَ فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلَاةً ، فَخَمْسٌ بِخَمْسِينَ ، فَقُمْ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا مِنَ اللهِ - تبارَكَ وتعالَى - صِرًّى ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى - عليه السلام - فَقَالَ : : ارْجِعْ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا مِنَ اللهِ صِرًّى فَلَمْ أَرْجِعْ .

(قوله : فعرفت أنها من الله صرى) صرى بكسر الصـــاد المهملة ، وفتح الراء المشـــددة ، آخره ألف مقصورة ، أى عزيمة باقية ، لا تقبل النسخ ، ولا التبديل . اهـ والله أعلم .
انتهت روايات النسائى . والله أعلم .

(ما جاء فى فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها)

من سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٢٠

(١١٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَرَضَ اللهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً ، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ ، حَتَّىٰ آتِيَ مُوسَى ، فَقَالَ مُوسَى : مَاذَا افْتَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَاجَعْتُ رَبِّي ، فَوَضَعَ عَنِّي شَطْرَهَا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَاجَعْتُ رَبِّي ، فَقَالَ : (هِيَ خَمْسٌ ، وَهِيَ خَمْسُونَ ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ، فَقُلْتُ : قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي) .

* * *

(١٢٠) وأخرج ابن ماجه أيضاً : (عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : (قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : افْتَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ، وَعَهِدْتُ عِنِّي عَهْدًا ـ أَنَّهُ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ لِوَقْتِهِنَّ أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ ، فَلَا عَهْدَ لَهُ عِنْدِي) .

اهـ من ج ١ ص ٢٢١ من ابن ماجه

* * *

ومن سنن أبي داود ـ باب ـ المحافظة على وقت الصلوات ج ١ ، ص ١٢٣ .

(١٢١) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : قَالَ اللهُ تَعَالَى : (إِنِّي فَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ، وَعَهِدْتُ عِنْدِي عَهْدًا ـ أَنَّهُ مَنْ جَاءَ يُحَافِظُ عَلَيْهِنَّ ، لِوَقْتِهِنَّ ، أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ فَلَا عَهْدَ لَهُ عِنْدِي) .

* * *

حديث (قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين) .

أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، ـ باب ـ (وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة) ج ٣ ص ١٢ من هامش القسطلانى .

(١٢٢) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ ، فَهِيَ خِدَاجٌ ، ثَلَاثًا ، غَيْرُ تَمَامٍ ، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ ، فَقَالَ : اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ـ

شرح الحديث من شرح النووى على مسلم ج ٣ ص ١٢ هامش القسطلانى .

قال النووى ـ رحمه الله تعالى : أما ألفاظ الباب ـ فالخداج بكسر الخاء المعجمة ـ أى وبالدال ، قال الخليل بن أحمد ، والأصمعى ، وأبو حاتم السجستانى ، والهروى ، وآخرون : الخداج النقصان . يقال : خدجت الناقة ، اذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج ، وان كان تام الخلق ، وأخدجته اذا ولدته ناقصا ، وان كان لتمام الولادة .

قالوا : فقوله ﷺ : خداج ـ أى ذات خداج ـ أى نقصان .

وقال جماعة من أهل اللغة : خدجت وأخدجت ـ اذا ولدت لغير تمام .

وأم القرآن : اسم الفاتحة ، لأنها فاتحته ، كما سميت مكة أم القرى ، لأنها أصلها ، قال

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : حَمِدَنِى عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قَالَ اللهُ : مَجَّدَنِى عَبْدِي ـ وَقَالَ مَرَّةً : فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) ـ قَالَ : (هَذَا لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) .

وأما الأحكام ففيه وجوب قراءة الفاتحة ، وأنها متعينة ، لا يجزىء غيرها الا لعاجز ـ ثم ذكر خلاف الأئمة فى ذلك ، وليس هذا الشرح محلا لذكر هذا الخلاف ، وقوله : (اقرأ بها فى نفسك) استدل النووى على وجوب قراءتها على المأموم بقول أبى هريرة : اقرأ بها فى نفسك ـ أى اقرأها سرا ، بحيث تسمع نفسك .

ثم ذكر أيضا أقوال الأئمة فى ذلك وأدلتهم ، فراجعه ان شئت . والله أعلم .

قوله : فاذا قال العبد : (الحمد لله رب العالمين) فى شرح النووى ـ رحمه الله : قال العلماء : وقوله : حمدنى عبدى ، وأثنى على عبدى ، ومجدنى ـ انما قاله ، لأن التحميد الثناء بجميل الفعال ، والتمجيد الثناء بصفات الجلال .

ويقال : أثنى عليه فى ذلك كله ، ولهذا جاء جوابا ـ للرحمن الرحيم ، لاشتمال اللفظين على الصفات الذاتية .

وقوله : (وربما قال : فوض الى عبدى) ـ قال النووى ـ رحمه الله تعالى : وجه مطابقة هذا القول لقوله : (مالك يوم الدين) ـ أن الله تعالى هو المنفرد بالملك ذلك اليوم ، وبجزاء العباد وحسابهم . . ثم فى هذا الاعتراف ، من التعظيم والتمجيد ، وتفويض الأمر ما لا يخفى . اهـ .

وقوله : (هـذا لعبدى ، ولعبدى مـاسأل) أى هـذا المذكور ، وروى غير مسـلم : هؤلاء لعبدى .

والمراد : هؤلاء الكلمات ، أو هؤلاء الآيات .

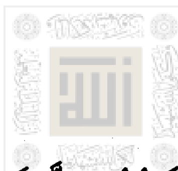
وقوله : (قسمت الصلاة الخ) قال العلماء : المراد بالصلاة هنا الفاتحة ، سـميت بذلك ، لأنها لا تصح الا بها ، كقوله ﷺ : (الحج عرفه) والمراد قسـمتها مـن جهـة المعنى ، لأن نصفها الأول تحميد لله تعـالى ، وتمجيد ، وثناء عليه ، وتفـويض اليه ، والنصـف الثانى سؤال وطلب وتضرع وافتقار . اهـ من شرح النووى .

حديث (قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين) .

من موطإ الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ باب ـ

(القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة) ج ١ ص ٤٣ هامش مصابيح السنة .

(١٢٣) حَدَّثَنى يَحْيَ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ يَعْقُوبَ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا السَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ ، فَهِىَ خِدَاجٌ ، هِىَ خِدَاجٌ ، هِىَ خِدَاجٌ ، غَيْرُ تَمَام ، ـ قَالَ : فَقُلْتُ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، إِنِّى أَحْيَانًا أَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ ، قَالَ : فَغَمَزَ ذِرَاعِى ، ثُمَّ قَالَ : اقْرَأْ بِهَا فى نَفْسِكَ يَا فَارِسِىُّ ، فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : قَالَ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِى بِنِصْفَيْنِ ، فَنِصْفُهَا لِى ، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِى ، وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : اقْرَءُوا ، يَقُولُ الْعَبْدُ : (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ : حَمِدَنى عَبْدِى ، وَيَقُولُ الْعَبْدُ : (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) يَقُولُ اللهُ : أَثْنى عَلَىَّ عَبْدِى ، وَيَقُولُ الْعَبْدُ : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) يَقُولُ اللهُ : مَجَّدَنِى عَبْدِى ، وَيَقُولُ



الْعَبْدُ : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فَهَذِهِ الْآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، يَقُولُ الْعَبْدُ : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) .

***

حديث (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) .

من صحيح الترمذي ـ باب ـ (سورة الفاتحة) من أبواب تفسير القرآن جـ ٢ ص ١٥٧

(١٢٤) عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ـ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ ، فَهِيَ خِدَاجٌ ، وَهِيَ خِدَاجٌ ، غَيْرُ تَمَامٍ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، إِنِّي أَحْيَانًا أَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ ، قَالَ : يَا ابْنَ الْفَارِسِيِّ ، اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ـ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ : فَنِصْفُهَا لِي ، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، يَقْرَأُ الْعَبْدُ : (الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فَيَقُولُ اللّٰهُ : حَمِدَنِي عَبْدِي ، فَيَقُولُ : (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) فَيَقُولُ اللّٰهُ : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، فَيَقُولُ : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) فَيَقُولُ اللّٰهُ : مَجَّدَنِي عَبْدِي . ـ وَهَذَا لِعَبْدِي ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وَآخِرُ السُّورَةِ لِعَبْدِي مَا سَأَلَ ،

يَقُولُ : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) .

(قال أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله تعالى : حديث حسن) .

* * *

حديث (قسمت الصلاة) من سنن أبى داود ـ من باب (من ترك القراءة فى الصلاة) ج ١ ص ٢٢٨ .

(١٢٥) حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا السَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ، فَهِيَ خِدَاجٌ ، فَهِيَ خِدَاجٌ ، غَيْرُ تَمَامٍ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، إِنِّي أَكُونُ أَحْيَانًا وَرَاءَ الإِمَامِ ، قَالَ : فَغَمَزَ ذِرَاعِي ، وَقَالَ : اقْرَأْ بِهَا يَا فَارِسِيُّ فِي نَفْسِكَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : قَالَ اللهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ : فَنِصْفُهَا لِي ، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اقْرَأُوا ، يَقُولُ الْعَبْدُ : (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حَمِدَنِي عَبْدِي ، يَقُولُ : (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، ـ يَقُولُ الْعَبْدُ : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : مَجَّدَنِي عَبْدِي ، يَقُولُ الْعَبْدُ : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) يَقُولُ اللهُ : وَهَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ،

يَقُولُ الْعَبْدُ : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) يَقُولُ اللهُ : فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ) .

***

حديث (قسمت الصلاة) من سنن ابن ماجة - باب - (ثواب القرآن) جـ ٢ ص ٢١٧ .

(١٢٦) حَدَّثَنَا أَبُو مَرْوَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الْعُثْمَانِي ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ابْنُ أَبِي حَازِم ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : قَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي شَطْرَيْنِ : فَنِصْفُهَا لِي ، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِى ، وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : اقْرَأُوا ، يَقُولُ الْعَبْدُ : (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فَيَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ : حَمِدَنِى عَبْدِى ، وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ ، فَيَقُولُ : (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) فَيَقُولُ أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ ، يَقُولُ : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) فَيَقُولُ اللهُ : مَجَّدَنِى عَبْدِى ، فَهَذَا لِي ، - وَهَذِهِ الْآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ ، يَقُولُ الْعَبْدُ : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) يَعْنِى - فَهَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِى ، وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ ، وَآخِرُ السُّورَةِ لِعَبْدِى ، يَقُولُ الْعَبْدُ : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (فَهَذَا لِعَبْدِى ، وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ) .

***

حديث (قسمت الصلاة) من سنن النسائى – من باب – من ترك قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» فى فاتحة الكتاب جـ ٢ ص ١٣٥ – ١٣٦

(١٢٧) عَنِ السَّائِبِ مَوْلَى هِشَام بْنِ زُهْرَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِىَ خِدَاجٌ ، هِىَ خِدَاجٌ ، هِىَ خِدَاجٌ ، غَيْرُ تَمَام ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، إِنِّى أَحْيَانًا أَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ ، فَغَمَزَ ذِرَاعِى ، وَقَالَ : اقْرَأْ بِهَا يَا فَارِسِىُّ فى نَفْسِكَ ، فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : يَقُولُ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِى ، وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ : فَنِصْفُهَا لِى ، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِى ، وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : اقْرَأُوا : يَقُولُ الْعَبْدُ : (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يَقُولُ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – : حَمِدَنِى عَبْدِى ، يَقُولُ الْعَبْدُ : (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم) يَقُولُ اللهُ : أَثْنَى عَلَىَّ عَبْدِى ، يَقُولُ الْعَبْدُ : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ – : مَجَّدَنِى عَبْدِى ، يَقُولُ الْعَبْدُ : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فَهَذِهِ الْآيَةُ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى ، – وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ ، يَقُولُ الْعَبْدُ : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) – فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِى ، وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ) .

* * *

وفى النسائى أيضاً - باب - تأويل قول الله عز وجل .

(ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم) ج ٢ ص ١٣٩ .

(١٢٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : مَا أَنْزَلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فى التَّوْرَاةِ ، وَلَا فى الإِنْجِيلِ ، مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) .

* * *

انتهت روايات حديث : (قسمت الصلاة)

والله أعلم

(قوله : ما أنزل الله عز وجل فى التوراة . . الخ) قال القرطبى فى التفسير من سورة الفاتحة : (روى الترمذى عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الإنجيل مثل أم القرآن ، وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأله) . . ثم قال القرطبى :

والحديث خرجه البخارى عن أبى سعيد بن المعلى : قال : كنت أصلى فى المسجد ، فدعانى رسول الله ﷺ فلم أجبه ، فقلت : يا رسول الله ، انى كنت أصلى ، فقال : ألم يقل الله : (استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ؟) ثم قال : لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد ، ثم أخذ بيدى ، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل : لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن ؟ قال : (الحمد لله رب العالمين) هى السبع المثانى ، والقرآن العظيم الذى أوتيته) . اهـ من القرطبى .

حديث (الملائكة يتعاقبون فيكم)

أخرجه البخاري فى كتاب الصلاة ـ باب (فضل صلاة العصر)

وأخرجه فى كتاب بدء الخلق ـ باب ـ (ذكر الملائكة) ج ٤ ص ١١٣ ـ ولفظه :

(١٢٩) حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الْمَلَائِكَةُ يَتَعَاقَبُونَ : مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِى صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ ـ فَيَقُولُ : كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِى ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ يُصَلُّونَ) .

* * *

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب التوحيد ـ ج ١٠ ص ٤٣١ .

ـ باب ـ (كلام الرب مع جبريل ، ونداء الملائكة) ولفظه :

(١٣٠) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنِى مَالِكٌ ، عَنْ أَبِى الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ : مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ،

وَيَجْتَمِعُونَ فى صَلَاةِ الْعَصْرِ ، وَصَلَاةِ الْفَجْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ، فَيَقُولُ : كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِى ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ ، وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ) .

***

وأخرجه النسائى - من باب (فضل صلاة الجماعة) جـ ١ ص ٢٤٠

(١٣١) بلفظ مثل رواية البخارى الثانية - إلا أنه قال :
(وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ) وَقَدَّمَ صَلَاةَ الْفَجْرِ عَلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ .

***

(١٣٢) وكذا أخرجه الإمام مالك - رحمه الله تعالى - فى الموطإ من (باب جامع الصلاة) بلفظ : (وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ) وقال : (يَجْتَمِعُونَ فى صَلَاةِ الْعَصْرِ ، وَصَلَاةِ الْمَغْرِبِ) .

شرح الحديث ملخصا من القسطلانى فى كتاب الصلاة .

التعاقب : أن تأتى جماعة عقب الأخرى ، ثم تعود الأولى عقب الثانية ، وتنكير ملائكة فى الموضعين ، ليفيد أن الثانية غير الأولى ، كما قيل فى قوله تعالى : (ان مع العسر يسرا) : أنه استئناف ، وعده تعالى بأن اليسر مشفوع بيسر آخر ، لقوله ﷺ : (لن يغلب عسر يسرين) فان العسر معرف فلا يتعدد : سواء كان للعهد أو للجنس ، واليسر منكر ، فيكون الثانى غير الأول .

والمراد بالملائكة الحفظة عند الأكثرين ، - وتعقب بأنه لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد ، ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار .

وقال القسطلانى فى بدء الخلق - فى هؤلاء الملائكة الذين يتعاقبون : (وقال الأكثرون : هم حفظة الكتاب . اهـ أى فيكونون حفظة على الكتبة الذين يكتبون الأعمال .

وقوله : (ثم يعرج الذين باتوا فيكم) ذكر الذين باتوا ، دون الذين ظلوا فيكم ، اما للاكتفاء ، بذكر أحد المثلين عن الآخر ، نحو (سرابيل تقيكم الحر) أى والبرد ، واما لأن طرف النهار يعلم من طرف الليل ، واما لأنه استعمل بات بمعنى - أقام - مجازا ، فلا يختص ذلك بليل دون نهار .

ويؤيد هذا ما رواه النسائى عن موسى بن عقبة ، عن أبى الزناد : ـ (ثم يعرج الذين كانوا فيكم) .

بل فى حديث الأعمش عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عند أبى خزيمة مرفوعا ما يغنى عن كثير من الاحتمالات ـ ولفظه :

(يجتمع ملائكة الليل ـ وملائكة النهار ، فى صلاة الفجر ، وصلاة العصر ، فيجتمعون فى صلاة الفجر ، فتصعد ملائكة الليل ، وتثبت ملائكة النهار ، ويجتمعون فى صلاة العصر ، فتصعد ملائكة النهار ، وتثبت ملائكة الليل ، فيسألهم ربهم ، وهو أعلم بهم) .

والسؤال لاظهار فضل بنى آدم للملائكة ، لأنهم يجيبون بالثناء عليهم ، فيكون ذلك شهادة من الملائكة لبنى آدم ، وذلك شرف لهم . اهـ .

نسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يجعلنا من الذين تشهد لهم الملائكة بالخير والصلاح ، ويجعلنا من الذين آمنوا الذين تستغفر لهم الملائكة ، ويقولون فى حقهم : (ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) .

(فَضْلُ صَلَاةِ الضُّحَى)

أخرجه الإمام الترمذى ـ باب ـ (صلاة الضحى) ج ١ ص ٩٥ .

(١٣٣) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَأَبِي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ : ابْنَ آدَمَ ، ارْكَعْ لِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ـ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ . أَكْفِكَ آخِرَهُ) .

قال الترمذى ـ رحمه الله تعالى : حديث حسن صحيح .

* * *

وأخرجه أبو داود فى سننه ـ من باب صلاة الضحى ـ ج ١ ص ٣٥٧ فقال :

(١٣٤) حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رَشِيدٍ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ مَكْحُولٍ ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ نَعِيم بْنِ هَمَّازٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ ، لَا تُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَع رَكَعَات فى أَوَّلِ نَهَارِكَ ، أَكْفِكَ آخِرَهُ) .

قوله : (لا تعجزنى من أربع ركعات) أى لا تترك أربع ركعات أول النهار ، عجزا منك عن عبادتى ، فلا تفوتك صلاة الركعات الأربع أول النهار ، أكفك شر آخره .

قال فى القاموس : أعجزه الشىء : فاته . اهـ أى لا تفوت على نفسك ثواب هذه الركعات الأربع . اهـ

والحديثان يستفاد منهما استحباب صلاة الضحى ، وهى سنة مؤكدة ، وأقلها عند الشافعية ركعتان ، وأفضلها ثمان ، ويجوز أن تصلى ثنتى عشرة ركعة ، وفعلها ثمانيا أفضل .

ويدخل وقتها بارتفاع الشمس الى الزوال ، وصلاتها اذا مضى ربع النهار أفضل ، ليكون فى كل ربع من أرباع النهار صلاة . والله أعلم .

وقوله : (أكفك آخره) أى يكفيه الله تعالى شر آخر النهار : الحسية كالآفات ، أو الشرور المعنوية كحفظه من شرور المعاصى . والله أعلم .

حديث (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة هو صلاته) .

أخرجه النسائى فى سننه ـ (باب المحاسبة على الصلاة) ج ١ ص ٢٣٢ ـ فقال :

(١٣٥) عَنْ هَمَّام ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ ، قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِى جَلِيسًا صَالِحًا ، فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : فَقُلْتُ : إِنِّى دَعَوْتُ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنْ يُيَسِّرَ لِى جَلِيسًا صَالِحًا ، فَحَدِّثْنِى بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِى بِهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ ؛ إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ، قَالَ هَمَّامٌ : لَا أَدْرِى هَذَا مِنْ كَلَامِ قَتَادَةَ ، أَوْ مِنَ الرِّوَايَةِ ؟ فَانِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَىْءٌ ، قَالَ : انْظُرُوا ، هَلْ لِعَبْدِى مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ فَيُكَمِّلُ مَا نَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ) .

* * *

(١٣٦) وأخرجه عن أبي هريرةَ أيضاً ، أَنَّ النَّبِىَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ ، فَإِنْ وُجِدَتْ تَامَّةً ، كُتِبَتْ تَامَّةً ، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَىْءٌ قَالَ : انْظُرُوا

هَلْ تَجِدُونَ لَهُ مِنْ تَطَوُّع ؟ يُكَمِّلُ لَهُ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ تَطَوُّعِهِ ، ثُمَّ سَائِرُ الأَعْمَالِ تَجْرِى عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ) .

* * *

(١٣٧) وأخرجه أيضا عَنْ أَبى هريرة ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلاَتُهُ فَإِنْ كَانَ أَكْمَلَهَا ، وَإِلَّا قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِى مِن تَطَوُّع ، فَإِنْ وُجِدَ لَهُ تَطَوُّعٌ ، قَالَ : أَكْمِلُوا بِهِ الْفَرِيضَةَ) .

* * *

وأخرجه ابن ماجة فى سننه ، من باب (ما جاء فى أول ما يحاسب به العبد الصلاة) .

(١٣٨) عَنْ تَمِيم الدَّارِىِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلاَتُهُ ، فَإِنْ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ نَافِلَة ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْمَلَهَا ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِمَلَائِكَتِهِ : انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِى مِنْ تَطَوُّع ؟ فَأَكْمِلُوا بِهَا مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَتِهِ ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ) .

* * *

وأخرجه أبو داود فى سننه بروايتين : الأولى عن أبى هريرة ، والثانية ؛ عن تميم الدارى ، كلتاهما من باب (كل صلاة لم يتمها صاحبها تتم من تطوعه) .

أما رواية أبي هريرة فقال فيها :

(١٣٩) حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ حَكِيمِ الضَّبِّيِّ - خَافَ مِنْ زِيَادٍ - أَوِ ابْنِ زِيَادٍ - فَأَتَى الْمَدِينَةَ ، فَلَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ ، قَالَ : فَنَسَبَنِي ، فَانْتَسَبْتُ لَهُ ، فَقَالَ : يَا فَتَى ، أَلَا أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا ؟ قُلْتُ : بَلَى ، رَحِمَكَ اللهُ ، قَالَ يُونُسُ : أَحْسِبُهُ ذَكَرَهُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الصَّلَاةُ ، قَالَ : يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ - لِمَلَائِكَتِهِ - وَهُوَ أَعْلَمُ - : انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي : أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا ؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً ، كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً ، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا ، قَالَ : انْظُرُوا ، هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ ، قَالَ : أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ) .

* * *

وقال في رواية تميم الداري :

(١٤٠) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَبِي أَوْفَى ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِهَذَا الْمَعْنَى - وَزَادَ فِيهِ : (ثُمَّ الزَّكَاةُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ) .

الكلام على شرح الحديث الأول

قوله ﷺ : (ان أول ما يحاسب به العبد بصلاته) قوله : بصلاته بدل من الجار والمجرور - وهو - به - فكأنه قال : ان أول ما يحاسب العبد بصلاته . فأول الأعمال التى يحاسب العبد عليها ، ويدقق عليه فيها هو صلاته .

والظاهر : أن المراد الأعمال الظاهرية التى هى أركان الاسلام ، لأن الايمان هو أول ما يحاسب عليه العبد ، فيحاسب أولا على الايمان ، وهو عمل قلبى ، فاذا خلص للعبد الايمانُ الذى يتبعه النطق بالشهادتين ، ينتقل به الى الحساب على بقية أركان الاسلام فيبدأ بالحساب على الصلاة ، لأنها عماد الدين ، فمن اقامها فقد اقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، ولأنها تتكرر فى أيام العمر كلها ، خمس مرات ، كل يوم وليلة ، بخلاف بقية اركان الاسلام ، فالزكاة قد لا تجب على كثير من الناس ، وهم الفقراء ، والصيام فى كل سنة شهر واحد ، والحج فى العمر مرة واحدة ، ولا يجب الا على المستطيع .

والمقصود من الحديث بيان فضل الله تعالى ، حيث أنه يكمل انتقاص الفريضة بالتطوع منها ، فيقول لملائكته ــ وهو أعلم منهم : انظروا الى عبدى هل له من تطوع ؟ فان كان له تطوع فهو يكمل ما انتقص من صلاته : سواء كان النقص منها نقصا فى اداء فرضها ، أم نقصا فى كمالها خشوعا ومبادرة بفعلها وكونها جماعة أو نحو ذلك ، ثم يؤخذ حسابه على بقية الأعمال من الزكاة والصوم والحج على حسب ذلك ، أى اذا كان الفرض فيها كاملا فذاك ، وإلاكمل له نقص الفريضة منه بالتطوع .

والحديث يفيد وجوب المحافظة على الفرائض ، حيث لا تفريط ، فى الحساب عنها ، كما أنه يفيد استحباب كثرة التطوع فى الصلاة والزكاة والصوم والحج ليكون التطوع جابرا للفريضة والله أعلم .

حديث (أتانى ربى فى أحسن صورة)

أخرجه الترمذى فى جامعه - باب - (سورة ص) جـ ٢ ص ٢١٤ - ٢١٥.

(١٤١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : : أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ - قَالَ : أَحْسِبُهُ - فِي الْمَنَامِ ، قَالَ : كَذَا فِي الْحَدِيثِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ ، أَوْ قَالَ : فِي نَحْرِي فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فِي الْكَفَّارَاتِ ، وَالْكَفَّارَاتُ : الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ ، وَالْمَشْيُ عَلَى الأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ ، كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلِ : اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ ، الْمَسَاكِينِ ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ ، قَالَ : وَلِلْدَرَجَاتِ إِفْشَاءُ السَّلَامِ ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ) .



قال أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله تعالى :

وقد ذكروا بين أبي قلابة ، وبين ابن عباس فى هذا الحديث رجلا .

ـ وأبو قلابة من رجال السند ، وهو الذى قبل ابن عباس رضى الله عنهما .

* * *

(١٤٢) وفى رواية أخرى ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : أَتَانِي رَبِّي فى أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى ؟ قُلْتُ : رَبِّي لَا أَدْرِى ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ ، فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ ، فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، قَالَ : يَامُحَمَّدُ ، فَقُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى ؟ قُلْتُ : فى الدَّرَجَاتِ ، وَالْكَفَّارَاتِ ، وفى نَقْلِ الأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فى الْمَكْرُوهَاتِ ، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) .

قال أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله ـ : حديث حَسَنٌ غريب .

(ملحوظة) : حديث ابن عباس الثانى فى سنده أبو قلابة ، عن خالد بن اللجلاج ، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما .

وخالد بن اللجلاج هو الذى قال عنه الترمذى فى الحديث الأول : إنه لم يذكر ، فقد عرف بذلك .

* * *

وأخرجه الترمذى - رحمه الله تعالى - من رواية أخرى عن معاذ ابن جبل رضى الله عنه .

* * *

(١٤٣) فَقَالَ : احْتَبَسَ عَنَّا رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، حَتَّى كِدْنَا نَتَرَايَا عَيْنَ الشَّمْسِ ، فَخَرَجَ سَرِيعًا ، فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَجَوَّزَ فى صَلَاتِهِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ ، قَالَ لَنَا : عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ ، ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا إِنِّى سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِى عَنْكُمُ الْغَدَاةَ ، إِنِّى قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ ، وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِى ، فَنَعَسْتُ فى صَلَاتِى حَتَّى اسْتَثْقَلْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّى - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فى أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّ ، قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِى ، قَالَهَا ثَلَاثًا ، قَالَ : فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ، فَتَجَلَّى لِى كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّ ، قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : فى الْكَفَّارَاتِ ، قَالَ : مَا هُنَّ ؟ قَالَ : مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْحَسَنَاتِ ، وَالْجُلُوسُ فى الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ حِينَ الْكَرِيهَاتِ ، قَالَ : فِيمَ ؟ قُلْتُ : إِطْعَامُ الطَّعَامِ ،

(شرح حديث أتانى ربى فى أحسن صورة)

أقول : ان أول ما يجب على المؤمن أن يعتقد تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه ، قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقال تعالى : (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

وَلِينِ الْكَلَام ، وَالصَّلَاةِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، قَالَ : سَلْ ، قُلْتُ : اللَّهُمَّ ، أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخيْرَاتِ ، وَتركَ الْمُنْكرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَأَنْ تغفِرَ لِي ، وَترْحَمَنِي ، وَإِذا أَرَدْت فِتْنَةَ قوْم فتوَفَّنِي غيْرَ مَفْتُون ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهَا حَقٌّ ، فَادْرُسُوهَا ، ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا) .

قال أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله تعالى : حديث حسن صحيح .

واعتقاد غير ذلك مخل بالايمان ، واتفق أئمة المسلمين قاطبة على أن ما ورد من الكتاب والسنة مما ظاهره يوهم تشبيه الله تعالى ببعض خلقه ، يجب الايمان بأن ظاهره غير مراد ، ولا يصح وصف الله تعالى بما يفيده هذا الظاهر من حيث عمومه .

بل يسمون مثل هذا بالمتشابه ، ولعلماء الأمة فيه مذهبان : مذهب السلف ومذهب الخلف فمذهب السلف يعتقدون أن ظاهره غير مراد ، ويفوضون علمه إلى الله مع إيمانهم بأن الله تعالى منزه عن مشابهة خلقه ، ولا يعينون معنىً خاصا ، لهذا التشابه ، بل عقيدتهم هى التفويض الكلى فى علمه إلى الله تعالى ، أخذا بقول الله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله) ثم يبدأون فى القراءة بقوله تعالى : (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب) .

ومذهب الخلف مع اعتقادهم تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه ـ يؤولون اللفظ المتشابه بمعنى ليس من المستحيل اطلاقه على الله تعالى ، ـ مثلا يؤولون الصورة هنا المذكورة فى قول النبى ﷺ : (أتانى ربى فى أحسن صورة) ـ وفى قوله : (فاذا أنا بربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة) فيقولون : الصورة مراد بها صفات الجلال والكمال التى تليق به تعالى ، وهى التى تجلى بها ربه له ﷺ .

كما أنهم يقولون : ان وضع الكف بين كتفيه ﷺ هو كناية عما أفاض ربه على قلبه ﷺ من العلوم والمعارف ، لأن القلب يحاذى ذلك المكان من البدن . بدليل قوله ﷺ : (حتى وجدت برد ذلك بين ثديى) والمقصود من ذلك امتلاء قلبه ﷺ بالعلوم التى تطمئن قلبه ، فان اليقين يثلج الصدر ، ويطمئن القلب كما قال الخليل ﷺ : (ولكن ليطمئن قلبى) .

والذى يقوى ذلك أيضا قوله ﷺ بعد ذلك : (فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض) وفى رواية : (فعلمت ما بين المشرق والمغرب) - وفى رواية : (فتجلى لى كل شيء وعرفت) وكانت نتيجة امتلاء قلبه ﷺ بالعلوم والمعارف أن أجاب عن سؤال ربه تعالى (فى أى يختصم الملأ الأعلى ؟) والله أعلم .

والملأ الأعلى الملائكة الكرام سكان السموات وما فوقهن من الكرسى والعرش ، والحافين بالعرش . واختصامهم فى ذلك يحتمل وجهين : أحدهما أنهم يتخاصمون فى التسابق إلى كتابة ثواب هذه الأمور - أو يتخاصمون فى معرفة كنه ثوابها ، فبعضهم يزيد عن الآخر فى تقديره له

الوجه الثانى - يحتمل أنهم يتمنون أن يكونوا من أهل الأرض ، حتى يتمكنوا من التسابق فى هذه الأعمال ، لما أنهم على يقين من جزيل ثوابها ، وحسن عاقبتها .

ثم ان فى بعض هذه الروايات اجمالا ، يفسره بعض ما ورد فى الروايات الأخرى . فالمفهوم من جملة الروايات الثلاث أن الملأ الأعلى يختصمون فى شيئين : فى الكفارات وفى الدرجات أى فى الأعمال التى تكون سببا لتكفير الذنوب والخطايا ، وفى الأعمال التى تكون سببا فى رفع الدرجات ثم بين الكفارات بأنها مشى الأقدام إلى الحسنات من صلاة جماعة أو حضور علم أو زيارة مريض أو غيرها والجلوس فى المساجد لانتظار الصلوات ، واسباغ الوضوء على المكاره .

ورفع الدرجات يكون بإطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة بالليل والناس نيام . والله أعلم .

والمراد بإسباغ الوضوء على المكاره هو الوضوء فى البرد وغيره ومثله جميع أنواع الطهارات والله أعلم .

حديث (قول الله تعالى : انظروا إلى عبادى قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أُخرى) .

أَخرجه ابن مَاجة فى سننه ـ باب ـ (لزوم المساجد وانتظار الصلاة) ج ١ ص ١٣٨ .

***

(١٤٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو أَى ابن العاص ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الْمَغْرِبَ ، فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ ، وَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مُسْرِعًا ، قَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ ، وَقَدْ حَسَرَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : أَبْشِرُوا ، هَذَا رَبُّكُمْ ، قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ ، يُبَاهِى بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ ، يَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عِبَادِى قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى) .

(شرح حديث قول الله تعالى : انظروا إلى عبادى .. الخ)

معانى الألفاظ اللغوية نقلا عن مختار الصحاح .

قوله : (وعقب من عقب) عقب بتشديد القاف ـ قفل ـ من التعقيب ، فى المختار : (التعقيب فى الصلاة : الجلوس بعد أن يقضيها لدعاء أو مسألة ، وفى الحديث : (من عقب فى صلاة ، فهو فى الصلاة) . أهـ مختار

قوله : (قد حفزه النفس) فى المختار حفزه دفعه من خلفه ، ورأيته محتفزا ، مستوفزا . أهـ والنفس ، بفتح الفاء بمعنى التنفس ، أى ان اسراعه أخرج منه النفس كثيرا كأنه يدفعه .

قوله : (وقد حسر عن ركبتيه) أى أنه من اسراعه امسك بطرف ثوبه ، فانكشفت ركبتاه .

قوله : (قد فتح بابا من أبواب السماء) أى من أبواب رحمته ، ومنها مباهاته بالمؤمنين الملائكة الكرام ، وان انتظار الصلاة الثانية بعد قضاء الأولى من أبواب الخير والرحمة .
وفى الحديث بيان فضل المكث فى المساجد لانتظار الصلاة المستقبلة ، فالمساجد خير البقاع وفى المكث فيها انقطاع إلى الله فى بيوته ، ويشترط أن يلتزم بحرمة المساجد ، فلا يلهو ولا يتكلم بلغو . والله أعلم .

١٥ ـ (ما جاء فى الانفـاق وفضـله)

حديث : (أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ)

أَخرجه البخارى فى كتاب النفقات ، وفضل النفقة جـ ٧ ص ٧٢ .

(١٤٥) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَالِكٌ ، عَنِ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : قَالَ اللهُ : أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ ، أُنْفِقْ عَلَيْكَ) .

* * *

وأَخرجه البخارى فى كتاب التفسير ، من سورة هود ـ باب ـ قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء) بلفظ أَطول مما هنا ـ جـ ٧ قسطلانى ص ١٦٩ .

(١٤٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ ، وَقَالَ : يَدُ اللهِ مَلْأَى ، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِى يَدِهِ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ) .

* * *

وأَخرجه البخارى أَيضاً فى كتاب التوحيد ـ باب ـ (وكان عرشه على الماء) إلا أنه لم يذكر فيه : (أَنفق أُنفِق عليك) جـ ١٠ قسطلانى ص ٣٧٢ ولفظه :

(١٤٧) حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى ، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِى يَمِينِهِ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْفَيْضُ ، أَوِ الْقَبْضُ ، يَرْفَعُ ، وَيَخْفِضُ) .

ولا يُعَدُّ هذا الحديث بهذه الرواية حديثاً قدسياً ، وذكرته إتماماً للفائدة وأخرج هذا الحديث الإمام مسلم فى صحيحه - باب - (الحث على النفقة ، وتبشير المنفق بالخلف) من كتاب الزكاة - ج ٤ ص ٣٥٩ وما بعدها - هامش القسطلانى ولفظه بعد السند :

(١٤٨) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : يَا ابْنَ آدَمَ ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ ، وَقَالَ : يَمِينُ اللهِ مَلْأَى سَحَّاءُ ، لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) .

شرح الحديث من شرح القسطلانى جـ ٨ ص ٢٢٠

(حدثنا اسماعيل) ابن أبى أويس (قال : حدثنى مالك) الامام (عن أبى الزناد) عبد الله بن ذكوان (عن الأعرج) عبد الرحمن بن هرمز (عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله - ﷺ - قال : قال الله) تعالى (أنفق) بفتح الهمزة ، وكسر الفاء ، وسكون القاف ، أمر من الانفاق (يا ابن آدم ، أنفق عليك) - بضم الهمزة والجزم ، فى جواب الأمر - وقوله : (أنفق أنفق عليك) قال فى شرح المشكاة : هو من باب المشاكلة ، لأن إنفاق الله تعالى لا ينقص من خزائنه شيئا - كما قال : (يد الله ملأى ، لا يغيضها نفقة) .
واليه يشير قوله تعالى : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) ، فخزائن الله لا تنفد أبدا .
وقوله : (يد الله ملأى) كناية عن خزائنه التى لا تنفد بالعطاء (لا يغيضها أى لا ينقصها نفقة ، سحاء الليل والنهار) الليل والنهار منصوبان على الظرفية ، (وسحاء) أى دائمة

وفى رواية أخرى لمسلم ، قال :

(١٤٩) حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَذَكَرَ أَحَادِيثَ ، مِنْهَا :

وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى – قَالَ لِى : أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : يَمِينُ اللهِ مَلْأَى ، لَا يَغِيضُهَا شَىْءٌ ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِى يَمِينِهِ ، قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ) .

الصب والهطل بالعطاء ، ووصفها بالامتلاء لكثرة عطائها ، فجعلها كالعين التى لا ينقصها كثرة الاستقاء منها .

(وقال : أرأيتم) أى أخبرونى – وفيه حملهم على الاقرار بما بعده (ما أنفق أى الذى أنفقه (منذ خلق السماء والأرض ، فانه لم يغض) بفتح الياء وكسر الغين ، وبالضاد المعجمتين ، أى لم ينقص (ما فى يده – وكان عرشه على الماء وبيده الميزان) كناية عن العدل بين الخلق (يخفض ويرفع) أى يخفض من يشاء ويرفع من يشاء ، ويوسع الرزق على من يشاء ويقتره على من يشاء . أهـ قسطلانى .

ومن شرح الامام النووى على مسلم رحمهما الله تعالى

(يمين الله ملأى ، سحا ، لا يغضيها شىء الليل والنهار) ضبطوا – سحا – بالتنوين وسحاء – بالمد وصفا على فعلاء . والسح : الصب الدائم (ولا يغيضها) أى لا ينقصها .

قال المازرى : وهذا مما يجب تأويله . لأنها تتضمن اثبات الشمال ، فيقتضى ذلك التحديد والتجسيم ، ويتقدس الله عن ذلك – وانما خاطبهم الله تعالى بما هو شائع فى الاعطاء وأراد أنه لا ينقصه الانفاق خشية الاملاق ، وعبر عن توالى النعم بسح العين ، لأن الباذل منا يفعل ذلك بيمينه – (ومعنى قوله : بيده الأخرى القبض) أنه وان كانت قدرته واحدة ، فانه يفعل بها المختلفات ، ولما كانت اليدان مظهر ذلك التصرف فينا ، عبر عن القدرة بتصرف اليدين على سبيل المجاز . نووى أهـ والله أعلم .

حديث (لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ)

أَخرجه الترمذى – رحمه الله تعالى – فى أَواخر جامعه – ج ٢ ص ٢٤١ – ٢٤٢ .

(١٥٠) فقَالَ : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ ، فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ ، فَعَجِبَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ ، قَالُوا : يَارَبِّ ، هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْجِبَالِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، الْحَدِيدُ ، قَالُوا : يَارَبِّ ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، النَّارُ ، فَقَالُوا : يَارَبِّ ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، الْمَاءُ ، قَالُوا : يَارَبِّ ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، الرِّيحُ ، قَالُوا : يَارَبِّ ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، ابْنُ آدَمَ ، تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ يَمِينِهِ ، يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ) .

قال أَبو عيسى الترمذى – رحمه الله تعالى ، إِسناد حسن غريب .

* * *

حديث دار الهجرة أَخرجه الترمذى – فى باب فضل المدينة أَواخر الكتاب ج ٢ ص ٣٢٧ .

(١٥١) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ : أَىَّ هؤُلَاءِ – الثَّلَاثَةِ نَزَلْتَ ،

فَهِىَ دَارُ هِجْرَتِكَ : الْمَدِينَةِ ، أَوِ الْبَحْرَيْنِ ، أَوْ قِنَّسْرِينَ) .

قال الترمذى : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث الفضل ابن موسى . ا هـ . أى وهو أحد رجال السند .

* * *

(حديث التغليظ فى الحَيْف والرشوة)

أخرجه ابن ماجة فى سننه – ج ٢ ص ٢٦

(١٥٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : مَا مِنْ حَاكِمٍ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَلَكٌ آخِذٌ بِقَفَاهُ ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، إِلَى السَّمَاءِ ، فَإِنْ قَالَ : أَلْقِهِ ، أَلْقَاهُ فى مَهْوَاةٍ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا) .

* * *

حديث النهى عن الإمساك والتبذير عند الموت .

أخرجه النسائى :

(١٥٣) عَنْ بُسْرِ بن جَحَّاشٍ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : بَزَقَ النَّبِىُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فى كَفِّهِ ، ثُمَّ وَضَعَ أُصْبُعَهُ السَّبَّابَةَ ، وَقَالَ : يَقُولُ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – : أَنَّى يُعْجِزُنى ابنُ آدَمَ ، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ ، فَإِذَا بَلَغَتْ نَفْسُكَ هَذِهِ ، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ ، قُلْتَ : أَتَصَدَّقُ ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ) .

* * *

حديث الوصية بالثلث ـ أخرجه النسائى فى باب الوصية .

(١٥٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا ابْنَ آدَمَ ، اثْنَتَانِ لَمْ تَكُنْ لَكَ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا : جَعَلْتُ لَكَ نَصِيبًا مِنْ مَالِكَ ، حِينَ أَخَذْتُ بِكَظَمِكَ[1] لِأُطَهِّرَكَ بِهِ وَأُزَكِّيَكَ ، وَصَلَاةَ عِبَادِي عَلَيْكَ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِكَ) .

---

(١) الكظم بالفتح : الحلق أو الدم ، أو مخرج النفس : أهـ قاموس .

١٦ ـ (ما جــاء فى الصــيام وفضــله)

حديث : (الصيام لى ، وأنا أجزى به)

من صحيح البخارى ـ فى كتاب الصوم

جـ ٣ ص ٢٤ باب (فضل الصوم)

(١٥٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنِ أَبِى الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَلَا يَرْفُثْ ، وَلَا يَجْهَلْ ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ ، أَوْ شَاتَمَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّى صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَم الصَّائِمِ ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِى ، الصِّيَامُ لِى ، وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا) .

***

وأخرجه البخارى فى كتاب اللباس ـ باب ما يذكر فى المسك ـ جـ ٧ ص ١٦٤ .

(١٥٦) حَدَّثَنِى عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّد ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِى ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّب ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ ، إِلَّا الصَّوْمَ ، فَإِنَّهُ لِى ، وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، وَلَخُلُوفُ فَم الصَّائِمِ ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) .

***

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب التوحيد ـ ج ٩ ص ١٤٣ .

(١٥٧) حَدَّثَنَا أَبو نُعَيْم ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَش ، عَنْ أَبِى صَالِح ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الصَّوْمُ لِى ، وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِى ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَلِلصَّائِم فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ ، وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ ، وَلَخُلُوفُ فَم الصَّائِم أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيح الْمِسْكِ) .

***

وأخرجه الإمام مالك ـ رحمه الله فى الموطأ ـ باب جامع للصيام ـ ص ١٢٤ .

(١٥٨) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَخُلوفَ فَم الصَّائِم أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) .

***

(١٥٩) وفى رواية : (يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِى ، فَالصِّيَامُ لِى ، وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، كُلُّ حَسَنَة بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ ، إِلَّا الصَّوْمَ ، فَهُوَ لِى ، وَأَنَا أَجْزِى بِهِ) .

***

وأخرجه مسلم فى صحيحه ـ من كتاب الصيام ـ (باب فضل الصيام) ج ٥ ص ١٣٢ وما بعدها هامش القسطلانى .

(١٦٠) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ : كُلُّ عَمَلِ

ابْنِ آدَمَ لَهُ ، إِلَّا الصِّيَامَ ، هُوَ لِي ، وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَخُلْفَةُ فَمِ الصَّائِمِ ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) .

***

(١٦١) وفى رواية لمسلم أيضاً ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : قَالَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ ، إِلَّا الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّى صَائِمٌ ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) .

***

(١٦٢) وفى رواية : (قَالَ : إِذَا لَقِيَ اللهَ فَجَزَاهُ فَرِحَ) .

***

وأخرجه الترمذى – باب – (فضل الصوم) ج ١ ص ١٤٧ .

(١٦٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ : كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، وَالصَّوْمُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ ، وَلَخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ،

وَإِنْ جَهِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ جَاهِلٌ وَهُوَ صَائِمٌ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ) .

قال الترمذي : حديث حسن غريب .

* * *

(١٦٤) وأخرج الترمذي أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ - : أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا) .

(وقال الترمذي - رحمه الله تعالى : حديث حسن غريب) .

* * *

وأخرجه ابن ماجة - (باب فضل الصيام) ج ١ ص ٢٥٨ .

(١٦٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ : الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، إِلَى مَا شَاءَ اللهُ ، يَقُولُ اللهُ : إِلَّا الصَّوْمَ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) .

* * *

(١٦٦) ورواه ابن ماجة مختصرا ، دون ذكر قوله : (يَدَعُ شهوته وَطَعَامَهُ الخ - باب فضل العمل ج ٢ ص ٢٢٣) .

* * *

وأخرجه النسائي بروايات متعددة ـ باب (فضل الصيام) ج ٤ ص ١٥٩ وما بعدها .

الأولى :

(١٦٧) عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِنَّ اللهَ تبَارَكَ وَتَعَالَى ، يَقُولُ : الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : حِينَ يُفْطِرُ ، وَحِينَ يَلْقَى رَبَّهُ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) .

***

والثانية :

(١٦٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : إِنَّ اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يَقُولُ : الصَّوْمُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَجَزَاهُ فَرِحَ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) .

***

والثالثة :

(١٦٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ ، إِلَّا الصِّيَامَ ، هُوَ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ،

فَلْيَقُلْ : إنِّى امْرُؤٌ صَائِمٌ ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) .

***

وبقيت روايات للنسائى ، قريبة جدا مما ذكرنا هنا ، فلا حاجة لذكرها وليراجعها من أرادها .

شرح أحاديث : (الصيام لى)

أولا ــ أحاديث البخارى ــ رحمه الله :

قوله : (الصيام جنة) بضم الجيم ، وتشديد النون ، أى وقاية وستر ــ أى من المعاصى ، لأنه يكسر الشهوة ويضعفها ، وقيل : ستـرة مـن النار ، وقـد ورد ذلك فى بعض الروايات للترمذى ، فقد ورد فيه :

(الصوم جنة من النار) فالنار محفوفة بالشهوات ، وكذا عند سعيد بن منصور ولأحمد من حديث أبى عبيدة بن الجراح : (الصيام جنة ما لم يخـرقها) وزاد الدارمـى : (مـالم يخرقها بالغيبة) .

قال القسطلانى : وفيه تلازم الأمرين ، لأنه إذا كف نفسـه عن المعـاصى فى الدنيا ، كان سترا له من النار فى الآخرة .

(وقوله : فلا يرفث ولا يجهل) لا يرفث بالمثلثة ، وبتثبيت الفاء ، أى لا يفحش الصائم فى الكلام ، ولا يجهل ، أى لا يفعل فعل الجهال ، كالصياح والسخرية ، أو يسفه على أحد .

وعند سعيد بن منصور : (فـلا يرفـث ولا يجـادل) وذلك ممنوع على الاطـلاق ، أى فى الصوم وفى غيره ، لكنه يتأكد بالصوم أكثر من غيره ، لأنه متعبد لله بصـومه ، فـلا يليق به عصيان وقوله : (وان امرؤ قاتله أو شاتمه) قال عياض : قاتله ، أى دافعه ، ونازعه .

ولسعيد بن منصور من طريق سهيل : (فان سـابه أحـد ، أو مـاراه) يعنى جـادله ، والمعنى : ان تهيأ له أحد لمقاتلته أو مشاتمته ، فليست المفاعلة على بابها . وقوله : (فليقـل انى صائم مرتين) أى يقول ذلك بلسانه ، كما رجحـه النووى فى الأذكار ، أو بقلبه ، كمـا جزم به المتولى ، ونقله الرافعى عن الأئمة . (إنى صائم صائم مرتين) فانه إذا قـال ذلك ، أمكن أن يكف عنه ، والا دفعه بالأخف فالأخف .

قال فى المصابيح : والظاهر أن هذا القول علة لتأكيد المنع ، فكأنه يقول لخصمه : انى صائم ، تحذيرا وتهديدا بالوعيد الموجه إلى من انتهك حرمة الصائم ، وتذرع إلى تنقيص أجره بإيقاعه فى المشاتمة ، ــ أو ينكر نفسه شديد المنع المعلل بالصوم وظاهر كون الصوم جنة أن يقى صاحبه من أن يؤذى ، كما يقيه أن يؤذى . (والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم الخ) الخلوف بضم المعجمة واللام على الصحيح المشهور ، وضبطه بعضهم بفتح الخاء ، وخطأه الخطابى ، وقال فى المجموع : انه لا يجوز . ــ والخلوف : تغير رائحة فم الصائم لخلاء معدته من الطعام . (أطيب عند الله من ريح المسك) وفى لفظ لمسلم والنسائى : (أطيب عند الله يوم القيامة) وقد وقع خلاف بين ابن الصلاح ، وابن عبد السلام فى أن رائحة الخلوف ــ هل هو فى الدنيا أو فى الآخرة ؟ فذهب ابن عبد السلام إلى أنه فى الآخرة ، واستدل برواية مسلم والنسائى .

وروى أبو الشيخ باسناد فيه ضعف عن أنس مرفوعا : (يخرج الصائمون من قبورهم يعرفون بريح افواههم ، أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك) . وذهب ابن الصلاح إلى أن ذلك فى الدنيا ، واستدل بحديث جابر مرفوعا : (وأما الثانية فان خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك) واستشكل هذا من جهة أن الله تعالى منزه عن صفات الحوادث : من الشم ونحوه ، وأجيب بأنه مجاز واستعارة ، فاستعير لتقريبه من الله تعالى .

وقيل : انه يجزيه بذلك فى الآخرة حتى تكون نكهته أطيب من ريح المسك ، أو أن صاحب الخلوف ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك عندنا .
ثم قال القسطلانى : فان قلت : لم كان خلوف الصائم أطيب من ريح المسك ، ودم الشهيد ريحه ريح المسك ، مع ما فيه من المخاطرة بالنفس ؟

أجيب بأنه انما كان أثر الصوم أطيب من أثر الجهاد ، لأن الصوم أحد أركان الاسلام المشار اليها بقوله ﷺ : (بنى الاسلام على خمس) ــ وبأن الجهاد فرض كفاية ، والصوم فرض عين ، وفرض العين أفضل من فرض الكفاية كما نص عليه الشافعى ــ رحمه الله تعالى ــ .

وروى الامام أحمد رحمه الله فى المسند : (أنه ﷺ قال : دينار تنفقه على أهلك ، ودينار تنفقه فى سبيل الله ، أفضلهما الذى تنفقه على أهلك) .
وجه الدليل : أن النفقة على الأهل التى هى فرض عين أفضل من النفقة فى سبيل الله وهو الجهاد الذى هو فرض كفاية .

ولا يعارض هذا ما رواه أبو داود الطيالسي من حديث أبي قتادة ، قال : (خطب النبي ﷺ فذكر الجهاد ، وفضله على سائر الأعمال ، الا المكتوبة) فانه يحتمل أن يكون ذلك قبل وجوب الصوم وفرضيته ، وقد قال عليه الصلاة والسلام للرجل الذي سأله عن أفضل الأعمال : (عليك بالصوم ، فانه لا مثل له) .

وقوله : (يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي) أي يقول الله تبارك وتعالى ذلك ، كما ورد في معظم الروايات . وعطف شهوته على ما قبله اما من عطف العام على الخاص ، أو يراد بها شهوة الجماع خاصة .

(الصيام لي) ـ أي ليس للصائم فيه حظ ، من رياء وغيره ، أو أنه خالص لي ، لأنه لم يتعبد به لأحد غيري ، أو هو سر بيني وبين عبدي يفعله خالصا لوجهي . (وأنا أجزي به) أي أجزي صاحبه به ، وقد علم أن الكريم إذا تولى الاعطاء بنفسه ، كان في ذلك اشارة إلى تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه ففيه مضاعفة الجزاء من غير عدد ولا حساب .

(والحسنة بعشر أمثالها) زاد في بعض الروايات : (إلى سبعمائة ضعف) واتفقوا على أن المراد بالصائم هنا من سلم صيامه من المعاصي .

فلذلك قال : للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وتلك الفرحة لروحه الحيواني ـ وفرحة عند لقاء ربه ، وتلك الفرحة لنفسه الناطقة الربانية ، فأورثه الصوم لقاء ربه ، وهو المشاهدة . أهـ من القسطلاني .

وقال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح مسلم :

(في الحديث نهي للصائم عن الرفث ، وهو السخف وفاحش الكلام ، يقال : رفث بفتح الفاء يرفث بضمها وكسرها ، ـ ورفث بكسر الفاء يرفث بفتحها ـ رفثا بسكون الفاء في المصدر ـ ورفثا بفتحها في الاسم ، ـ ويقال : أرفث رباعي حكاه القاضي ، والجهل قريب من الرفث ، وهو خلاف الحكمة ، وخلاف الصواب من القول والفعل .

وقوله : (فان امرؤ شاتمه) أي شتمه متعرضا للمشاتمة ، ومعنى ـ قاتله ـ نازعه ودافعه . (فليقل : إني صائم ، اني صائم) هكذا هو مرتين ، أي بلسانه جهرا ، ليسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالبا ، وقيل : لا يقوله بلسانه بل يحدث به نفسه ، ليمنعها من مشاتمته ومقاتلته ، ومن مقابلته بالمثل ، ويصون صومه عن المكدرات ، ـ ولو جمع بين الأمرين كان حسنا .

واعلم أن نهي الصائم عن الرفث والجهل والمخاصمة والمشاتمة ، ليس مختصا به ، بل كل أحد منهي عن ذلك أيضا ، ولكن يتأكد ذلك النهي في حق الصائم .

وقوله : (كل عمل ابن آدم له ، الا الصيام ، هو لي ، وأنا أجزي به) قال النووي رحمه الله : اختلف العلماء في معناه مع كون جميع الطاعات لله تعالى :

فقيل : سبب اضافته إلى الله تعالى ، أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به ، فلم يعظم الكفار في عصر من العصور معبودا لهم بالصيام ، وان كانوا يعظمونه بصورة السجود والصدقة

والذكر وغير ذلك .

وقيل : لأن الصوم بعيد من الرياء لخفائه ، بخلاف الصلاة والحج والغزو والصدقة ، وغيرها من العبادات الظاهرة .

وقيل : لأنه ليس للصائم ولا لنفسه فيه حظ ، بخلاف غيره من العبادات .

وقيل : لأن الاستغناء عن الطعام والشراب من صفات الله تعالى ، فتقرب الصائم بما يتعلق بهذه الصفة ، وان كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء .

وقيل : معنى (الصوم لى) أنا المنفرد بعلم مقدار ثوابه ، أو تضعيف حسناته ، وغيره من العبادات أظهر سبحانه وتعالى بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها .

وقيل : أضيف إلى الله اضافة تشريف ، كقوله : (ناقة الله) مع أن العالم كله لله تعالى وفى هذا الحديث بيان عظم الصوم والحث عليه ، والترغيب وفى الصبر عليه .

وقوله : (وأنا أجزى به) بيان لعظم فضله ، وجزيل ثوابه ، لأن الكريم اذا أخبر أنه هو الذى يتولى بنفسه الجزاء ، اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء .

وقوله : (لخلفة فم الصائم الخ) ـ وفى رواية : لخلوف فم الصائم) وهو بضم الخاء فيهما : تغير رائحة الفم ، هذا هو الصواب فيه بضم الخاء ، وهو المعروف فى كتب اللغة وأهل الشرق يقولون : بالضم والفتح ـ والصواب الضم ، يقال : خلف فوه بفتح اللام ، يخلف بضم اللام .

وأما معنى الحديث ـ فقال المازرى : هذا مجاز واستعارة ، لأن استطابة الروائح من صفات الحيوان الذى له طبائع ، تميل إلى شيء فتستطيبه ، وتنفر من شيء فتستقذره ، والله تعالى متقدس عن ذلك ، لكن جرت عادتنا بتقريب الروائح الطيبة منا ، فاستعير ذلك فى الصوم ، لتقريبه من الله تعالى ، قال القاضى : وقيل : يجازيه الله تعالى به فى الآخرة ، فتكون نكهته أطيب من ريح المسك ، كما أن دم الشهيد يكون ريحه ريح المسك .

وقيل : يحصل لصاحبه من الثواب ، أكثر مما يحصل لصاحب المسك فى مجالس الخير ، وقيل : رائحته عند ملائكة الله تعالى أطيب من رائحة المسك .

ثم قال النووى ـ رحمه الله تعالى : والأصح أن الخلوف أكثر ثوابا من المسك ، حيث ندب اليه فى الجمع والأعياد ، ومجالس الحديث والذكر ، وسائر مجامع الخير .

وقوله : (فلا يرفث ولا يسخب) هكذا هو هنا بالسين وبالصاد ، وهو الصياح ، وهو بمعنى الرواية الأخرى : (ولا يجهل) .

ورواه الطبرى : (ولا يسخر) بالراء ، ومعناه صحيح ، لأن السخرية تكون بالقول والفعل ، وكله من الجهل .

قال النووى رحمه الله تعالى : قلت : وهذه الرواية تصحيف ، وان كان لها معنى صحيح .

وقوله (وللصائم فرحتان) . قال النووى ـ رحمه الله تعالى : قال العلماء : أما فرحته

عند لقاء ربه ، فسببها ما يراه من جزائه ، وتذكر نعمة الله عليه ، بتوفيقه لذلك .

وأما فرحته عند فطره ، فسببها تمام عبادته ، وسلامتها من المفسدات وما يرجوه من ثوابها العظيم .

أقول : ويضم إلى ذلك فرحة لنفسه الحيوانية بتمتعها بما تشتهى بعد المنع منها ، وذلك يكون عند افطاره . والله أعلم .

١٧ ـ (ما جاء فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لأمته يوم عرفة ، وخطبة يوم النحـر)

حديث : (دعاء النبيِّ صلى الله عليه وسلم لأُمته عشية عرفة بالمغفرة) .

أَخرجه ابن ماجهْ ـ رحمه الله ـ باب (الدعاءُ بعرفة) ج ٢ ص ١٢٣

(١٧٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيِّ ، أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ دَعَا لِأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، فَأُجِيبَ : إِنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلَا الظَّالِمَ ، فَإِنِّى آخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ ، قَالَ : أَىْ رَبِّ ، إِنْ شِئْتَ أَعْطَيْتَ الْمَظْلُومَ مِنَ الجَنَّةِ ، وَغَفَرْتَ لِلظَّالِمِ ، فَلَمْ يُجِبْ عَشِيَّةً ، فَلَمَّا أَصْبَحَ بِالْمُزْدَلِفَةِ ، أَعَادَ الدُّعَاءَ فَأُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ ، قَالَ : فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَوْ قَالَ : تَبَسَّمَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ : بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى ، إِنَّ هذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فِيهَا ، فَمَا الَّذِى أَضْحَكَكَ ؟ ـ أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ ـ قَالَ : إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَدِ اسْتَجَابَ دُعَائِى وَغَفَرَ لِأُمَّتِى ، أَخَذَ التُّرَابَ ، فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ ، فَأَضْحَكَنِى مَا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ) .

* * *

(١٧١) وأَخرج النسائِىُّ حديثاً فى يوم عرفة : (عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : مَا مِنْ يَوْم

أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَعْتِقَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِيهِ عَبْدًا أَوْ أَمَةً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ، يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ ، وَيَقُولُ : مَا أَرَادَ هؤُلَاءِ ؟) .

***

حديث الخطبة يوم النحر ، أخرجه أيضاً ابن ماجة (باب الخطبة يوم النحر) ج ٢ ص ١٢٩ .

(١٧٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْمُخَضْرَمَةِ بِعَرَفَات ـ فَقَالَ : أَتَدْرُونَ أَىُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ وَأَىُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ وَأَىُّ بَلَد هَذَا ؟ قَالُوا هَذَا بَلَدٌ حَرَامٌ ، وَشَهْرٌ حَرَامٌ ، وَيَوْمٌ حَرَامٌ ، قَالَ : أَلَا وَإِنَّ أَمْوَالَكُمْ ـ وَدِمَاءَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِى بَلَدِكُمْ هَذَا ، فِى يَوْمِكُمْ هَذَا ، أَلَا وَإِنِّى فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَأُكَاثِرُ بِكُمْ الْأُمَمَ ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِى ، أَلَا وَإِنِّى مُسْتَنْقِذٌ أُنَاسًا ، وَمُسْتَنْقَذٌ مِنِّى أُنَاسٌ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُصَيْحَابِى ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَاتَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ) . .

شرح الأحاديث الثلاثة

الحديث الأول : (دعا النبى ﷺ لأمته : أمة الاجابة الذين صدقوا برسالته ﷺ أن يغفر الله لهم ذنوبهم ـ وذلك فى عشية عرفة أى فى آخر يوم عرفة من العصر فصاعدا . فأجابه الله تعالى فى دعائه قائلا له : (انى قد غفرت لهم ، ما عدا الظالم منهم لعباد الله تعالى) فلا بد أن يأخذ الله منه للمظلوم ، لأن القصاص محتم وواجب ، والله هو الحكم العدل فقال النبى ﷺ : يارب ، ان شئت أعطيت المظلوم جزاءه من الجنة فضلا منك ورحمة ، وغفرت للظالم احسانا منك اليه ومنه ، فانك غفور رحيم ، وذو الفضل العظيم ، هذا ما كان منه فى عرفة .

فلما أصبح من المزدلفة فى آخر الليل، أعاد الدعاء والرجاء، فأجابه الله تعالى فيما سأل من المغفرة للجميع، وحقق له رجاءه فى المغفرة للظالم وتعويض المظلوم من الجنة فلذلك ضحك النبى ﷺ - أو تبسم تبسما واضحا قريبا من الضحك، فالمراد من ضحكه ﷺ هو تبسمه، لأن من وصفه ﷺ أنه كان ضحكه التبسم، فقال له الشيخان : أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما : ان هذه لساعة ماكنت تضحك فيها (وهى ساعة من آخر الليل) لأنها ساعة تضرع ودعاء، فما الذى أضحكك؟ (أضحك الله سنك) جملة دعائية منهما له ﷺ بأن يديم الله عليه السرور الموجب للضحك قال : ان عدو الله ابليس - عليه اللعنة - لما علم أن الله عز وجل قد استجاب لدعائى وغفر لأمتى أخذ التراب، فجعل يحثوه على رأسه، حزنا منه وغما على الفضل العظيم الذى فاته وحصل لأمة محمد ﷺ. ويدعو بالويل والثبور أى الهلاك ينادى الويل والهلاك اللذين نزلا به، قال النبى ﷺ. فأضحكنى ما رأيت من جزعه. وحزنه على فوات الخير له، وحصوله لأمة محمد ﷺ

الحديث الثانى

(ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عز وجل فيه عبدا أو أمة من النار من يوم عرفة)

المعنى : أن الله تعالى فى يوم عرفة يعتق من النار ذكورا وأناثا كثيرين، لا يساوى هذا اليوم أى يوم كان فى السنة كلها فى عتق الرقاب من النار، فهو أكثر الأيام عتقا للخلق من النار وذلك لفضله على سائر الأيام، وعظيم تجلى الله فيه على عباده، فيصب عليهم من رحمته صبا (وانه ليدنو يباهى بهم ملائكته) أى يقرب برحمته منهم ويباهى بهم الملائكة، ويقول : (ما أراد هؤلاء؟) ليس المقصود الاستفهام بل المقصود مدح عباده الذين تركوا الأهل والأوطان وأتوا إلى مكة شعثا غبرا يؤدون فريضة الحج ويدعون الله تعالى أن يغفر لهم ويتقبل منهم توبتهم، وقد قصدوه راجين رحمته، خائفين من عذابه، فهو الكريم الرحيم يغفر لهم ويرحمهم.

الحديث الثالث

(قال النبى ﷺ وهو على ناقته المخضرمة - وهى القصواء - بعرفات وهو يخطب الناس فى ذلك اليوم : (أتدرون أى يوم هذا؟ وأى شهر هذا؟ وأى بلد هذا؟) المقصود من السؤال - تقريرهم بحرمة اليوم والشهر والبلد، ليؤكد لهم حرمة أموالهم ودمائهم، فهى

كحرمة اليوم فى هذا الشهر فى هذا البلد ـ ثم قال لهم : انى فرطكم على الحوض ، أى أتقدم أمامكم لأهيىء لكم الحوض فتشربوا منه ، وأكاثر بكم الأمم فرحا بكم فلا تسودوا وجهى بذنوبكم حتى تردوا عن الحوض ، فانى سأستنقذ أناسا بشفاعتى ، ويؤخذ منى أناس لا أشفع فيهم لكثرة ما أحدثوا بعدى . واذا كان كذلك فاتبعوا سبيلى ولا ترجعوا بعدى كفارا مرتدين على أعقابكم (واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أهـ والله أعلم .

حديث فضل الجهاد فى سبيل الله تعالى من صحيح البخارى أخرجه البخارى فى : باب الجهاد من الإيمان ج ١ ص١٦ .

(١٧٣) حَدَّثَنَا حَرَمِىُّ بْنُ حَفْصٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ ، حَدَّثَنَا عُمَارَةُ ، حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَن النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : انْتَدَبَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فى سَبِيلِهِ ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِى وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِى ، أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ ، أَوْ غَنِيمَةٍ ، أَوْ أُدخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّة ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّى أُقْتَلُ فى سَبِيلِ اللهِ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ) .

***

وأخرجه البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتاب الجهاد والسير من باب (أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله تعالى) .

ج ٥ ص٣٥ ـ ٣٦ شرح القسطلانى فقال :

(١٧٤) حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ ، عَنِ الزُّهْرِى ، قَالَ أَخْبَرَنِى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فى سَبِيل اللهِ ـ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِى سَبِيلِهِ ـ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ،

وَتَوَكَّلَ اللهُ لِلْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) .

***

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب الجهاد والسِّيَر - من باب - (قول النبي صلى الله عليه وسلم : (أُحلَّت لكم الغنائم) ج ٤ ص ٨٥ - ٨٦ .

(١٧٥) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنِى مَالِكٌ ، عَنْ أَبِى الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِى سَبِيلِهِ ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِى سَبِيلِهِ ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَةَ ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِى خَرَجَ مِنْهُ ، مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) .

شرح الحديث من القسطلانى

(حرمى بن حفص) حرمى بفتح الحاء والراء - هو العتكى ، بفتح التاء والعين ، نسبة إلى العتيك بن الأسد (وعبد الواحد) هو ابن زياد العبدى نسبة إلى عبد القيس البصرى (وعمارة) بضم العين المهملة ابن القعقاع بن شبرمة الكوفى . (وأبو زرعة) اسمه هرم - أو عبد الرحمن أو عبد الله بن عمرو بن جرير البجلى ، بفتح الباء والجيم ، نسبة إلى بجيلة بنت صعب . اهـ .

(انتدب الله) بنون ساكنة ، وتاء فوقية مفتوحة ، ودال مهملة ، ومعناه : تكفل الله ، كما رواه المؤلف فى أواخر الجهاد ، أو سارع بثوابه وحسن جزائه . وأصله من ندبت فلانا إلى كذا ، فانتدب ، أى - أجاب اليه . - وفى القاموس : ندبه إلى الأمر دعاه وحثه . اهـ (لا يخرجه إلا ايمان بى الخ) المقصود من ذلك أن يكون مخلصا لله تعالى فى خروجه ، فليس له باعث على الخروج إلا الايمان بوعد الله ، والامتثال لأمر الله ، (أن أرجعه) بفتح الهمزة من رجع - وأن - مصدريه ، والأصل بأن أرجعه ، أى يرجعه إلى بلده (بما نال من أجر) أى بالذى أصابه - من النيل ، وهو العطاء - أى بأجر فقط ان لم يغنموا (أو أجر

مع غنيمة) ان غنموا ، أو أن ـ أو ـ بمعنى الواو ـ كما رواه أبو داود : (بأجر وغنيمة) بالواو بدل ـ أو وعبر بالماضى فى قوله : (بما نال) لتحقيق وعده تعالى (أو أن أدخله

الجنة) عند دخوله المقربين بلا حساب ولا مؤاخذة بذنوب ، اذ تكفرها الشهادة ، أو عند موته ، لقوله تعالى : (أحياء عند ربهم يرزقون) .

(ولولا أن أشق على أمتى) أى لولا المشقة على أمتى (ما قعدت خلف) بالنصب على الظرفية ـ أى بعد (سرية) بل كنت أخرج معها بنفسى ، لعظم أجرها والمعنى : امتنع عدم القعود خلف سرية ـ أى امتنع القيام والذهاب والخروج خلف سرية لوجود المشقة ـ وسبب المشقة صعوبة تخلف الصحابة بعده ﷺ ولا قدرة لهم جميعا على المسير معه ، لضيق حالهم . وقال ذلك ﷺ شفقة منه على أمته ، جزاه الله عنا أفضل الجزاء .

(ولوددت) عطفا على ما قعدت ، واللام للتأكيد ، أو جواب قسم محذوف ، أى والله لوددت ، أى أحببت . هكذا قال القسطلانى رحمه الله .

(وأقول) : ولعل الأولى أن تكون الواو للاستئناف ، لا للعطف . لأن مودته ذلك ثابتة ، ويود ذلك دائما دون تعليق على خوف مشقته على أمته ﷺ .

(أن أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل) بضم الهمزة فى كل من أقتل وأحيا ، وهى خمسة ألفاظ ـ وفى رواية الأصيلى (أنى أقتل) بدل ـ أن أقتل) ـ ولأبى ذر : (فأقتل ، ثم أحيا ، فأقتل ثم أحيا ، فأقتل) كذا فى اليونينية وختم بقوله : (ثم أقتل) ، لأن المراد الشهادة ، فختم الحال عليها ـ والأحياء للجزاء أمر معلوم ، فلا حاجة إلى ودادته ، لأنه ضرورى الوقوع ـ وثم للتراخى فى الرتبة أحسن من حملها على تراخى الزمان ، لأن المتمنى حصول مرتبة بعد مرتبة إلى الانتهاء إلى الفردوس الأعلى ، والله أعلم . أهـ .

وأخرج النسائى حديث فضل الجهاد ج ١ ص ١٦ .

(١٧٦) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : انْتَدَبَ اللهُ لِمَنْ يَخْرُجُ فِى سَبِيلِهِ ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْإِيمَانُ بِى ، وَالْجِهَادُ فِى سَبِيلِى ، أَنَّهُ ضَامِنٌ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، بِأَيِّهِمَا كَانَ : إِمَّا بِقَتْلٍ أَوْ وَفَاة ، أَوْ أَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِى خَرَجَ مِنْهُ ، نَالَ مَا نَالَ : مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) .

***

(١٧٧) وفى رواية عَنْهُ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : (تَكَفَّلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِمَنْ جَاهَدَ فِى سَبِيلِهِ ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِى سَبِيله ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِى خَرَجَ مِنْهُ ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْر أَوْ غَنِيمَة) .

***

(وفى رواية أخرى له - فى ثواب السَّرِيَّةِ التى تخفق) .

(١٧٨) عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِىِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - فِيمَا يَحْكِيه عَنْ رَبِّه : (ضَمِنْتُ لَهُ أَنْ أَرْجِعَهُ إِنْ أَرْجَعْتُهُ ، بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ، وَإِنْ قَبَضْتُهُ غَفَرْتُ لَهُ ، وَرَحِمْتُهُ) .

الشرح : (لا يخرجه إلا الايمان بى الخ) أى ليس له باعث على الخروج إلا الايمان بوعد الله تعالى ، والامتثال لأمر الله ، وتصديق لرسل الله فيما بلغوه عن الله بوعده الشهداء الجنة ، **ولا يخرجه إلا قصد اعلاء كلمة الله ، ليخلص خروجه للجهاد فى سبيله ، وقوله :** (انه ضامن) أى أن الله تعالى قال : أنا ضامن للمجاهد جزاءه ، ومؤتيه اياه وعدا صدقا ، ثم بين هذا الوعد فقال : (حتى أدخله الجنة بأيهما كان) أى لا أزال ضامنا له الجزاء حتى أدخله الجنة بأى الحالتين حصلت له : بقتل أو وفاة فى سفر الجهاد بغير قتل ،

أو أرده إلى مسكنه الذى خرج منه ، ومعه خير كثير أصابه وناله وحصله ، ثم فصل ما ناله ، فقال : (من أجر أو غنيمة) أى اما ان يرجع بأجر عظيم ، لا يقادر قدره ، أو يرجع بغنيمة ، ان أصاب غنيمة ، وظاهر الحديث أنه إذا رجع بغنيمة لم يحصل له أجر ، مع أن المجاهد مخلصا يثبت له الأجر قطعا : سواء رجع بغنيمة أم لم يرجع .

وقد أجيب عن ذلك بواحد من أمرين :

أحدهما ـ أن أو ـ مانعة الخلو ، وهى لا تمنع الجمع بين معطوفها ، فيكون المعنى اما أن يرجع بأجر فقط ، ان لم تحصل له غنيمة ، أو يرجع بأجر ومعه غنيمة ان تحققت له الغنيمة ، فالأجر حاصل له حتما فى الحالين .

الجواب الثانى ـ ان الأجر الذى يناله المجاهد اذا لم يغنم ، هو الأجر الكامل الذى أعده الله تعالى للمجاهدين ، ـ وأما الغانمون فانه ينقص أجرهم عن الغزاة الذين لم يغنموا

وقد استدلوا على ذلك بحديث مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : (ما من غازية تغزو فى سبيل الله ، فيصيبون الغنيمة ، إلا تعجلوا ثلثى أجرهم ، ويبقى لهم الثلث ، فإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم) ـ قالوا : فهذا صريح ببقاء بعض الأجر مع حصول الغنيمة ، فتكون الغنيمة فى مقابلة جزء من الأجر أهـ من القسطلانى ـ ثم قال رحمه الله : وفى التعبير بثلثى الأجر حكمة لطيفة ، وذلك أن الله تعالى أعد للمجاهد ثلاث كرامات : اثنتان دنيويتان ، وواحدة أخروية ـ فالدنيويتان السلامة والغنيمة ، والأخروية ـ دخول الجنة مع الشهداء ان مات بقتل أو بغيره ، فإذا رجع سالما غانما فقد حصل له ثلثا ما أعده الله تعالى للمجاهدين ، وبقى له عند الله الثلث ، وان رجع بغير غنيمة ، عوضه الله تعالى عن ذلك ثوابا كاملا فى مقابلة ما فاته .

وليس المراد ظاهر الحديث أنه إذا غنم لا يحصل له أجر . أهـ ما قاله القسطلانى . ثم قال : ان بعضهم جعل ـ أو ـ بمعنى الواو ، أى أجر وغنيمة ، لأن الأجر ثابت له قطعا ، واستدل لذلك ببعض روايات مسلم : (بأجر وغنيمة) بالواو ، فحمل ـ أو ـ على معنى الواو لذلك .

واعترض على ذلك بأن هذا وان سلم من الاشكال الأول ، الا أنه يشكل عليه أن أو ـ لو كانت بمعنى الواو كرواية مسلم ، يلزم على ذلك أن كل مجاهد لا يرجع دون غنيمة ـ وذلك يتخلف كثيرا مع أن وعد الله حق ، لا خلف فيه ، فالصواب أن تحمل الرواية التى وردت بالواو ، على الرواية التى وردت (بأو) .

ويجاب عنها بأحد الجوابين السابقين : أى اما أن تكون ـ أو ـ لمنع الخلو ، فتجوز الجمع بين الأجر والغنيمة ـ واما أن يراد بالأجر وبتنكيره الأجر الكامل ، الذى أعده الله للمجاهدين ، فان لم يغنم أخذه كاملا ، وان غنم نقص ذلك الأجر ، لسروره بالغنيمة التى غنمها . والله أعلم .

وقوله : (ولولا أن أشق على أمتى) أى لولا المشقة تكون موجودة لأمتى بخـروجي الى الجهاد مع كل سرية (وهى القطعة من الجيش) ما قعـدت بعـد خـروج السرية ، بل كنت أخرج معها بنفسي ، لعظم أجرها ، وعظم أجر الخروج معها ، فلم يخرج ﷺ مع كل سرية ، شفقة منه على أمته ، حيث لا يمكنهم الخروج ، وحيث يشق عليهم القعود بعد خروج رسول الله ﷺ .

وقد ورد ذلك صريحا فى رواية مسلم ، ففيها : (لولا أن يشق على المسـلمين مـا قعـدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى) .

(ولو وددت أنى أقتل فى سبيل الله . . . الخ) هى خمسة ألفاظ مختومة بقوله : (ثم أقتل) والمعنى : أن النبى ﷺ يتمنى أن يتكرر له القتل فى سبيل الله ثلاث مـرات ، ليكون له فى كل مرة ثواب الشهادة حاصلا . وفى ذلك دليل على فضل الشهادة ـ وأنه يستحب لكل أحـد أن يطلب القتل فى سبيل الله تعالى لنيل الشهادة والله أعلم .

(فضل الجهاد فى سبيل الله من صحيح الإمام مسلم)

(١٧٩) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِى سَبِيله ، لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِه إِلَّا جِهَادٌ فِى سَبِيلِهِ ،وَتَصْدِيقٌ بِكَلِمَتِهِ ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْر وَغَنِيمَة) .

ومن صحيح مسلم أيضاً :

***

(١٨٠) وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِى سَبِيلِهِ ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِى سَبِيلى ، وَإِيمَانًا بِى ، وَتَصْدِيقاً بِرُسُلِى ، فَهُوَ عَلَىَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِى خَرَجَ مِنْهُ ، نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى ، إِلَّا جَاء يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِمَ ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى

قوله : (لا يخرجه الا جهادا الخ) الرواية بالنصب ـ لجهادا ـ وهى مفعول له أى لا يخرجه مخرج لشىء من الأشياء ، الا لجهاد فى سبيلى .

ومعنى (تضمن) تكفل ، كما فى الرواية الأخرى . اهـ نووى

وقوله : (ما من كلم يكلم الخ) الكلم : الجرح ، ويكلم : يجرح ، والمعنى : ليس هناك جرح يجرح به صاحبه فى الجهاد فى سبيل الله ، الا جاء هذا الجرح بمجىء صاحبه يوم القيامة مثل هيئته يوم جرح ، وبينه بقوله (لونه لون الدم) ولكن ريحه ريح مسك اكراما له يوم القيامة . والله أعلم

الْمُسْلِمِينَ ، مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُوا أَبَدًا ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً ، فَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَأُقْتَلَ ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ) .

(حديث قول النبي صلى الله عليه وسلم في أهل بدر :) .

اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم

أخرجه البخارى من ـ باب ـ (غزوة الفتح) جـ ٥ ص ١٤٥ .

وهو من حديث غزوة الفتح ، وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي صلى الله عليه وسلم لهم لفتح مكة . وفيه :

(١٨١) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : يَاحَاطِبُ ، مَاهَذَا ؟ قَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقاً ، فِي قُرَيْشٍ ـ يَقُولُ : كُنْتُ حَلِيفًا ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا ـ وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَّ الْمُهَاجِرِينَ ، مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ ، يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا ، يَحْمُونَ قَرَابَتِي ،

شرح الحديث :

أولا ـ ذكر الحديث من البخارى ـ باب غزوة الفتح ـ وما بعث به حاطب بن أبى بلتعة ، الى أهل مكة يخبرهم بغزو النبى صلى الله عليه وسلم اياهم ـ ومعه بعض زيادات من شرح القسطلانى . جـ ٦ ص ٣٨٧ .

من غزوة الفتح ، ومنه أيضا من كتاب الجهاد ـ باب الجاسوس جـ ٥ ص ١٤١ ـ قال البخارى رحمه الله (حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال : أخبرنى الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب ، المعروف أبوه بابن الحنفية ، أنه سمع عبيد الله بضم العين بن أبى رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واسمه



وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِى ، وَلَا رِضاً بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ ، فَقَالَ عُمَرُ : وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا ، فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) إلى آخر الحديث .

أسلم ، يقول : سمعت عليا رضى الله عنه ، يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، فقال لنا : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ (بخاءين) معجمتين ، بينهما ألف ، موضع بين مكة والمدينة ، على اثنى عشر ميلا من المدينة ، فان بها ظعينة ، أى امرأة فى هودج ، اسمها سارة كما عند ابن سحق أو كنود ــ كما عند الواقدى .

وعنده أن حاطبا جعلها عشرة دنانير على ذلك ، وكانت مولاة عمرو بن هشام ابن عبد المطلب (معها كتاب ، فخذوه) أى الكتاب (منها ، قال فانطلقنا ، تعادى بنا خيلنا) أى تجرى بنا ــ بحذف احدى التاءين تخفيفا (حتى أتينا الروضة) فاذا نحن بالظعينة ، قلنا لها : أخرجى الكتاب ، قالت : ما معى كتاب ، فقلنا : لتخرجن أو لنلقين الثياب) أى عنك (قال : فأخرجته من عقاصها) الشعر المضفور (فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة الى أناس من المشركين) صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبى جهل ، (بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ، ما هذا ؟ قال : يا رسول الله ، لا تعجل على ، انى كنت امرأ ملصقا فى قريش يقول : كنت حليفا ، ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا) أى نعمة ومنة عليهم (يحمون بها قرابتى) .

وعند ابن اسحاق : (وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليه ، وما فعلت ذلك كفرا ، ولا ارتدادا عن دينى ،ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد صدقكم) أى قال الصدق . وزاد ــ فى باب فضل من شهد بدرا : (ولا تقولوا الا خيرا) ــ فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله ، دعنى أضرب عنق هذا المنافق) واستشكل قول عمر هذا ، واطلاقه عليه النفاق بعد شهادته عليه الصلاة والسلام بأنه ما فعل ذلك كفرا ولا ارتدادا ، ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ــ وهذه الشهادة نافية للنفاق .

وأجيب بأنه قال ذلك لما كان عنده من القوة فى الدين وبعض المنافقين وظن أن فعله هــذا يوجب قتله ، لكن لم يجزم بذلك ، فلذا اســتأذن فى قتله ، وأطلق عليه النفــاق لكونه أبطــن خــلاف ظــاهره ، وعذره النبى ﷺ لأنه كان متأولا ولأنه لم يحصــل ضرر ممــا فعله ـ خصوصا والفاظ الكتاب ترشد أهل مكة الى الخير واتباع النبى ﷺ . فانه سبيل نجاتهم .

ولفظ الكتاب كما فى تفسير يحيى بن سلام :

(أما بعد ، يا معشر قريش ، فان رسول الله ﷺ ـ جاءكم بجيش كالليل ، يسير كالسيل ، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله ، وأنجز له وعده ، فانظروا لأنفسكم والسلام) .

ولذا قال عليه الصلاة والسلام لعمر مـرشدا الى علة ترك قتله : (أنه قـد شـهد بدرا ، وما يدريك لعل الله أن يكون قد أطلع على أهل بدر أى الذين حضروا وقعتها (فقال) تعالى مخاطبا لهم خطاب تشريف واكرام : (اعملوا ما شئتم) أى فى المستقبل (فقد غفرت لكم) عبر الماضى الواقع ـ عن الآتى مبالغة فى تحققه .

قال القرطبى ـ رحمة الله تعالى ـ وهذا الخطاب قد تضمن أن هؤلاء قد حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السابقة ، وتأهلوا أن تغفر لهـم الذنوب اللاحقـة أن وقعـت منهـم وما أحسن قول بعضهم :

واذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

ثم قال القسطلانى ـ رحمه الله تعالى :

وقد أظهر الله تعالى صدق رسوله ﷺ فى كل من أخبر عنه بشىء ، فـان أهـل بدر ـ رضى الله عنهم ـ لم يزالوا على أعمال الجنة ، الى أن فارقوا الدنيا ، ولو قدر صـدور شىء مـن أحدهم ، لبادر بالوتوبة ، ولازم الطريقة المثلى كما لا يخفى والمراد الغفران لهم فى الآخرة ، والا فلو توجه على أحد منهم حد مثلا ، فانه لابد أن يستوفى منه بلا ريب ، اقامة لحدود الله تعالى . والله أعلم . ا هـ .

وقال فى فضل من شهد بدرا :

فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد وجبت لكم الجنة ـ أو فقد غفرت لكم) فـدمعت عينا عمـر وقال : الله ورسوله أعلم . ا هـ من القسطلانى .

وانما دمعت عينا عمر رضى الله عنه : اشفاقا على نفسه ، حينمـا قـال : (دعنى أضرب عنقه ، وأيضـا يصـح أن يكون بكاؤه بكاء سرور ، لما علم المزية العـظيمة ، التى أكرم الله تعالى بها أهل بدر ، ولا سيما وعمر ـ رضى الله عنه ـ واحد مـن أهـل بدر . فلمـا سـمع ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مخبرا عن الله تعالى ، من أن أهل بدر أقـرب الى المغفرة من غيرهم ، دمعت عيناه فرحا وسرورا . والله أعلم .

ولاشك أن الذين حضروا وقعـة بدر ، هـم الذين كانوا أول مـن باعوا أنفسـهم لله ، وجاهدوا فى سبيل الله تعالى بنية خـالصة ، مـع كثرة المشركين فى العـدد والعـدة ، وقلة

المسلمين عددا وعدة وبهم انتصر الاسلام وظهر أمره فى جـزيرة العـرب ، حتى أن أهـل الجزيرة جميعا صاروا ينظرون الى المسلمين نظرة اكبار واحترام ، فصار مـن تسـول له نفسه بالاغارة عليهم يفكرون فى الأمر ، ويعملون له ألف حساب ، فقد رأوا بأعينهم ما حل بالمشركين ، الذين أعماهم الاستكبار واتبعوا الشيطان وفرحوا به حينما قال لهـم : (انى جار لكم)

كما أن أهل بدر سنوا سنة حسنة ، لاخوانهم المسلين فى الصبر على مقـارعة الأبطـال والاستهانة بكيد المشركين الأشرار .

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحـق ليظهـره على الدين كله ولو كره المشركون » ـ والله أعلم .

(حديث تكليم الله عبد الله والدُ جابر بعد استشهاده) .

أخرجه الترمذى ـ باب ـ سورة آل عمران ، قال بعد السند :

(١٨٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ : يَا جَابِرُ ، مَالِى أَرَاكَ مُنْكَسِرًا ؟ قُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ ، اسْتُشْهِدَ أَبِى ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُد ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا ، قَالَ : أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِىَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، يَارَسُولَ اللهِ ، قَالَ : مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَداً قَطُّ ، إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَاب ، وَأَحْيَا أَبَاكَ ، فَكَلَّمَهُ كِفَاحاً فَقَالَ : يَاعَبْدِى ، تَمَنَّ عَلَىَّ أُعْطِكَ ، قَالَ : يَارَبِّ ، تُحيِينِى ، فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيةً ، قَالَ الرَّبُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّى أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، قَالَ : وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً) . . . الآية .

قال الترمذى ـ رحمه الله تعالى : حديث حسن غريب .

***

وأخرجه بن ماجة فى سننه ـ من باب ـ فيما أنكرت الجهميّة بلفظ قريب من رواية الترمذى هذه ، ـ وفيها : (لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام ، يوم أحد لقينى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . الحديث .

***

وأخرجه ابن ماجة أيضاً فى سننه ـ باب ـ (فضل الشهادة فى سبيل الله) .

(١٨٣) ولفظه : عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ يَقُولُ : لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُد ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : يَا جَابِرُ ، أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لأَبِيكَ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَداً إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحاً ، فَقَالَ : يَاعَبْدِى تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ ، قَالَ : تُحْيِينِى فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً ، قَالَ : إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّى أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ ، قَالَ : يَارَبِّ ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِى ، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ هَذِهِ الْآيَةَ : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ . . . الآية كلها) .

الشرح : وفى القاموس : المكافحة والكفاح المواجهة . اهـ .

قوله : (وكلم أباك كفاحا) أى كلمه بدون واسطة مشافهة . وهذا من المتشابه الذى يجب صرفه عن ظاهره مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث فقد كلمه الله تعالى كلاما بغير صوت ولا حرف ، مثل ما كلم موسى تكليما بغير صوت ولا حرف وقال له : (تمن على أعطك) أى تمن سلى من الخير والثواب ما تحبه أعطك اياه فلم يكن له أمنية يتمناها الا أن يحييه الله ، ليقاتل فى سبيل الله فيقتل مرة ثانية ، لينال فضل شهادة أخرى ، غير الشهادة الأولى ، التى نالها من القتل فى أحد ، وانما تمنى ذلك ، لأنه رأى بعينيه عظيم الجزاء الذى يعطى للشهداء فأحب أن يقتل مرة أخرى ليضاعف له ذلك الجزاء .

وفى الحديث بروايتيه بيان لفضل الشهداء ، زيادة عما ورد من الأحاديث ، أن أرواحهم فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة . فلذلك يتمنون أن يرجعوا الى الدنيا ، ليجاهدوا فيقتلوا فى سبيل الله وينالوا فضل الشهادة والحديث يبين المراد من الآية ، وأن الشهداء أحياء حياة حقيقية ، كاملة يرزقون فيها ، كما نصت عليه الآية الكريمة .

كما أفاد الحديث أن من مات لا يرجع الى الحياة الدنيا . بل الحياة بعدها هى الحياة الآخرة ، وهذا بالنسبة الى مجموع الخلق ، فلا ينافى أحياء من أماته الله مائة عام ثم بعثه ، فان ذلك لتحقيق نموذج من قدرة الله تعالى على احياء الموتى ولذا قال الله : (فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) اهـ .

(حديث قول الله تعالى للشهداءِ : هل تشتهون شيئاً ؟) .

أَخرجه الإِمام مسلم فى صحيحه ، من فضل الجهاد والسير – باب – فى بيان أَن أَرواح الشهداءِ فى الجنة . . . أَلخ – من ثلاث طرق :

(١٨٤) الأُولى : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ : سَأَلْنَا – أَوْ سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ (أَى ابن مسعود) عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) – قَالَ : أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَرْوَاحُهُمْ فى جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِى إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً فَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا ؟ قَالُوا : أَىَّ شَىْءٍ نَشْتَهِى وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا ؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا ، قَالُوا : يَا رَبِّ ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فى أَجْسَادِنَا ، حَتَّى نُقْتَلَ فى سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا) .

***

(وقد اقتصرت على هذه الرواية لأَنَّها تكفى عن غيرها . والله أَعلم) .

وأَخرجه الترمذى – رحمه الله تعالى – فى صحيحه – باب – من سورة آل عمران .

(١٨٥) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) ــ فَقَالَ : أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ ، فَأُخْبِرْنَا أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ ، تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلَاعَةً ، فَقَالَ : هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا ، فَأَزِيدَكُمْ ؟ قَالُوا : رَبَّنَا ، وَمَا نَسْتَزِيدُ وَنَحْنُ نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا ؟ ثُمَّ اطَّلَعَ إِلَيْهِمْ الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ : هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا فَأَزِيدَكُمْ ؟ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يُتْرَكُوا ، قَالُوا : تعِيدُ أَرْوَاحَنَا ، حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا ، فَنُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى) .

(قال الترمذى ــ رحمه الله تعالى : حديث حسن صحيح) .

***

وأخرجه ابن ماجة فى سننه عن ابن مسعود أيضاً ــ فى فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى ــ بألفاظ قريبة من ألفاظ الترمذى ، إلا أنه قال فيه :

(١٨٦) (سَلُونِي مَا شِئْتُمْ) مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَقَالَ فيه : (وَمَاذَا نَسْأَلُكَ ، وَنَحْنُ نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ ، فِي أَيِّهَا شِئْنَا ؟) وَزَادَ فِيهِ : (فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْأَلُوا إِلَّا ذَلِكَ تُرِكُوا) .

***

شرح الحديث وهو مأخوذ من تقريرات على هامش متن مسلم المصور لمطبعة الشعب ورواه مسلم فى صحيحه بثلاث طرق الى الأعمش ، فقال فى الأولى : حدثنا يحيى ابن يحيى وأبو بكر بن شيبة ، كلاهما عن أبى معاوية ، ثم حول السند ، وقال فى الطريق الثانية :

وحدثنا اسحاق بن ابراهيم ، أخبرنا جرير وعيسى بن يونس ، جميعا عن الأعمش ــ ثم حول السند ، فقال فى الطريق الثالثة : وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ــ واللفظ له ــ حدثنا أسباط ، وأبو معاوية ، قالا : حدثنا الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق قال :

وأخرجه النسائي – في باب (ما يتمنى أهل الجنة) فقال :

(١٨٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : يُؤْتَى بِالرَّجُل مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – : يَا ابْنَ آدَمَ ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ ؟ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، خَيْرُ مَنْزِلٍ ، فَيَقُولُ : سَلْ وَتَمَنَّ ، فَيَقُولُ : أَسَائِلُ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيا ، فَأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ) .

سألنا – وفي نسخة : سألت عبد الله (والأكثر على أنه عبد الله بن مسعود) ويؤيد ما نقله الشارح عن القاضي ، من أنه وقع في نسخ مسلم : (عبد الله بن مسعود)منسوبا – ومن الناس من قال : هو عبد الله بن عمر اى ابن الخطاب . وقوله : (عن هذه الآية) أي عن معناها وما المقصود ؟

وقوله : (أما انا قد سألنا عن ذلك) يعني سألنا النبي صلى الله عليه وسلم عن تأويل هذه الآية ، فيكون الحديث مرفوعا ، يدل على ذلك قرينة الحال ، فان ظاهر حال الصحابي أن يكون سؤاله من النبي صلى الله عليه وسلم ، لاسيما في تأويل آية كهذه – مما يتعلق بعلم الغيب – وفي المرقاة : قوله : (تأوى الى تلك القناديل) أي تنزل فيها ، وتأوى اليها – ومأوى كل حي هو مسكنه الذي يقيم فيه ، أي تكون تلك القناديل بمنزلة أوكار لها ، تأوى اليها وتبيت فيها . والله أعلم .

وقوله : (فاطلع اليهم) عداه بالي ، لتضمنه معنى نظر اليهم ، وجملة الحديث تمثيل لحال الشهداء ، وقربهم من الله تعالى ، وعنايته بهم ، وتمتعهم بما يشاءون ، وتمكنهم مما يشتهون من لذات الجنة .

وقوله : (ففعل ذلك بهم ثلاث مرات) أي تكرر سؤاله لهم ثلاث مرات وهم يجيبون بما أجابوا به أولا ، وانهم ليس لهم مطلب الا أن يعيد اليهم أرواحهم ، حتى يقتلوا مرة أخرى ليحوزوا أجر شهادة ثانية . تركهم ولم يسألهم بعد – وتقدم في حديث جابر : (قال الرب : قد سبق مني أنهم لا يرجعون) . والله أعلم .

حديث (يختصم الشهداء والمتوفَّوْن على فُرُشِهم)

أخرجه النسائى فى سننه ـ (باب مسألة الشهادة) جـ ١ ص ٣٧ .

(١٨٨) عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَخْتَصِمُ الشُّهَدَاءُ وَالْمُتَوفَّونَ عَلَى فُرُشِهِمْ إِلَى رَبِّنَا ، فِى الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنَ الطَّاعُونِ ، فَيَقُولُ الشُّهَدَاءُ : إِخْوَانُنَا قُتِلُو كَمَا قُتِلْنَا ، وَيَقُولُ الْمُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِمْ : إِخْوَانُنَا مَاتُوا كَمَا مِتْنَا ، فَيَقُولُ رَبُّنَا : انْظُرُوا إِلَى جِرَاحِهِمْ ، فَإِنْ أَشْبَهَ جِرَاحُهُمْ جِرَاحَ الْمَقْتُولِينَ ، فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ وَمَعَهُمْ ، فَإِذَا جِرَاحُهُمْ قَدْ أَشْبَهَتْ جِرَاحُهُمْ) .

شرح الحديث :

المقصود من الحديث أن الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله يرجون من الله تعالى ، أن يكون الذين يتوفون من الطاعون مثل الشهداء فى نيل الثواب العظيم الذى أعده الله للشهداء ، ويقولون : ربنا : اخواننا هؤلاء ، قتلوا فى سبيلك ، لأنهم صبروا على قضاء الله تعالى حتى ماتوا بالطاعون الذى هو من الله تعالى ، كما صبر الشهداء فى الحرب ، لذلك هم يرجون لهم أجر الشهادة .

ويقول الذين ماتوا على فرشهم دون طاعون : اخواننا ماتوا مثل ما متنا أى على فرشهم فكيف يعطون أجر الشهداء الذين باعوا أنفسهم لله ، وقتلوا فى سبيله ؟ ، فيقول الله تعالى لهم جميعا : انظر الى جراحهم التى مستهم من الطاعون ، فان اشبهت جراحهم جراح الشهداء وهى ان جرحهم يسيل دما ـ اللون لون الدم والريح ريح المسك ـ فانهم من الشهداء ومع الشهداء ، فينظرون الى جراحهم ، فاذا هى مثل جراح الشهداء ـ ويسمى هؤلاء شهداء الآخرة فقط ، فلايجرى عليه أحكام الشهيد فى المعركة فى ترك غسله والصلاة عليه عند بعض الأئمة ، فذلك خاص بشهيد المعركة فقط . والله أعلم

حديث (من خان غازياً فى أهله)

أخرجه النسائى فى سننه ـ (من خان غازياً فى أهله)

(١٨٩) عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ ، وَإِذَا خَلَفَهُ فى أَهْلِهِ فَخَانَهُ ، قِيلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : هَـذَا خَانَكَ فى أَهْلِكَ ، فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ ، فَمَا ظَنُّكُمْ ؟) .

***

حديث (يجيءُ الرجل آخذا بيد الرجل ، فيقول : يارب ، هذا قتلنى) .

أخرجه النسائى فى سننه ـ باب ـ (تعظيم الدم) .

(١٩٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، هَذَا قَتَلَنِي ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ فَيَقُولُ : قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ ، فَيَقُولُ : فَإِنَّهَا لِي ،وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ ، فَيَقُولُ : إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ فَيَقُولُ : لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ ، فَيَقُولُ : إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ ، فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ)

***

حديث (عجب ربنا من رجل غزا فى سبيل الله) .

أَخرجه أَبو داود فى سننه ـ باب ـ (الرجل يشترى نفسه) جـ ٢ ص ٣١٢ .

(١٩١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رسُولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلٍ غزَا فى سَبِيلِ اللهِ ، فَانْهَزَمَ ـ فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فَرَجَعَ حَتَّىٰ أُهْرِيقَ دَمُهُ ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى ، لِمَلَائِكَتِهِ : (انْظُرُوا إِلَى عَبْدِى رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِى ، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِى ، حَتَّىٰ أُهْرِيقَ دَمُهُ) .

***

حديث (عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة فى السلاسل) .

أَخرجه أَبو داود فى سننه ـ باب ـ (الأَسِيرُ يُوثَقُ) جـ ٢ ص ٣٤٩ .

(١٩٢) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْ قَوْم يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فى السَّلَاسِلِ) .

شرح الاحاديث من ١٩٠ ـ ١٩٣

أولا حديث ١٩٠ (من خان غازيا فى أهله) وبيان ما أعده الله له فى الآخرة من العذاب قد مهد النبى صلى الله عليه وسلم لذلك بقوله : (حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم) ليكون دليلا على وجوب المحافظة على نساء المجاهدين وصيانتهن والدفاع عن اعراضهن ، كما يجب الدفاع عن عرض الانسان نفسه ، بل عن أخص عرض له وهو أمه ، واذاوكانت حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهات القاعدين ، فمن خان مجاهدا فى أهله ، فد اقترف اثما عظيما ، ثم يوم القيامة يفضحه الله تعالى ، ويحكم فيه المجاهد ، فيقول له : هذا قد خانك فى أهلك ، فخذ من حسناته ما شئت ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : (فما ظنكم ؟) تهويل لقبح الخيانة وتعظيم لجزائها ، أى ما الذى تظنون

ما يفعله المجاهد حينئذ وهو يريد أن يشفي غليله ممن خانه فى أهله ، هل يبقى له حسنة ؟ ثم ما الذى تظنونه بذلك الخائن يومئذ ، والخزى يحيق به ، مع ما يسلب منه من الحسنات ، حتى يكون عرضة لتجريده منها جميعها ، فيبوء بإثمه الى النار ، نعوذ بالله من الخيانة ، ونسأله أن يستر عوراتنا فى الدنيا والآخرة . آمين .

شرح حديث ١٩١ (يجيء الرجل آخذا بيد الرجل الخ)

المقصود من هذا الحديث أن من يجاهد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وأن العزة لدين الله يكون عمله مشكورا ، لأنه وضع الأمر فى نصابه ، وقتل نفسا لتكون العزة لله ـ وهى لا تكون الا لله ، فلم يخرج عن طريق الخير ، ولا حاد عن العدل .

وأما من قتل نفسا لعزة ملك أو رئيس من لرؤساء ، ويكون قتلا بغير حق ، فد حاد عن السبيل ، وقصد أن تكون العزة لمن ليس له عزة ، فقد تنكب الطريق ، لأن العزة لا تكون الا لله تعالى ، فيبوء ويرجع بإثم عمله ، ويجزيه الله شر الجزاء ويرفع القتيل درجات .

شرح حديث ١٩٢ (عجب ربنا من رجل غزا فى سبيل الله)

أصل العجب يكون من فعل عظيم خارق للعادة ، ويلزمه الرضا بهذا الفعل والسرور به ، واطلاق العجب على الله محال ، لانه لا يكون الا ممن تتأثر نفسه استحسانا ، فيراد منه لازمه وهو الرضا بهذا الفعل ، واعطاء الثواب العظيم والأجر الكبير على هذا العمل فالرجل الذى غزا فى سبيل الله تعالى ، ثم انهزم وترك المعركة فرارا من القتل فرجع ـ وباع نفسه لله تعالى ابتغاء رضاه ، وانتصارا لدينه ، وقاتل حتى قتل ـ لا يضيع الله عمله ، بل يرضى عنه ويجعله من الشهداء الذى قال الله فيهم : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)

فقد رغب هذا الرجل فيما عند الله من الجزاء ، وخاف من الوعيد والعذاب الذى توعد الله به الذين يفرون من الزحف ، حيث قال الله تعالى : (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) لذلك أقبل وباع نفسه وقاتل حتى قتل . فرضى الله عنه وأرضاه . والله أعلم

شرح حديث ١٩٣ (عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة فى السلاسل)

عرفت أن المراد من العجب لازمه وهو الرضا ، واعطاء الجزاء العظيم ، والأجر الكبير ، ولعل المراد بهؤلاء القوم ـ هم الأسارى الذين يأخذهم المجاهدون فى الحرب ويقيدونهم بالسلاسل ، ثم يهديهم الله تعالى بعد ذلك الى الاسلام ، فيدخلون الجنة ، فدخولهم الجنة سببه اغلالهم بالسلاسل ، حتى أمنوا ، ولو لم يؤسروا لقتلوا فيموتوا كفارا . والله تعالى أعلم . اهـ

١٩ ــ (تضعيف الأجر على الأعمال لأمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم)

حديث (مثل اليهود والنصارى والمسلمين) .

أخرجه البخارى فى كتاب الإجارة - باب - (الإجارة إلى صلاة العصر) ج ٣ ص ٩٠ .

(١٩٣) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِى أُوَيْسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِى مَالِكٌ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ - مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا ، فَقَالَ : مَنْ يَعْمَلْ لِى إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ ، قِيرَاطٍ ، فَعَمِلَتِ الْيَهُودَ عَلَى قِيرَاط ، ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاط قِيرَاط ، ثُمَّ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، وَقَالُوا : نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا ، وَأَقَلُّ عَطَاءً ، قَالَ : هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَذَلِكَ فَضْلِى ، أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ) .

* * *

و أخرجه البخارى - باب الإجارة من العصر إلى الليل - ج ٣ ص ٩٠ متن وشرح ج ٤ ص ١٣٣ .

(١٩٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ بُرَيْد ، عَنْ أَبِى بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْيَهُودِ ، وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ ، عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ ، فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا : لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الذّى شَرَطْتَ لَنَا ، وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ ، فَقَالَ لَهُمْ ، لَا تَفْعَلُوا أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ ، وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا ، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا ، وَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ بَعْدَهُمُ ، فَقَالَ : أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَلَكُمُ شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ ، فَعَمِلُوا حَتَّىٰ إِذَا كَانَ حِينَ الْعَصْرِ ، قَالُوا : لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ ، وَلَكَ الْأَجْرُ الَّذِى جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ ، فَقَالَ لَهُمْ ، أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ ، فَإِنَّ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ ، وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّىٰ غَابَتْ الشَّمْسُ ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا ، فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ) .

شرح الحديثين من القسطلانى فى مواضع

أما الحديث الأول فقد أخرجه البخارى أيضا فى كتاب الصلاة ـ باب ـ (من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب) ـ وأخرجه فى كتاب الاجارة (باب الاجارة الى نصف النهار) ـ وأخرجه فى كتاب التوحيد ـ باب ـ قول الله تعالى : (قل فأتوا بالتوارة فاتلوها) ـ وفى باب قول الله : (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) وفى غالب هذه الروايات زيادة : (ثم عجزوا) بعد كل من اليهود والنصارى ، ثم ذكر فيها قوله : (ثم أوتيتم ـ أو أعطيتم القرآن ، فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين) .

فهذا الحديث برواياته المتعددة ، فيه بيان لحال كل من اليهود والنصارى الذين عمل كل منهم بكتابه ، وماتوا على ذلك قبل أن ينسخ كتابهم ، فعمل اليهود بكتابهم (التوارة) قبل بعثة المسيح عليه السلام ، وكذلك عمل النصارى بكتابهم (الانجيل) وماتوا قبل أن يبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

فكل من هؤلاء يعطون أجرهم على العمل بكتابهم ــ قيراطا قيراطا ، ويعطى مــن آمــن بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه أجره ، قيراطين قيراطين ، قــال الله تعــالى (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) بعد قــوله : (الذين آتيناهــم الكتاب مــن قبله هــم به يؤمنون) .

وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثلاثة الذين يؤتون أجرهم مرتين (رجل مــن أهل الكتاب آمن بنبيه ، ثم آمن بى) ــ فهذا هو المراد من الحديث الأول ، وأنه فيمن مــات منهم قبل نسخ كتابه . اهـ

وأما الحديث الثانى

فهو تمثيل لحال أهل الكتابين ، الذين أدركوا الزمان الذى نسخ فيه كتابهم بشريعة نبى أتى بكتاب آخر ، وكذبوا بهذا النبى وبكتابه ــ وذلك كاليهــود الذين أدركوا زمــن سـيدنا عيسى عليه السلام ، وقد أتاهم بالانجيل ــ وقد قال لهــم : (ولأحــل لكم بعض الذى حــرم عليكم) فكفروا بعيسى عليه السلام ، وكذبوا بالانجيل ، فكأنهم قالوا لربهم : لا حاجة لنا فى أجرك الذى شرطت لنا .

وكذلك كل من اليهود والنصارى الذين أدركوا بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم كفر كل منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبالقرآن الذى جــاء به مــن عند الله ، فــكأنهم يقولون : لك ما عملنا باطل ، ولا حاجة لنا الى أجرك الذى شرطت لنا)

وقد روى البخارى ــ رحمه الله ــ هذا الحديث الثانى أيضا ، الذى يدل على كفــر أهــل الكتابين كل منهم بالرسول الذى بعث بشريعة ناسخة لشريعــة مــن قبله ــ رواه فى كتاب الصلاة ــ باب (من أدرك ركعة من العصر) ــ وقال القسطلانى بعد هذا الحديث :

فذلك مثل المسلمين الذين قبلوا هدى الله ، وما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومثل اليهود والنصارى ، الذين تركوا ما أمرهم الله به ــ وقال القسطلانى أيضا فى حــديث ابن عمر السابق : (انه استأجر اليهود مــن أول النهــار الى نصــفه ، والنصــارى منه الى العصر ــ فبين الحديثين مغايرة وأجيب بأن ذلك بالنسبة الى من عجز عن الايمــان بالموت قبل ظهور دين آخر

وأما الحديث الثانى فبالنسبة الى من أدرك دين الاسلام ، ولم يؤمن به ، والظاهر أنهما قضيتان . ولذا قال بعضهم ما حاصله : ان حديث ابن عمــر سـيق مثالا لأهــل الأعذار ، لقوله ، (فعجزوا) وحديث أبى موسى سيق مثالا لمن تأخر عن الايمان دون عذر ، وأشــار الى ذلك بقولهم :

(لا حاجة لنا الى أجرك) . اهـ ملخصا . والله أعلم

٢٠ ــ (صفة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في التوراة)

حديث صفة النبي صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، أخرجه البخارى ــ رحمه الله من سورة الفتح ــ باب ــ (قول الله تعالى : إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا) ج ٦ ص ١٣٦ .

(١٩٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ بْنِ هِلَالٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ : إنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فى الْقُرْآنِ : (يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) ــ قَالَ فى التَّوْرَاةِ : (يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ ، بِأَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا ، وَآذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا)

***

وأخرج هذا الحديث البخارى أيضاً ، فى أول كتاب البيوع ، وفيه :

(١٩٦) بسنده إِلَى عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، قَالَ : لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ قُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فى التَّوْرَاةِ ، قَالَ : أَجَلْ ، وَاللهِ ، إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فى التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فى الْقُرْآنِ : (يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ... إِلى آخر الحديث) .

شرح الحديث من القسطلانى جـ ٤ ص ٥١ ـ ٥٢

قوله : (قلت له) أى لعبد الله بن عمرو بن العاص : (أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة) أى لأن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ كان قد قرأ التوراة وعرف ما فيها .

(قال عبد الله : أجل) هى حرف جواب مثل نعم ، فيكون تصديقا للمخبر ، واعلاما للمستخبر ، ووعدا للطالب . ـ وقيل : تختص بالخبر ، وهو قول الزمخشرى وابن مالك ، وقيد المالقى الخبر بالمثبت ، والطلب بغير النهى .

وقال فى القاموس : هى جواب ، كنعم ، الا أنه أحسن منه فى التصديق ، ونعم ـ أحسن منه فى الاستفهام . اهـ ـ وهذا ما قاله الأخفش كما فى المغنى ، قال الطيبى : وفى الحديث جاء جوابا للأمر ، على تأويل ـ قرأت التوراة ، فهل وجدت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ؟ فأخبرنى ، قال : أجل ، (والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن) أكد كلامه بتأكيدات : الحلف بالله ، والجملة الاسمية ، ودخول ـ ان عليها ـ ولام التأكيد على الخبر . (انا أرسلناك شاهدا) لأمتك المؤمنين بتصديقهم ، وعلى الكافرين بتكذيبهم (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار (وحرزا) أى حصنا (للأميين) أى للعرب لأن أغلبهم كانوا لا يقرأون ولا يكتبون (أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل) على الله تعالى لقناعتك ـ باليسير من الرزق ، واعتمادك على الله تعالى فى النصر ، والصبر على انتظار الفرج والأخذ بمحاسن الأخلاق ، واليقين بتمام وعد الله تعالى .

لذلك توكل على الله ، فسماه المتوكل ـ (ليس بفظ) أى ليس سىء الخلق جافيا ، (ولا غليظ) أى ليس قاسى القلب .

وهذا موافق لقوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ـ وذلك بالنسبة للمؤمنين ، وأما بالنسبة للكافرين والمنافقين ، فأمره الله تعالى أن يغلظ عليهم بقوله : « يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » .

وفى قوله : (ليس بفظ . . الخ) التفات من الخطاب الى الغيبة (ولا سخاب) بتشديد الخاء بعد السين ، وهى لغة فى ـ صخاب ـ أثبتها الفراء وغيره . والصخاب أشهر ، وهو الذى يرفع صوته على الناس ، لسوء خلقه .

فهو لا يكثر الصياح عليهم فى الأسواق ، بل يلين جانبه لهم ، ويرفق بهم . وفيه ذم لأهل السوق الذين يكونون بهذه الصفة المذمومة ، من الصخب ، واللغط ، والزيادة فى المدح لما يتبايعونه ، والايمان الكاذبة ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : (شر البقاع الأسواق) أى لما يغلب على أهلها من هذه الأحوال المذمومة .

(ولا يدفع بالسيئة السيئة) هو كقوله تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن السيئة » (ولكن يعفو ويغفر) أى ما لم تنتهك حرمات الله تعالى (ولن يقبضه الله) أى لن يميته الله (حتى يقيم به الملة العوجاء) أى ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فانها قد عولجت فى أيام الفترة ، فزيدت ونقصت ، وغيرت عن استقامتها ، وأميلت بعد قوامها ، وما زالت كذلك حتى قام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقامها بنفى ما كان عليه العرب من الشرك واثبات التوحيد بأن يقولوا (لا اله الا الله ، ويفتح بها) أى بكلمة التوحيد (أعينا عميا) أى يقيم الله بواسطته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا اله الا الله ، ويفتح بواسطة هذه الكلمة أعينا عميا عن الحق (وآذانا صما ، وقلوبا غلفا) صما ـ بضم الصاد ، وتشديد الميم جمع صماء ، صفة ـ آذانا ـ وغلفا بضم الغين ، وسكون اللام جمع أغلف ، صفة ـ قلوبا ـ .

والأغلف : كل شيء كان فى غلاف ، يقال : سيف أغلف ، اذا كان فى غلاف . قاله البخارى وقال : ـ قوس غلفاء ـ اذا كانت فى غلاف كالجعبة ونحوها ، وكذا رجل أغلف ـ اذا لم يكن مختونا .

قاله أبو عبد الله البخارى : وهو كلام أبى عبيدة فى المجاز . اهـ قسطلانى

وقال القسطلانى ـ رحمه الله تعالى :

ولا منافاة بين الحديث ، وبين قوله تعالى : « وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم » ، لأن المنفى عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الاستقلال بذلك ، وأما أنه صلى الله عليه وسلم سبب فى ذلك ، فقد ثبت له صلى الله عليه وسلم الهداية بهذا المعنى فى القرآن الكريم ، فقال الله تعالى :

« وانك لتهدى الى صراط مستقيم » . اهـ ملخصا والله أعلم

٢١ ـ (جزاء الصبر على المصيبة)

حديث (جزاءُ الصبر على فقد العينين)

أخرجه البخارى فى كتاب الطب ـ باب ـ (فضل من ذهب بصره) جـ ٧ ص ١١٦ .

(١٩٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنِ يُوسُفَ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، قَالَ : حَدَّثَنِى ابْنُ الْهَادِ ، عَنْ عَمْرو مَوْلَى الْمُطَّلِبِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللهُ تَعَالَى عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُول : إِنَّ الله تَعَالَى قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِى بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ) . يريد عينيه .

***

وأخرجه الترمذى فى صحيحه ـ باب ـ (ما جاءَ فى ذهاب البصر) جـ ٢ ص ٦٤ ولفظه :

(١٩٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : إِنَّ اللهَ يَقُولُ : إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَىْ عَبْدِى فى الدُّنْيَا ، لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِى إِلَّا الْجَنَّةَ) .

قال أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ حديث حسن غريب . والحديث الغريب : ما كان فى بعض طبقات سنده راو واحد ، ولو تعددت المواضع . والغرابة فى سند الحديث لا تجعله ضعيفاً ، حيث تكون طبقة الانفراد من رجال الصحة أو الحسن .

***

وأخرجه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

(١٩٩) قَالَ : يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ ، وَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ ، لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَاباً إِلَّا الْجَنَّةَ) .

قال الترمذى - رحمه الله : حديث حسن صحيح .

شرح الحديث من القسطلانى ج ٨ ص ٣٨٦ .

(عبد الله بن يوسف) هو أبو محمد الدمشقى ، ثم التنيسى الكلاعى الحافظ (حدثنا الليث (هو ابن سعد الامام حدثنى ابن الهاد) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة الليثى (عن عمرو مولى المطلب) هو ابن عبد الله بن حنطب ، عن أنس بن مالك - رضى الله عنه -

قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله تعالى قال : اذا ابتليت عبدى) المؤمن (بحبيبتيه) بالتثنية أى محبوبتيه ، اذ هما أحب أعضاء الانسان اليه ، لما يحصل له بفقدهما من الأسف الشديد ، على فوات رؤيته من خير ، فيسر به ، أو شر فيجتنبه (فصبر) لتذكره ما وعد الله به الصابرين من الثواب . زاد الترمذى : (واحتسب) .

(عوضته منهما الجنة) وهى أعظم العوض ، لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بالموت - مع أن الالتذاذ بالجنة باق لا يفنى .

وفى حديث أبىّ أمامة فى الأدب للبخارى :

(اذا أخذت كريمتيك ، فصبرت عند الصدمة الأولى واحتسبت) قال فى الفتح :

فأفاد أن الصبر النافع هو ما يكون فى أول وقوع البلاء ، فيفوض ويسلم ، فلو ضجر فى أول وهلة ، ثم يئس فصبر ، لا يحصل له الغرض المقصود . والله أعلم .

وفى الحديث الصحيح : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، الا كفر الله بها من خطاياه)

والأجر على المصيبة متوقف على الصبر عليها ، والرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله تعالى ، وعدم الجزع للبلاء .

وأما من لم يقابل البلاء بالرضا ، ولا يكون مستسلما للقضاء ، فلا أجر له ولا جزاء ولا ثواب ، بل يكون جزعه معصية يعاقب عليه ، والايمان الصحيح : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره) . اللهم ارزقنا الايمان الخالص والطف بنا فى قضائك وقدرك ، واكفنا شر الفتن : ما ظهر منهما وما بطن . آمين

(حديث ثواب قبض الولد)

أَخرجه البخارى رحمه الله ـ من كتاب الرقاق ـ باب ـ (العمل يبتغى به وجه الله) ج ٨ ص ٩٠ .

(٢٠٠) حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، عَنْ عَمْرٍو ـ (هو ابن أَبى عمرو مولى المطلب) عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِىِّ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : مَا لِعَبْدِى الْمُؤْمِنِ عِنْدِى جَزَاءٌ ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ احْتَسَبَهُ ، إِلَّا الْجَنَّةَ) .

قال القسطلانى ـ رحمه الله تعالى : والحديث من أَفراد البخارى ـ أَى لم يخرجه مسلم فى صحيحه .

***

وأَخرج النسائى فى سننه ـ فى باب (من يتوفى له ثلاثة أَولاد) .

(٢٠١) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ ، لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ ، إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمُ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يُقَالُ لَهُمْ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُونَ : حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا ، فَيَقُولُ : ادْخُلُوا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) .

***

وأخرج ابن ماجة فى سننه حديثين ـ فى باب (ما جاءَ فى الصبر على المصيبة) أحدهما عام فى كل مصيبه ـ والثانى: فى ثواب المصيبة ـ بفقد السقط فيكون المصيبة بفقد الولد أَولى بذلك قال فى ذلك ج ١ ص ٢٤٩ :

(٢٠٢) عَنْ أَبِى أُمَامَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ : ابْنَ آدَمَ ، إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى ، لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا إِلَّا الْجَنَّةَ) .

وفى الزوائد : إسناد حديث أَبى أُمامة صحيح ، ورجاله ثقات .

***

وقال فى ـ باب ـ (ما جاءَ فيمن أُصيب بسقط) :

(٢٠٣) عَنْ عَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : إِنَّ السِّقْط لَيُرَاغِمُ (أَى يغاضب ويجادل) رَبَّهُ إِذا أَدْخلَ أَبَوَيْهِ النَّارَ ، فيُقالُ : أَيُّها السِّقْطُ الْمُرَاغِمُ (أَى المغاضب المجادل) رَبَّهُ ، أَدْخِلْ أَبَوَيْك الْجَنَّة ، فيَجُرُّهُمَا بِسَرَرِهِ حَتَّى يُدْخِلَهُمَا الْجَنَّة) .

(قوله : بِسَرَرَه) هو بفتحتين ، وتكسر السين : ما تقطعه القابلة ؛ وهو السُّرّ بالضم أَيضاً ، وأَما السُّرَّةُ ، فهى ما يبقى بعد القطع .

شرح الحديث البخارى من القسطلانى ج ٩ ص ٢٤٣

(حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) الفارسى المدنى ، نزيل الاسكندرية (عن عمرو) هو ابن أبى عمرو ، بفتح العين وسكون الميم فيهما ـ مولى المطلب ، وقوله : (ما لعبدى المؤمن جزاء) أى ثواب (اذا قبضت صفيه) بفتح الصاد ، وكسر الفاء ، وتشديد الياء ـ هو الحبيب المصافى ، كالولد والأخ ، وكل من أحبه الانسان (من أهل الدنيا) أى حال كون هذا الصفى من أهل الدنيا (ثم احتسبه) أى صبر راجيا الثواب من الله تعالى (الا الجنة) بالرفع بدل من جزاء ، أى ليس له الا الجنة ثوابا له من الله جزاء صبره على فقد صفيه ، واحتسبه أى ادخره عند الله تعالى . والله أعلم .

(حديث ثواب قبض الولد)

(أخرجه الترمذى رحمه الله تعالى ـ من أبواب الجنائز) ج ١ ص ١٩٠ .

(٢٠٤) عَنْ أَبِى مُوسَى الْأَشْعَرِىِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قالَ : إذا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ ، قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ : قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِى ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : مَاذَا قَالَ عَبْدِى ؟ فَيَقُولُونَ : حَمِدَكَ ، وَاسْتَرْجَعَ ، فَيَقُولُ اللهُ : ابْنُوا لِعَبْدِى بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ) .

قال أبو عيسىٰ الترمذى ـ رحمه الله ـ : حديث حسن غريب .

والغريب : هو الحديث الذى يكون فى بعض طبقات سنده راو واحد وذلك لا يضعف الحديث ، حيث كان ذلك الواحد ثقة ضابطاً ، لذلك حكم له الترمذى بأنه حديث حسن . ا هـ .

شرح الحديث

قوله تعالى : (قبضتم ولد عبدى ، قبضتم ثمرة فؤاده) الكلام على الاستفهام ، وليس المقصود به حقيقة الاستفهام ، بل المقصود منه التمهيد الى ما يأتى بعده ، وهو تحقيق الجزاء واظهار الملائكة الكرام عليه ، وقد قالوا أولا : فى شأن آدم : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » الآية

وقوله : (بيت الحمد) الاضافة اما للسببية . أى بيت فى الجنة سببه الحمد الذى صدر منه عند اصابته بفقد ولده ، واسترجاعه ، وقوله : (انا لله وانا اليه راجعون) ـ واما من اضافة المسمى الى اسمه ، أى بيت ، اسمه الحمد .

واما للتشريف . مثل بيت الله للكعبة المشرفة ، رزقنا الله الانابة والرجوع اليه والرضا بقضائه . آمين

حديث (فى فضل المريض الذى يحمد ربّه)

أخرجه الإمام مالك فى الموطإ ـ باب ـ (ما جاء فى فضل المريض) جـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٢٠٥) عَن عطاء بن يسار ـ

قال : إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْه مَلَكَيْنِ ، فَقَالَ : انْظُرَا مَاذَا يَقُولُ لعُوَّاده ؟ فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاءُوهُ حَمدَ اللهَ ، وَأَثْنَىَ عَلَيْه ، رَفَعَا ذَلكَ إِلَى اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ ـ فَيَقُولُ : لِعَبْدِى عَلَىَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ ، أَنْ أُبْدِلَ لَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ ، وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ) .

الشرح

نقول قبل الشرح : ان هذا الحديث برواية عطـاء بن يسـار ، ولم يذكر رفعـه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فيحتمل أن يكون موقوفا على عطاء بن يسار ، وهو ليس صـحابيا ، فيكون من كلامه ، ولكن ما ذكر فى هذا الحديث ليس من قبيل الرأى ، لأن فيه اضافة فعـل قول الى الله تعالى ، وذلك لا يعلم الا من جهة السمع .

وقد قالوا : ان الصحابى اذا قال قولا ، لا دخل للرأى فيه ، فانه يعطى حكم الرفع اذا لم يكن معروفا عنه أنه يقرأ فى كتب أهل الكتاب .

وعلى هذا ـ فيحتمل أن يكون عطاء بن يسار سمعه من صحابى ، فيعطى حكم الرفـع ، ويحتمل أن يكون موقوفا عليه ، وذلك هو الحديث المقطوع ـ

غير أن فضل المريض وكفارة المرض قد جـاء فيهـا أحـاديث كثيرة فى الصـحيحين وغيرهما ـ ففى البخارى : (عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صـلى الله عليه وسـلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من مصيبة تصيب المسلم ، الا كفر الله بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها) وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه ، وهو يوعك وعكا شديدا ، فقلت : يا رسول الله ، انك لتوعك وعكا شديدا ، قلت : ان ذاك بأن لك أجرين ، قال : أجل ، ما من مسلم يصيبه أذى ، الا حـات الله عنه خطاياه ، كما تحات ورق الشجر) . اهـ والله أعلم .

حديث (الحُمَّى هى نارى أُسَلِّطها على عبدى المؤمن فى الدنيا الخ) أَخرجه ابن ماجة فى سننه ـ (باب الحمَّى) ج ٢ ص ١٨٢ .

(٢٠٦) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّهُ عَادَ مَرِيضًا ، وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ، مِنْ وَعَكٍ كَانَ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ : أَبْشِرْ ، فَإِنَّ اللّٰهَ يَقُولُ : هِىَ نَارِى ، أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِى الْمُؤْمِنِ فى الدُّنْيَا ، لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فى الْآخِرَةِ) .

***

حديث (اقْرَأْ وَاصْعَدْ)

أَخرجه ابن ماجة فى سننه ـ باب (ثواب القرآن) ج ٢ ص ٢١٧ .

(٢٠٧) عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ـ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ : اقْرَأْ وَاصْعَدْ ، فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً ، حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَىْءٍ مَعَهُ) .

***

حديث (إِنَّ الرجلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فى الْجَنَّةِ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِهِ)

أَخرجه ابن ماجة فى سننه ـ باب ـ (بر الوالدين) ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٢٠٨) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَّة ، كُلُّ أُوقِيَّة خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ ، ـ وَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ـ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فى الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : أَنَّى هَذَا ؟ فَيُقَالُ : بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ)

٢٢ ــ (الانكار على الاسراف فى القصاص ، وانما القصاص من الجانى)

حديث النملة التى قرصت نبياً ، من صحيح البخارى ج ٤ ص ٦٢

(٢٠٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَأَبِي سَلَمَةَ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ يَقُولُ : قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ ، أَحْرَقْتَ أُمَّةً تُسَبِّحُ اللهَ ؟) .

شرح الحديث ملخصا من شرح القسطلانى

قوله : (قرصت نملة نبيا . . الخ) بفتح القاف والراء والصاد ، أى لدغته .

وقوله : (نبيا من الأنبياء) ــ عند الترمذى الحكيم أنه موسى عليه السلام ، وقيل : هو عزير .

واستدل به على جواز حرق الحيوان المؤذى ، لأن شرع من قبلنا شرع لنا ، اذا لم يأت فى شرعنا ما يرفعه ، ــ نعم ورد فيه ــ أى فى شرعنا ــ النهى عن التعذيب بالنار ، الا فى القصاص بشرطه ، ــ وكذا لا يجوز قتل النمل ، لحديث ــ ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النملة والنحلة .

وقوله : (أن قرصتك نملة . . الخ) الكلام على الاستفهام ، واللام مقدرة ، وهو متعلق بقوله : ــ أحرقت ــ أى لأجل أن قرصتك نملة أحرقت أمة . . الخ

وفى الرواية الأخرى : (فهلا نملة واحدة) أى فهلا أحرقت نملة واحدة . قال القسطلانى فهلا أحرقت نملة واحدة ، وهى التى لدغتك .

وقد روى لهذه القصة سبب آخر ، وهو أن هذا النبى مر على قرية أهلكها الله بذنوب أهلها فوقف متعجبا ، فقال : يارب ، كان فيهم صبيان ودواب ومن لم يقترف ذنبا ، ثم نزل تحت شجرة فجرت هذه القصة ، وخوطب بهذا العتاب . اهـ ملخصا من القسطلانى ، ثم قال :

والحاصل أن العقوبة من الله عز وجل تعم ، فتصير رحمة على المطيع ، وطهارة له ، وشرا ونقمة على العاصى . والله أعلم .

وأخرج البخارى رحمه الله الحديث فى باب (خمس من الدواب فواسق يقتلن فى الحرم) جـ ٤ ص ١٢٩ . فقال :

(٢١٠) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَالِكٌ ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ ، فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ، ثُمَّ بِبَيْتِهَا فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً) .

***

وأخرجه مسلم - باب (النهى عن قتل النمل) جـ ٩ ص ٨٩ .

(٢١١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّه ، قَالَ : هَذَا مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَذَكَرَ أَحَادِيثَ ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْتَ شَجَرَة ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ ، فَأَمَرَ بِجَهَازِه فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ، وَأَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ بِالنَّارِ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً) .

***

وروى هذا الحديث مسلم بروايتين ، كما ورد فى روايتى البخارى إلا أنه قال فى بعض الروايات .

(٢١٢) (أَفِي أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ ، أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ) ؟

وأخرج الحديث النسائى فى سننه - باب (قتل النمل) جـ ٧ ص ٢١٠

(٢١٣) قال : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ نَمْلَةً قَرَصَتْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ ، فَأَوْحَى اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَيْهِ : (أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ ، أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ) .

***

وأخرجه أبو داود فى سننه - باب (فى قتل الذرّ) ج ٤ ص ٢٧٣ هامش الزرقانى على الموطإ فقال :

(٢١٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ ، فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : (فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً) .

***

ورواه أبو داود برواية أخرى ، عن أبى هريرة كرواية النسائى ، إلا أنه قال :

(٢١٥) فى أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ ، أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ ؟)

وهو على تقدير همزة الاستفهام ، المصرح بها فى رواية مسلم .

***

وأخرجه ابن ماجة فى سننه - من باب (ما ينهى عن قتله) ج ٢ ص ١٥٢ .

(٢١٦) فقال : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ نَبِيِّ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : (فى أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ ، أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ ؟)

شرح الحديث مأخوذ من شرح النووى على مسلم

قال النووى ـ رحمه الله تعالى : قال العلماء : وهذا الحديث محمول على أن شرع ذلك النبى كان فيه جواز قتل النمل ، وجواز الاحراق بالنار ، ولم يعتب الله عليه فى أصل القتل والاحراق ، بل فى الزيادة على نملة واحدة .

قال : وأما فى شرعنا فلا يجوز الاحراق بالنار ـ الا قصاصا فيمن أحرق بالنار ، وأما قتل النمل ففيه خلاف عند الأئمة .

وقوله : (فأمر بقرية النمل فأحرقت) قرية النمل هى منزلهن ، والجهاز بفتح الجيم وكسرها : هو المتاع .

وقد عرفت أن هذا الحديث محمول على أن شرع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فيه جواز قتل النمل ، وجواز الاحراق بالنار ، ولم يعتب عليه فى أصل القتل والأحراق ، وانما عتب عليه فى الزيادة على نملة واحدة .

وقوله : (فهلا نملة واحدة) أى فهلا قتلت نملة واحدة ، وهى التى قرصتك ، لأنها الجانية ، وأما غيرها فليس له جناية .

وأما فى شرعنا فلا يجوز الاحراق للحيوان ، الا اذا أحرق انسانا فمات بالاحراق ، فيجوز لوليه الاقتصاص باحراق الجانى .

وسواء فى منع الاحراق النمل وغيره ، للحديث المشهور :

(لا يعذب بالنار الا الله تعالى) .

واحتج أصحابنا فيه بحديث ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أربع من الدواب : النملة ، والنحلة ، والهدهد والصرد) رواه أبو داود باسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم . اهـ نووى

وقال القسطلانى : خص الخطابى النهى بالنمل الكبير ، أما الصغير المسمى بالذر فقتله جائز ، وكره مالك رحمه الله قتل النمل ، الا أن يضر ، ولا يقدر على دفعه الا بالقتل .

وقال الدميرى فى قوله : (فهلا نملة واحدة) : فيه دليل على جواز قتل المؤذى من الحيوان . ـ (وكل قتل لحيوان كان لنفع ، أو لدفع ضرر ، فلا بأس به عند العلماء) . اهـ من القسطلانى ، وفيه زيادات لمن أرادها . جـ ٥ ص ٣١٤

٢٣ ــ (شفقة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أمته ودعاؤه لهم)

حديث دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأُمته وبكائه شفقة عليهم أخرجه مسلم فى صحيحه ــ من كتاب الإيمان ج ٢ ص ١٧٩ هامش القسطلانى :

(٢١٧) فقال : حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدَفِيُّ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ، أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ ، حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ جُبَيْر ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ أَنَّ النَّبِيَّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ تَلَا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى فى إِبْرَاهِيمَ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ... الآية) وَقَالَ عِيسَى ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فَرَفَعَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أُمَّتِي .. أُمَّتِي ، وَبَكَى ، فَقَالَ اللهُ ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ : يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ــ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ــ فَسَلْهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ــ عَلَيْهِ السَّلَامُ ــ فَسَأَلَهُ ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ بِمَا قَالَ ــ وَهُوَ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : يَاجِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّد ، فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فى أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ) .

شرح حديث دعاء النبى ﷺ من شرح النووى على صحيح مسلم قوله : (حـدثنى يونس ابن عبد الأعلى الصدفى . . الى آخر السند) .

قال النووى رحمه الله : قدمنا أن فى يونس ست لغات : ضم النون وفتحها وكسرها ، مع الهمز فيهن وتركه ، وأما الصدفى فبفتح الصـاد والدال المهملتين ، وبالفـاء منسـوب الى الصدف ، بفتح الصاد وكسر الدال ، قبيلة معروفة .

قال أبو سعيد بن يونس : دعوته فى الصدف ، وليس من أنفسهم ولا من مواليهم .

توفى يونس بن عبد الأعلى هذا فى آخر شهر ربيع الآخر ، سنة أربع وسـتين ومـائتين ، وكان مولده فى ذى الحجة سنة سبعين ومائة ففى هذا الاسناد رواية الامام مسلم عن شيخ عاش بعده ، فان مسلما توفى سنة احدى وستين ومائتين ، كما تقدم .

وأما بكر بن سودة ، فبفتح السين ، وتخفيف الواو . والله أعلم .

وقوله : (عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ــ أن النبى ﷺ تلا قـول الله فى ابراهيم ــ ﷺ . (رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فـانه منى ومـن عصـانى فانك غفور رحيم) .

وقال عيسى ــ ﷺ : (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) .

قال القاضى عياض : قال بعضهم : قوله : (قال) هو اسم للقول لا فعل ، يقال : قال قولا وقالا ، وقيلا . كأنه قال : وتلا قول عيسى . هذا كلام القاضى عياض رحمه الله تعالى .

قوله : (عن النبى ﷺ : انه رفع يديه ، وقال : اللهم ، أمتى ، أمتى ، وبكى ، فقال الله ــ عز وجل ــ : يا جبريل ، اذهب الى محمد ــ وربك أعلم ــ فاسأله : ما يبكيك ؟ فسـأله فـأخبره النبى ــ ﷺ بما قال ــ وهو أعلم ــ أى بما قاله النبى ﷺ ــ فقـال الله تعـالى لجبريل عليه السلام : يا جبريل ، اذهب الى محمد ، فقل ــ (أى قل له : ان الله يقول لك) : انا سنرضيك فى أمتك ، ولا نسوءك .

ثم قال النووى ــ رحمه الله تعالى بعد ذلك :

وهذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد : منها بيان كمال شـفقته ﷺ ــ على أمته ، واعتنائه بمصالحهم ، واهتمامه بأمرهم .

ومنها استحباب رفع اليدين فى الدعاء ، كما فعل النبى ﷺ . ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة ــ زادها الله شرفا بما وعده الله تعالى لنبيه ــ ﷺ ــ بقوله : (انا سـنرضيك فى أمتك ولا نسوءك ، وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة ، أو أرجاها .

ومنها بيان عظيم منزلة النبى ﷺ ــ عند الله تعالى وعظيم لطفه ــ سبحانه به ــ ﷺ .

والحكمة فى ارسال جبريل ــ عليه السلام ــ لسـؤاله ــ ﷺ ــ اظهـار شرف النبى ﷺ ــ وأنه بالمحل الأعلى عند ربه تعالى ، فيسترضى ، ويكرم بما يرضيه ، أى ويكون ذلك بشهادة الملأ الأعلى ، اذ يبلغه بذلك جبريل عليه السلام ، والله أعلم .

وهذا الحديث موافق لقول الله ــ عز وجل : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)
وأما قوله تعالى : (ولا نسوءك) ــ فقال صاحب التحرير ، هو تأكيد للمعنى ، أى لا نحزنك فيهم ، لأن الارضاء قد يحصل فى حق البعض بالعفو عنهم ، ويدخل الباقى النار .

فقال (إنا سنرضيك) أى بالعفو عن أمتك ، ولا ندخل عليك حزنا من جهة أمتك ، فننجى الجميع من النار . والله أعلم .

اللهم اجز عنا نبينا محمدا ﷺ ــ أفضل ما جازيت نبيا عن قومه ، ورسولا عن أمته ، واجعلنا ياربنا من المتبعين لشريعته ، المتمسكين بهديه وسنته ، واحشرنا فى زمرة النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ــ والحمد لله رب العالمين (آمين) .

حديث (إن الله زَوَى لِيَ الأَرض فرأيت مشارقها ومغاربها)

(أَخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ـ فى كتاب الفتن)

ج ١٠ ص ٣٤٠ وما بعدها ـ من هامش القسطلانى

(٢١٨) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ـ كِلَاهُمَا عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ـ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، عَنْ ـ أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ ، عَنْ ثَوْبَانَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : (إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ : الْأَحْمَرَ ، وَالْأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً ، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ـ أَوْ قَالَ : مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا ـ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا ، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا) .

***

(٢١٩) وفى رواية ثانية لمسلم قال : وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُثَنًّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ إِسْحَاقُ : أَخْبَرَنَا ، وَقَالَ الْآخَرُونَ : حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ

قَتَادَةَ : عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحَبِيِّ ، عَنْ ثَوْبَانَ ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قالَ : إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ : مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَأَعْطَانِي الكَنْزَيْنِ : الْأَحْمَرَ ، وَالْأَبْيَضَ ، ثم ذكر نحو حديث أيوب عن أبي قلابة .

***

(٢٢٠) وفى رواية ثالثة لمسلم قال : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ - ح - (أى تحويل للسند) .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ - واللفظ له - حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنا عُثْمَانُ بْنُ حَكِيم ، أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ ، دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ : (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا ، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً ، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ ، فَأَعْطَانيها ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ، فَمَنَعَنِيهَا) .

***

وأخرج هذا الحديث ابن ماجة فى سننه - باب - (ما يكون من الفتن) ج ٢ ص ٢٤٢ وألفاظه مخالفة لألفاظ مسلم ، ونصّه كالآتى :

(٢٢١) عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : (زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ ، حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْن : الْأَصْفَرَ - (أَوِ

الْأَحْمَرَ) ، وَالْأَبْيَضَ (يعنى الذهب والفضّة) - وَقِيلَ لِى : إِنَّ مُلْكَكَ إِلَى حَيْثُ زُوِىَ لَكَ ، وَإِنِّى سَأَلْتُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ثَلَاثًا : أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِى جُوعًا ، فيُهْلِكَهُمْ بهِ عَامَّةً ، وَأَنْ لَا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا ، وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، وَأَنَّهُ قِيلَ لِى : إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَإِنِّى لَنْ أُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِكَ جُوعًا ، فَيُهْلِكَهُمْ فِيهِ ، وَلَنْ أَجْمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا ، حَتَّى يُفْنِىَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فى أُمَّتِى ، فَلَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ مِمَّا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِى أَئِمَّةً مُضِلِّينَ وَسَتَعْبُدُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِى الْأَوْثَانَ ، وَسَتَلْحَقُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِى بِالْمُشْرِكِينَ ، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَىِ السَّاعَةِ دَجَّالِينَ كَذَّابِينَ ، قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِىٌّ ، وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللهِ)

***

وأخرج النسائى فى سننه حديثاً يقرب منه ، ذكره فى باب (إحياء الليل) . فقال :

(٢٢٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ ، عَنْ خَبَّابٍ أَبِيهِ - وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ رَاقَبَ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اللَّيْلَةَ كُلَّهَا ، حَتَّى كَانَ مَعَ الْفَجْرِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ صَلَاتِه ، جَاءَهُ خَبَّابٌ ، فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى ، لَقَدْ صَلَّيْتَ اللَّيْلَةَ صَلَاةً ،

مَا رَأَيْتُكَ صَلَّيْتَ نَحْوَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : أَجَلْ ، إِنَّهَا صَلَاةُ رَغَب وَرَهَبٍ ، سَأَلْتُ رَبِّى ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فيهَا ثَلَاثَ خصَال : فَأَعْطَانِى اثْنَتَيْنِ ، وَمَنَعَنِى وَاحدَةً ، سَأَلْتُ رَبِّى ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنْ لا يُهْلكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَنَا ، فَأَعْطَانيهَا وَسَأَلْتُ رَبِّى ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَيْنَا عَدُوًّا منْ غَيْرِنَا ، فَأَعْطَانيهَا ، وَسَأَلْتُ رَبِّى أَنْ لَا يَلْبِسَكُمْ شيعًا ، فَمَنَعَنيهَا) .

شرح الحديث ، وهو مأخوذ من شرح النووى على مسلم ج ١٠ ص ٣٤٠ هامش ـ القسطلانى . قال النووى ـ رحمه الله تعالى :

قوله ﷺ : (ان الله تعالى قد زوى لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين : (الأحمر والأبيض) .

أما ـ زوى ـ فمعناه جمع . وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة ، وقد وقعت كلها بحمد الله تعالى ، كما أخبر به رسول الله ـ ﷺ ـ .

قال العلماء : المراد بالكنزين الذهب والفضة ، والمراد كنز كسرى وقيصر ، ملكى العراق والشام .

وفيه اشارة الى أن ملك هذه الأمة يكون معظمه امتدادا فى جهتى الشرق والغرب ، وهكذا وقع ، ـ وأما فى جهتى الجنوب والشمال فقليل بالنسبة الى المشرق والمغرب ، وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق ، ـ الذى لا ينطق عن الهوى ، (ان هو الا وحى يوحى) صدق الله العظيم .

وقوله ﷺ : (فيستبيح بيضتهم) أى جماعتهم وأصلهم ، والبيضة أيضا : العز والملك .

وقوله سبحانه وتعالى : (وانى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة) السنة : واحدة السنين ، والمراد بها القحط ، والمعنى : لا أهلكهم ـ بقحط يعمهم ، بل ان وقع قحط ، فيكون فى ناحية يسيرة ، بالنسبة الى باقى بلاد الاسلام .

وقد فسر ذلك فى رواية ابن ماجة : (وانى لن أسلط على أمتك ، جوعا ، فيهلكهم فيه) . ـ ثم قال النووى ـ رحمه الله تعالى : فلله الحمد والشكر على جميع نعمه ، أى التى تلطف بها أمة الاسلام ، وقوله ﷺ : (سألت ربى ثلاثا ، فأعطانى ثنتين . . الخ) قد فسر الاثنتين اللتين أعطيهما ﷺ بقوله : (سألت ربى أن لا يهلك أمتى بالسنة) أى بالجوع بسبب القحط العام (فأعطانيها) أى قبل الله تعالى من فضله طلبه فى ذلك ، وأجابه اليه ، كرما منه . (وسألته أن لا يهلك أمتى بالغرق) كما أغرق قوم نوح عليه السلام ، أو قوم

فرعون (فأعطانيها) أى وعدنى ذلك ووعده الحق . فلله الحمد والمنة ، وهذا أيضا من المعجزات الباهرة ، كما قال النووى – رحمه الله تعالى .

(وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعنيها) أى لم يجبنى الى هذه ، لحكمة سامية تقتضيها ، فقضاؤه وأحكامه ، وأفعاله كلها عين الحكمة .

وذلك كما قال فى الرواية الأولى : (حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبى بعضهم بعضا) ، وهذا كما قال الله تعالى : (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) ، وقد تكرم الله تعالى ، وأعطاه أنه لا يسلط على أمته عدوا من سوى أنفسهم ، أى من غيرهم (يستبيح بيضتهم ، ويذهب بملكهم وعزهم ، ولو اجتمع هذا العدو عليهم ، وأحاط ببلادهم من بين أقطارها) .

فلم يزل للمسلمين فى غالب بلاد الاسلام دولة قائمة يقيمون فيها شعائر دينهم دين الاسلام مهما قوى حكم المستعمرين فى بلادهم ، فلم يوجد منهم فتنة لهم عن دينهم ، الا نادرا جدا . اهـ .

وأما المذكور فى حديث ابن ماجه من الفتن – وهو وجود أئمة مضلين ، وعبادة الأوثان ، ولحوق بعض قبائل بالمشركين ، ووجود دجالين قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبى – فقد قال القسطلانى : وقد ظهر ما فى الحديث فلو عد من ادعى النبوة من زمنه ﷺ ممن اشتهر بذلك ، واتبعه جماعة على ضلاله لوجد هذا العدد – والفرق بين هؤلاء الدجالين والدجال الأكبر ، أنهم يدعون النبوة ، أما هو فيدعى الألوهية .

مع اشتراك الكل فى التمويه ، وادعاء الباطل اهـ نجانا الله من جميع الفتن آمين .

حديث (إنَّ رحمتى تغلب غضبى)

أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ـ باب ـ (قول الله تعالى : ويحذركم الله نفسه) جـ ٩ ص ١٥٠ ومن القسطلانى جـ ١٠ ص ٣٨١ .

(٢٢٣) حَدَّثَنَا عَبْدَانُ ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِى صَالِح ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فى كِتَابِه ، هُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسهِ وَهُوَ وَضِعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ ، (إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي) .

* * *

و أخرجه البخارى فى موضع آخر من كتاب التوحيد ، ولفظه :

(٢٢٤) قَالَ : لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ ، : (إِنَّ رَحْمَتَى سَبَقَتْ غَضَبِي) .

* * *

و أخرجه البخارى أيضا فى كتاب ـ بدءِ الخلق ـ أوله جـ ٥ ص ٢٥١ قسطلانى :

(٢٢٥) وهو عن أبى هريرة أيضاً ، وقال فيه : (إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي وقال فيه أيضاً : (لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ) .

* * *

وأخرجه مسلم فى التوبة ـ باب ـ (سعة رحمة الله) وأخرجه النسائى فى النعوت قال القسطلانى : وأخرجه الترمذى بلفظ ؛

(٢٢٦) (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ : (إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي)

وقال الترمذى رحمه الله : حديث حسن صحيح غريب .

***

(٢٢٧) وأخرجه ابن ماجة بلفظ : (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِيَدِهِ ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ : (رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي) .

شرح الحديث من القسطلانى من كتاب التوحيد جـ ١٠ ص ٣٨١

قوله ﷺ : (كتب فى كتابه) أى أمر القلم أن يكتب فى كتابه ، وقوله : (هو يكتب على نفسه) بيان لقوله : (كتب) وفى رواية : وهو يكتب ، فالجملة حالية .

وقوله : (وهو وضع) وضع : فيها روايات ثلاث : (١) بفتح الواو ، وسكون الضاد المعجمة ، ـ أى موضوع (٢) بفتح الواو والضاد فعل ماض مبنى للفاعل (٣) فى نسخة معتمدة بكسر الضاد مع التنوين ـ أى موضوع أيضا . (عنده) أى علم ذلك عنده (على العرش) أى مكتوبا ومستورا عن سائر الخلق ، ومرفوعا عن حيز الادراك .

والله تعالى منزه عن الحلول فى المكان ، وليس الكتب لئلا ينساه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ـ وفى بدء الخلق : (فوق العرش) وفيه تنبيه على تعظيم الأمر ، وجلالة القدر ، فان اللوح المحفوظ تحت العرش ، والكتاب المشتمل على ذلك الحكم فوق العرش .

ولعل السر فى ذلك أن ما تحت العرش عالم الأسباب والمسببات ، واللوح المحفوظ يشتمل على تفاصيل ذلك ، والمكتوب هو قوله تعالى : (ان رحمتى تغلب غضبى) والمراد بالغضب لازمه ، وهو ايصال العذا ب الى من يقع عليه الغضب ، لأن السبق والغلبة باعتبار التعلق ، أى تعلق الرحمة سابق على تعلق الغضب لأن الرحمة هى مقتضى ذاته المقدسة ، وأما الغضب فانه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث .

وذكر القسطلانى فى كتاب بدء الخلق زيادة على ذلك ، وهى ما يأتى : قال : (وقال التوربشتى : (وفى سبق الرحمة بيان أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من العذاب ، وأنها تنالهم من غير استحقاق ، وأن الغضب لا ينالهم الا باستحقاق ، ألا ترى أن الرحمة تشمل

حديث (إِنَّ عَبْدًا أصاب ذَنْبًا ، فقال : رب أصبت ذنبا)

أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ـ ج ٩ ص ١٤٥ من باب (يريدون أن يبدلوا كلام الله) فقال :

(٢٢٨) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ـ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ أَبِى عَمْرَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا ـ وَرُبَّمَا قَالَ : أَذْنَبَ ذَنْبًا ـ فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا ـ وَرُبَّمَا قَالَ : أَصَبْتُ ـ فَاغْفِرُ لِى ، فَقَالَ رَبُّهُ : أَعَلِمَ عَبْدِى أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِى ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا ـ أَوْ قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا ـ فَقَالَ : رَبِّ ، أَذْنَبْتُ ـ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ ، فَاغْفِرْهُ ، فَقَالَ : أَعَلِمَ عَبْدِى أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِى ، ثُمَّ مَكَثَ

الانسان جنينا ورضيعا ، وفطيما وناشئا من غير أن يصدر منه شىء من الطاعة ، ولا يلحقه الغضب الا بعد أن يصدر عنه من المخالفات ما يستحقه) . وقال فى المصابيح : الغضب ارادة العقاب . والرحمة ارادة الثواب والصفات لا توصف بالغلبة ، ولا يسبق بعضها بعضا . لكن جاء هذا على سبيل الاستعارة .

ولا يمتنع أن تجعل الرحمة والغضب من صفات الفعل ، لا الذات ، فالرحمة هى الثواب والاحسان ، والغضب هو الانتقام والعقاب ، فتكون الغلبة على بابها ، ـ أى ان رحمتى أكثر من غضبى . اهـ .

وقال الطيبى : وهو على وزان قوله تعالى : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أى أوجب وعدا منه أن يرحمهم . اهـ والله أعلم .

مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا ـ وَرُبَّمَا قَالَ : أَصَابَ ذَنْبًا ، فَقَالَ : رَبِّ ، أَصَبْتُ أَوْ قَالَ : أَذْنَبْتُ آخَرَ ، فَاغْفِرْهُ لِي ، فَقَالَ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا ، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ) .

وأخرج هذا الحديث مسلم فى صحيحه ـ باب ـ (سعة رحمة الله ، وأنها تغلب غضبه) ج ١٠ ص ١٨٨ هامش القسطلانى .

(٢٢٩) فقال بسنده إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ : أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، فَقَالَ . تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا ، يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِهِ ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ ، فَقَالَ : أَيْ رَبِّ ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذ بِه ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ ، فَقَالَ : أَيْ رَبِّ ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِى ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لهُ رَبًّا ، يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ) .

* * *

قال عبد الأعلى أحد الرواة : لا أدرى أقال فى الثالثة ، أو فى الرابعة : (اعْمَلْ مَا شِئْتَ) .

شرح الحديث وهو مأخوذ من القسطلانى ج ١٠ ص ٤٣٨

(أحمد بن اسحاق) بن الحصين بن جابر السرمارى ، بفتح السين وكسرها ، وسكون الراء ، نسبة الى سرمارة ، قرية من قرى بخارى .

(عمرو بن عاصم) بفتح العين ـ من عمرو ـ وسكون الميم ، أبو عثمان ، الكلاباذى ، البصرى ، حدث عنه البخارى بلا واسطة فى كتاب الصلاة وغيره ، قال : (حدثنا همام) هو ابن يحيى ، قال : (حدثنا اسحاق بن عبد الله) بن أبى طلحة الأنصارى التابعى ، الامام الجليل المشهور ، قال (سمعت عبد الرحمن بن أبى عمرة) بفتح العين ، وسكون الميم ، التابعى الجليل المدنى ، واسم أبيه كنيته ، وهو أنصارى ، صحابى ، وقيل : ان لعبد الرحمن رؤية (أى فعليه يكون صحابيا كأبيه) .

(قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ قال : ان عبدا أصاب ذنبا ـ وربما قال : (أذنب ذنبا) أى بالشك فى لفظى ـ (أصاب وأذنب) ـ (فقال : يارب أذنبت ذنبا ـ أو قال أصبت) أى ذنبا ، بالشك أيضا فيما قاله : هل قال : أذنبت ، أو أصبت (فاغفر) **أى اغفر لى ذنبى ـ ولأبى ذر : (فاغفره) ، وللكشميهنى (فاغفرلى) ـ فقال ربه : (أعلم عبدى) بهمزة الاستفهام داخلة على الفعل الماضى .**

وللأصيلى : (علم) بحذف الهمزة ـ أى وهى مقدرة ، لأن المعنى على الاستفهام التقريرى (أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ به) أى يعاقب عليه ، وللأصيلى : (يغفر الذنوب ، ويأخذ بها) (غفرت لعبدى) أى ذنبه ـ أو قال : ذنوبه : ـ

(ثم مكث ما شاء الله) من الزمان (ثم أصاب ذنبا) أى آخر ، وفى رواية حماد عند مسلم : (ثم عاد فأذنب) ـ (أو قال : أذنب ذنبا) فقال : (يارب ، أذنبت ـ أو قال : أصبت ذنبا آخر ، فاغفره) لى .

وللأصيلى : (فاغفر لى) ـ فقال ربه : أعلم ، بهمزة الاستفهام . وللأصيلى : (علم) بحذف همزة الاستفهام (عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به) أى ويعاقب عليه فاعله (غفرت لعبدى) ، (ثم مكث ما شاء الله) من الزمان (ثم أذنب ذنبا) آخر (ـ وربما قال : أصاب ذنبا) أى بالشك فى ـ (أصاب وأذنب) ـ فقال : يارب ، أصبت ـ أو قال : أذنبت) ذنبا (آخر ، فاغفره لى) .

كذا بالشك فى هذه المواضع المذكورة كلها فى هذا الحديث من هذا الوجه .

ورواه حماد بن سلمة ، عن اسحاق ، عند مسلم ، بلفظ (عن النبى ﷺ ، فيما يروى عن ربه ـ عز وجل ـ قال : أذنب عبدى ذنبا) ولم يشك ، وكذا فى بقية المواضع .

(فقال) ربه : (أعلم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ به) (غفرت لعبدى ثلاثا) أى الذنوب الثلاثة ، وسقط لفظ ـ ثلاثا ـ لأبى ذر (فليعمل ما شاء) أى اذا كان هذا دأبه ، يذنب الذنب فيتوب منه ، ويستغفر ، لا أنه يذنب الذنب ، ثم يعود اليه نفسه فان هذه توبة الكذابين .

ويدل له قوله : (أصاب ذنبا آخر) كذا قرره المنذرى ، وقال أبو العباس فى المفهم : هذا الحديث يدل على عظم فائدة الاستغفار ، وكثرة فضل الله تعالى ، وسعة رحمته وحلمه

وكرمه . لكن هذا الاستغفار هو الذى يثبت معناه فى القلب ، مقارنا للسان ، لتنحل به عقدة الاصرار ، ويحصل به الندم ، ويشهد له حديث :

(خياركم كل مفتن تواب) أى الذى يتكرر منه الذنب والتوبة ، فكلما وقع فى ذنب عاد الى التوبة .

وليس ذلك من قال : أستغفر الله بلسانه ، وقلبه مصر على تلك المعصية ، فهذا الذى استغفاره يحتاج الى استغفار .

وفى حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عند ابن أبى الدنيا مرفوعا : (التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب ، وهو مقيم عليه ، كالمستهزىء بربه) .

لكن الراجح أن قوله : (والمستغفر من الذنب موقوف) أى ليس مرفوعا الى النبى ﷺ .

وقال ابن بطال فى هذا الحديث : ان المصر على المعصية فى مشيئة الله : ان شاء عذبه ، وان شاء غفر له ، مغلبا لحسنته التى جاء بها وهى اعتقاده أن له ربا خالقا يعذبه ، ويغفر له ، واستغفاره اياه دليل على ذلك .

ويدل عليه قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) ولا حسنة أعظم من التوحيد .

فان قيل : ان استغفاره ربه توبة منه ، قلنا : ليس الاستغفار أكثر من طلب المغفرة ، وقد يطلبها المصر والتائب ، ولا دلالة فى الحديث على أنه تاب مما سأل الغفران عنه ، لأن حد التوبة الرجوع عن الذنب ، والعزم على أن لا يعود اليه ، والاقلاع عنه ـ والاستغفار بمجرده لا يفهم منه ذلك .

وقال السبكى فى الحلبيات : الاستغفار طلب المغفرة : اما باللسان ، أو بالقلب ، أو بهما . ـ فالأول فيه نفع ، لأنه خير من السكوت ، ولأنه يعتاد فعل الخير . ـ والثانى نافع جدا ـ والثالث أبلغ منه ، لكن لا يمحصان الذنب حتى توجد التوبة منه ، فان العاصى المصر يطلب المغفرة ـ ولا يستلزم ذلك وجود التوبة . . الى أن قال :

والذى ذكرته أن معنى الاستغفار غير معنى التوبة هو بحسب وضع اللفظ لكنه غلب عند كثير من الناس ، أن لفظ ـ (أستغفر الله) ـ معناه التوبة . فمن كان ذلك معتقده فهو يريد التوبة لا محالة .

ثم قال : وذكر بعضهم أن التوبة لا تتم الا بالاستغفار ، لقوله : (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) .

والمشهور : أنه لا يشترط ، وقال بعضهم : يكفى فى التوبة تحقق الندم على وقوعه منه ، فانه يستلزم الاقلاع عنه ، والعزم على أن لا يعود فهما ناشئان عن الندم ، وليس الاقلاع عنه ، والعزم على عدم العود أصلين فى تحقق التوبة ، مع الندم .

ومن ثم جاء الحديث : (الندم توبة) وهو حديث حسن من حديث ابن مسعود ، أخـرجه ابن ماجه ، وصححه الحاكم .

وأخرجه ابن حبان من حديث أنس بن مـالك ، وصـححه . أهـ ملخصـا مـن الفتح ، كل ذلك مأخوذ من القسطلانى .والله أعلم .

وقال النووى ــ رحمه الله ــ فى شرح مسلم ــ أول كتاب التوبة : (واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصى واجبة على الفور ، ووجوبها عند أهـل السـنة بالشرع ــ وعند المعتزلة بالعقل .

ولا يجب على الله قبولها عقلا ، اذا وجدت الشروط عند أهل السنة ، ولكنه يقبلها كرمـا منه وفضلا ، وعرفنا قبولها بالشرع والاجماع .

واذا تاب توبة صحيحة بشروطهـا ، ثم عاود الذنب ، كتب عليه الذنب الثانى فقـط ولم تبطل توبته ، وهذا مذهب أهل السنة ، ولو تكررت التوبة ومعـاودة الذنب صـحت اهـ والله أعلم .

حديث (وَاللهِ ، للهُ أفرح بتوبة عبده الخ)

أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، من كتاب التوبة) ج ١٠ ص ١٧١ هامش القسطلانى .

(٢٣٠) حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ ، حَدَّثَنِى زَيْدُ بْن أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي ، - واللهِ ، لَلهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ ، مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ ، ومنْ تَقَربَ إِلَيَّ شِبْرًا ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقربَ إِلَيَّ ذِرَاعًا ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِليْهِ أُهَرْوِلُ) ..

شرح الحديث مأخوذا من شرح النووى على مسلم

قال النووى ـ رحمه الله تعالى :

قوله : (عز وجل : انا عند ظن عبدى بى) قال القاضى : معناه عند ظنه بالغفران له ، اذا استغفر ، والقبول للتوبة منه اذا تاب والاجابة لدعائه اذا دعا ، والكفاية له اذا طلب الكفاية .

وقيل : المراد به الرجاء وتأميل العفو ، وهذا أصح .

وقوله : (وأنا معه حيث يذكرنى) أى معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية والاعانة .

وأما قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) فمعناه معكم بالعلم والاحاطة .

وقوله فى آخر الحديث : (ومن تقرب الى شبرا) أى مقدار شبر الخ قد سبق أن هذا من أحاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره .

حديث « إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّن دَخَلَ ٱلنَّارَ اشْتَدَّ صِيَاحُهُمَا » .

أخرجه الإمام أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ من صفات أهل النار ـ ج ٢ ص ٩٩ .

(٢٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ ، اشْتَدَّ صِيَاحُهُمَا ، فَقَالَ الرَّبُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَخْرِجُوهُمَا ، فَلَمَّا أُخْرِجَا قَالَ لَهُمَا : لِأَيِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُمَا ؟ قَالَا : فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَرْحَمَنَا ، قَالَ : إِنَّ رَحْمَتِي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا فَتُلْقِيَا بِأَنْفُسِكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ فَيَنْطَلِقَانِ ، فَيُلْقِي أَحَدُهُمَا نَفْسَهُ ، فَيَجْعَلُهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَيَقُومُ الْآخَرُ فَلَا يُلْقِي نَفْسَهُ ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُلْقِي

فالواجب اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات الحوادث ، التى منها المشى والحركة والانتقال ، ونحو ذلك مما يلزم منه الحدوث والتغير ـ تعالى الله عن ذلك ومعناه هنا : من تقرب الى بطاعتى تقربت اليه برحمتى وبالتوفيق والاعانة ، وان زاد فى الطاعة ، زدته رحمة وتوفيقا زيادة مضاعفة . فان أتانى يمشى وأسرع فى طاعتى ، أتيته هرولة ، أى صببت عليه الرحمة صبا ، وسبقته بها ، ولم أحوجه الى المشى الكثير فى الوصول الى المقصود ، والمراد : ان جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه . والله أعلم . اهـ نووى .

وقوله ﷺ : (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة) .

قال العلماء : فرح الله تعالى : هو رضاه بذلك .

وقال المازرى ـ رحمه الله تعالى : الفرح يأتى على وجوه :

منها السرور ، والسرور يقارنه الرضا بالمسرور به ، أى والاحسان اليه ، قال :فالمراد هنا أن الله تعالى يرضى بتوبة عبده ، أشد مما يرضى الواجد لضالته فى الفلاة .

فعبر عن الرضا بالفرح ، تأكيدا لمعنى الرضا فى نفس السامع ، ومبالغة فى تقريره وايضاحه ، وشدة تحققه . اهـ نووى من ج ١٠ ص ١٧٢ .



نَفْسَكَ كَمَا أَلْقَى صَاحِبُكَ ؟ فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، إِنِّى لَأَرْجُو أَنْ لَا تُعِيدَنِى فِيهَا ، بَعْدَمَا أَخْرَجْتَنِى ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ : لَكَ رَجَاؤُكَ ، فَيَدْخُلَانِ جَمِيعًا الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللهِ)

* * *

قال أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ : إسناد هذا الحديث ضعيف ، لأنه عن رُشدين بن سعد ـ ورشدين بن سعدهو ضعيف عند أهل الحديث .

ورشدين بن سعد أخذ عن ابن أَبى نُعْم الإفريقى ، والإفريقى أيضاً ضعيف عند أهل الحديث . اهـ أى فيكون فى سنده رجلان ضعيفان لأن رشدين بن سعد ، وابن أبى نعم من رجال سند هذا الحديث .

الشرح لهذا الحديث :

قوله ﷺ : (ان رجلين ممن دخل النار الخ) .

لابد أن يكون هذان الرجلان كانا موحدين ، لا مشركين ، لأن الجنة محرمة على من أشرك بالله تعالى شيئا ، والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) كما نطق بذلك القرآن الكريم .

وكما قال تعالى : (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) . والمراد : أن الله تعالى رحم هذين الرجلين وأخرجهما من النار لأنه امتحنهما فامتثل أحدهما أمر الله دون تأخير وتأويل ، وألقى بنفسه فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما بفضله وكرمه ـ وأما الثانى فقد اشتد رجاؤه فى رحمة الله تعالى وقد سبقت رحمته تعالى غضبه ، فتداركته رحمته . ـ وليس المراد بذلك أن كل أحد له أن يتكل على ذلك ويقصر فى العمل ، بل المقصود بيان سعة رحمة الله ، وأنه يخص بها من يشاء من عباده كما فعل بهذين الرجلين ، نسأله تعالى أن يعمنا برحمته ، التى وسعت كل شىء آمين .

ولا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من فلان

أخرج البخارى ـ رحمه الله ـ حديث النذر فى كتاب القدر ـ من باب (إلقاءِ النذر العبد إلى القدر) جـ ٨ ص ١٢٥ .

(٢٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مُرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : نَهَى النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَنِ النَّذْرِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ لَايَرُدُّ شَيْئًا وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ) .

* * *

وأخرج البخارى أيضاً :

(٢٣٣) وَحَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّام بْنِ مُنَبِّهٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ قَالَ : لَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرْتُهُ ، وَلٰكِنْ يُلْقِيه الْقَدَرُ ، وَقَدْ قَدَّرْتُهُ لَهُ ، أَسْتَخْرِجُ بِهِ ، مِنَ الْبَخِيل) .

* * *

وأخرجه ابن ماجة فى سننه ـ بلفظ

(٢٣٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِى ابْنَ آدَمَ بِشَيْءٍ إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ ، وَلَكِنْ يَغْلِبُهُ الْقَدَرُ مَا قُدِّرَ لَهُ ، فَيَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ ، فَيُيَسَّرُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُيَسَّرُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ : (أَنْفِقْ ، أُنْفِقْ عَلَيْكَ) .

شرح حديث النذر من القسطلانى ج ٩ ص ٣٥٣

الحديث الأول ـ ليس فيه دليل ولا اشارة الى أنه حديث قدسى ، بل هو حديث نبوى ـ وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضا ، وأبو داود ، والنسائى فى النذور ، وابن ماجه فى الكفارات والنهى عن النذر فى الحديث للتنزيه ، لا للتحريم .

ولمسلم : (لا تنذروا ـ فإن النذر لا يغنى من القدر شيئا) والمعنى : لا تنذروا على أنكم تقصدون أن تصرفوا به ما قدره الله عليكم ، أو على أنكم تدركون به شيئا لم يقدره الله لكم .

وقوله : (وانما يستخرج به من البخيل) أى يستخرج بالنذر من الشخص البخيل ، فكأنه لا يتصدق الا بعوض يستوفيه أولا ـ والنذر قد يوافق القدر الذى قدره الله للعبد ، فيتصدق البخيل ، ويخرج ما لولاه لم يكن يريد أن يخرجه .

وفى قوله : (يستخرج به) دلالة على وجوب الوفاء .

والمنهى عنه النذر الذى يعتقد فيه أنه يغنى عن القدر بنفسه كما زعموا ، وكم من جماعة يعتقدون ذلك ، لما شاهدوه فى غالب الأحوال من حصول المطالب بالنذر .

وأما اذا نذر واعتقد أن الله تعالى هو الضار ، وهو النافع ، وأن ما قدره فهو لابد واقع ـ وأن النذر كالوسيلة والذريعة لقضاء الحوائج فلا يكون حينئذ منهيا عنه ، بل هو طاعة ، يجب الوفاء به .

وأما الحديث الثانى فالظاهر منه أنه حديث قدسى ، لقوله فيه : (لا يأتى ابن آدم النذر بشىء لم يكن قد قدرته . . ثم قال : استخرج به من البخيل) فان الأفعال فيه مسندة الى من يقدر ـ ومن يستخرج ـ وليس هناك من يفعل ذلك الا الله تعالى .

وقوله : (لا يأتى ابن آدم النذر . . الخ) يأت ــ بغير ياء فى نسخة الفــرع ، على الموصــل مثل (سندع الزبانية) بغير واو ــ من سندع ــ وفى بقية النســخ بياء على الأصــل (ولكن يلقيه القدر) أى يلقيه القدر الى النذر أى يكون القدر سببا فى النذر ، فيلقيه القدر ويجــره الى النذر (استخرج به) أى بالنذر (من البخيل) الذى لا يتصدق ابتداء من نفسه ، ابتغاء مرضاة الله تعالى .

فالذى ينبغى أن يكون الباعث للعبد على فعــل الخير هــو طلب رضــا الله تعــالى ، دون عرض آخر . والله أعلم .

والحديث الثانى من أفراد البخارى رحمه الله اهـ . قسطلانى .

حديث (لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن مَتَّى) .

أَخرجه البخاري – رحمه الله تعالى من كتاب التوحيد – باب – (ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وروايته عن ربه) ج ٩ ص ١٥٧ .

(٢٣٥) حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ ، حَدَّثَنا شُعْبَة ، عَنْ قَتَادَةَ – (ح) أَي تحويل للسند – وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْع ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ ، قَالَ : لَايَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ : إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ .

* * *

وأَخرجه مسلم في صحيحه – في باب – (من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم) .

(٢٣٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُثَنَّى ، وَمُحَمَّدُ ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : سَمِعْتُ حَمِيدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ : – (يعني الله تبارك وتعالى) لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ لِي – (وقال ابن مثنى : لعبد) أَنْ يَقُولَ : (أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى – صلى الله عليه وسلم) .

وقال ابن أَبي شيبة : محمد بن جعفر ، عن شعبة . (تحويل) .

(٢٣٧) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّار - (واللفظ لابن مثنى) قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ : حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (يعنى ابن عباس رضى الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ - مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ، ونسبه إلى أَبيه) .

شرح الحديث - أولا - من القسطلاني جـ ١٠ ص ٤٦٥

(حدثنا حفص بن عمر) بن الحارث بن سخبرة الأزدى ، أبو عمر ، الحوضى (شعبة) ابن الحجاج (حدثنا قتادة) هو ابن دعامة السدوسى .

(ح) اصطلح المحدثون أن يذكروا حرف (ح) اذا أرادوا تحويل السند من طريق الى أخرى ، تتصل بالراوى الذى وجد عنده التحويل ، وهم يقتصرون على حرف (ح) اختصارا - وقد يصرحون بالتحويل .

قال البخارى رحمه الله تعالى فى السند الآخر :

(وقال لي خليفة) بن خياط (حدثنا يزيد بن زريع) بضم الزاى من زريع مصغرا (عن سعيد) هو ابن أبى عروبة - (واللفظ لسعيد) عن قتادة فاجتمع الاسنادان عند - قتادة - (عن أبى العالية) رفيع بضم الراء وفتح الفاء وسكون الياء - الرياحى .

(عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ - فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : (لا ينبغى لعبد أن يقول : انه) .

ولابى ذر عن الحموى والمستملى : (أن يقول : أنا خير من يونس بن متى) بفتح الميم ، وتشديد التاء الفوقية ، مقصورا (ونسبه الى أبيه) .

أى ليس لأحد أن يفضل نفسه على يونس ، أو ليس لأحد أن يفضلنى عليه تفضيلا ، يؤدى الى تنقيصه ، لا سيما ان توهم أن ذلك مأخوذ من قصة الحوت فانها ليست حاطة من مرتبته العلية - صلوات الله وسلامه على جميعهم وزادهم شرفا .

أو قاله تواضعا منه ﷺ - أو قاله قبل علمه بسيادته على الجميع ، والدلائل متظاهرة على تفضيله ﷺ عليهم جميعا .

ثم قال القسطلانى : والحديث قد سبق فى سورة النساء والأنعام ، وليس فيه : (فيما يرويه عن ربه) ولا عن الله ـ وكذا فى أحاديث الأنبياء عن حفص بن عمر ـ بالسند المذكور .

قال فى الفتح : وقد أخرجه الاسماعيلى من رواية عبد الرحمن بن مهدى ، ولم أر فى شىء من الطرق عن شعبة فيه : (عن ربه ـ ولا عن الله) .

وقال السفاقسى : ليس فى أكثر الروايات (يرويه عن ربه) فان كان محفوظا فهو من سوى النبى ﷺ . اهـ من القسطلانى والله أعلم .

شرح الحديث من شرح النووى على مسلم رحمهما الله تعالى :

قال النووى ـ رحمه الله : (قوله ﷺ : ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى) وفى رواية :

(ان الله تبارك وتعالى : قال : لا ينبغى لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى) .

(ان الله تبارك وتعالى : قال : لا ينبغى لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى) قال العلماء : هذه الأحاديث تحتمل وجهين : أحدهما أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس ، فلما علم ذلك .

قال : (أنا سيد ولد آدم) ولم يقل هنا : ان يونس عليه السلام أفضل منه أو من غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

والثانى : أنه ﷺ قال هذا زجرا عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئا من حط مرتبة يونس ـ ﷺ من أجل ما ذكر من قصته فى القرآن العزيز .

قال العلماء : وما جرى ليونس ﷺ لم يحط من قدر النبوة مثقال ذرة ، وخص يونس بالذكر ، لما ذكرناه من ذكره فى القرآن .

وأما قوله ﷺ : (ما ينبغى لعبد أن يقول : أنا خير من يونس) فالضمير فى قوله : ـ أنا ـ يعود الى النبى ﷺ ، وقيل : يعود الى القائل ، أى لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين فى عبادة أو علم أو غير ذلك من الفضائل ، فانه لو بلغ أحد من الفضائل ما بلغ ، لم يبلغ درجة النبوة ، ويؤيد هذا التأويل رواية : (لا ينبغى لعبد لى أن يقول : أنا خير من يونس بن متى) اهـ والله أعلم من النووى .

حديث (فضل إنظار المعسر)

أخرجه مسلم فى صحيحه ـ فى كتاب المساقاة والمزارعة) .

جـ ٦ ص ٤٣٥ هامش القسطلانى .

(٢٣٨) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ ، حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ ، عَنْ رِبْعِيٍّ بْنِ حِرَاشٍ ، أَنَّ حُذَيْفَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ حَدَّثَهُمْ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُل مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَقَالُوا : أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالُوا : تَذَكَّرْ ، قَالَ : كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتيَانِى أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ ، قَالَ : قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : تَجَوَّزُوا عَنْهُ) .

***

(٢٣٩) وفى رواية ثانية لمسلم ، بسنده إلى رِبْعِىٍّ بْنِ حِرَاشٍ ، قَالَ : اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ ، وَأَبُو مَسْعُودٍ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : رَجُلٌ لَقِىَ رَبَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَقَالَ : مَا عَمِلْتَ ؟ قَالَ : مَا عَمِلْتُ مِنَ الْخَيْرِ ، إِلَّا أَنِّى كُنْتُ رَجُلًا ذَا مَال ، فَكُنْتُ أُطَالِبُ بِهِ النَّاسَ ، فَكُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ ،

وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسُورِ ، فَقَالَ : تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدى . قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ : هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ) .

(٢٤٠) وفى رواية ثالثة له ، بسنده إلى ربعى بن حراش ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : أَتَى اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ ، آتَاهُ اللهُ مَالًا ، فَقَالَ لَهُ : مَاذَا عَمِلْتَ فى الدُّنْيَا ؟ ـ قَالَ : (وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا) ـ قَالَ : يَارَبِّ ، آتَيْتَنِي مَالَكَ ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِى الْجَوَازُ ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ ، فَقَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِى) .

فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِىُّ ، وَأَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِىُّ : هَكَذَا سَمِعْنَاهُ مِنْ ـ فى ـ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

* * *

(٢٤١) وفى رواية رابعة له ، بسنده إِلَى أَبِى مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِىِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَىْءٌ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَكَانَ مُوسِرًا ، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ ، قَالَ : قَالَ اللهُ : نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ تَجَاوَزُوا عَنْهُ) .

(٢٤٢) وأخرجه مسلم أيضاً بسنده إلى أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ ،

فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ : إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا ، فَتَجَاوَزْ عَنْهُ ، لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا ، فَلَقِيَ اللهَ تَعَالَى ، فَتَجاوَزَ عَنْهُ) .

وأَخرج مسلم من طريق أُخرى إلى أَبي هريرة أَيضاً ، بمثل ذلك .

***

وأَخرج هذا الحديث النسائى فى سننه – فى باب – (حُسْن المعاملة والرفق فى المطالبة) .

(٢٤٣) فقال بسنده إلى أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قالَ : إِنَّ رَجُلًا لمْ يَعْمَلْ خيْرًا قطُّ ، وَكان يُدَايِنُ النَّاسَ ، فيَقُولُ لِرَسُولِهِ : خُذْ مَا تيَسَّرَ ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ ، وَتجَاوَزْ ، لعَلَّ اللهَ تعَالَى أَنْ يَتجَاوَز عَنَّا ، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى ، قُلْتُ لَهُ ، خُذْ مَا تَيَسَّرَ ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ ، وَتَجَاوَزْ ، لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا ، – قَالَ اللهُ تَعَالَى : قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ) .

شرح الحديث مأخوذ من شرح النووى على صحيح مسلم رحمهما الله تعالى (من باب فضل انظار المعسر) .

قوله : (كنت أداين الناس ، فآمر فتيانى أن ينظروا المعسر ، ويتجوزوا عن الموسر ، قال الله : (تجوزوا عنه) – وفى رواية : (كنت أقبل الميسور ، وأتجاوز عن المعسور) .

وفى رواية : (كنت أنظر المعسر ، وأتجوز فى السكة – أو فى النقد) .

وفى رواية : (وكان من خلقى الجواز ، فكنت أتيسر على الموسر ، وأنظر المعسر) – فقوله : (فتيانى) معناه غلمانى ، كما صرح به فى الرواية الأخرى .

والتجاوز ، والتجوز – معناهما المسامحة فى الاقتضاء والاستيفاء ، وقبول ما فيه نقص يسير كما قال : (وأتجوز فى السكة) .

وفى هذه الأحاديث فضل إنظار المعسر ، والوضع عنه : إما لكل الدين ، وإما لبعضه : من كثير أو قليل .

وفيها أيضا المسامحة فى الاقتضاء وفى الاستيفاء : سواء كان استيفاؤه من موسر أو معسر ، وفيها فضل الوضع من الدين ، وأنه لا يحتقر شيء من أفعال الخير ، فلعله يكون سببا للسعادة والرحمة .

وفيه جواز توكيل العبيد ، والاذن لهم فى التصرف ، وهذا على قول من يقول : (شرع من قبلنا شرع لنا) .

وقوله : (الميسور والمعسور) أى آخذ ما تيسر ، وأسامح بما تعسر .

وقوله فى الرواية الأخرى :

(حدثنا أبو سعيد) هو الأشج (حدثنا خالد) الأحمر (عن سعيد) ابن طارق ، (عن ربعى بن حراش ، عن حذيفة) .

ثم قال فى آخر الحديث :

(فقال عقبة بن عامر الجهنى ، وأبو مسعود الانصارى : هكذا سمعناه من — فى — رسول الله ﷺ .

هكذا هو فى جميع النسخ : (فقال عقبة بن عامر ، وأبو مسعود)

قال الحفاظ : هذا الحديث انما هو محفوظ لأبى مسعود عقبة بن عمرو الانصارى البدرى وحده . وليس لعقبة بن عامر فيه رواية .

قال الدارقطنى : والوهم فى هذا الاسناد من أبى خالد الأحمر ، قال : وصوابه فقال عقبة ابن عمرو ، وأبو مسعود الانصارى ، كذا رواه أصحاب أبى مالك — سعد بن طارق ، وتابعهم نعيم بن أبى هند ، وعبد الملك بن عمير ، ومنصور وغيرهم . اهـ نووى عن حذيفة ، فقالوا فى آخر الحديث :

(فقال عقبة بن عمرو ، وأبو مسعود . . الخ)

وذكر مسلم فى هذا الباب حديث منصور ، ونعيم ، وعبد الملك ، والله أعلم اهـ نووى .

قلت : وأخرج مسلم فى هذا الباب .

(باب فضل إنظار المعسر ، والتجاوز فى الاقتضاء) أخرج حديثا سأذكره ، وإن لم يظهر فيه ما يدل على أنه حديث قدسىّ ، وهو قوله :

(٢٤٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُثَنَّى ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ رِبْعِىٍّ بْنِ حِرَاشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّ رَجُلًا مَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا كُنْتَ تَعْمَلُ ؟ ـ فَقَالَ : إِنِّى كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ ، فَكُنْتُ أُنْظِرُ الْمُعْسِرَ ، وَأَتَجَوَّزُ فى السِّكَّةِ ـ أَوْ فى النَّقْدِ ، فَغُفِرَ لَهُ) .

(فقال أبو مسعود : وَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

حديث (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا)

أخرجه البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتاب البيوع ـ باب (من أنظر معسرا) ج ٤ ص ٢١ ، وليس فيه تصريح بأنه حديث قدسىّ ولكن فيه احتمال بأنه قدسىّ . قال :

(٢٤٥) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ ، حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ أَنَّ رِبْعِىَّ بْنَ حِرَاشٍ حَدَّثَهُ ، أَنَّ حُذَيْفَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ حَدَّثَهُ قَالَ :

قَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوح رَجُل مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالُوا ـ أَوْ فَقَالُوا : أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا ، وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ ، قَالَ : فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ) ـ أى بأَمْر الله تعالى لهم بذلك . والله أعلم .

* * *

(٢٤٦) وقال أبو مالك عن رِبْعِيٍّ : كُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى الْمُوسِرِ ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ) .

وقال أبو عوانة ، عن عبد الملك ، عن رِبْعِيٍّ : (أُنْظِرُ الْمُوسِرَ ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ) .

* * *

ثم قال البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ فى باب (فضل من أنظر معسرا) .

(٢٤٧) حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّار ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ ، حَدَّثَنَا الزُّبَيْدِيُّ عن الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ : تَجَاوَزُوا عَنْهُ ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا ، فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ)

(٢٤٨) وأخرجه البخارى فى بنى إسرائيل عن حذيفة قال :

سمعته ـ أى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يقولُ : إنَّ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُ ، قِيلَ لَهُ : انْظُرْ ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنِّى كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فى الدُّنْيَا ، فَأُجَازِيهِمْ ، فَأُنْظِرُ الْمُوسِرَ ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ ، فَأَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ) .

ما يتعلق بشرح الحديث من القسطلانى

(ربعى بن حراش) ربعى ـ بكسر الراء ، وسكون الباء الموحدة ، وكسر العين بعدها ياء مشددة ـ وحراش بكسر الحاء المهملة ، وتخفيف الراء ، وبعد الألف شين معجمة ـ (حذيفة) هو ابن اليمان ـ رضى الله عنه .

وقوله : (ويتجاوزوا عن الموسر) أى يتسامحوا معه فى الاستيفاء .
وقوله : (فتجاوزوا عنه) ـ وفى لفظ مسلم : (فقال الله عز وجل : أنا أحق بذلك منك ، تجاوزوا عن عبدى) .
أقول : فرواية مسلم هذه تدل على أن حديث البخارى حديث قدسى ، وان لم يصرح فيه بذلك

ثم قال القسطلانى ـ رحمه الله تعالى : وفى حديث أبى اليسر : (من أنظر معسرا ، ووضع عنه ، أظله الله فى ظل عرشه) ـ وقد أمر الله تعالى بالصبر على المعسر ، فقال : (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) ـ أى فعليكم تأخير الى ميسرة ـ لا كفعل الجاهلية ، فكانوا اذا حل الدين يقولون للمدين : (اما القضاء ، واما بالربا) ـ فمتى علم صاحب الحق عسر المدين حرمت عليه مطالبته ، وان لم يثبت عسره عند الحاكم .

وحكى القرافى وغيره أن ابراء المعسر أفضل من إنظاره ، واستثنى ذلك من قاعدة (الفرض أفضل من النافلة) لأن انظاره واجب وابراءه مستحب . وهو أفضل من الانظار وورد فى فضل الانظار للمعسر ما رواه الامام أحمد قال رسول الله ﷺ : (من أنظر معسرا ، كان له بكل يوم صدقة) فالمنظر ينال كل يوم عوضا جديدا . اهـ والله أعلم .

حديث فى النهى عن الفحشاء

أخرجه مسلم ــ باب ــ (النهى عن الفحشاء) جـ ٩ ص ٤٥٨ هامش القسطلانى .

(٢٤٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِىءَ عَلَيْهِ ، عَنْ سَهْلٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ــ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ : تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا ، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، فَيُقَالُ : أَنْظِرُوا هَذَيْنِ ، حَتَّى يَصْطَلِحَا ، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ، أَنْظِرُوا هذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) .

* * *

وأخرجه مُسْلِمٌ من طريق أُخرى ، غير أنه قال فيه :

(٢٥٠) (إِلَّا الْمُتَهَاجِرَيْنِ) من رواية عبيدة .

وقال قُتَيْبَةُ : (إِلَّا الْمُهْتَجِرَيْنِ) .

* * *

(٢٥١) وفى رواية أُخرى عن أَبِى هريرة ــ رَفَعَهُ ــ قَالَ : تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِى كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ ، أَوِ اثْنَيْنِ ، فَيَغْفِرُ اللهُ ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِىءٍ ، لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا ، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، فَيُقَالُ : ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) .

(٢٥٢) وفى رواية أخرى عن أبي هريرة أَيْضًا ، عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ ، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ : يَوْمَ الإِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ ، إِلَّا عَبْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ : اتْرُكُوا - أَوِ ارْكُوا هَذَيْنِ ، حَتَّى يَفِيئَا) .

* * *

(٢٥٣) وأخرجه الإمام مالك - رحمه الله تعالى - فى الموطأ عن أبي هريرة بروايتين : إحداهما مثل رواية مسلم الأخيرة ، إلا أنه لم يشك بل قال : (فَيُقَالُ : اتْرُكُوا هَذَيْنِ ، حَتَّى يَفِيئَا) .

* * *

(٢٥٤) والرواية الثانية مثل رواية مسلم المذكورة هنا أولا ، غير أنه ليس فيها تكرير لقوله : (انْظُرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) - بل ذكرها مرة واحدة فقط .

* * *

وأخرج هذا الحديث أبو داود فى سننه - فى باب من يهجر أخاه المسلم ج ٤ ص ٢١٨ .

(٢٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ كُلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ ، فَيُغْفَرُ فِي ذَيْنِكَ الْيَوْمَيْنِ لِكُلِّ عَبْدٍ ، لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا ، إِلَّا مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ - (أى من قِبَلِ الله تعالى) : أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) .

* * *

قال أبو داود : إذا كانت الهجرة لله فليس من هذا . ا هـ .

وأخرج البخارى أَحاديث الهجرة - فى باب ذم الهجرة من كتاب الأَدب جـ ٩ ص ٥٢ قسطلانى :

(٢٥٦) ومنها عَنْ أَبِى أَيُّوب الْأَنْصَارِىِّ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاث ، يَلْتَقِيَانِ ، فَيُعْرِضُ هَذَا ، وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِى يَبْدَأُ بِالسَّلَام) .

* * *

وأَخرج بسنده إلى عوف بن مالك بن الطفيل (هو ابن الحارث) وهو ابن أَخى عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم لأُمها (أُم رومان بنت عامر الكنانية) .

(٢٥٧) أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهَا - حُدِّثَتْ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ - قَالَ فى بَيْع - أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ : وَاللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : أَهُوَ قالَ هذَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَتْ : هُوَ لله عَلَىَّ نَذْرٌ أَنْ لَا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا ، فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِينَ طَالَتْ الْهِجْرَةُ ، فَقَالَتْ : لَا ، وَاللهِ لَا أُشَفِّعُ فيه أَبَدًا ، وَلَا أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِى ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، كَلَّمَ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ الْأَسْوَد بْنِ عَبْد يَغُوثَ - وهما من بنى زهرة - وَقَالَ : أَنْشُدُكُمَا بِاللهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِى عَلَى عَائِشَةَ ، فَإِنَّهَا لَا يَحلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِى ، فَأَقْبَلَ بِهِ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا حَتَّى

اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ ، فَقَالَا : السَّلَامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، أَنَدْخُلُ قَالَتْ عَائِشَةُ : ادْخُلُوا قَالُوا : كُلُّنَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، ادْخُلُوا كُلُّكُمْ ، وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ ، فَلَمَّا دَخَلُوا ، دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ ، وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي ، وَطَفِقَ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمٰن يُنَاشِدَانِهَا إِلَّا مَا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ ، وَيَقُولَانِ : إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَهَى عَمَّا عَلِمْتِ ، مِنَ الْهِجْرَةِ ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ ، طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا وَتَبْكِي ، وَتَقُولُ : إِنِّي نَذَرْتُ ، وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ ، فَلَمْ يَزَالَا بِهَا ، حَتَّى كَلَّمَتِ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَتَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا) .

قال القسطلانى ــ رحمه الله تعالى : واختلف فى النذر اذا خرج مخرج اليمين ، مثل أن قال : ان كلمت فلانا فلله على عتق رقبة ، فهذا نذر خرج مخرج اليمين لانه قصد به منع نفسه عن الفعل ، فاذا فعل ذلك وجبت كفارة اليمين ، كماذهب اليه الشافعى وأكثر السلف ــ ويسمى نذر اللجاج .

وقالت المالكية : انما ينعقد النذر اذا كان فى طاعته ، مثل ــ لله على أن أعتق ، وحينئذ فنذر ترك الكلام الصادر من عائشة فى حق ابن الزبير رضى الله عنهما ــ يفضى الى التهاجر ، وهو حرام أو مكروه .

وأجيب بأن عائشة رضى الله عنها : رأت أن ابن الزبير ارتكب بقوله : (لأحجرن عليها) أمرا عظيما ، لما فيه من تنقيصها ، ونسبته لها الى التبذير الموجب لمنعها من التصرف ، مع ما انضاف الى ذلك من كونها أم المؤمنين ، وخالته أخت أمه فكأنها رأت أن الذى صدر منه نوع عقوق ، فهو فى معنى نهيه صلى الله عليه وسلم المسلمين من كلام كعب بن مالك وصاحبيه، لذلك نذرت مقاطعته . أهـ .

شرح الحديث من شرح النووى على صحيح مسلم

قال النووى ـ رحمه الله : قـوله ﷺ : (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس) . الحديث

قال القاضى ـ رحمه الله : قال الباجى : معنى فتحها كثرة الصـفح والغفـران ، ورفـع المنازل ، واعطاء الثواب الجزيل .

قال القاضى ـ رحمه الله : ويحتمل أن يكون على ظاهره ، وأن فتح أبوابها علامة لذلك .

وقوله ﷺ : (اركوا هذين حتى يصطلحا) . قـوله : (اركوا) بالراء السـاكنة ، وضـم الكاف ، والهمزة فى أوله ـ همزة وصل ، أى أخروا . يقال : ركاه يركوه ركوا ـ اذا أخره .

قال صاحب التحرير :

يجوز أن يرويه بقطع الهمزة المفتوحة ، من قولهم : أركيت الأمر اذا أخرته .

وذكر غيره أنه روى بقطعها وبوصلها . والشحناء العداوة ، كأنه شحن بغضا له .

وقوله : (وأنظروا هذين حتى يصطلحا) هو بقطع الهمزة أمر من أنظر ـ اذا اخـر ، أى أخروهما حتى يفيئا ، أى يرجعا الى الصلح والمودة . اهـ نووى .

فالمودة بينهما تكون سببا لعطف الله عليهما بالمغفرة والرحمة . اهـ والله اعلم .

تنبيه

الحديث رقم ٢٥٦ والحديث رقم ٢٥٧ هـذان الحـديثان ليس كل منهمـا مـن الأحاديث القدسية .

وقد ذكرا هنا لبيان أن الهجرة حرام فوق ثلاث ليال ، وأن محل ذلك اذا لم تكن الهجـرة وعدم الكلام لله تعالى . كما فعلت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ مع عبد الله بن الزبير ـ رضى الله عنهما ـ فقد رأت عائشة رضى الله عنها أن تركها لكلامه كان لله تعالى ، حيث أنه لم يراع حرمة أم المؤمنين رضى الله عنها كما لم يراع حقها من حيث أنها خالته أخت أمـه السيدة أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين . والله أعلم .

(حديث المتحابين فى الله تعالى)

أخرجه مسلم فى صحيحه من كتاب الفضائل - باب - (فضل الحب فى الله تعالى) ج ٩ ص ٤٦٠ من هامش القسطلانى .

(٢٥٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فيمَا قُرِىءَ عَلَيْهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَبِى الْحُبَابِ ، سَعِيدِ ابْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِى ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فى ظِلِّى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّى) .

* * *

(٢٥٩) وأَخرج الإمام مسلم أَيضاً - من باب فضل الحب فى الله قال : وَحَدَّثَنِى عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ ، حَدَّثَنَا حَمادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَبِى رَافِعٍ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِىِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فى قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِى فى هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فى اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ : فَإِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ) .

* * *

(٢٦٠) وأخرج الإمام مالك فى الموطأ حديث المتحابين فى الله المذكور أولا عن مسلم ، غير أنه قال : (أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ لِجَلَالِى) ؟ وبقيته مثل لفظ مسلم .

(٢٦١) وأخرج حديثا آخر : عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : وَجَبَتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَحَابِّينَ فِىَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِىَّ ، وَالْمُتزَاوِرِينَ فِىَّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِىَّ) .

* * *

وللحديث قصة طريفة فى متن الموطأ وهى ما يأتى :

(٢٦٢) حَدَّثَنِى مَالِكٌ ، عَنْ أَبِى حَازِمِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِى إِدْرِيسَ - الْخَوْلَانِىِّ ، أَنَّهُ قَالَ : دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ ، فَإِذَا فَتىً شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا ، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ - (وفى رواية : وَمَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ عِشْرُونَ - وفى رِوَايَةٍ : ثَلَاثُونَ) إِذَا اخْتَلَفُوا فى شَىْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ ، وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْغدُ هَجَّرْتُ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِى بِالتَّهْجِيرِ ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّى ، قَالَ : فانْتَظَرْتُهُ حَتَّىٰ قَضَى صَلَاتَهُ ، ثُمَّ جِئْتُهُ ، مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْه ، ثُمَّ قُلْتُ : وَاللهِ إِنِّى لَأُحِبُّكَ للهِ ، فقالَ : آللهِ ؟ فقُلْتُ : آللهِ ، فقَالَ : آللهِ ؟ فقُلْتُ : آللهِ ، فَقَالَ : آللهِ ؟ فَقُلْتُ : آللهِ ، فَأَخَذَ بِحَبْوِ رِدَائِى - (وفى رواية : بِحَبْوَتَىْ رِدَائِى) فَجَبَذَنِى إِلَيْهِ ، وَقَالَ : أَبْشِرْ ، فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : قَالَ اللهُ -

تبَارَكَ وَتَعَالَى ـ : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتجَالِسِينَ فِيَّ ، والْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ) . اهـ من متن الموطأ .

زاد الطبرانيُّ : (وَالْمُتَصَادِقِينَ فِيَّ) .

وفى الزرقانى : وهذا الحديث صحيح ، قال الحاكم : على شرط الشيخين .

وقال ابن عبد البر : هذا إسناد صحيح .

ومعنى المتباذلين فيَّ : أنهم يبذلون أنفسهم وأموالهم لله تعالى .

* * *

وأخرجه الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ فى باب ـ (الحب فى الله)

عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ ولفظه :

(٢٦٣) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : الْمُتَحَابُّونَ فِى جَلَالِى لَهمْ مَنَابِرُ ، مِنْ نُور ، يَغْبطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ) .

قال الترمذى : حديث حسن صحيح ج ٢ ص ٦٣

شرح الحديث مأخوذ من شرح النووى هامش القسطلانى جـ ٩ ص ٤٦٠

قال النووى ـ رحمه الله تعالى ـ :

قوله ﷺ : (ان الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلى ، يوم لا ظل الا ظلى) أى لجلالى .

فيه دليل لجواز قول الانسان : (الله يقول) وهو الصواب ، الذى عليه العلماء كافة ، الا ما قدمناه فى كتاب الايمان ، عن بعض السلف من كراهية ذلك ، وانه لا يقال : يقول الله ، بل يقول : قال الله .

وقدمنا أنه بجوازه القرآن الكريم فى قوله تعالى : (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) وأحاديث كثيرة واردة فى ذلك .

قوله تعالى : (المتحابون بجلالى) أى بعظمتى وطاعتى ، لا للدنيا .

وقوله تعالى : (يوم لا ظل الا ظلى) أى انه لا يكون من له ظل ، كما فى الدنيا ـ الا ظلى وجاء فى غير حديث مسلم : (ظل عرشى) .

قال القاضى ـ رحمه الله تعالى ـ : ظاهره انه فى ظله من الحر والشمس ، ووهج الموقف ، وأنفاس الخلق . قال : وهو قول الاكثرين .

وقال عيسى بن دينار : معناه كفه من المكاره واكرامه ، وجعله فى كنفه وستره ، ومنه قولهم : السلطان ظل الله فى الأرض .

وقيل : يحتمل أن الظل هنا عبارة عن الراحة والنعيم . يقال : هو فى عيش ظليل ، أى طيب اهـ .

وفى شرح الحديث الثانى ـ قال النووى رحمه الله :

قوله صلى ﷺ : (فأرصد الله له على مدرجته ملكا) معنى ـ أرصده ـ أقعده يرقبه ، والمدرجة ـ بفتح الميم والراء : هى الطريق ، سميت بذلك ، لأن الناس يدرجون عليها أى يمضون ويمشون .

وقوله : (هل لك عليه من نعمة تربها) أى تقوم باصلاحها وتنهض اليها بسبب ذلك ، أى فأنت تقصد بزيارته منفعة لنفسك فقط ، تحصلها بهذه الزيارة .

وقوله : (بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه) قال العلماء : محبة الله عبده هى رحمته له ورضاه عنه ، وارادته له الخير ، وأن يفعل به فعل المحب من الخير .

واصل المحبة فى حق العباد : ميل القلب ، والله تعالى منزه عن ذلك .

وفى هذا الحديث فضل المحبة فى الله تعالى ، وأنها سبب موصل لحب الله تعالى للعبد . وفيه فضيلة زيارة الصالحين والاصحاب .

وفيه أن الآدميين قد يرون الملائكة . اهـ نووى أى يرون الملائكة فى صورة انسان .

وقوله فى رواية مالك : (فأخذ بحبو ردائى) وفى رواية : (بحبوتى ردائى) أى ما يحتبى به من ردائى .

قال فى القاموس : (واحتبى بالثوب) اشتمل به ، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . والاسم الحبوة ، بفتح الحاء ، ويضم اهـ من القاموس .

فالمقصود هنا انه اخذ بمجمع ردائى الذى تكون به الحبوة ، بان يجمع به بين الظهر والساقين ، لو أراد الاحتباء . والله أعلم .

وقوله : (وجبت محبتى للمتحابين فى) أى الذين يتحابون فى طاعة الله تعالى وفى التعاون على البر والتقوى ـ لا لغرض دنيوى تنقضى محبتهم بانقضاء ذلك الغرض ، فالمحبة لله

دائمة ، لأنه الحى الذى لا يموت والمحبة للاغراض الدنيوية تنقطع ، بل يكون الاخلاء يوم القيامة أعداء ، كما قال تعالى : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) .

وقوله : (والمتجالسين فى) أى تجمعهم مجالس طاعتى : سواء كانت للذكر ، أو لقراءة القرآن ، أو لدراسة العلم ، أو للوعظ والارشاد أو للنصيحة فى المصالح الدنيوية التى تعود بالخير على النفس وعلى الجماعة .

وقوله : (والمتباذلين فى) معناه الذين يبذلون أنفسهم وأموالهم لله تعالى ـ أو يعاون بعضهم بعضا بالنفس أو بالمال أو بهما .

وقوله : (والمتصادقين فى) هو من لوازم المحبة الخالصة فى الله تعالى ، فلا يكون هناك محبة خالصة لله ، الا اذا كانت صادقة لا غش فيها ولا خداع ، ولا نفاق ولا مداهنة .

وقوله : (لهم منابر من نور) أى يكون لهم ذلك يوم القيامة فى المحشر والخلق فى غاية الكرب والازدحام والحر الشديد ، قال الله تعالى : (لا يحزنهم الفزع الأكبر)

وقوله : (يغبطهم النبيون والشهداء) الغبطة : تمنى مثل ما حصل للغير ـ وهذه مزية لهم لا تقتضى أفضليتهم على النبيين والشهداء فان لهم منازل أعلى من منازلهم ، ومزايا كثيرة لا تتحقق لغيرهم .

رزقنا الله المحبة فى الله ، ونفعنا بشفاعة حبيبنا الأعظم سيدنا محمد ﷺ آمين .

حديث قول الله تعالى : (مرضت فلم تعدنى)

أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه - باب - (فضل عيادة المريض) من كتاب البر والصلة والأدب - جـ ٩ ص ٤٦٣ هامش القسطلانى .

(٢٦٤) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنُ مَيْمُون ، حَدَّثَنَا بَهْزٌ ، عَنِ أَبِي رَافِعٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ : يَوْمَ الْقِيَامَة ، يَا ابْنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ : يَارَبِّ ، وَكَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْت رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدى فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ؟ أَمَا - عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ؟ يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، قَالَ : يَارَبِّ ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدى فُلاَنٌ ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدى ؟ يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ ، فَلَمْ تَسْقِنِي ، قَالَ : يَارَبِّ ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدى فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِه ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدى) .

شرح الحديث من شرح النووى على صحيح مسلم

قوله عز وجل : (مرضت فلم تعدنى ، قال : يارب ، وكيف أعودك وأنت رب العالمين الخ) قال العلماء : انما أضاف المرض اليه سبحانه وتعالى ، والمراد العبد تشريفا للعبد وتقريبا له .

قالوا : ومعنى (وجدتنى عنده) أى وجدت ثوابى عنده ، وكرامتى ورحمتى - ويدل عليه قوله فى تمام الحديث : (لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، ولو أسقيته لوجدت ذلك عندى) أى ثوابه وجزاءه . والله أعلم .

حديث (يا عبادى إنى حَرَّمْتُ الظلم على نفسى)

أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ـ باب ـ (تحريم الظلم) ج ١٠ ص ٨ وما بعدها هامش القسطلانى .

(٢٦٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْد الرَّحْمٰنِ بْنِ بَهْرَام الدَّارِمِيُّ ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ ـ يعنى ابن محمد الدمشق ـ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْد الْعَزِيزِ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ أَبِى إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِى ، عَنْ أَبِى ذَرٍّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ فيمَا رَوَى عَنِ اللهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ أَنَّهُ قَالَ : يَا عبَادى ، إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسى ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا ، يَا عبَادى ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِى أَهْدكُمْ ، يَا عبَادى ، كُلُّكُمْ جَائعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِى أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِى ، كُلُّكُمْ عَارٍ ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِى أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِى ، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذنُوبَ ـ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِى أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ

والحديث دليل على فضل عيادة المريض ، وعلى فضل اطعام المحتاج وعلى فضل سقى الماء ولا شك أن ذلك كله من مكارم الأخلاق ، التى يدعو اليها الاسلام ، وبعث النبى ـ ﷺ ـ ليتمم مكارم الاخلاق .

واخرج مسلم احاديث قبل هذا الحديث فى فضل عيادة المريض : منها قوله ﷺ : (من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع) ومنها : (أن المسلم اذا عاد أخاه المسلم ، لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع) ـ ومنها : (من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة ، قيل : يا رسول الله ، وما خرفة الجنة . قال : جناها) قال النووى : أى يؤول به ذلك الى الجنة وجنى ثمارها والله أعلم .

لَنْ تبلُغوا ضُرِّى فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تبلُغوا نَفْعِى فتنفعُونى ، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِى ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِى ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى ، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمخْيَطُ ، اذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ، يَا عِبَادِى ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) .

***

(٢٦٦) قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فِيمَا يَرْوِى عَنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ (إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِى الظُّلْمَ ، وَعَلَى عِبَادِى ، فَلَا تَظَالَمُوا . . .) وساق الحديث بنحوه .

قال سعيد : كان أبو ادريس الخولانى اذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه ، وحدثنيه أبو بكر بن اسحاق ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز بهذا الاسناد ، غير أن مروان أتمهما حديثا .

قال أبو اسحاق : حدثنا بهذا الحديث الحسن والحسين ابنا بشر ومحمد بن يحيى قالوا : حدثنا أبو مسهر ، فذكروا الحديث بطوله .

وحدثنا اسحاق بن ابراهيم ، ومحمد بن المثنى كلاهما عن عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن أبى قلابة ، عن أبى أسماء ، عن أبى ذر .

وحديث أبى إدريس الذى ذكرناه أتمّ منه . ا ه

وأخرجه أبو عيسى الترمذى فى صحيحه ، عن أبى ذر ، بألفاظ مغايرة لما ذكره مسلم ، وهى كالآتى :

(٢٦٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : يَا عِبَادِى ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ ، إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فسَلُونِى الْهُدَى أَهْدِكُمْ ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ ، إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُهُ ، فَسَلُونِى أَرْزُقْكُمْ ، وَكُلُّكُمْ مُذْنِبٌ ، إِلَّا مَنْ عَافَيْتُهُ ، فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَنِّى ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ ، فَاسْتَغْفَرَنِى غَفَرْتُ لَهُ ، وَلَا أُبَالِى ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْ عِبَادِى ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِى مُلْكِى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ ، اجْتَمَعُوا عَلَى أَشْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِى ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ ، وَرَطْبَكُمْ ، وَيَابِسَكُمْ ، اجْتَمَعُوا فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ – مِنْكُمْ مَا سَأَلَ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِى ، إِلَّا كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِالْبَحْرِ ، فَغَمَسَ فِيهِ ، إِبْرَةً ، ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَيْهِ ، ذَلِكَ بِأَنِّى جَوَادٌ مَاجِدٌ ، أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ ، عَطَائِى كَلَامٌ ، وَعَذَابِى كَلَامٌ ، إِنَّمَا أَمْرِى إِذَا أَرَدْتُهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ) .

قال أبو عيسى الترمذى – رحمه الله تعالى : حديث حسن

(٢٦٨) وأخرجه ابن ماجة فى سننه ، عن أبى ذر أيضاً ، بألفاظ قريبة من ألفاظ الترمذى ، وفيه تقديم وتأخير ، ولم يذكر فيه قوله : (وَلَوْ أَنَّ حَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ ، وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ ، اجْتَمَعُوا على أَتْقَى قَلْبِ وَاحِدٍ) ـ ولم يذكر فيه أيضاً قوله : (وَعَذَابِي كَلَامٌ) . وبقيته مثل لفظ الترمذى .

(شرح الحديث مأخوذ من شرح النووى لصحيح مسلم) جـ ١٠ ص ٨ هامش القسطلانى قال الامام النووى رحمه الله تعالى قوله تعالى : (انى حرمت الظلم على نفسى . . الخ) .

قال العلماء : معناه تقدست عنه وتعاليت ، والظلم مستحيل فى حق الله سبحانه وتعالى ، أي لأن الظلم تجاوز الحد والتصرف فى ملك الغير وكيف يتجاوز سبحانه حدا ، وليس فوقه من يطيعه؟ وكيف يتصرف الله فى غير ملكه ، والعالم كله ملكه وسلطانه؟
وأصل التحريم فى اللغة : المنع ، فسمى تقدسه سبحانه عن الظلم تحريما ، لمشابهته بالممنوع ، فى أصل عدم الشيء .

وقوله تعالى : (وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا) هو بفتح التاء أى لا تتظالموا ، والمراد لا يظلم بعضكم بعضا ، وهو توكيد لقوله : (وجعلته بينكم محرما) ، وزيادة تغليظ فى تحريمه .

وقوله تعالى : (كلكم ضال الا من هديته) ـ قال المازرى رحمه الله : ظاهر هذا أنهم خلقوا للضلال ، الا من هداه الله تعالى . وفى الحديث المشهور : (كل مولود يولد على الفطرة) أى فيحصل التعارض وقال فى الجواب : قد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم .

أو أنهم لو تركوا وما فى طباعهم من ايثار الشهوات والراحة ، واهمال النظر ـ لضلوا . (وهذا الثانى أظهر) .
وفى هذا دليل لمذهب أصحابنا وسائر أهل السنة ـ أن المهتدى هو من هداه الله تعالى ، وبهدى الله اهتدى ، وبارادة الله تعالى له ذلك .

والله سبحانه وتعالى انما اراد هداية بعض عباده ، وهم المهتدون منهم ، ولم يرد هداية الآخرين ، ولو أرادها لاهتدوا ، خلافا للمعتزلة فى قولهم : انه سبحانه وتعالى أراد هداية الجميع .

جل الله أن يريد مالا يقع ، أو يقع فى ملكه مالا يريد ، (لأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن) .

وقوله تعالى : (ما نقص ذلك مماعندى ، الا كما ينقص المخيط ، اذا ادخل البحر) ـ المخيط : بكسر الميم ، وفتح الياء ـ هو الابرة .

قال العلماء : هذا تقريب الى الأفهام ـ ومعناه لا ينقص شيئا أصلا ، كما قال فى الحديث الآخر :

(يد الله سحاء ، لا يغيضها نفقة) ـ أى لا ينقصها نفقة ، لأن ماعند الله لا يدخله نقص ، وانما يدخل النقص الشيء المحدود الفانى ، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه ، وهما صفتان قديمتان ، ـ لا يتطرق اليهما نقص .

فضرب المثل بالمخيط فى البحر ، لأنه غاية ما يضرب به المثل فى القلة وعدم ظهور النقص من المأخوذ منه .

فالمقصود التقريب الى الأفهام بما شاهدوه ، فان البحر من أعظم المرئيات عيانا وأكبرها ـ والابرة من أصغر الموجودات ـ مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء ، اذا انغمست فى البحر . والله اعلم .

وقوله تعالى : (يا عبادى ، انكم تخطئون بالليل والنهار) الرواية المشهورة : بضم التاء ـ من أخطأ ـ وروى بفتح التاء وفتح الطاء ، من ـ (خطىء) .

يقال : خطىء ـ بكسر الطاء ، يخطأ ـ بفتحها ، اذا فعل ما يأثم به عامدا ، فهو خاطىء ، ومنه قوله تعالى : (استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) .

قال النووى ـ رحمه الله تعالى : ويقال فى الاثم أيضا : أخطأ ـ فهما صحيحان . اهـ نووى .

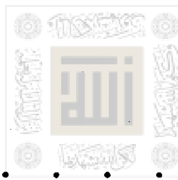
وقوله تعالى فى رواية الترمذى وابن ماجة : (ذلك بأنى جواد ماجد) .

قال فى القاموس : الجواد السخى ، جمعه أجواد وأجاود ، اهـ قاموس .

وقال فى القاموس أيضا : المجد نيل الشرف ، والكرم . مجد كنصر ، وكرم مجدا ومجادة ، فهو ماجدومجيد . والمجيد الرفيع والشريف الفعال . اهـ من القاموس .

فيجمع الوصفان جميع صفات الكرم والعطاء والرحمة والاحسان وكلها صفات ثابتة لله تعالى ، واجبة لذاته تعالى ، لا يعتريها نقص ولا فناء .

وقوله تعالى : (أفعل ما أريد ، عطائى كلام ، وعذابى كلام انما امرى لشيء اذا أردته أن أقول له : كن فيكون) .



هو توضيح لقوله : أفعل ما أريد ـ وبيان لسرعة تحقق مراد الله تعالى ، بأنه في التمثيل ، كمن يقول لشيء : كن فيكون) .

سواء كان ما يريده عطاء ، أم عذابا ، وليس المراد عين الكلام ، بل هو تمثيل لذلك ، وتوضيح له ، وتقريب للأفهام . والله اعلم .

حديث (الكبرياءُ ردائى ، والعظمة إزارى)

أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه - باب - (تحريم الكبر) جـ ١٠ ص ٥٣ هامش القسطلانى قال بسنده إلى أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدرى رضى الله عنهما .

(٢٦٩) قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : الْعِزَّةُ إِزَارُهُ ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ) .

* * *

وأخرجه أبو داود فى سننه - باب - (ما جاءَ فى الكبر) جـ ٤ ص ٥٠ قال :

(٢٧٠) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : قَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِى ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا ، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ) .

* * *

وأخرجه ابن ماجة فى سننه - فى باب - (البراءة من الكبر ، والتواضع) جـ ٢ ص ٢٨٢ فقال بسنده :

(٢٧١) عن أبي هريرة - وهو مثل ألفاظ أبي داود ، إلا أنه قَالَ : (مَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا ، أَلْقَيْتُهُ فى جَهَنَّمَ) .

* * *

(٢٧٢) وأخرجه ابن ماجة أيضاً عن ابن عباس – رضى الله عنهما – مثل ذلك ، إلا أنه قال : (فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّار) .

شرح الحديث من شرح النووى على مسلم جـ ١٠ ص ٥٣

قال النووى ـ رحمه الله تعالى :

قوله صلى الله عليه وسلم (العزة ازاره ، والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعنى عذبته) .

هكذا هو فى جميع النسخ ، فالضمير فى ـ ازاره ، ورداؤه ـ يعود الى الله تبارك وتعالى ـ للعلم به .

وفيه محذوف ، تقديره : قال الله تعالى : (ومن ينازعنى ذلك أعذبه) .

ومعنى ـ ينازعنى ـ يتخلق بذلك ، فيصير فى معنى المشارك . وهذا وعيد شديد فى الكبر ، مصرح بتحريمه .

وأما تسميته ازارا ، ورداء ـ فمجاز واستعارة حسنة ، كما تقول العرب : فلان شعاره الزهد ، ودثاره التقوى ، لا يريدون الثوب الذى هو شعار أو دثار .

بل معناه : صفته اللازمة له كذا ، فلاتنفك عنه ابدا . قال المازرى : ومعنى الاستعارة هنا : أن الازار والرداء يلصقان بالانسان ويلزمانه ، وهما جمال له .

فضرب ذلك مثلا لكون العز والكبرياء بالله أحق ، وله الزام ، واقتضاهما جلاله .

ومن مشهور كلام العرب : (فلان واسع الرداء ، وغمر الرداء أى واسع العطية . اهـ من النووى .

أقول :

وقد ورد القرآن الكريم بذم الكبر ، والوعيد الشديد عليه ، وقد جعله الله تعالى سببا لمنع الخير والتوفيق عن صاحبه ، فقال تعالى : (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق) ـ وقال تعالى : (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) ـ وقال تعالى : (ذلكم بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) .

وقال تعالى : (فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) .اهـ نسأله تعالى أن يخلص نفوسنا من الكبر ويرزقنا التواضع آمين .

٢٧ ـ (ما جاء فى طلب موسى الاجتماع بالخضر ـ عليهما السلام)

أخرج البخارى حديث موسى مع الخضر عليهما السلام .

جـ ٤ ص ١٥٤ فقال :

(٢٧٣) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو ابْنُ دِينَارٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخِضرِ لَيْسَ هُوَ صَاحِبَ بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ ، فَقَالَ : كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ ـ حَدَّثَنَا أُبَىُّ بْنُ كَعْبٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيباً فى بَنِى إِسْرَائِيلَ ، فَسُئِلَ أَىُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فقَالَ : أَنَا ، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ، فقَالَ لَهُ : بَلَى ، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ، قَالَ : أَىْ رَبِّ ، وَمَنْ لِي بِهِ ؟ ـ وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ : أَىْ رَبِّ ، وَكَيْفَ لِي بِهِ ؟ قَالَ : تَأْخُذُ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فى مِكْتَلٍ ، حَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ ، فَهُوَ ثَمَّ ـ وَرُبَّمَا قَالَ : فَهُوَ ثَمَّهْ ـ وَأَخَذَ حُوتًا فى مِكْتَلٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ ، يُوشَعُ بْنُ نُونٍ ـ حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ ، وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا ..... الحديث بطوله) .

***

وأخرجه البخارى فى سورة الكهف ـ من قوله تعالى : (وإذ قال موسى لفتاه الآية) جـ ٦ ص ٨٨ .

(٢٧٤) وفيه : (فَأَوْحَى اللهُ إِليْهِ : إِنَّ لِى عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ، أَوْ عِنْدَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ــ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ، قَالَ مُوسَى : يَارَبِّ ، فَكَيْفَ لِى بِهِ ؟ قالَ : تأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا ، فتَجْعَلُهُ فى مِكْتَلٍ ، فحَيْثُمَا فقدْتَ الْحُوت فَهُوَ ثَمَّ ...) إلى آخر الحديث .

* * *

وأخرجه البخارى أيضاً فى الباب نفسه ، برواية أُخرى ، وفيها :

(٢٧٥) فَعَتَبَ ــ (أى الله) عَلَيْهِ ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللهِ ، قِيلَ : بَلَى ، قَالَ : يَارَبِّ ، فَأَيْنَ ؟ قَالَ : بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ قَالَ : أَىْ رَبِّ ، اجْعَلْ لِى عَلَمًا ، أَعْلَمُ ذَلِكَ بِهِ ــ فَقَالَ لِى عَمْرٌو : حَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ ــ وَقَالَ لِى يَعْلَى : قَالَ : خُذْ حُوتًا مَيِّتًا ، حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فأَخَذَ حُوتًا ... إلى آخر الحديث) .

* * *

وقد أخرجه البخارى فى هذا الباب ، بألفاظ قريبة مما ذكرناه هنا . والله أعلم .

وقال القسطلانى ــ رحمه الله تعالى ــ فى سورة الكهف من ج ٧ ص ٢٢١ : قال : وهذا الحديث سبق فى كتاب العلم ، وأخرجه المؤلف ــ رحمه الله تعالى ــ فى أكثر من عشرة مواضع من كتابه الجامع . ا هـ .

الكلام على حديث الخضر وموسى عليهما السلام متنا وشرحا من القسطلانى ج ٥ ص ٣٨١ وما بعدها ، قال رحمه الله تعالى :

(حدثنا على بن عبد الله) المدينى قال : (حدثنا سفيان) بن عيينة قال : (حدثنا عمرو بن دينار) المكى ، قال : (أخبرنى سعيد بن جبير) بضم الجيم مصغرا الكوفى (قال : قلت لابن عباس : أن نوفا) بفتح النون وسكون الواو وتنوين الفاء ابن فضالة ، بفتح الفاء ،

والضاد المعجمة ، أبا يزيد القاص (البكالى) بكسر الباء وتخفيف اللام والكاف على الصواب ونقل عن المهلب والصدف وأبى الحسن بن سراج ، نسبة الى بكال ، من حمير ، وضبطه أكثر المحدثين فيما قاله عياض البكالى بفتح الموحدة ، وتشديد الكاف ـ قال : وكذا قيدناه عن ابى بحروابن أبى جعفر عن العذرى قاله أبو ذر ، نسبة الى بكال بن دعمى (يزعم أن موسى صاحب الخضر ، الذى قص الله عنهما فى سورة الكهف ليس هو موسى بنى اسرائيل ، انما هو موسى آخر) يسمى موسى بن ميشا بن افراثيم بن يوسف بن يعقوب . وموسى الثانى منون للفرق .

(فقال ابن عباس : كذب عدو الله نوف فيما زعم ، قاله مبالغة فى الانكار والزجر ، وكان فى شدة غضبه ، لا أنه اعتقد ذلك . ثم قال :

(حدثنا أبى كعب عن النبى ﷺ أن موسى قام خطيبا فى بنى اسرائيل ، فسئل أى الناس أعلم) ؟ أى منهم (فقال) بحسب اعتقاده (أنا) أى أعلم الناس ـ وهذا أبلغ من قوله » فى الرواية السابقة ، هل نعلم أحدا أعلم منك ؟ قال : لا ، فانه نفى هناك علمه ، وفى هذه الرواية نفى على البت (فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه) فيقول : الله أعلم ، ونحوه فقال الله له : (بلى ، لى عبد) هو خضر (بمجمع البحرين) ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى الشرق (هو أعلم منك) أى بشىء مخصوص (قال) موسى : (أى رب ، ومن لى به ؟) أى ومن يتكفل لى برؤيته .

(وربما قال سفيان) بن عيينة : (أى رب ، وكيف لى به) أى كيف يتهيأ لى أن أظفر به (قال) تعالى : (تأخذ حوتا) مملوحا (فتجعله فى مكتل) بكسر الميم وسكون الكاف ، وفتح الفوقية ، زنبيل (حيثما فقدت الحوت) بفتح القاف (فهو) أى الخضر (ثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم .

(وربما قال : فهو ثمه) بزيادة هاء السكت الساكنة أى هناك .

(وأخذ) بالواو أى موسى (حوتا) مملوحا (فجعله فى مكتل) كما أمر (ثم انطلق هو وفتاه ـ يوشع بن نون) بالصرف كنوح (حتى أتيا) ولأبى ذر (حتى اذا أتيا الصخرة) عند ساحل مجمع البحرين ـ ويقال : هناك عين تسمى بعين الحياة (وضعا رءوسهما) (بقية الحديث من البخارى) (فرقد موسى ، واضطرب الحوت) أى تحرك ، لأن الحياة حلت فيه باذن الله (فخرج) من المكتل (فسقط فى البحر ، فاتخذ سبيله فى البحر سربا ، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء) فصار عليه مثل الطاق .

(فقال : هكذا مثل الطاق) أى مثل عقد البناء ، معجزة لموسى والخضر عليهما السلام (فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما ، حتى اذا كان من الغد قال) موسى لفتاه : آتنا غداءنا ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) .

(ولم يجد موسى التعب حتى جاوز حيث أمره الله ، قال له فتاه : أرأيت اذ أوينا الى

الصخرة ، فاني نسيت الحوت) أى نسيت أن أخبرك بحياته ، وانتصاب الماء مثل الطاق (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) لما بهر العقل من عظيم القدرة (واتخذ) أى الحوت (سبيله فى البحر) سبيلا (عجبا) وهو كونه كالسرب (فكان للحوت مسلكا (سربا) (ولهما) أى لموسى وفتاه (عجبا) فانه جمد الماء .

قال له موسى : (ذلك ما كنا نبغ ، فارتدا على آثارهما قصصا) أى رجعا يقصان الطريق الذى جاءا فيه ، (يقصان آثارهما قصصا) أى يتبعان آثار مسيرهما اتباعا (حتى اذا انتهيا الى الصخرة) فذهبا يلتمسان الخضر (فاذا رجل نائم مسجى بثوب) أى مغطى به كله (فسلم موسى ، فرد عليه) الخضر (فقال : وأنى بأرضك السلام ؟ وفى رواية : وهل بأرضى من سلام ؟ قال الخضر : (قال : أنا موسى قال) الخضر (موسى بنى اسرائيل ؟ قال : نعم (أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا) ولم يرد أن يعلمه شيئا من أمر الدين ، لأن الأنبياء لا يجهلون ما يتعلق بدينهم الذى تعبدت به أمتهم .

(قال : يا موسى ؟ انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه) أى لا أعلم جميعه ، وأنت لا تعلم جميع ما عندى ، (قال موسى : هل أتبعك ؟ قال : انك لن تستطيع معى صبرا) لأن موسى عليه السلام لا يصبر على ترك الانكار اذا رأى ما يخالف الشرع .

(وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أى وكيف تصبر وأنت نبى على ما أفعله من أمور ظواهرها مناكير ـ وبواطنها لم تحط بها خبرا . . الى قوله : (ولا أعصى لك أمرا) (فانطلقا) موسى والخضر (يمشيان على ساحل البحر) ومعهما يوشع (فمرت بهما سفينة كلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه) أى وموسى وفتاه (بغير نول) بفتح النون أى بغير أجره (فلما ركبا فى السفينة جاء عصفور ، فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين ، قال له الخضر : يا موسى ، ما نقص علمى وعلمك من علم الله) أى من معلومه (الا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر) .

ولفظ النقص ليس على ظاهره ، وانما معناه أن علمى وعلمك بالنسبة الى علم الله تعالى كنسبة ما نقره هذا العصفور الى ماء البحر ، فهو على التقريب الى الافهام (اذ أخذ الخضر الفأس) بالهمزة (فنزع لوحا) من ألواح السفينة (فلم يفجأ موسى الا وقد قلع) الخضر (لوحا) من السفينة (بالقدوم) بفتح القاف وتشديد الدال ، وضبطه الصفانى بالفتح والتخفيف .

(فقال له موسى) منكرا (ما صنعت) ؟ هؤلاء (قوم حملونا) فى سفينتهم (بغير نول عمدت) بفتح الميم (الى سفينتهم ، فخرقتها لتغرق أهلها) فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق أهلها .

(لقد جئت شيئا امرا ؟ أى عظيما (قال) الخضر مذكرا لموسى بما سبق من الشرط :

(ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا) استفهام على سبيل الانكار (قال) موسى للخضر (لا تؤاخذنى بما نسيت) يعنى وصيته ، وهو اعتذار بالنسيان ـ أو أراد بالنسيان الترك ، أى لا تؤاخذنى بما تركت .

(ولا ترهقنى) أى لا تغشنى (من أمرى عسرا) ، فكانت الأولى من موسى نسيانا (فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان ، فأخذ الخضر برأسه ، فقلعه بيده هكذا ـ وأومأ سفيان بأطراف أصابعه ؟ كأنه يقطف شيئا (فقال له موسى : أقتلت نفسا زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئا نكرا ، قال : ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال : ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا ، فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها) واستضافوهم (فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) مائلا ، أومأ الخضر بيده هكذا ، وأشار سفيان كأنه يمسح شيئا الى فوق .

(قال) أى موسى (قوم أتيناهم) فاستطعمناهم واستضفناهم (فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت الى حائطهم) المائل فأقمته (لوشئت لاتخذت عليه اجرا) أى جعلا (قال) الخضر : (هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) لكونه منكرا بحسب الظاهر .

(قال النبى ﷺ : وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما ـ قال سفيان : قال النبى ﷺ : يرحم الله موسى لو كان صبر لقص الله علينا من أمرهما) .

وفى التفسير ، من طريق الحميد عن سفيان : (وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما) . اهـ من القسطلانى . والله أعلم .

٢٨ ـ (جزاء الانتحـار النـار)

حديث الرجل الذى حزَّ يده بسكين فمات ـ فى البخارى أخرجه من باب الحديث عن بنى إسرائيل . جـ ٤ ص ١٧٠ .

(٢٧٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْحَسَنِ ، حَدَّثَنَا جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فى هَذَا الْمَسْجِدِ ، وَمَا نَسِينَا مُنْذُ حَدَّثَنَا ، وَمَا نَخْشَى أَنْ يَكُونَ جُنْدُبٌ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ ، بِهِ جُرْحٌ ، فَجَزِعَ ، فَأَخَذَ سِكِّينًا ، فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ ، حَتَّى مَاتَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : (بَادَرَنِى عَبْدِى بِنَفْسِهِ ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) .

شرح الحديث مأخوذ من القسطلانى

قوله : (كان فيمن كان قبلكم) أى من بنى اسرائيل أو من غيرهم ، والأول هو الظاهر (رجل به جرح) بضم الجيم وسكون الراء (فجـزع) بفتح الجيم ، وكسر الزاى ، أى لم يصبر على ألمه (فأخذ سكينا فحز بها يده) أى قطع يده بها من غير ابانة (فما رقأ الدم) أى لم ينقطع الدم (حتى مات) لفراغ الدم من بدنه بذلك الجرح .

(قال الله تعالى : بادرنى عبدى بنفسه) أى استعجل الموت لنفسه بنفسه (حـرمت عليه الجنة) ، أى لأنه استحل ذلك ، فكفر ، فيكون مخلدا فى النار بكفره ، لا بقتل نفسه ، أو كان كافرا فى الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفـره . واستشكل قـوله : (بادرنى بنفسه) اذ مقتضاه أن من قتل فقد مات قبل أجله ، مع أنه لا يمـوت أحـد بسـبب مـن الأسباب الا بانقضاء أجله ، وقد علم الله أنه يموت بالسبب المذكور ، وما علم الله لا يتغير .

وأجيب بأنه لما وجدت منه صورة المبادرة ، بقصده واختياره ، ولم يطلعه الله على علمه ، فاختار هو قتل نفسه فكأنه قد بادر فاستحق المعاقبة لعصيانه ـ والحـديث أصـل كبير فى تعظيم قتل النفس : سواء كان قتل نفسه أم قتل غيره لأن نفسه ليست ملكه هو ، بل هـى ملك لله تعالى . والله أعلم .

٢٩ ــ (لا غنى لأحد عن فضل الله تعالى)

حديث اغتسال أيّوب ــ عليه السلام ــ ، ونزول جراد من ذهب عليه) أخرجه البخارى فى كتاب الغسل (باب من اغتسل عرياناً) ج ١ ص ٦٤

(٢٧٧) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ هَمَّام بْنِ مُنَبِّهٍ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ــ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ــ عَنِ النَّبِىِّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ : بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا ، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِى فى ثَوْبِهِ ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ : أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى « ؟ قَالَ : بَلَى ، وَعِزَّتِكَ ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بِى عَنْ بَرَكَتِكَ) .

***

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب ــ بدء الخلق ــ باب ــ قول الله تعالى : (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسَّنى الضر) . ج ٤ ص ١٥١ .

وأخرجه أيضاً فى كتاب التوحيد ــ باب ــ قول الله تعالى :

(يريدون أن يبدلوا كلام الله) ج ٩ ص ١٤٣ .

(٢٧٨) وزاد فى هاتين الروايتين : (خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَدٍ مِنْ ذَهَبٍ). ورِجل جراد ــ بكسر الراء : أى جماعة جراد .

***

(٢٧٩) وأخرجه النسائى فى سننه ــ (باب الاستتار عند الاغتسال) ج ١ ص ٢٠١ ولفظه مثل رواية البخارى فى كتاب الغسل ، المذكورة هنا وقال فيها .

(وَلَكِنْ لَا غِنَىَ لى عنْ بَرَكَاتِكَ) بجمع بركات .

٣٠ ـ (أسلم سالمها الله تعالى)

أخرج الحديث مسلم فى كتاب الفضائل ـ باب من فضائل غفار وأسلم ... الخ) ج ٩ ص ٤٠٧ من هامش القسطلانى على البخارى .

(٢٨٠) وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى ، عَنْ خُثَيْمِ بْنِ عِرَاكٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : (أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا ، أَمَا إِنِّي لَمْ أَقُلْهَا ، وَلَكِنْ قَالَهَا اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ) .

* * *

وأخرج مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث فى صحيحه بروايات كثيرة : منها عن أبى هريرة ومنها عن أبى ذر ، ومنها عن جابر ابن عبد الله ، ومنها عن عبد الله بن عمر ، ومنها عن أبى أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنهم أجمعين .

شرح حديث اغتسال أيوب عريانا الحديث فى الصفحة السابقة من القسطلانى ج ص ٣٣٣

قوله : (فخر عليه جراد من ذهب) .

قال القسطلانى ـ رحمه الله ـ : وهل كان جرادا حقيقة ذا روح ، الا أنه كان من ذهب ـ أوكان على شكل الجراد وليس فيه روح ؟ .

قال فى شرح التقريب : الأظهر الثانى . والله أعلم .

وقوله : (يحتثى فى ثوبه) أى يأخذ بيديه ، ويرمى فى ثوبه

وقوله : (فناداه ربه) بأن كلمه ربه كماكلم موسى عليهما السلام ، أوكان ذلك بواسطة ملك من الملائكة . (بلى وعزتك) أى أنت أغنيتنى .

وقد أخرج مسلم حديث (أسلم سالمها الله) بسنده إلى أبي بكرة رضي الله عنه ـ بلفظ أطول مما سبق ، فقال فيه بعد السند إلى محمد بن يعقوب :

(٢٨١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَٰنِ بْنِ أَبي بَكْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ جَاءَ إِلَى رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ : إِنَّمَا بَايَعَكَ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ ، مِنْ أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : أَرَأَيْت أنْ كان أَسْلَمُ وَغِفارُ ، وَمُزَيْنةُ خيْرًا ، مِنْ بَنى تمِيم ، وَبَنِي عَامِرِ ،

(ولكن لا غنى بي عن بركتك) ـ وفي رواية ـ لي ـ عن بركاتك ، أي خيرك . ـ وغنى ـ بكسر الغين ، والقصر من غير تنوين ـ قال : ورويناه بالتنوين .

ثم قال القسطلاني ـ رحمه الله : ومحال أن يكون أيوب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أخذ هذا المال حبا للدنيا ، وانما أخذه كما أخبر هو عن نفسه ، لأنه بركة من ربه ، حيث انه قريب العهد بتكوين الله عز وجل ، أو أنه نعمة جديدة خارقة للعادة ، فينبغي تلقيها بالقبول ، ففي ذلك شكر لها ، وتعظيم لشأنها ، وفي الاعراض عنها كفر بها ، ورد لنعمة الله .

وفي الحديث جواز الاغتسال عريانا ، لأن الله لم يعاتبه على الاغتسال عريانا حيث لا يراه أحد . وانما عاتبه على جمع الجراد . اهـ قسطلاني .

أقول : وقد ورد أن موسى كان يغتسل عريانا فذهب الحجر بثوبه ، فضربه وقال : ثوبي حجر مرتين . اهـ .

شرح الحديث الأول من شرح النووي على صحيح مسلم .

قوله ﷺ : (وأسلم سالمها الله) . قال العلماء : هو من المسالمة ، وترك الحرب . قيل : هو دعاء لهم ، وقيل : هو خبر عن حالهم .

قال القاضي في المشارق : هو من أحسن الكلام ، ومجانسته ، مأخوذ من سالمته ـ اذا لم تر منه مكروها ، فكأنه ﷺ دعا لهم بأن يصنع الله بهم ما يوافقهم ، فيكون ـ سالمها ـ بمعنى سلمها ، وقد جاء فاعل بمعنى ـ فعل ـ كقاتله الله ، أي قتله . اهـ .

وَأَسَد وَغطفَانَ أَخَابُوا وَخَسِرُوا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَوَالَّذِى نَفْسِى بيَدِهِ ، إِنَّهُمْ لَأَخْيَرُ مِنْهُمْ) .

أَخْبرُ : لغة قليلة الاستعمال ، والكثير : خير منهم . ا هـ نووى .

وكذا يقال فى قوله : (وغفار غفر الله لها ؟ كأنه دعاء لهم بأن يصنع الله بهم ما يوافقهم من المغفرة لهم .

قال : ويكفى غفار فخرا أن أبا ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ منهم ، وقد أسلم قديما ، ولاسلامه قصة مشهورة فى صحيح البخارى رحمه الله . والله أعلم .

والحديث أخرجه البخارى فى كتاب المناقب ، وليس فيه قوله : (أما انى لم أقلها . .الخ) والله أعلم . اهـ .

٣١ – (ما جاء فى تيسير قراءة القرآن)

(وفى تلاوته بالليل ، ونزول سورة الكوثر ، وفضل الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وفضل خديجة رضى الله عنها ، وبشارتها ببيت فى الجنة) .

أولا – حديث (إن الله عز وجل يأمرك أن تقرىء القرآن على سبعة أحرف) أخرجه النسائى فى سننه – باب جامع – (ما جاء فى القرآن) .

(٢٨٢) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارَ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – فَقَالَ : إِنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِىءَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، قَالَ : اسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيةَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِىءَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ ، قَالَ : اسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِىءَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ ، فَقَالَ : أَسْأَلُ اللهُ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِىءَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف ، فَأَيُّمَا حَرْف قَرَأُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا) .

شرح الحديث ملخص من شرح القسطلانى

قال القسطلانى ـ رحمه الله ـ فى كتاب بدء الخلق جـ ٥ ص ٢٧١ عند شرح حديث : (عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : أقرأنى جبريل على حرف ، فلم أزل أستزيده ، حتى انتهى الى سبعة أحرف) . قال :

(أقرأنى جبريل على حرف أى لغة ـ أو وجه من الاعراب ، (فلم أزل أستزيده) أى أطلب منه أن يطلب من الله تعالى الزيادة على الحرف ـ (أى فما فوقه) ـ توسعة وتخفيفا ـ أى على أمتى ـ ويسأل جبريل ربه تعالى ويزيده (حتى انتهى الى سبعة أحرف) . ثم قال :

وليس المراد أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه ـ والاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد وتناقض ، اذ هو محال فى القرآن .

وذلك يرجع الى سبعة: لأنه اما فى الحركات من غير تغير فى المعنى والصورة ، نحو البخل والبخل ويحسب بوجهين ، أو بتغير فى المعنى فقط ، نحو (فتلقى أدم من ربه كلمات) ـ واما فى الحروف بتغير فى المعنى لا الصورة ، نحو تبلو وتتلو ـ ، أو عكس ذلك ، نحو السراط والصراط ـ ، أو بتغيرهما ، نحو (يأتل ويتأل) ـ ، واما فى التقديم والتأخير ، نحو (فيقتلون ويقتلون) ـ أو فى الزيادة والنقصان ، نحو (أوصى ووصى) .

ثم قال : وأما نحو الاختلاف فى الاظهار والادغام وغيرهما مما يسمى بالأصول ، فليس من الاختلاف الذى يتنوع فيه اللفظ أو المعنى ، لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا ـ ولئن فرض فيكون من الأول . اهـ .

وقال القسطلانى فى باب (أنزل القرآن على سبعة أحرف) من كتاب فضائل القرآن جـ ٧ ص ٤٥١ : (أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف) جمع حرف . . أى لغات أو قراءات ، فعلى الأول يكون المعنى على أوجه من اللغات ، لأن احد معانى الحرف فى اللغة الوجه ، قال تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أى على وجه ـ وعلى الثانى يكون من اطلاق الحرف على الكلمة مجازا ، لكونه بعضها .

ثم قال : وانما جاء ذلك التيسير ، لأن ضرورة اختلاف اللغات ، ومشقة نطقهم بغير لغتهم اقتضت التوسعة عليهم فى أول الأمر ، فأذن لكل أن يقرأ على حرفه ، أى طريقته فى اللغة ، الى أن تدربت الألسن وتمكن الناس من النطق به على الطريقة الواحدة . . . ثم قال القسطلانى فيما نقله :

لكن هذه الاباحة المذكورة لم تقع بالتشهى ، أى ان كل واحد يغير الكلمة بمرادفها فى لغته ، بل ذلك مقصور على السماع من رسول الله ﷺ ، كما يشير اليه قول كل من عمر وهشام وقول كل واحدمنهما : (هكذا أقرأنى رسول الله ﷺ) . اهـ والله أعلم وفى الحديث كثير من الأقوال اهـ .

حديث (ثلاثة يحبهم الله عز وجل)

أخرجه النسائى فى سننه ـ باب ـ (فضل صلاة الليل فى السفر) جـ ٣ ص ٢٠٧ .

(٢٨٣) عَنْ أَبِى ذَرٍّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : ثَلاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا ، فَسَأَلَهُمْ بِاللهِ ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، فَمَنَعُوهُ ، فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ ، فَأَعْطَاهُ سِرًّا ، لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَالَّذِى أَعْطَاهُ ، ـ وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ ، نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ ، فَقَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ يَتَمَلَّقُنِى وَيَتْلُو آيَاتِى ، ـ وَرَجُلٌ كَانَ فِى سَرِيَّةٍ ، فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَانْهَزَمُوا ، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ ، أَوْ يُفْتَحَ لَهُ) .

شرح الحديث

ذكر فى هذا الحديث ثلاثة من الناس يخصهم الله تعالى بزيادة محبته واقباله عليهم برحمته ، ويؤخذ من ذلك الحض والحث على التخلق بهذه الصفات الكريمة .

الأول ـ رجل أعطى الصدقة سرا ابتغاء وجه الله ، لا يعلم بها الا الله تعالى والشخص الذى أخذها منه . مصداق ذلك من حديث (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم القيامة) فقد عد منهم (رجل تصدق بصدقة أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) وذلك كناية عن غاية الكتمان والاخفاء للصدقة . (وقوله : فسألهم بالله) أى يعطونه ابتغاء وجه الله .

الثانى ـ رجل قام من الليل فى غفلة من الناس حتى الذين كانوا معه مسافرين وصار يذكر الله ويتلو آياته فى الصلاة أو فى غيرها ، ولا سيما وهو متعب من طول السير بالليل فقد نام اخوانه من التعب .

الثالث ـ رجل أقبل بصدره على الأعداء بعد أن انهزم أصحابه ، وقاتل حتى يقتل أو يفتح له ولا شك أن مثل هذا الفعل يقوى من عزيمة المسلمين ، ويشجع المنهزمين على الرجوع الى صف القتال ، على عكس نقيضه فانه يثبط من عزيمتهم ، ويدعو غيره الى الهزيمة . والله أعلم .

(حديث نزول سورة الكوثر)

أَخرجه النسائى فى سننه ـ باب (قراءة بسم الله الرحمن الرحيم) جـ ٢ ص ١٣٣ .

(٢٨٤) عَنْ أَنَس بْنِ مَالكٍ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : بَيْنَمَا ذاتَ يَوْم بَيْنَ أَظْهرِنَا ـ (يريد النبى صلى الله عليه وسلم) إِذْ أَغْفَىَ إِغْفَاءَةً ، ثُمَّ رفع رَأْسَهُ مُتبَسِّمًا ، فقُلْنَا لَهُ : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : نَزَلَتْ عَلَىَّ آنفًا سُورَةٌ : (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكوْثَرَ فصَلِّ لربِّك وَانْحرْ إِنَّ شانئك هُوَ الْأَبْترُ) ـ ثُمَّ قالَ :

هلْ تدْرُونَ مَا الْكوْثرُ ؟ قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فإِنَّهُ نَهَرٌ وَعَدَنيه رَبِّى فى الْجَنَّةِ ، آنيَتُهُ أَكْثَرُ منْ عَدَد الْكوَاكبِ ، تَرِدُهُ عَلَىَّ أُمَّتى ، فيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ منْهُمْ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، إِنَّهُ منْ أُمَّتِي ، فيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِى مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ) .

شرح الحديث

قوله : (أغفى اغفاءة) أى نام رسول الله ﷺ نومة خفيفة ثم رفع رأسه أى من نومه متبسما من السرور وانشراح صدره الشريف ﷺ من عظيم عطاء الله تعالى له من الكوثر الذى وصفه فى هذا الحديث وفى غيره من الأحاديث ـ وسنذكرها ان شاء الله تعالى عند الكلام على حوض النبى ﷺ . (فقلنا) معشر الصحابة أى سألوه وقالوا له : (ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : نزلت على آنفا) أى قريبا (سورة) أى سورة الكوثر ، وقرأها بتمامها ، وقرأ معها البسملة واستدل بذلك بعض الفقهاء أن البسملة آية من السورة التى هى فيها .

وقوله : (فيختلج العبد منهم) أى يجذب بشدة ويؤخذ من بين الواردين على الحوض ، دون أن يصل الى . ا هـ والله أعلم نسأل الله السلامة آمين .

(حديث فضل الصلاة والتسليم على النبيّ صلى الله عليه وسلم)

أَخرجه النسائى ـ رحمه الله ـ فى سننه ـ باب ـ (فضل التسليم على النبي صلى الله عليه وسلم) ج ٣ ص ٤٤ .

(٢٨٥) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِى طَلْحَةَ ، عَنْ أَبيه ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ جَاءَ ذات يَوْمٍ ، وَالْبُشْرَى فى وَجْهِه ، فقُلْنا : إنَّا لنرَى الْبُشْرَى فى وَجْهِك ، فقالَ : إنَّهُ أَتانى الْمَلَكُ ، فقالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَمَا يُرْضِيك أَنَّهُ لَا يُصَلِّى عَلَيْك أَحَدٌ ، إلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْه عَشْرًا ، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ ، إلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْه عَشْرًا ؟) .

شرح الحديث

قوله : (والبشرى فى وجهه) أى علامة البشرى التى بشر بها ظاهرة على وجهه ، فكان ﷺ اذا ظهر السرور على وجهه يكون له ضياء يلمع كالقمر ، فلما سأله الصحابة رضوان الله عليهم عن سبب ذلك :

قال لهم : انه أى أن الحال والشأن الذى تسبب عنه هذه البشرى أنه أتانى الملك يبشرنى من قبل الله تعالى ، ويقول : يا محمد ، أما يرضيك أنه لا يصلى عليك أحد أى من أمتك الا صليت أى صلى الله عليه أو صلى عليه الملك بسبب الصلاة الواحدة عشر مرات ، فالحسنة بعشر أمثالها . ولا يسلم عليك أحد أى من أمتك أى مرة واحدة ، الا سلمت عليه أى الله أو الملك يسلم عليه عشرا ، بتضعيف جزاء العمل الى عشر .

وانما قال له الملك ذلك ، تبشيرا له بانجاز بعض وعد الله الذى وعد رسوله ﷺ به فى قوله تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ا هـ .

وأنا أقول اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا وشفيعنا وحبيبنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه ومحبيه ، واجعله يارب لنا شفيعا ، وأنقذنا بشفاعته من النار . آمين .

حديث بشارة أم المؤمنين السيدة خديجة رضى الله تعالى عنها ـ بِبَيْتٍ فى الجنَّة .

أخرجه البخارى رحمه الله ـ فى كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) جـ ٩ ص ١٤٤ .

(٢٨٦) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فَقَالَ : هَذه خَديجَةُ ، تَأْتيكَ بِإِنَاءٍ ، فيه طَعَامٌ ـ أَوْ إِنَاءٌ فيه شَرَابٌ ، فَأَقْرِئْهَا منْ رَبِّهَا السَّلَامَ ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ منْ قَصَب ، لَا صَخَبَ فيه وَلَا نَصَبَ) .

***

وأخرجه البخارى فى كتاب المناقب ـ باب ـ (تزويج النبىّ صلى الله عليه وسلم خديجة ، وفضلها ـ رضى الله عنها) ـ فقال :

(٢٨٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعيدٍ ، حَدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ فُضيْلٍ ، عَنْ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي زُرْعَة ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : أَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلَامُ ـ النَّبيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ فقالَ : يَا رَسُولَ الله ، هذه خديجَةُ قدْ أَتَتْ ، مَعَهَا إِنَاءٌ ، فيه إِدَامٌ ـ أَوْ طَعَامٌ ـ أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هىَ أَتَتْكَ ، فَاقرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ منْ رَبِّهَا وَمنِّى ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْت فى الْجَنَّةِ منْ قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ) .

وأخرجه البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ فى هذا الباب ـ باب مناقب خديجة رضى الله عنها وبشارتها ببيت فى الجنة ، من روايتين لعائشة ـ رضى الله عنها ـ .

ومن رواية لعبد الله بن أبى أوفى ـ رضى الله عنه ، مقتصرا على البشارة ببيت فى الجنة ، دون ذكر السلام .

شرح حديث بشارة خديجة رضى الله عنها ـ من القسطلانى جـ ١٠ ص ٤٣٥

(حدثنا زهير بن حرب) زهير بضم الزاى مصغرا ، وحرب ـ بحاء مهملة ، وراء ساكنة ، ثم باء موحدة ، النسائى الحافظ (حدثنا ابن فضيل) فضيل بضم الفاء ، وفتح الضاد المعجمة ، محمد الضبى ـ مولاهم ، الحافظ أبو عبد الرحمن (عن عمارة) بضم العين ، بن القعقاع ، (عن أبى زرعة) بضم الزاى ، وسكون الراء ـ هرم البجلى (عن أبى هريرة رضى الله عنه) (فقال : هذه خديجة ، أتتك) ولأبى ذر عن المستملى ـ تأتيك ـ وفى باب تزويج النبى ـ ﷺ ـ خديجة وفضلها ـ من طريق قتيبة بن سعيد عن محمد بن فضيل ، الى أبى هريرة ـ قال : أتى جبريل النبى ـ ﷺ ـ فقال : يا رسول الله ، هذه خديجة ، قد أتت باناء فيه طعام ـ أو اناء فيه شراب بالشك ـ وللأصيلى ـ أو شراب . شك هل قال : فيه طعام أو اناء فقط .

(فأقرئها) بهمزة مفتوحة بعد الفاء ، ثم راء مكسورة ، ثم همزة ساكنة بعد الراء ـ (من ربها السلام ، وبشرها ببيت) فى الجنة (من قصب) لؤلؤة مجوفة ، كما فى المعجم الكبير ، (لا صخب فيه) بالصاد المهملة ، والخاء المعجمة ، والباء الموحدة المفتوحات ، أى لا صياح فيه (ولا نصب) أى ولا تعب ، جزاء وفاقا ، لأنه ﷺ ـ لما دعا الناس الى الاسلام وأجابت من غير منازعة ولا تعب ، بل أزالت عنه ـ ﷺ ـ كل تعب ، وآنسته من كل وحشة ، فناسب أن يكون بيتها فى الجنة بالصفة المقابلة لفعلها ، قاله السهيلى ـ رحمه الله تعالب . ا هـ من شرح القسطلانى فى هذا الباب .

وقال القسطلانى ـ رحمه الله تعالى ـ فى باب تزويج النبى ـ ﷺ ـ خديجة ـ رضى الله عنها وفضلها :

(أتى جبريل عليه السلام النبى ﷺ) وعند الطبرانى فى رواية سعيد بن كثير ، أن ذلك كان وهو بحراء ، (فقال : يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت) أى اليك (معها اناء ، فيه ادام) بكسر الهمزة (أو طعام) فى رواية الطبرانى المذكورة : انه كان حيسا

(أو قال : شراب) والشك من الراوى (فاذا أتتك فاقرأ) بهمزة وصل وفتح الراء (عليها السلام من ربها) جل وعلا (ومنى) ــ وهذا لعمر الله خاصة لم تكن لسواها .

زاد الطبرانى فى روايته المذكورة (فقالت : هو السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام) .

وزاد النسائى من حديث أنس : (وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته). فجعلت مكان رد السلام على الله الثناء عليه تعالى ، ثم غايرت بين ما يليق بالله تعالى وبين ما يليق بغيره ، وهذا يدل على وفور فقهها ، كما لا يخفى .

(وبشرها ببيت فى الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب) أى ليكون منزلها الذى بشرها به ربها مناسبا بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها ــ رضى الله عنها .

ومن خواصها ــ رضى الله عنها أنها لم تسؤه قط ، ولم تغاضبه أبدا .

قال القسطلانى ــ رحمه الله : وهذا الحديث من المراسيل (أى مراسيل الصحابة) لأن أبا هريرة ــ رضى الله عنه ــ لم يدرك خديجة وأيامها . ا هـ

أى ومراسيل الصحابة مقبولة ، لأن الغالب أنهم يروونها عن الصحابة . والله أعلم

وأما روايتا عائشة المشار اليهما ، فلفظهما كالآتى :

الرواية الأولى : (عن عائشة ــ رضى الله عنها : قالت : (ما غرت على امرأة للنبى ﷺ ، (ما غرت على خديجة ، هلكت) أى ماتت (قبل أن يتزوجنى لما كنت أسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببيت) أى فى الجنة (من قصب) .

وعند الاسماعيلى من رواية الفضل بن دكين : (ما حسدت امرأة قط ، ما حسدت خديجة ، حين بشرها النبى ــ ﷺ ــ ببيت من قصب ، وان كان ليذبح الشاة ، فيهدى فى خلائلها منها ما يسعهن) أو ما يشبعهن ، كما فى رواية .

والرواية الثانية : (قالت : ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ اياها ، قالت : وتزوجنى بعدها بثلاث سنين ، وأمره جبريل عليه السلام أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب) .

قصب) .

ورواية عبد الله بن أبى أوفى : (عن اسماعيل بن خالد ، قال : قلت لعبد الله بن أبى أوفى ــ رضى الله عنهما : بشر النبى ــ ﷺ خديجة ؟ قال : نعم : ببيت من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب) . قال القسطلانى : وروى هذا الحديث فى أبواب العمرة بأتم من هذا . ا هـ

حديث (أَنَا أَغْنَىَ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ) .

أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ـ (باب تحريم الرياء) ج ١٠ ص ٤٤٣ هامش القسطلانى .

(٢٨٨) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَخْبَرَنَا رُوحُ بْنُ الْقَاسِمِ ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ يَعْقُوبَ ، عَن أَبِيه ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ : قَالَ اللهُ ـ تَبارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَىَ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَملَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه غَيْرِى ، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)

* * *

وأخرجه ابن ماجه فى سننه ـ ج ٢ ص ٢٨٥ ـ (من باب الرياء والسمعة) بروايتين :

(٢٨٩) إحداهما : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ قَالَ : قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : أَنَا أَغْنَىَ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، فمَنْ عَملَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه غَيْرِى ، فأَنَا منْهُ بَرِىءٌ ، وَهُوَ للَّذى أَشْرَكَ) .

* * *

(٢٩٠) والرواية الثانية : (عَنْ أَبِي سَعْد بْنِ أَبِي فَضَالَةَ (وكان من الصحابة) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْم لَا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ : مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِى عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلهِ ، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ) .

شرح حديث مسلم من شرح النووى رحمه الله تعالى :

قوله تعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه غيرى ، تركته وشركه) .

قال النووى ـ رحمه الله تعالى : هكذا وقع فى بعض الأصول : (وشركه) وفى بعضها (وشريكه) .

ومعناه : أنه غنى عن المشاركة وغيرها ، فمن عمل عملا لى ولغيرى لم أقبله منه ، بل أتركه لذلك الغير ، كما قال : (فليطلب ثوابه من عند غير الله) .

والمراد : أن عمل المرائى باطل ، لا ثواب فيه ، ويأثم به . ا هـ منه أى لعدم الاخلاص فيه ، والاخلاص فى العبادة مأمور به ، فقد قال الله تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .

والرياء فى العمل هو الشرك الخفى ، وبه يتوصل الشيطان الى ابطال الأعمال والحرمان من ثوابها .

والاخلاص هو روح العبادة ، فكل عبادة تفقد الاخلاص تكون كالجسم الذى فقد الروح ، فلا ينتفع به ، فضلا عن أنه يصير جيفة منتنة تؤذى الناس برائحتها الكريهة .

والعمل بالاخلاص يزكو ويطيب ، وتظهر ثمرته على صاحبه ، حتى يكون له نور يتلألأ على وجهه ، وتوجد له حلاوة فى منطق صاحبه وتؤثر كلماته فى نفوس سامعيها ، فيعمل بها السامعون ، ويهتدى بها الضالون ، لأن الكلام اذا كان صادرا من قلب المتكلم وصل الى قلوب السامعين ، وأما اذا كان من لسانه فقط ، ويرائى الناس به ، فلا يصل من الآذان الى القلوب ، بل يصل الى ما يحاذى مصدر صدوره ، فالآذان بجوار اللسان وان خرج من القلوب وصل الى القلوب ، لأن المصدر القلوب فيصل الى محاذيه وذلك كالماء الصاعد فانما يصل الى ما كان مساويا لمصدره فقط ، ولا يعلو عن مصدره الا برافع آخر . ا هـ
رزقنا الله الاخلاص فى القول والعمل . آمين

حديث قول الله تعالى : (أَبِي يَغْتَرُّونَ ؟ أم عليَّ يَجْتَرِئون ؟)

(أخرجه الإمام الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ فى الفتن ، دون عنوان) جـ ٢ ص ٦٥ .

(٢٩١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَخْرُجُ فى آخرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ ، يَخْتِلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ ، يَلْبَسُونَ للنَّاس جُلُودَ الضَّأْنِ منَ اللِّينِ ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى من السُّكَّرِ ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئاب ، يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَبِي يَغْترُّون ؟ أَمْ عَلَيَّ يَجْترِئُونَ ؟ فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَـٰئكَ منْهُمْ فتْنَةً ، تدَعُ الْحَلِيمَ منْهُمْ حَيْرَانَ) .

(لم يذكر الترمذى ـ رحمه الله ـ فى وصفه شيئاً) .

* * *

وأخرجه الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ برواية أُخرى ، عن عبد الله ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ فقال :

(٢٩٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عن النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِنَّ اللهَ قَالَ : لَقَدْ خَلَقْتُ خَلْقًا ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى منَ الْعَسَلِ ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ منَ الصَّبْرِ ، فَبِي حَلَفْتُ لَأُتِيحَنَّهُمْ فتْنَةً ، تَدَعُ الْحَلِيمَ منْهُمْ حَيْرَانَ ، فَبِي يَغْتَرُّونَ ؟ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ ؟) .

(قال الترمذى ـ رحمه الله تعالى : حديث حسن غريب) .

شرح الحديثين ، وقد أخذ معنى الغريب فيهما من القاموس قوله ﷺ : (يختلون الدنيا بالدين) أى ينتزعون خيرات الدنيا ، ويحصدونها باسم الدين ، تمويها على الناس .

وأصله افتعال من ـ خلت الأرض ـ اذا كثر خلاها ، وهو الرطب من النبات .

قال فى القاموس : الخلى مقصورة الرطب من النبات ، واحدتها خلاة ، أوكل بقلة قلعتها . . ثم قال : خلت الأرض ـ كثر خلاها ، وخلاه خليا ، واختلاه ـ جزه أو نزعه . ا هـ المراد منه .

وقوله : (يلبسون للناس جلود الضأن من اللين) هو كناية عن لينهم للناس ظاهرا ، واضمار السوء لهم باطنا ، مكرا وخداعا ، فليس فى قلوبهم محبة للعباد ، بل انما يحبون أنفسهم فقط ، ويخادعون الناس باظهار المودة والمحبة لهم ، قاصدين بذلك استيفاء أغراض دنيوية منهم ، كما يريدون احترام الناس لهم بتحسين ظواهرهم .

وقوله : (ألسنتهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب) ـ هو تفسير وبيان وتوضيح لقوله : (يلبسون للناس جلود الضأن من اللين) .

وقوله : (أبى يغترون ؟) أى يغترون بحلمى عليهم بتأخير عقوبتهم ، وتقديم الجار والمجرور على الفعل ، لزيادة التوبيخ والتقريع .

والمعنى : أبى انا يغترون وأنا الجبار المنتقم ذو البطش الشديد ، اغترارا منهم بحلمى ، وعدم تعجيل عقابهم ـ (أم على يجترئون ؟) أى بل أعلى أنا يجترئون بانتهاك محارمى ، ومخالفة أمرى ؟ .

(وقوله : فبى حلفت) أى حلفت بى وحدى ، لا يستحقها غيرى ، كما لا يجوز لأحد أن يحلف بغير الله تعالى وان كان معظما عند الناس ـ قال النبى ﷺ : (لا تحلفوا أيها الناس بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليدع) .

وقوله فى الرواية الثانية : (لأتيحنهم فتنة) أى لأقدرن لهم فتنة ، وأهيئها لهم ولأسلطنها عليهم ، وتلازمهم ، لا تنفك عنهم ، حتى تدع وتترك الشخص الحليم منهم حيران من شدة وقعها بهم ، فلا يهتدون الى طريق الخلاص منها لأن الله تعالى لم يوفقهم للهداية بسبب ذنوبهم ، وبذلك يجنون ثمرات سيئاتهم ، ولو أخلصوا لله لهداهم الله الى صراط مستقيم . والله أعلم . ا هـ

حديث قول الله تعالى : (أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى)

أخرجه ابن ماجه فى سننه ـ باب ـ (ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة) .

(٢٩٣) عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ قَرَأَ هَذه الْآيَةَ : (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفرَة) فقَالَ : قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى ، فَلا يُجْعَلُ مَعى إِلَٰهٌ آخَرَ ، فَمَنِ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعى إِلَٰهًا آخَرَ ، فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَغْفرَ لَهُ) . اهـ .

شرح الحديث

(قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى الله وحده هو أهل ومستحق لأن يتقى ويحذر ويخاف من عقابه ، فانه ذو البطش الشديد ، الجبار القهار ، الفعال لما يشاء ويريد .

واتقاء عذابه وغضبه يكون باتخاذ الوقاية من ذلك ، وهذه الوقاية لا تكون الا بتوحيد الله تعالى ، وعبادته بالاخلاص والخضوع له وحده لذلك قال الله تعالى فى هذا الحديث : (أنا أهل أن أتقى ، فلا يجعل معى اله آخر) ولا يتحقق الاتقاء من عذاب الله تعالى ، الا بالايمان به والتصديق بوحدانيته فان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

ولذا قال : ، فمن اتقى أن يجعل معى آلها آخر ، فأنا أهل أن أغفر له) ـ والمعنى أن من جعل لنفسه وقاية من عذابى بأن لم يجعل معى الها آخر ، فقد استوجب مغفرتى ، وأنا أهل لأن أغفر له ، لأنى أنا البر الكريم وقلت فى كتابى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) .

والتقوى : مصدر المبنى للمجهول ، كما فسره فى الحديث بقوله : (أنا أهل أن أتقى) ـ ببناء الفعل للمفعول ، فالله هو المتقى عذابه وغضبه والمغفرة مصدر الفعل المبنى للفاعل ، فالله هو الذى يغفر ذنوب العاصين ، وهو أهل لذلك ، لأن المغفرة أفضل منة ورحمة ـ ورحمته سبقت غضبه . ـ نسأله تعالى أن يغفر لنا ذنوبنا ، ويستر عيوبنا ويكفر عنا سيئاتنا ، كما نسأله أن يختم لنا بالايمان ، حتى نكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ـ والحمد لله رب العالمين ـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



المدخل إلى الجزء الثاني

حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ... الخ)

أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه فى الجهاد ، من باب (من قاتل للرياءِ والسمعة استحق النار) .

(٢٩٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيب الْحَارِثى ، حَدَّثَنَا خَالدُ بْنُ الْحَارِثِ ، حَدَّثَنَا ابْن جُرَيْج ، حَدَّثَنى يُونُس بْنُ يُوسُفَ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارَ ، قَالَ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ نَاتلُ أَهْل الشَّام : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، حَدِّثْنى حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ - صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : نَعَمْ ، سَمِعْت رَسُولَ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ النَّاس يُقْضَى يَوْمَ الْقيَامَة عَلَيْه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتىَ بِه فَعَرَّفَهُ نعمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَملْتَ فيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْت ، قَالَ : كَذَبْت ، وَلٰكنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقال : جَرِىءٌ فَقَدْ قيلَ : ثُمَّ أُمرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، حَتَّى أُلْقِىَ فى النَّار . وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نعمه فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْته ، وَقَرَأْت فِيك الْقُرْآن قالَ : كَذَبْت ، وَلٰكِنَّك تَعَلَّمْت الْعِلْمَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ ، لِيُقَالَ : هُوَ قارِىءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثم أُمِرَ بِهِ ، فسُحِبَ عَلى وَجْهِهِ ،

حَتَّى أُلْقِيَ فِى النَّار . وَرَجُل وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَال كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَاتَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلٰكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِى النَّار .

***

وأخرجه مسلم برواية أخرى عن سليمان بن يسار ، بمثل الرواية السابقة ، إلا أنه قال فيها : (تفرج الناس عن أبى هريرة ، فقال له ناتل الشام . . . إلى آخر الحديث) .

(٢٩٥) وأخرجه النسائى فى سننه ـ باب من قاتل ليقال : فلان جرئ ـ يسنده إلى سليمان بن يسار ، إلى أبى هريرة بألفاظ قريبة من ألفاظ مسلم ، إلا أنه قال : (تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْ أَهْل الشَّام) بَدَلَ قَوْل مُسْلِم : (نَاتِلُ أَهْل الشَّام) ـ وَقَالَ : (أَوَّلُ النَّاس يُقْضَى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ . . . إلى آخر الحديث) .

وقال الإمام النووى ـ رحمه الله تعالى : قوله : (ناتل أهل الشام) هو ناتل بن قيس الحزامى الشامى ، من أهل فلسطين ، وهو تابعى ، وكان أبوه صحابياً ، وكان ناتل كبير قومه . ا . هـ نووى .

***

وأخرجه الترمذى فى صحيحه ـ (باب الرياء والسمعة)

(٢٩٦) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَاد ، لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ . فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُونَهُ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ . وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِىءِ : أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي ؟قَالَ : بَلَى ، يَارَبِّ ، قَالَ : فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ : كَذَبْتَ ، وَيَقُولُ اللهُ : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ ، حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ ؟ قَالَ : بَلَى ، يَارَبِّ ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ ، وَأَتَصَدَّقُ ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ : كَذَبْتَ ، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فُلَانٌ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : فِيمَاذَا قُتِلْتَ ؟ فَيَقُولُ : أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُ : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ : كَذبْت ، وَيَقُولُ اللهُ : بَلْ أَرَدْت أَنْ يُقَالَ : فَلَانٌ جَرِىءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى رُكْبَتَيَّ ، فَقَالَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أُولٰئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ ، تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

قال الترمذي : حديث حسن غريب

شرح الحديث مأخوذ من شرح النووى وغيره

قوله : (من قاتل للرياء والسمعة) قال فى حياة القلوب : اعلم أن حقيقة الرياء هى طلب المنزلة فى قلوب الناس بالعبادات وأعمال الخير .

وهى من خبائث أفعال القلوب ، وهى فى العبادات استهزاء بالله تعالى . انتهى .

ويقابله الاخلاص ، وهو القصد الى الله تعالى مجردا عما ذكر .

وفى شرح الأشباه للحموى : الاخلاص سر بينك وبين ربك ، لا يطلع عليه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيبطله ، ولا هوى فيميله .

وقال بعض العرفاء : المخلص من لا يحب أن يحمده الناس على شىء من أعماله .

قال النووى ــ رحمه الله تعالى : وفى الحديث دليل على تغليظ تحريم الرياء ، وشدة عقوبته يوم القيامة ، ــ وعلى الحث على وجوب الاخلاص فى الأعمال ، كما قال تعالى : (وما أمروا الا ليعبدو الله مخلصين له الدين) وفيه أن العمومات الواردة فى فضل الجهاد ، انما هى لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا ، وكذلك الثناء على العلماء ، وعلى المنفقين فى وجوه الخيرات ، كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصا . ا هـ

قال الامام الغزالى فى الاحياء :

اعلم أن الرياء حرام ، والمرائى عند الله ممقوت ، وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار . أما الآيات فقوله تعالى : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) .

وأما الأخبار فقد قال ﷺ حين سأله رجل ، فقال : يا رسول الله فيم النجاة ؟ قال : (أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس) .

وأما الآثار فيروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ــ رأى رجلا يطأطىء رقبته ، فقال : يا صاحب الرقبة ، ارفع رقبتك ، ليس الخشوع فى الرقاب انما الخشوع فى القلوب .

وقال على ــ رضى الله عنه ــ : (للمرائى ثلاث علامات : يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان فى الناس ، ويزيد فى العمل اذا أثنى عليه ، وينقص اذا ذم .. الخ) . ا هـ

وقال بعض العارفين : (الرياء ترك العبد عمله المعتاد خوفا من أن يقول الناس مرائيا ، وأما العمل للناس فهو شرك) . ا هـ

وقوله : (تفرق الناس عنه) أى بعد اجتماعهم عليه .

وقوله : (فعرفه نعمه) أى عرفه الله تعالى أو الملك باذنه . والظاهر الأول ــ يعنى عدد نعمه التى أنعمها عليه ، وبذلها عليه فى الدنيا والآخرة (وقوله : قاتلت فيك) أى فى سبيلك لاعلاء كلمتك ، ونصرة دينك . ا هـ والله أعلم .

حديث إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول : (ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره) ؟

(٢٩٧) أخرجه ابن ماجة ـ باب قول الله تعالى : (يـأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) فقال : عَنْ أَبِى سَعِيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَقُولُ : إن الله لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقُولَ : مَا مَنَعَكَ إِذَا رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ ؟ فَإِذَا لَقَّنَ اللهُ عَبْدًا حُجَّتَهُ ، قَالَ : يَارَبِّ ، رَجَوْتُكَ وَفَرَقْت النَّاسَ . أى خفت الناس .

***

(٢٩٨) وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : لا يَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ . قالوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ ؟ قَالَ : يَرَى أَمْرَ اللهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ ، ثُمَّ لا يَقُولُ فِيهِ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَا مَنَعَكَ أَن تَقُولَ فِى كَذَا ، وَكَذَا ؟ فَيَقُولُ : خَشْيَةَ النَّاس ، فَيَقُولُ : فَإِيَّاىَ كُنْت أَحَق أَنْ تَخْشَى ـ أخرجه ابن ماجة .

***

حديث : (إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لأُمَّة محمد فى السجود) .

(٢٩٩) عَنْ أَبِى بُرْدَة ، عَنْ أَبِيهِ ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إذا جَمَعَ اللهُ الْخلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَة ، أَذن لأُمَّة مُحَمَّد فى السُّجُودِ ، فَيَسْجُدُون لَهُ طَوِيلًا ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ ، قَدْ جَعَلْنَا لَكُمْ عِدَّتَكُمْ فِدَاءَكُمْ مِنَ النَّار . ـ اهـ ـ أخرجه ابن ماجة .

والمعنى : أنه يلام على ترك الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، خشية الناس ، فيقال له : ان الله تعالى كان أحق أن يخشى ويخاف منه ، لأن بطشه شديد ، فلا يجوز أن يترك العبد الأمر بالمعروف ، ولا النهى عن المنكر ، لخوف أحد من الناس بل يجب عليه أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، خوفا من الله تعالى ، حتى لا يصيبنا العذاب الذى ينزل بالظالمين ، فقد قال تعالى :

(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وقال تعالى : (يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) ولا نكون مهتدين الا إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ، فحينئذ لا يضرنا ضلال من ضل . والله أعلم .

وإرسال ملك الموت إلى موسى عليهما السلام

(٣٠٠) (حديث من أحب لقاءَ الله أحب الله لقاءه) .

أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ، عن أبى هريرة بلفظ صريح فى نسبته إلى الله تعالى ، فيكون نصًّا على أنه حديث قدسى ، ففيه بعد السند :

(عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ — رَضِىَ اللهُ عَنْهُ — أَنَّ رَسُولَ اللهِ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ : قَالَ اللهُ — عَزَّ وَجَلَّ — : إِذَا أَحَبَّ عَبْدِى لِقَائِى ، أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِى كَرِهْتُ لِقَاءَهُ) .

* * *

وأخرجه البخارى فى كتاب الرقاق ج ٩ قسطلانى ص ٢٩٥ من باب : (من أحب لقاءَ الله أحب الله لقاءه) فقال :

(٣٠١) حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، عَنْ أَنَس ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ — رضى الله عنه — عَنِ النَّبِىِّ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ : مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ . — قَالَتْ عَائِشَةُ : — أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ — : إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ ، قَالَ : لَيْسَ ذَاكِ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ، بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَلَيْسَ شَىْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ ، وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ

وَعُقُوبَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ .

ثم قال البخارى ــ رحمه الله ــ اختصره أبو داود ، وعمرو ــ أى ابن مرزوق ــ عن شعبة ــ وقال سعيد : عن قتادة ، عن سعد ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

***

ثم أخرجه البخارى بعد ذلك بسنده عن أبي موسى الأشعرى ــ رضى الله عنه ــ .

(٣٠٢) (عَنِ النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ــ قَالَ :
(مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ) .

وليس فى هاتين الروايتين تصريح بنسبة الحديث إلى الله تعالى ، وظاهر ذلك أنه ليس حديثاً قدسيًّا .

***

وأخرج مسلم هذا الحديث فى صحيحه فى الدعوات . ــ باب ــ (من أحب لقاءَ الله ، أحب الله لقاءه) بروايات عدة :
فأخرجه بسنده إلى أبي موسى الأشعرى ــ رضى الله عنه ــ مختصرًا ، كما ذكره البخارى هنا عنه ، ــ وأخرجه كذلك عن أبي هريرة ــ رضى الله عنه ــ مقتصرا على هذا اللفظ وأخرجه عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ بثلاث روايات : (أوسطها) .

(٣٠٣) (عَنْ شُرَيْح بْنِ هَانِئٍ ، عَنْ عَائِشَةَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ قَالَتْ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : من أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَالْمَوْتُ قَبلَ لِقَاءِ اللهِ) .

***

والرواية الأُولى لمسلم قال فيها بسنده : عن سعد بن هشام .

(٣٠٤) (عَنْ عَائشَةَ ـ رَضىَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ : مَنْ أَحَبَّ لقَاءَ الله ، أَحَبَّ اللهُ لقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لقَاءَ الله ، كَرِهَ اللهُ لقَاءَهُ ، فَقُلْتُ : يَا نَبِىَّ اللهِ ، أَكَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ ، قَالَ لَيْسَ كَذَلِكِ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخطِهِ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ) .

***

والرواية الثالثة • قال فيها بسنده : عن شريح ، عن أَبى هريرة :

(٣٠٥) رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ـ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ .

قَالَ ـ أَى شريح ـ : فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا ـ فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمنِين ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَة يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حَدِيثًا ، إِنْ كان كذلك فقدْ هلكْنَا فَقَالَتْ : إِنَّ الْهَالِكَ مَنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : مَنْ أَحَبَّ لقَاءَ الله ، أَحَبَّ

اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ ، - وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، فَقَالَتْ : قَدْ قَالَهُ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَيْسَ بِالَّذِى تَذْهَبُ إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ الْبَصَرُ ، وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ ، وَاقْشَعَرَّ الْجِلْدُ ، وَتَشَنَّجَتِ الْأَصَابِعُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ : (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ) .

* * *

قال القسطلانى - رحمه الله تعالى - : وحديث الباب أخرجه مسلم فى الدعوات ، والترمذى فى الزهد والجنائز ، والنسائى فيها . ا هـ .

(٣٠٦) وأخرجه مالك فى الموطإ بلفظ :

(عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : إِذَا أَحَبَّ عَبْدِى لِقَائِى ، أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ ، وَإِنْ كَرِهَ لِقَائِى ، كَرِهْتُ لِقَاءَهُ)

من كتاب الجنائز .

شرح حديث : (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)

من القسطلانى جـ ٩ ص ٤٩٥ من كتاب الرقاق :

(حدثنا حجاج) هو ابن المنهال (حدثنا همام) هو ابن يحيى (حدثنا قتادة) هو ابن دعامة (عن أنس) هو ابن مالك الصحابى - رضى الله عنه - (عن عبادة بن الصامت) الصحابى - رضى الله عنه - (عن النبى ﷺ) - قال : (من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه) - قال الخطابى : محبة اللقاء : ايثار العبد الآخرة على الدنيا ، ولا يحب طول الاقامة فيها ، لكن يستعد للارتحال منها .

واللقاء على وجوه :

منها الرؤية ، ومنها البعث ، كقوله تعالى : (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) أى البعث .

ومنها الموت ، كقوله تعالى : (من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت) ـ ١ هـ ـ
وقال ابن الأثير : المراد باللقاء المصير الى الدار الآخرة ، وطلب ما عند الله ، وليس الغرض به الموت ، لأن كلا يكرهه ، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله ، ومن آثرها وركن اليها ، كره لقاء الله .
ومحبة الله للقاء عبده : ارادة الخير له ، وانعامه عليه .
وقال فى الكواكب :
فان قلت : الشرط ليس سببا للجزاء ، بل الأمر بالعكس ، قلت : مثله يؤول بالأخبار ، أى من أحب لقاء الله أخبره الله بأن الله أحب لقاءه ، وكذلك الكراهة .
وقال فى الفتح :
وفى قوله : (أحب الله لقاءه) العدول عن الضمير الى الظاهر ، تفخيما وتعظيما ، ودفعا لتوهم عود الضمير على الموصول ، ففيه اصلاح اللفظ لاصلاح المعنى ، وأيضا فعود الضمير على المضاف اليه قليل .
(قالت عائشة ـ أو بعض أزواجه) ﷺ ـ ورضى الله عنهن بأو للشك ، وجزم سعد بن هشام فى روايته عن عائشة بأنها هى التى قالت ذلك ، ولم يتردد : (انا لنكره الموت) ظاهره أن المراد بلقاء الله فى الحديث الموت ، وليس كذلك ، لأن لقاء الله غير الموت ، يدل عليه قوله فى الرواية الأخرى : (والموت دون لقاء الله) لكن لما كان الموت وسيلة الى لقاء الله ، عبر عنه بلقاء الله ، لأنه لا يصل اليه الا بالموت .

قال حسان بن الأسود : الموت جسر يوصل الحبيب الى حبيبه ، (قال عليه الصلاة والسلام : ليس ذاك) بغير لام مع كسر الكاف ، ولأبى ذر : (ذلك) ـ
ولكن المؤمن) بتشديد نون ـ لكن ـ ولأبى ذر : (ولكن المؤمن) بتخفيف النون ، ورفع المؤمن (اذا حضره الموت بشر برضوان الله) عز وجل (وكرامته ، فليس شىء أحب اليه مما أمامه) بفتح الهمزة ، أى أحب اليه مما يستقبله بعد الموت (فأحب لقاء الله ، وأحب الله لقاءه)
وفى حديث حميد عن أنس ، المروى عند أحمد والنسائى والبزار : (ولكن المؤمن اذا حضر جاءه البشير من الله ، وليس شىء أحب اليه من أن يكون قد لقى الله ، فأحب الله لقاءه) .

وفى رواية عبد الرحمن بن ابى ليلى : (حدثنى فلان بن فلان أنه سمع رسول الله ﷺ ـ وفى حديثه :
(ولكنه اذا حضر ، فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) فاذا بشر بذلك ، أحب لقاء الله ، والله للقائه أحب)
رواه أحمد بسند قوى ، وابهام الصحابى لا يضر .

(وان الكافر اذا حضر بشر) بضم أولهما ، وكسر ثانيهما (بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره اليه مما أمامه) أي مما يستقبل (كره) ولأبي ذر : (فكره لقاء الله) عز وجل (وكره الله) عز وجل (لقاءه) .

وفي حديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ عند عبد بن حميد مرفوعا : (اذا أراد الله بعبد خيرا ، قيض الله له قبل موته بعام ملكا يسدده ويوفقه ، حتى يقال : مات بخير ما كان ، فاذا حضر ورأى ثوابه ، اشتاقت نفسه ، فذلك حين أحب لقاء الله ، وأحب الله لقاءه ، واذا أراد الله بعبد شرا ، قيض له قبل موته بعام شيطانا فأضله وفتنه ، حتى يقال : مات بشر ما كان عليه ، فاذا حضر ورأى ما أعده الله له من العذاب ، جزعت نفسه ، فذلك حين كره لقاء الله ، وكره الله لقاءه) ــ ١ هـ ــ من القسطلاني .

شرح الحديث من شرح النووي على صحيح مسلم جزء ١٠ ص ١١٨ هامش القسطلاني .

قال الامام النووي ــ رحمه الله تعالى : قوله ﷺ : (من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه الخ) هذا الحديث يفسر آخره أوله ، ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة : (من أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله) .

ومعنى الحديث : أن الكراهة المعتبرة ، هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها ، فحينئذ يبشر كل انسان بما هو صائر اليه ، وما أعده الله له ، وما يكشف له عن ذلك ، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله ، لينتقلوا الى ما أعد لهم ، ويحب الله ــ لقاءهم ، أي فيجزل لهم العطاء والكرامة .

وأهل الشقاوة يكرهون لقاء الله ، لما علموا من سوء ما ينتقلون اليه ، ويكره الله لقاءهم ، أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ، ولا يريد ذلك بهم ، وهذا معنى كراهته سبحانه وتعالى لقاءهم .

وليس معنى هذا الحديث أن سبب كراهة الله تعالى لقاءهم ــ هو كراهتهم ذلك ، ولا أن حبه لقاء الآخرين هو حبهم ذلك بل هو صفة لهم .

وقوله : (اذا شخص البصر ، وحشرج الصدر ، واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع) .

أما شخص البصر ، فبفتح الشين والخاء ، ومعناه ارتفاع الأجفان الى فوق ، وتحديد النظر .

وأما الحشرجة ــ فهي تردد النفس في الصدور .

وأما اقشعرار الجلد : فهو قيام شعره .

وتشنج الأصابع : تقبضها . والله أعلم .

١ هـ ــ من شرح النووي

(تنبيه)

روايات هذا الحديث منها رواية البخارى فى التوحيد ، ورواية مالك فى الموطأ ، كلتاهما تنص على أنه حديث قدسى لنسبته الى الله تعالى صريحا ،

وبقية الروايات لم تصرح فيه بالنسبة الى الله تعالى فلا يستفاد منها أنه حديث قدسى ، وقد ذكرناها تتميما للفائدة . والله الموفق .

(حديث إرسال ملك الموت إلى موسى عليهما السلام)

أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق - باب وفاة موسى عليه السلام ج ٥ قسطلانى ص ٣٨٧ فقال :

(٣٠٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ ابْنِ طَاوُس ، عَنْ أَبِيه ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فلمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ ، فرَجَع إِلَى رَبِّه ، فقالَ : أَرْسَلْتَنِى إِلَى عَبْد لا يُرِيدُ الْمَوْت ، قَالَ : ارْجَعْ إِلَيْهِ ، فَقُلْ لَهُ يَضَعْ يدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ ، بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ ، قَالَ : أَىْ رَبِّ ، ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : ثُمَّ الْمَوْتُ قَالَ : فَالْآنَ ، قَالَ : فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَر ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ .

***

قال عبد الرزاق : وأخبرنا معمر ، عن همَّام ، قال : حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه . فصرح فى هذه الرواية بنسبته إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ورفعه إليه ، كما ذكر فى كل الروايات : (قال أبو هريرة - رضى الله عنه - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو كنت ثَمَّ لأَريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر) .

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب الجنائز . (باب من أحب أن يدفن فى الأرض المقدسة) ج ٢ ص ٤٣٥ قسطلانى حدثنا محمود ، حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس - عبد الله - عن أبيه ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسى عليهما السلام فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ ، فرَجَع إِلَى رَبِّهِ ، فَقَالَ : أَرْسَلْتَنِى إِلى عَبْد لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ ، فَرَدَّ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيْهِ عَيْنَهُ ، وَقَالَ : ارْجع وَقُلْ له : يضع يده على متن ثور فَلَه بكل ما غطت يده ، بكلِّ شعرة سنة ، قال : أىْ ربِّ ، ثم ماذا ؟ قال : ثُمَّ الْمَوْتُ ، قال : فالآن ، فَسَأَلَ الله أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرض المقدسة رَمْيَةً بحجرٍ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلو كنت ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ .

* * *

وأخرجه مسلم فى باب : (من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم) ج ٩ ص ٢٢٤ هامش القسطلانى فقال :

(٣٠٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِع - وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْد : (قال عَبْدٌ) : أخبرنا وقال ابن رافع : حدثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ : أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْت إِلَى مُوسَى عَلَيْه السَّلَامُ ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ فَرَجَعَ إِلى رَبِّه ، فقَالَ : أَرْسَلْتَنى إِلَى عَبْد لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ قَالَ : فَرَدَّ اللهُ إِلَيْه عَيْنَهُ ، وَقَالَ : ارْجَعْ إِلَيْه ، وَقُلْ لَهُ : يَضَعْ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ، فلَهُ بمَا غطَّتْ يَدُهُ ، بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ قَالَ : أَىْ رَبِّ ، ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ :

ثُمَّ الْمَوْتُ ، قَالَ : فَالْآنَ ، فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ من الْأَرْض الْمُقَدَّسَة رَمْيَةً بِحَجَرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثيبِ الْأَحْمَرِ ا . ﻫ .

***

وأخرجه مسلم برواية أخرى فقال :

(٣٠٩) حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بْن مُنَبِّه ، قال : هَذا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ فَذَكَرَ أَحَاديثَ ، مِنْهَا : وَقَالَ) : جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ ، فَقَالَ لَهُ : أَجِبْ رَبَّكَ ، قَالَ : فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا ، قَالَ : فَرَجَعَ الْمَلَكُ إلى اللهِ تَعَالَى ، فَقَالَ : إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِى إِلَى عَبْد لا يُرِيدُ الْمَوْت ، وَقدْ فقَأَ عَيْنِي ، قَالَ : فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ ، وَقَالَ : ارْجعْ إلى عَبْدِى ، فَقُلِ : الْحَيَاةَ تُرِيدُ ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَة ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً ، قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ : ثُمَّ تَمُوتُ ، قَالَ : فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ ، رَبِّ أَمِتْنِى مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةَ رَمْيَةَ بِحَجَر قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم : واللهِ لَوْ أَنِّى عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إلى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ .

ثم قال مسلم : حدثنا أبو إسحاق ، حدثنا محمد بن يحيى ،

حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر بمثل هذا الحديث .

وأخرجه النسائى فى باب التعزية ج ٤ ص ١١٨ بلفظ قريب من رواية مسلم الثانية .

شرح حديث البخارى من القسطلانى جـ ٥ ص ٣٨٧

(حدثنا يحيى بن موسى) المعروف ــ بخت ــ بفتح الخاء المعجمة ، وتشديد التاء الفوقية (حدثنا عبد الرازق) هو ابن همام الحميرى مولاهم الصنعانى (معمر) بن راشد (ابن طاوس) عبد الله (عن أبيه طاوس عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : أرسل ملك الموت) أى قال النبى ﷺ أرسل الله ملك الموت الى موسى عليهما السلام) .

أى أتاه فى صورة آدمى ، وكان عمر موسى اذ ذاك مائة وعشرين سنة . (فلما جاءه ! ظنه آدميا حقيقة ، تسور عليه منزله بغير اذنه ، ليوقع به مكروها ، فلما تصور ذلك (صكه) ، ولأبى الوقت (فصكه) أى لطمه على عينه التى ركبت فى الصورة البشرية ، دون الصورة الملكية . ففقأها .

وعند أحمد : (ان ملك الموت كان يأتى الناس عيانا ، فأتى موسى ، فلطمه ففقد عينه (فرجع) ملك الموت (الى ربه ، فقال) : رب (أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت) .

زاد فى باب (من أحب الدفن فى الأرض المقدسة) من الجنائز : (فرد الله ــ عز وجل ــ عليه عينه) .

وقيل : المراد بفقء العين هنا المجاز ، يعنى أن موسى ــ عليه السلام ــ ناظره وحاجه ، فغلبه بالحجة ، يقال : فقأ عين فلان ، اذا غلبه بالحجة وضعف هذا ، لقوله : (فرد الله عليه عينه) .

(قال) له ربه : (ارجع اليه ، فقل له : يضع يده على متن ثور) أى ظهر ثور (فله بما غطت يده ، بكل شعرة سنة ، قال) أى موسى : (أى رب ، ثم ماذا) أى ما يكون بعد هذه السنين ؟ : حياة أو موت قال الله) عز وجل : (ثم) يكون بعدها (الموت ، قال) أى موسى : (فالآن) أى يكون الموت (قال أبو هريرة) رضى الله عنه : (فسأل الله) عز وجل (أن يدنيه) أى يقربه (من الأرض المقدسة) ليدفن فيها ، لشرفها (رمية بحجر) أى دنوا لورمى رام بحجر من ذلك الموضع الذى هو قبره ، لوصل الى بيت المقدس .

وكان موسى اذ ذاك بالتيه ، وانما سأل الأدناء ، ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يشتهر قبره عندهم ، فيفتنوا به .

قال ابن عباس : لو علمت اليهود قبر موسى وهارون لا تخذوهما الهين من دون الله .)

(قال أبو هريرة ـ رضى الله عنه : فقال رسول الله ـ ﷺ : لو كنت ثم) أى هناك ـ ولأبى ذر : فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق) وفى نسخة : من جانب الطريق (تحت الكثيب الأحمر) ، وفى نسخة عند الكثيب الأحمر ، ـ وهو الرمل المجتمع ، وليس نصا فى الاعلام بتعيين قبره .

وقد اشتهر قبره بأريحاء عند كثيب أحمر ـ أنه قبر موسى ، وأريحاء : من الأرض المقدسة .

ثم قال القسطلانى : وأما ما يرى عند قبره المقدس من أشباح بالقبة المبنية عليه ، مختلفة الهيئات والأفعال ، فالله أعلم بحقيقتها .

لكن أخبرنى شيخ الاسلام البرهان بن أبى شريف أنه اذا وقع هناك فعل مالا يجوز ، تحصل ظلمة واضطراب حتى يزال فتنجلي .

وقد روى وهب بن منبه أن الملائكة تولوا دفنه والصلاة عليه . ١ هـ من القسطلانى من هذا الباب .

وقال القسطلانى فى كتاب الجنائز ـ باب ـ (من أحب الدفن فى الأرض المقدسة) : قال وهب : خرج موسى لبعض حاجته ، فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا ، لم ير شيئا قط أحسن منه ، فقال لهم : لمن تحفرون هذا القبر ؟ قالوا : أتحب أن يكون لك ؟ قال : وددت ، قالوا : فانزل واضطجع فيه ، وتوجه الى ربك ، قال : ففعل ، ثم تنفس أسهل تنفس ، فقبض الله روحه ثم سوت عليه الملائكة التراب .

وقيل : ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة ، فشمها ، فقبض روحه . ١ هـ منه .

وقال القسطلانى ـ رحمه الله ـ فى الجنائز :

(أرسل الله ملك الموت الى موسى عليهما السلام فى صورة آدمى اختبارا وابتلاء فلما جاءه ملك الموت بهذه الصورة ظنه آدميا حقيقة ، تسور عليه منزله ، بغير اذنه ليوقع به مكروها ، فلما تسور عليه صكه ، أى لطمه على عينه التى ركبت فى الصورة البشرية ، التى جاءه فيها ، دون الصورة الملكية .

ويحتمل أن موسى عليه السلام علم أنه ملك الموت ، وأنه دافع عن نفسه الموت باللطمة المذكورة ، والأول أولى ، ويؤيده أنه جاء لقبضه ، ولم يخيره ، وقد كان موسى عليه السلام علم أنه لا يقبض حتى يخير ، ولذا لما خيره فى الثانية ، قال : الآن ١ هـ نقول :

اذا صح ذلك يكون قول من قال : (ان الكلام على سبيل المجاز ، وليس فيه فقء للعين حقيقة ، بل المراد أنه غلبه بالحجة) ـ يكون هذا قولا صحيحا ، لأنه حاجه ، وقال له : كيف تقبضنى دون أن تخيرنى ، ولما علم أن الأنبياء يخيرون عند قبضهم قامت عليه الحجة ـ ١ هـ ـ

شرح الحديث من شرح النووى على صحيح مسلم جـ ٩ ص ٢٢٤ هامش القسطلانى

قال الأمام النووى ـ رحمه الله ـ : أما قوله : (صكه) فهو بمعنى لطمه فى الرواية الثانية . وفقأ عينه ـ بالهمز ، ومتن الثور : ظهره ، ورميه حجر : أى قدر ما يبلغه وقوله) (ثم مه) هى بهاء السكت ، وهو استفهام ، أى ثم ماذا يكون ؟ : أحياة أم موت ؟ .

والكثيب : الرمل المستطيل المحدود ب . ومعنى (أجب ربك) أى للموت ومعناه : جئت لقبض روحك .

وأما سؤاله الادناء من الأرض المقدسة ، فلشرفها وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم .

ثم قال بعض العلماء : وانما سأل الادناء ، ولم يسأل نفس بيت المقدس ، لأنه خاف أن يكون قبره مشهورا عندهم ، فيفتتن به الناس .

وفى هذا استحباب الدفن فى الأماكن الفاضلة ، والمواطن المباركة ، والقرب من مدافن الصالحين . والله أعلم .

قال المازرى : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث ، وأنكر تصوره ، قالوا : كيف يجوز على موسى فقوء عين ملك الموت ؟ .
قال : وأجاب العلماء عن ذلك بأجوبة :

أحدها : أنه لا يمتنع أن يكون موسى ﷺ قد أذن الله له فى تلك اللطمة ، ويكون ذلك امتحانا للملطوم ، وأن الله تعالى يفعل فى خلقه ما يشاء ، ويمتحنهم بما أراد .

الثانى : أن ذلك على المجاز ، والمراد أن موسى ـ عليه السلام ـ ناظره فغلبه بالحجة ، ويقال : فقأ فلان عين فلان ، اذا غالبه بالحجة فغلبه . ويقال : عورت الشىء ، اذا أدخلت فيه نقصا .

قال : وفى هذا ضعف لقوله ﷺ : (فرد الله عينه) فان قيل : أراد رد حجته ، كان بعيدا .

والثالث : أن موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك من عند الله تعالى ، وظن أنه رجل قصده ، يريد نفسه ، فدافعه عنها ، فأدت الى فقوء عينه ، لا أنه قصدها بالفقوء .

ويؤيده رواية : (فصكه) ، وهذا جواب الامام أبى ابكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين . واختاره المازرى والقاضي عياض ، قالوا : وليس فى الحديث تصريح بأنه تعمد فقوء عينه . ـ فان قيل : فقد اعترف موسى حين جاءه ثانية بأنه ملك الموت ، فالجواب أنه أتاه فى المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى . ا هـ من النووى .

حديث : (إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ حُفَاة عُرَاة غرْلا) .

أخرجه البخارى من كتاب بدء الخلق ـ باب ـ قول الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلا) والقسطلانى ج ٥ ص ٣٤٢ .

(٣١٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِير ، أَخْبرَنَا سُفْيَان ، حَدَّثَنا الْمُغِيرَةُ ابْنُ النُّعْمَان ، قَالَ : حَدَّثَنِى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْن عَبَّاس ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ حُفَاة عُرَاة غُرْلا ، ثُمَّ قَرَأَ : (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعلينَ) وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقيَامَة إِبْرَاهِيمُ ـ عَلَيْه السَّلَامُ ـ وَإِنَّ أُنَاسًا منْ أَصْحَابِى يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَال ، فَأَقُولُ : أَصْحَابِى أَصْحَابِى ، فيُقَالُ : إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ ، فَأَقُولُ : كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ... إلى قوله : الْعَزِيزِ الْحَكِيم) .

***

وأخرجه البخارى فى الرّقاق ـ باب ـ (كيف الحشر ؟) بلفظ :

(٣١١) عن ابْن عَبَّاس ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ : قَامَ فِينَا النَّبِىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَخْطُبُ فَقَالَ : إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاة غرلا ... الحديث .

وأخرجه فى التفسير ، وفى أحاديث الأنبياء .

وأخرجه مسلم فى صفة القيامة ج ١ ص ٣١١ هامش القسطلانى فقال بعد السند :

(٣١٢) عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ ، فَقَالَ : يَأَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا .. الحديث .

* * *

(٣١٣) وأخرجه الترمذى بلفظ قريب من رواية مسلم ج ٢ ص ١٩٩ وقال عنه : حديث حسن صحيح .

شرح الحديث ، وهو مأخوذ من شرح القسطلانى جـ ٥ ص ٣٤٢

(حدثنا محمد بن كثير) بالثاء المثلثة ، العبدى البصرى (أخبرنا سفيان) الثورى (حدثنا المغيرة بن النعمان) النخعى الكوفى (حدثنى سعيد بن جبير) بن مطعم (عن ابن عباس - رضى الله عنهما - ، عن النبى - ﷺ - قال : (انكم تحشرون) أى بعد الخروج من القبور ، حال كونكم (حفاة) جمع حاف أى بلا خف ولا نعل (عراة) أى لا ثياب عليكم جميعا ، أو بعضكم يحشر عاريا ، وبعضكم كاسيا ، لحديث سعيد ، عند أبى داود ، وصححه ابن حبان مرفوعا : (ان الميت يبعث فى ثيابه التى مات فيها) .

فقد قال القسطلانى بعد قوله : (وأول من يكسى يوم القيامة ابراهيم - عليه السلام - أى بعد حشر الناس كلهم عراة - أو بعضهم كاسيا ، - أو بعد خروجهم من قبورهم بأثوابهم التى ماتوا فيها ، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر ، فيحشرون كلهم عراة ، ثم أول من يكسى ابراهيم من الجنة .. الخ

(قال : يكسى حلة من الجنة ، ويؤتى بكرسى ، فيطرح عن يمين العرش قال النبى ﷺ : ثم يؤتى بى ، فأكسى حلة من الجنة ، لا يقوم لها البشر) أى لا يستأهل لها البشر ، وليس أحد منهم لها أهلا . (غرلا) بضم الغين المعجمة ، واسكان الراء ، أى غير مختونين . والغرلة : ما يقطعه الخاتن عند الختان ، وهى القلفة .

ثم قرأ : (كمــا بدأنا أول خلق نعيده) أى نعيده للحياة كمــا خلقناه أول مــرة . (وعدا علينا) أى وعدنا بالاعادة وعدا ثابتا علينا بفضلنا وقدرتنا (انا كنا فــاعلين) تأكيد للوعد وتحققه .

وفى قوله : (كما بدأنا أول خلق نعيده) دليل على اعادتهم كما أخبره حفــاة عراة غرلا ، أى كما ولدوا من أمهاتهم ، ولا شك أن كل مولود يولد حافيا عاريا غير مختون .
ثم قيل : والحكمة فى كون ابراهيم الخليل ـ صلوات الله وســلامه عليه ـ أول مــن يكسى لكونه جرد من ثيابه حين ألقى فى النار ، أى وذلك بسبب دعوته الى الله وتوحيده .

ثم قالوا : ولا يلزم من تخصــيص ابراهيم بأولية الكســوة ـ هنا ـ أفضــليته على نبينا محمد ـ ﷺ ـ لأن حلية نبينا ﷺ أعلى وأكمل ، فتجبر بنفاستها ما فات مــن الأولية ، على أن المزية لا تقتضى الأفضلية ، وكم لنبينا محمد ﷺ من فضائل مختصة به ، لم يسبق اليها ، ولم يشارك فيها ، ولو لم يكن له سوى خصوصية الشفاعة العظمى ـ لكفاه .

وقوله : (وان أناسا من أصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال . . الخ) أى يؤخذ بهــم جهــة النار (فأقول : أصحابى ، أصــحابى) أى هؤلاء أصــحابى ، وفى رواية : (أصــيحابى ، أصيحابى) مصغرين ، اشارة الى قلة عددهم ، والتكرير للتأكيد (فيقال : انهم لم يزالوا) وفى رواية : (لن يزالوا مرتدين على أعقابهم) بالكفر ، ـ قيل : المراد بهــم مــن ارتد مــن الناس بعد وفاته ﷺ ، وحاربهم أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ

ولا يقدح ذلك فى الصحابة المشهورين ، فان أصحابه ـ وان شاع استعماله عرفــا فيمــن لازمه من المهاجرين والأنصار ـ شاع اســتعماله فى كل مــن تبعــه أو أدركه ووفــد عليه ولو مرة . أى فيحمل لفظ (أصحابى) فى الحديث على مثل هؤلاء .
وقد ارتد كثير منهم وحاربهم أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ فرجع كثير منهــم الى الاســلام ونصروه ومات كثير منهم مرتدا عن الاسلام ، والعياذ بالله تعالى .

قال النبى ﷺ : (فأقول كما قال العبد الصالح) وهو عيسى عليه السلام : (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) أى رقيبا عليهم ، أو مشاهدا لأحــوالهم مــن كفــر وايمـــان (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد.ان تعــذبهم فــانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) ا هـ والله أعلم .

حديث (يحشر العباد فيناديهم ربهم : أنا الملك) .

أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ـ والقسطلانى ج ١٠ ص ٤٢٩ .

قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ فى باب قول الله تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلىّ الكبير) .

(٣١٤) وَيَذْكُرُ عَنْ جَابِرٍ ـ أى ابن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله عنهما ـ عَن ابْنِ أُنَيْس ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْت يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ : (أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الدَّيَّان) .

شرح الحديث من القسطلانى جـ ١٠ ص ٤٢٩

قوله : (ويذكر عن جابر بن عبد الله الأنصارى) ذكره هنا بصيغة التعريض ، وذكره فى كتاب العلم بصيغة الجزم : (قال جابر عن عبد الله بن أنيس) ـ بضم الهمزة ، وفتح النون ، الأنصارى ، أنه قال : (سمعت النبى ﷺ يقول : يحشر الله) عز وجل (العباد) يوم القيامة (فيناديهم) يقول لهم : (بصوت) مخلوق غير قائم بذاته تعالى ، أو يأمر الله تعالى من ينادى ، ففيه مجاز الحذف ـ أى ومجاز الاسناد .

وقال البهيقى ـ رحمه الله ـ : الكلام ما ينطق به المتكلم ، وهو مستقر فى ذهنه ومنه قول عمر ـ رضى الله عنه ـ فى حديث السقيفة : (وكنت هيأت فى نفسى كلاما) فسماه كلاما ، قبل أن يتكلم به .

فان كان المتكلم ذا مخارج ـ سمع كلامه ذا حروف ومخارج .

وأما حديث ابن أنيس فاختلف الحفاظ فى الاحتجاج بروايات ابن عقيل لسوء حفظه . ولم يثبت لفظ الصوت فى حديث صحيح مرفوع غير حديثه فان ثبت رجع الى حديث ابن مسعود .

– يعنى أن الملائكة يسمعون عند حصول الوحى صوتا ، فيحتمل أن يكون صوت السماء ، أو الملك الآتى بالوحى ، أو صوت أجنحة الملائكة .

واذا احتمل ذلك لم يكن نصا فى المسألة ، – أو أن الراوى أراد : (فينادى نداء) فعبر عنه بقوله : (بصوت) . ا هـ

قال فى الفتح : وهذا يلزم منه أن الله تعالى لم يسمع أحدا من ملائكته ولا رسله كلامه ، بل الهمهم اياه .

وحاصل الاحتجاج للنفى الرجوع الى القياس على أصوات المخلوقين ، لأنها هى التى عهد أنها ذات مخارج ، ولا يخفى ما فيه . اذ الصوت قد يكون من غير مخارج ، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة كما تقرر ، سلمنا ، لكن نمنع القياس المذكور ، وصفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوقين .

واذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة ، وجب الايمان به ، ثم التفويض أو التأويل . ١ هـ كلام الحافظ .

وقوله : (يسمعه) أى الصوت (من بعدكما يسمعه من قرب) فيه خرق العادة اذ فى سائر الأصوات التفاوت ظاهر بين القريب والبعيد .

وليعلم أن المسموع كلام الله تعالى ، كما أن موسى عليه السلام لما كلمه الله كان يسمعه من جميع الجهات . ا هـ هذا ما قاله القسطلانى .

ونقول : قد كان ذلك من باب خرق العادة بالنسبة لزمانهم فى عصر القسطلانى وغيره ، ولكن اليوم بعد ظهور المذياع وغيره ، ليس غريبا أن يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، والله تعالى لا تقاس صفاته على صفات الحوادث ، كما قال صاحب الفتح وغيره . فالايمان واجب بما صح عنه – ﷺ – دون بحث عن حقيقته ولا عن كيفيته فليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وقوله تعالى : (أنا الملك) أى ذو الملك (أنا الديان) أى لا مالك الا أنا ، ولا مجازى على الخير والشر الا أنا .

وقال الحليمى : هو مأخوذ من قوله تعالى : (ملك يوم الدين) وهو المحاسب المجازى ، لا يضيع عمل عامل .

وقال فى الكواكب : واختار هذا اللفظ ، لأن فيه اشارة الى الصفات السبعة : الحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . ليمكن المجازاة على الكليات والجزئيات قولا وفعلا . ا هـ قسطلانى .

(ملحوظة)

ما أشار اليه البيهقى من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ الذى فيه سماع الملائكة عند الوحى قد ذكره البخارى ـ رحمه الله قبل هذا الحديث بقوله :

(وقال مسروق عن ابن مسعود ، : اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات شيئا) ولفظ البيهقى : سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ـ عليه السلام ـ فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم (فاذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت . وفى نسخة : (وثبت الصوت عرفوا أنه الحق من ربهم ، ونادوا : ماذا قال ربكم) لأنهم سمعوا قولا ، ولم يفهموا معناه لفزعهم (قالوا) قال : (الحق) وفى رواية أحمد : (ويقولون : يا جبريل ، ماذا قال ربكم ؟ قال : فيقول الحق ، فينادون : الحق الحق) .

قال القسطلانى وهذا التعليق الذى نقله عن مسروق مما وصله البيهقى فى الأسماء والصفات من طريق أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، وهو أبو الضحى ، عن مسروق عن ابن مسعود) .

وقال البيهقى : ورواه أحمد بن أبى شريح الرازى ، وعلى بن أشكاب وعلى بن مسلم ـ ثلاثتهم عن أبى معاوية مرفوعا .

وأخرجه أبو داود فى السنن عنهم ، ولفظه مثله ، الا أنه قال : (فيقولون : ماذا قال ربك ؟) من القسطلانى والله أعلم

حديث يقال يوم القيامة لآدم عليه السلام : (أخرج بعث النار من ذريتك) .

أخرجه البخارى من سورة الحج ـ باب ـ (وترى الناس سكارى) ج ٧ ص ٩٧ .

(٣١٥) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ ، حَدَّثَنَا أَبِى ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا آدَمُ ، يَقُولُ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادَى بِصَوْتٍ : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ ، قَالَ : يَارَبِّ ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ ـ أُرَاهُ قَالَ : تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا ، وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ ، حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِى النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِى جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِى جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، وَإِنِّى لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا ، ثُمَّ ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا ، ثُمَّ شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا ـ

وقال أبو أسامة ، عن الأعمش : (تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى) وقال : (مِنْ كُلِّ أَلْف تِسْعَمائَة وَتِسْعَةً وَتسْعينَ) .

وأخرجه البخارى أيضاً فى ذكر الأنبياء بعد قصة يأجوج ومأجوج ، وذكره فى آخر كتاب الرقاق وأخرجه مسلم فى باب (بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة) بلفظ قريب من لفظ البخارى .

* * *

وأخرجه الإمام الترمذى بروايتين فى باب (سورة الحج) ج ٢ ص ١٩٩ — ٢٠٠ فقال :

(٣١٦) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — أَنَّ النَّبِيَّ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمَّا نَزَلَتْ : (يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَة شَيْءٌ عَظِيمٌ ... إلى قوله : (وَلـٰكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ) — قَالَ : أُنْزِلتْ عَلَيْهِ هذِهِ وَهُوَ فى سَفرٍ ، فقالَ : أَتدْرُون أَيَّ يوْمٍ ذلِك ؟ فَقَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذَلِكَ يَوْمُ يَقُولُ اللهُ لآدَمَ : ابْعَثْ بَعْثَ النَّار ، فَقَالَ : يَارَبِّ ، وَمَا بَعْثُ النَّار ؟ قَالَ : تِسْعُمائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ ، وَوَاحِدٌ إلى الْجَنَّة ، فَأَنْشَأَ الْمسْلِمُونَ يَبْكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ — صلى الله عليه وسلم : قَارِبُوا وَسَدِّدُوا ، فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ

قطُّ ، إلَّا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهَا جاهِلِيَّةٌ ، قَالَ : فَيُؤْخَذُ الْعَدَدُ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنْ تَمَّتْ وَإِلَّا كَمُلَتْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَمَا مَثَلُكُمْ وَالْأُمَم إِلَّا كَمَثَلِ الرَّقْمَةِ فِى ذِرَاعِ الدَّابَّةِ ، أَوْ كَالشَّامَةِ فِى جَنْبِ الْبَعِيرِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّى لَأَرْجُو أَنْ تكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرُوا ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّى لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرُوا ، قَالَ : لَا أَدْرِى قَالَ : الثُّلُثَيْن أَمْ لَا .

قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

* * *

والرواية الثانية للترمذى ، قال أيضاً :

(٣١٧) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْن ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِى سَفَرٍ ، فَتَفَاوَتَ بَعْض أَصْحَابِهِ فِى السَّيْرِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ الْآيتَيْنِ : (يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ... إِلَى قَوْلِه : إِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ) فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ حَثُّوا الْمَطىَّ ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْل يَقُولُهُ ، قَالَ : ذَلِكَ يَوْمٌ يُنَادِى اللهُ فِيهِ آدَمَ ، فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ ، فَيَقُولُ : يَا آدَمُ ، ابْعَثْ بَعْثَ النَّار ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، وَمَا بَعْثُ النَّار ؟ فَيَقُولُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمَائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فِى النَّار ،

وَوَاحِدٌ فى الْجَنَّةِ فَبِئْسَ الْقَوْمُ حَتَّى مَا أَبْدُوا بِضَاحِكَة ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الَّذِى بِأَصْحَابِهِ ، قَالَ : اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا ، فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ ، إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ ، مَا كَانَتَا مَعَ شَىْءٍ إِلَّا كَثَّرَتَاهُ : يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِى آدَمَ وَبَنِى إِبْلِيسَ ، قَالَ : فَسُرِّىَ عَنِ الْقَوْمِ بَعْضُ الَّذِى يَجِدُونَ فَقَالَ : اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا ، فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فى النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فى جَنْبِ الْبَعِيرِ ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فى ذِرَاعِ الدَّابَّةِ .

قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

شرح حديث : (يقال لآدم عليه السلام : أخرج بعث النار)
من شرح القسطلانى جـ ٧ ص ٢٤٥ ومن أبواب أخرى .
(حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبى) هو حفص بن غياث بن طلق الكوف قال (حدثنا الأعمش سليمان بن مهران ، قال : (حدثنا أبو صالح) ذكوان السمان (عن أبى سعيد الخدرى) رضى الله عنه أنه (قال : قال النبى ﷺ : يقول الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك) أى أجيبك اجابة بعد اجابة ، يا (ربنا وسعديك) أى واسعدنى اسعادا بعزتك وجلالك ولزوما لطاعتك .

وفى باب (كيف الحشر) عن أبى هريرة مرفوعا : (أول من يدعى يوم القيامة آدم ، فتتراءى له ذريته ، فيقال : هذا أبوكم آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، فيقول له : أخرج بعث النار . . . الخ) .

وفى قصة يأجوج ومأجوج من رواية أبى سعيد زيادة : (لبيك وسعديك ، والخير فى يديك) وفى الاقتصار على الخير نوع تعطف ورعاية للأدب ، والا فالشر أيضا بتقديره ـ جل شأنه .

وفى روايتى الترمذى المذكورتين عن عمران بن حصين ، أن النبى ﷺ قال لأصحابه هذا الحديث ، وهو فى سفر ، لما أنزلت عليه : (يأ يها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم .. الخ) فقال : أتدرون أى يوم ذلك ؟ . . الخ)

(فينادى) بفتح الدال (بصوت ، ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار) بعثا ــ بفتح الباء ، وسكون العين ، أى مبعوثا منهم ، وهم نصيب جهنم ، أى أخرج من ذريتك الذين هم أهل النار ، وابعثهم اليها (قال : يا رب ، وما بعث النار ؟) أى وما مقدار مبعوث النار ؟ (قال : من كل ألف ــ أراه) بضم الهمزة أى أظنه (قال : تسعمائة وتسعة وتسعين) .

قال القسطلانى : (وفى حديث أبى هريرة عند المؤلف فى باب ــ كيف الحشر من كتاب الرقاق ــ : فيقول : (أخرج من كل مائة تسعة وتسعين) وهو يدل على أن نصيب أهل الجنة من الألف عشرة ــ ويدل حديث الباب على أن من الألف واحدا ، والحكم للزائد ، أو يحمل حديث الباب على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف واحد ، وحديث أبى هريرة على من عدا يأجوج ومأجوج ، فيكون من كل ألف عشرة .

وقال القسطلانى فى موضع آخر : ويحتمل أن يكون المراد ببعث النار جميع الكفار وكل من يدخلها من العصاة ، فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كافرا ، ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصيا . ا هـ ــ من كتاب الرقاق .

قال رسول الله ﷺ : (فحينئذ تضع الحامل حملها) أى جنينها الذى حملته فى رحمها (ويشيب الوليد) من شدة هول ذلك اليوم ، وهذا على سبيل الفرض أو التمثيل ــ وأصله أن الهموم تضعف القوى ، وتسرع بالشيب . ا هـ ــ أو يحمل ذلك على الحقيقة ، لأن كل أحد يبعث على ما مات عليه ، فتبعث الحامل حاملا ، والمرضع مرضعة ، والطفل طفلا ــ فاذا وقعت زلزلة الساعة ، وقيل ذلك لآدم ــ عليه السلام ــ وسمعوا ما قيل له ــ وقع بهم من الوجل ما تسقط معه الحامل حملها ، ويشيب له الطفل ، وتذهل المرضعة . ا هـ قاله الحافظ أبو الفضل ابن حجر ، وسبقه اليه القفال .

(وترى الناس سكارى) أى كأنهم سكارى من شدة الأمر الذى أصابهم ، قد دهشت عقولهم ، وغابت أذهانهم فمن رآهم حسب أنهم سكارى (وما هم بسكارى) على الحقيقة (ولكن عذاب الله شديد) تعليل لاثبات السكر المجازى .

قال : (فشق ذلك على الناس ، حتى تغيرت وجوههم) .

وعند المؤلف (من قصة يأجوج ومأجوج) عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه (قالوا : يا رسول الله ، وأينا ذلك الواحد ؟ قال ﷺ أبشروا . . الخ)

وفى البخارى أيضا فى الرقاق من رواية أبى سعيد :

(فاشتد ذلك عليهم ، فقالوا : يا رسول الله ، أينا ذلك الرجل ؟ . . . الخ) .

(فقال النبى ﷺ : من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم واحدا) أى يخرج آدم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ، ويجوز الرفع ، كما هو فى رواية أخرى ، ويكون منكم أيها المسلمون ومن كان مثلكم واحد .

(وعند البخارى فى الرقاق) :

(من يأجوج ومأجوج ألف ، ومنكم رجل واحد) فيحتمل كما فى الفتح أن يكون من باب جبر الكسر ، والمراد أن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين : منهم وممن كان مثلهم على الشرك ، ومنكم أيها المسلمون من أمتى ومن جميع الأمم أى واحد ، وقد أشار الى ذلك فى حديث ابن مسعود بقوله :

(ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة) ثم قال النبى ﷺ : « أنتم فى الناس » أى فى أهل المحشر جميعا (كالشعرة) بفتح العين وسكونها (فى جنب الثور الأبيض) أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الأسود) أو ـ للتنويع ، أو شك من الراوى .

(وانى لأرجو أن تكونوا) يريد أمته ﷺ المؤمنين به (ربع أهل الجنة) أى من جميع الأمم (فكبرنا) أى قلنا : الله أكبر ، سرورا وفرحا بهذه البشارة .

(ثم قال : ثلث أهل الجنة) أى ثم قال : أرجو فوق ما تقدم أن تكونوا ثلث أهل الجنة (فكبرنا) أى قلنا : الله اكبر ، سرورا وفرحا بذلك (ثم قال : شطر أهل الجنة) أى ثم قال النبى ﷺ : أرجو أن تكونوا شطر أى نصف أهل الجنة أى نصف من يدخل الجنة من جميع الأمم (فكبرنا) سرورا واستعظاما لهذه النعمة الجليلة ، والمنحة الكبيرة . فهذا الاستعظام بعد الأستعظام الأول اشارة الى فوزهم بالبغية . وفى الرقاق عند البخارى : (باب ان زلزلة الساعة شىء عظيم)

(ثم قال ﷺ : والذى نفسى بيده) وفى رواية (فى يده ، انى ـ لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة) أى فقال : (أطمع) بدل (أرجو) فالمراد بالطمع هو الرجاء من الله تعالى ، وقد فتح الله لنبيه ﷺ باب الرجاء وحققه بما أخبر به من الزيادة .

وفى هذا الباب من رواية ابن مسعود ، قال :

(كنا مع النبى ﷺ) زاد فى مسلم عن محمد بن المثنى : (نحوا من أربعين رجلا ، فى قبة من أدم) أى من جلد (فقال : أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ قلنا : نعم ، قال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قلنا : نعم ، قال : أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة ؟) أى نصفها ـ (قلنا : نعم) .

قال السفاقسى : ذكره بلفظ الاستفهام ، لارادة تقرير البشارة بذلك ، وذكره بلفظ التدريج ، ليكون أعظم لسرورهم ،

ثم قال : (وما أنتم فى أهل الشرك ، الا كالشعرة البيضاء ... الخ) .

وعند عبد الله بن الامام أحمد فى زياداته ، والطبرانى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه .

زيادة : (أنتم ثلثا أهل الجنة) .

وفى الترمذى وصححه من حديث بريدة رفعه : (أهل الجنة عشرون) ومائة صف ، أمتى منها ثمانون .

قال القسطلانى ـ رحمه الله تعالى :

والظاهر أنه ﷺ لما رجا من رحمة الله تعالى أن تكون أمته ﷺ نصف أهل الجنة ـ أعطاه لله ما رجاه ، وزاده من فضله ا هـ .

أى زاده على النصف ، حتى بلغت أمته ثلثى أهل الجنة ، تحقيقا لوعده تعالى له فى قوله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ـ وقد ورد أن النبى ﷺ قال (اذا لا أرضى وواحد من أمتى فى النار) صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم تسليما كثيرا ، وجزاه عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته . وجعلنا من أهل شفاعته ومن الواردين على حوضه . آمين ـ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أخرجه البخارى من كتاب التفسير ـ سورة الزمر ـ (وما قدروا الله حق قدره) جـ ٦ ص ١٢٦ .

(٣١٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ ـ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : (يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ ، وَيَطْوِى السَّمٰوَاتِ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ ؟)

أخرجه البخارى بهذا اللفظ عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه فى كتاب التفسير ـ سورة الزمر ـ قوله تعالى : (وما قدروا الله حق قدره) وفى كتاب الرقاق كذلك عنه .

* * *

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب التوحيد عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ بلفظ :

(٣١٩) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ (إِنَّ اللهَ يَقْبِضُ الْأَرْضَ ـ أَو الْأَرَضِينَ ـ وَتَكُونُ السَّمٰوَاتُ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ) .

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب التوحيد بروايتين عن عبد الله ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ وفى رواية منهما :

(ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ، ثُمَ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا المَلِكُ) .

* * *

وفى رواية له من كتاب التفسير – سورة الزمر – بأطول من ذلك كله ، قال :

(٣٢٠) حَدَّثَنَا آدَمُ ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ ، عَنْ مَنْصُور ، عَنْ إبْرَاهِيمَ ، عَنْ عبيدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَار إلى رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إنَّا نَجدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمٰوَاتِ عَلَى إصْبَع ، وَالأَرْضِينَ عَلَى إصْبَع ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَع ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصْبَع ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَع ، فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، تَصْدِيقًا لقَوْل الْحَبْر ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ – : (ومَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِه وَالأَرْضُ جَميعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

***

(٣٢١) وأخرج مسلم حديث الحبر ، فى باب (صفة القيامة والجنة والنار) بلفظ : (فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ – أَوْ يا أَبَا الْقَاسِمِ ، إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إصْبَع ، .. إلى أن قال : ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ، ويَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الْمَلِكُ) .

***

ثم أخرجه مسلم برواية أخرى ، ولم يذكر فيها : (ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ) ، ثم أعاده بروايات قريبة من ذلك .

(٣٢٢) وزاد فى بعض الروايات بعد قوله : (فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ضَحِكَ ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ) ـ قَالَ : (تَصْدِيقًا لَهُ ، تَعَجُّبًا لِمَا قَالَ) ـ ثم أخرج مسلم حديث أبى هريرة مثل لفظ البخارى المذكور هنا .

* * *

ثم أخرجه مسلم بروايات أخرى بزيادات ، وهى عن عبد الله بن مسعود . فقال :

(٣٢٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ عُمَرَ ابْنِ حَمْزَةَ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَطْوِى اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ السَّمٰوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ ثُمَّ يَطْوِى الْأَرْضَ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ) ؟

* * *

(٣٢٤) وقال مسلم أيضاً :

(وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُور ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ - يعنى ابن عبد الرحمن - حَدَّثَنَا أَبُو حَازِم ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْن مُقَسِّم ، أَنَّهُ نَظَرَ إلى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - كَيْفَ يَحْكِى رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : يَأْخُذُ اللهُ سَمٰوَاتِهِ وَأَرَاضِيهِ بِيَدَيْهِ ، وَيَقُولُ : أَنَا اللهُ ، ويقبض أصابعه ويبسطها - أنا الْمَلِكُ ، حَتَّى نَظَرْتُ إلى الْمِنبَر يَتحَرَّكَ مِنْ أَسْفل شئٍ مِنْهُ ، حَتَّى إِنِّى لَأَقُولُ : أَسَاقِطٌ هو بِرَسُول اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؟

* * *

وأخرج ابن ماجة حديث ابن عمر الثانى المرويّ فى مسلم ، بلفظ :

(٣٢٥) عَن ابْن عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ : يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمٰوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدِهِ - وَقَبَضَ بِيَدِهِ ، فَجَعَلَ يَقْبِضُها وَيَبْسُطُهَا ثُمَّ يَقُولُ : أَنا الْجَبَّارُ ، أَيْن الْجَبَّارُون ؟ أَيْن الْمُتكبِّرُون ؟ وَيَتمَثَّلُ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ ، حَتَّى نظرْتُ الْمِنْبَرَ يَتحَرَّكُ مِنْ أَسْفل شئ مِنْهُ ، حَتّى إِنِّى أَقُولُ : أَسَاقِطٌ هُوَ ، يَا رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَليْهِ وَسَلَّمَ ؟ جـ ١ من سنن ابن ماجة ص ٤٥ باب (فيما أنكرت الجهمية) .

* * *

و أخرجه أبو داود فى سننه ـ (من باب الرؤية) ج ٤ ص ١٨٣ فقال :

(٣٢٦) عَن ابْن عُمَرَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : (يَطْوى اللهُ السَّمٰوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ ثُمَّ يَطْوى الأَرْضِينَ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ ـ قال ابن العلاء :ـ بِيَدِهِ الأُخْرَى ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ ـ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟) .

شرح الأحاديث المذكورة من القسطلانى جـ ٧ ص ٣٢٠

أولا ـ شرح الحديث الذى قاله الحبر من أهل الكتاب للنبى ﷺ : قوله : (جاء حبر من أحبار اليهود .... الخ) الحبر بفتح الحاء ، أى عالم من علماء اليهود ، قال الحافظ ابن حجر : لم أقف على اسمه ـ (الى رسول الله ﷺ ـ فقال : انا نجد) أى ف التوراة (أن الله يجعل السموات على اصبع) وفى التوحيد عند البخارى : (ان الله يمسك) بدل ـ يجعل ـ (والأرضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء والثرى) أى التراب على اصبع ، وسائر الخلائق على اصبع) .

وفى بعض النسخ : (والماء على اصبع ، والثرى على اصبع) وسقط فى بعضها (والماء على اصبع)

(فيقول : (أنا الملك) أى المنفرد بالملك (فضحك النبى ﷺ ـ حتى بدت نواجذه) بالجيم والذال المعجمة أى أنيابه ، وهى الضواحك ، التى تبدو عند الضحك ـ (تصديقا لقول الحبر) .

ثم قرأ رسول الله ﷺ : (وما قدروا الله حق قدره) وقراءته عليه الصلاة والسلام هذه لآية تدل على صحة قول الحبر ، كضحكه ، قاله النووى . ا هـ ـ من القسطلانى .

وفى التوحيد برواية فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن ابراهيم ، عن عبيدة عن عبد الله ـ رضى الله عنه : (فضحك رسول الله ﷺ تعجبا مما قاله الحبر وتصديقا له ـ ورواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

وعند مسلم : (تعجبا مما قاله الحبر ، وتصديقا له) .
وعند ابن خزيمة ـ من رواية اسرائيل ، عن منصور : (حتى بدت نواجذه تصديقا له)
وعند الترمذى من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال مر يهودى بالنبى ﷺ ، فقال : كيف تقول : يا أبا القاسم اذا وضع الله السموات على ذه ، والأرضين على ذه ، والماء على ذه ، والجبال على ذه ، وسائر الخلق على ذه ، وأشار محمد بن الصلت : أبو جعفر لخنصره أولا ، ثم بلغ الابهام .
ثم قال القسطلانى رحمه الله :
وهذا من شديد الاشتباه ، وقد حمله بعضهم على أن اليهود مشبهة ، ويزعمون فيما أنزل اليهم ألفاظا تدخل فى التشبيه ، ليس القول بها من مذهب المسلمين ، وبهذا قال الخطابى .
وقال : انه روى هذا الحديث غير واحد ، عن عبد الله بن مسعود ، من طريق عبيدة فلم يذكروا قوله : (تصديقا لقول الحبر) . ولعله من الراوى ظن وحسبان ، وضحكه ﷺ تعجب من كذب اليهودى ، فظن الراوى أن ذلك التعجب تصديق له ، وليس كذلك . ا هـ كلام الخطابى .
وأشار القسطلانى الى ما قاله الخطابى عند شرح الحديث فى كتاب التوحيد من باب قول الله : (هو الخالق البارىء المصور) فقال :
ان الخطابى ذكر الأصبع ، وقال : انه لم يقع فى القرآن ، ولا فى حديث مقطوع به ، وقد تقرر أن اليد أى المضافة الى الله ليست جارحة ، حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع ، بل هو توقيف أطلقه الشارع ، فلا يكيف ولا يشبه : ولعل ذكر الأصابع من تخليط اليهود ، فان اليهود مشبهة ـ وقول من قال من الرواة : (وتصديقا له) أى لليهودى ـ ظن وحسبان ، وقد روى هذا الحديث غير واحد من أصحاب عبد الله بن مسعود ، فلم يذكروا فيه (تصديقا له) ا هـ .
ثم نقل القسطلانى فى شرح الحديث فى هذا الباب عن القرطبى ما يأتى :
(قال القرطبى فى المفهم : ضحكه ﷺ انما هو للتعجب من جهل اليهودى ولهذا قرأ عند ذلك : (وما قدروا الله حق قدره) .
فهذه الرواية هى الصحيحة المحققة ، ـ وأما من زاد : (وتصديقا له) فليست بشىء فانها من قول الراوى وهى باطلة ، لأنه ﷺ لا يصدق المحال ، وهذه الأوصاف فى حق الله تعالى محال ، اذ لو كان ذا يد أو أصابع وجوارح لكان كواحد منا ، ولو كان كذلك ، لاستحال أن يكون الها ، فقول اليهودى محال وكذب . ا هـ ما قاله فى المفهم .

ثم قال القسطلانى : وتعقبه بعضهم بورود الأصابع فى عدة أحاديث : منها ما أخرجه مسلم : (ان قلب ابن أدم بين أصبعين من أصابع الرحمن) ولكن هذا لا يرد عليه ، لأنه انما نفى القطع .

نعم ذهب الشيخ أبو عمرو بن الصلاح الى أن ما اتفق عليه الشيخان بمنزلة المتواتر فلا ينبغى التجاسر على الطعن فى ثقات الرواة ، ورد الأخبار الثابتة .

ولو كان الأمر على خلاف ما فهمه الراوى بالظن ، للزم منه اقراره ﷺ اليهودى على الباطل ، وسكوته عن الانكار على اليهودى وحاش لله من ذلك .

وقد اشتد انكار ابن خزيمة على من ادعى أن الضحك المذكور ، كان على سبيل الانكار ، فقال بعد أن أورد هذا الحديث فى صحيحه فى كتاب التوحيد ما يأتى :

(قد أجل ــ بتشديد اللام ــ الله تعالى نبيه ﷺ أن يوصف ربه بحضرته بما ليس هو من صفاته ، فيجعل بدل الانكار والغضب على الوصف ــ ضحكا ــ ، بل لا يصف النبى ﷺ بهذا الوصف من يؤمن بنبوته ﷺ . ا هـ .

ما قاله القسطلانى فى كتاب التوحيد جـ ١٠ ص ٣٨٨ .

وقال فى كتاب التفسير بعد أن نقل كلام الخطابى ، وكلام القرطبى فى المفهم : (ولا ريب أن الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ كانوا أعلم بما رووه ، وقد قالوا : ان ضحكه ﷺ كان تصديقا له) ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح :

(ما من قلب الا وهو بين أصبعين من اصابع الرحمن) ــ رواه مسلم .

وفى حديث ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال رسول الله ﷺ : (أتانى الليلة ربى فى أحسن صورة . . الحديث . . وفيه : (فوضع يده بين كتفى) .

وفى رواية معاذ : (فرأيته وضع كفه بين كتفى ، فوجدت برد أنامله بين ثديى) فهذه روايات متضافرة على ذكر الأصابع .

وكيف يطعن فى حديث أجمع على اخراجه الشيخان وغيرهما من أئمة النقد والاتقان ؟ لا سيما وقد قال ابن الصلاح : ما اتفق عليه الشيخان هو بمنزلة المتواتر ، وكيف يسمع النبى ﷺ وصف ربه تعالى بما لا يرضاه ، فيضحك ؟ ولم ينكره أشد الانكار ، حاشاه الله من ذلك .

ثم قال : واذا تقرر صحة ذلك فهو من المتشابه كغيره ، من الوجه واليدين والقدم والرجل والجنب فى قوله تعالى : (يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله) .

واختلف فى ذلك أئمتنا :

هل نؤول المشكل ، أم نفوض معناه المراد منه الى الله تعالى ؟ مع اتفاقهم على أن جهلنا بتفصيله لا يقدح فى اعتقادنا المراد منه :

والتفويض مذهب السلف ، وهو أسلم ، والتأويل مذهب الخلف ، وهو أعلم أى أحوج الى مزيد علم ، فنؤول الأصبع هنا بالقدرة ، اذ ــ ارادة الجارحة مستحيلة .

وقد قال الزمخشرى فى كشافه بعد ذكر نحو حديث الباب :

(انما ضحك أفصح العرب وتعجب ، لأنه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان ، من غير تصور امساك ولا أصبع ، ولا هز ولا شيء من ذلك ، ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة ، التي هي الدلالة على القدرة الباهرة ، وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأذهان ، ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هوانا ، لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ، ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأهون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية ، وكلام الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فان أكثره وعليته (أي أعلى شيء فيه) تخييلات قد زلت فيها الأقدام ، وما أتى الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقيب ،
حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما ، لو قدروه حق قدره ، لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة اليه ، وعيال عليه ، اذ لا يحل عقدها الموربة (أي الموقعة في الريب) ولا يفك قيودها المكربة (أي الموقعة في الكرب) ـ الا هو ، وكم من أية من آيات التنزيل ، وحديث من أحاديث الرسول ﷺ قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة ، والوجوه الرثة ، لأن من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ، ولا يعرف قبيلا من دبير . ا هـ ما نقله القسطلاني عن الزمخشري في كشافه وهو حسن جدا

ثم قال : وقال ابن فورك : يحتمل أن يكون المراد اصبع بعض مخلوقاته وقد تقدم لنا نقل ما قال القسطلاني في كتاب التوحيد عند شرح هذا الحديث .

وهو قوله :

(وقد اشتد انكار ابن خزيمة على من ادعى ان الضحك المذكور كان على سبيل الانكار منه ﷺ . . الخ ما تقدم) .

ثانيا ـ

(شرح حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمر في البخاري ومسلم وغيرهما)

قوله : (يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه) يطلق الطي على الادراج ، كطي القرطاس ، كما قال تعالى : (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) ـ ويطلق على الافناء ، تقول العرب : طويت فلانا بسيفي أي أفنيته .

وقال القاضي : عبر عن افناء الله تعالى هذه المظلة والمقلة واخراجهما من أن يكونا مأوى ومنزلا لبني آدم بقدرته الباهرة ، التي تهون عليها الأفعال العظام : التي تتضاءل دونها القوى والقدر ، وتتحير فيها الأفهام والفكر على طريقة التمثيل والتخييل ، (ثم يقول : أنا الملك ، اين ملوك الأرض ؟) .

ولمسلم من حديث ابن عمر مرفوعا : (يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده

اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرض بشماله ، ثم يقول أنا الملك) . . الخ .

فأضاف طى السموات وقبضها الى اليمين ، وطى الأرض الى الشمال ، تنبيهـا وتخييلا لما بين المقبوضين من التفاوت والتفاضل .

ثالثا :

(شرح حديث ابن عمر الذى أخرجه مسلم وابن ماجه ، وفيه هز المنبر) .

مأخوذ من شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٠ ص ٥٤٨ هامش القسطلانى .

قال النووى ـ رحمه الله تعالى : وفى رواية : (ان ابن مقسم نظـر الى ابن عمـر ـ كيف يحكى رسول الله ﷺ ـ قال : يأخذ الله سمواته وأراضيه بيديه ، ويقـول : أنا الله ، ويقبض أصابعه ويبسطها ، ويقول : أنا الملك ، حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شىء منه) .

قال العلماء : المراد بقوله : (يقبض أصابعه ويبسطها) : النبى ﷺ ولهـذا قـال ان ابن مقسم نظر الى ابن عمر كيف يحكى رسول الله ﷺ .

وأما اطلاق اليدين لله تعالى ، فمتأول على القـدرة ، وكنى عن ذلك باليدين ، لأن أفعـالنا تقع باليدين ، فخوطبنا بما نفهمه ، ليكون أوضح وأوكد فى النفوس وذكر اليمين والشـمال حتى يتم المنال ، لأننا نتناول باليمين ما نكرمه ، وبالشمال مـا دونه ، ولأن اليمين فى حقنا تقوى لما لا تقوى له الشمال .

ومعلوم أن السموات أعظم من الأرض ، فأضافها الى اليمين ، والأرض الى الشـمال ، ليظهر التقريب فى الاستعارة ، وان كان الله لا يوصـف بأن شـيئا أخـف عليه مـن شىء ، ولا أثقل من شىء . هذا مختصر كلام المازرى فى هذا الحديث .

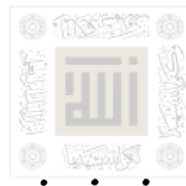
ثم قال النووى رحمه الله تعالى : وقوله : (المنبر يتحـرك . . الخ) أى مـن أسـفله الى أعلاه ، بحركة النبى ﷺ ، ثم قال النووى ـ رحمه الله :

قال القاضى : ونحن نؤمن بالله وبصفاته ، ولا نشـبه شـيئا به ، ولا نشـبهه بشىء ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وما قاله رسول الله ﷺ فهو حق وصدق ، فما أدركنا علمه ، فبفضل الله تعالى ، وما خفى علينا آمنا به ، ووكلنا علمه الى الله تعالى ، وحملنا لفظه على ما احتمل من كلام العـرب ، ولم نقطع على أحد معنييه بعد تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث . ا هـ والله أعلم .

أقول :

وبالجملة فكل آيات الصفات وأحاديث الصفات الواجب علينا أن نؤمن بهـا ونعتقـد أن المعنى المراد منها لله تعالى هو عين الحق واليقين ، ونقول فيها ما قـاله السـلف ، وهـو التفويض الى الله تعالى مع ايماننا بالتنزيه ، أو ما قاله الخلف ، وهو التأويل والحمل على



معنى يليق بجلاله وبعظمته ، وقد علمت أن مذهب الخلف يحتاج الى علم أكثر ، فـالأحسن مذهب السلف ، لسلامته من الوقوع فى الخطر ، وتأويل كلام الله أو كلام رسوله بما لا يكون مرادا لله خطر جسيم .

وفقنا الله تعالى الى الايمان به وبصفاته ، ووقانا شر الخطأ والزلل وسلمنا من الشكوك والشبهات والريب أمين يارب العالمين .

أولا : روايات البخارى أخرجه البُخارى من كتاب بدءِ الخلق جـ ٤ ص ١٣٤ ـ من باب ـ قول الله تعالى : (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذرْ قومك من قبل أن يأْتيهم عذاب أليم) .

(٣٢٧) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْد ، حَدَّثَنا أَبُو حَيَّانَ عَنْ أَبِى زُرْعَةَ ـ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فى دَعْوَةٍ ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ ، ـ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ـ ـ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ، وَقَالَ : أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَ ؟ ـ : يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فى صَعِيد وَاحِدٍ ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِى ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ : أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ ؟ إِلَى مَا بَلَغَكُمْ ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ : أَبُوكُمْ آدَمُ ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ؟ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ : رَبِّى غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَغْضَبْ بَعْدَهُ مثْلَهُ ،

وَنَهَانِى عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ ، نَفْسِى ، نَفْسِى ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ ، فَيَأْتُون نُوحًا ، فَيَقُولُون : يَا نُوحُ ، أَنْت أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا ، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا ؟ أَلا تشْفعُلنا إِلَى رَبِّك ؟ فَيَقُولُ : رَبِّى غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا ، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، نَفْسِى ، نَفْسِى ، ائْتُوا النَّبِىَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَأْتُونى ، فَأَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ .

قال محمد بن عُبَيْدٍ : لَا أَحْفَظُ سَائِرَهُ .

شرح الحديث من القسطلانى

(حدثنا اسحاق بن نصر) هو اسحاق بن ابراهيم بن نصر السعدى (حدثنا محمد بن عبيد) بالتصغير ، الطنافسى الأحدب الكوفى (حدثنا أبو حيان) بتشديد الياء هو يحيى بن سعيد بن حيان التيمى (عن أبى زرعة) هو هرم بن عمرو البجلى (عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه) .

(قال : كنا مع النبى ﷺ فى دعوة) بفتح الدال ، وحكى كسرها : طعام يدعى اليه على سبيل الضيافة (فرفع اليه الذراع) أى قدمت اليه الذراع من الذبيحة (وكانت تعجبه) لأنها أعجل نضجا ، وأخف على المعدة ، وأسرع هضما ، مع حلاوة مذاقها (فنهس منها نهسة) أى أخذ منها بأطراف أسنانه ، وروى بالشين أى أخذ من لحمها بأضراسه (وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة) أى السيد الذى يهرع الناس إلى يوم القيامة لتفريج كربهم وكشف غمتهم ، وخص يوم القيامة ، لأنه اليوم الذى يرتفع فيه سؤدده ، ويسلم له الجميع فيه بالسؤدد ، وإذا كان سيد الناس يوم القيامة ، ففى الدنيا يكون أولى بذلك .

وقوله ﷺ : (لا تخيروا بين الأنبياء) أى تخييرا يؤدى إلى تنقيص وليس فى ذلك اشارة إلى تنقيص غيره من الأنبياء . أو المعنى : لا تخيروا بين الأنبياء بالنسبة إلى ذات النبوة ،

فانها اختبار من الله لمن يشاؤه من عباده ، فيعصمه عن الزلل ، ويصطفيه بوحيه . فلا يناف أنه قد يأتى التفضيل بأمور أخرى غير النبوة والرسالة .

ثم بين النبى ﷺ السبب الذى تظهر به سيادته يوم القيامة على جميع الناس بقوله :

(يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد) الصعيد : الأرض المستوية الواسعة (فيبصرهم الناظر) أى يحيط بهم بصر الناظر ، لاستواء الأرض وعدم الحجاب (ويسمعهم الداعى) لأن الأبصار والأسماع تقوى فى هذا اليوم كما قال تعالى : (فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد) وقال تعالى (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) وقال : (مهطعين إلى الداع) أى مسرعين اليه مادى أعناقهم .

(وتدنو الشمس) أى من الناس مع اشتداد حرها . (فيقول بعض الناس) ألا ترون إلى ما أنتم فيه ؟) الى ما بلغكم ؟ بدل منه أى يلهمهم الله تعالى هذا القول لحكمة كبرى وهى اظهار فضل الشفيع لهم ، واعلان سيادة النبى ﷺ (ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم) أى عند ربكم لعله ينقذكم من طول الوقوف ويجعل لهم الحساب والانصراف من هول هذا اليوم ، الشديد هوله : (انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) .

ثم يلهمهم الله تعالى إلى التوجه إلى آدم عليه السلام ، (فيقول بعض الناس : أبوكم آدم) أى هو الذى يشفع لكم عند ربكم (فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر) أى الذى يحزنه ما يسوءهم ، ويسعى لتفريج كربهم ، ثم يذكرون له نعم الله عليه التى تجعله يرجو أن تقبل شفاعته ، فلا يتأخر عن اجابة مطالبهم فيقولون له : (خلقك الله بيده) أى بقدرته من غير واسطة أب ولا أم ، ونفخ فيك من روحه ، دون بقية الخلق ، فان الله يأمر الملك الموكل بالأرحام بنفخ الروح فيه ، (وأمر الملائكة فسجدوا لك) أى سجدوا لله متجهين لك كالقبلة ، تعظيما لك (وأسكنك الجنة) اكراما له قبل أن يأكل من الشجرة ، فلما أكل من الشجرة أخرجه الله من الجنة لحكمة عظيمة .

واضافة الروح إلى الله للتشريف والتعظيم والاختصاص ، أى الروح التى استأثر الله بخلقها وبعلم أسرارها (ألا تشفع لنا إلى ربك ؟) أى عند ربك (ألا ترى ما نحن فيه) من الكرب (وما بلغنا) من الشدائد ، وذلك استعطاف منهم لآدم عليه السلام ، لعله يقبل منهم ، فيشفع لهم ، فيذكر لهم سبب امتناعه عن الشفاعة لهم ، قائلا : (ربى غضب غضبا لم يغضب قبله مثله) لأن أيام الدنيا كانت أيام امهال وانظار للعباد لعلهم يرجعون اليه ويتوبون . (ولا يغضب بعده مثله) لأنه بعد فصل القضاء يستقر الناس فى مستقرهم : فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

ونسبة الغضب إلى الله تعالى : المراد به لازمه ، وهو إرادة ايصال الشر لمن غضب عليه .

وقال النووى رحمه الله تعالى : المراد ما يظهره الله تعالى من انتقامه ، وما يشاهد من الأهوال التى لم يكن قبلها ، ولن يكون بعدها مثلها .

(ونهانى الله عن الشجرة) أى عن الأكل منهـا (فعصـيته) فلذلك لا يمـكننى التقـدم للشفاعة بل أرجو أن يسامحنى الله تعـالى مـن ذلك (نفسى ، نفسى) أى هـى التى أطلب نجاتها .

أقول :

قد سمى الله تعالى أكله من الشجرة عصيانا ، فقـال : (وعصى آدم ربه فغـوى) الا أنه عقبه بقوله : (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) وقال فى سورة البقرة : (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) .

ولعل هذه الكلمات هى قوله من سورة الأعراف : (ربنا ظلمنا أنفسـنا وان لم تغفـر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) .

فآدم ـ وان كان الله قد تاب عليه واجتباه واصطفاه بالرسالة ـ يكون يوم القيامة شديد الخوف من الله تعالى ، كما هو شأن المقربين يكونون شديدى الخوف من الله تعالى ، لذلك لم يتقدم للشفاعة ، وقال : (نفسى ، نفسى) أى هى التى تستحق أن يشفع لها ، كما ورد فى رواية ثابت عند سعيد بن منصور : (انى أخطأت وأنا فى الفردوس ، فـان تغفـر لى اليوم فحسبى) .

واستشكل قوله فى نوح (انه أول الرسل إلى أهـل الأرض) بأن آدم عليه السـلام نبى مرسل لبنيه ، وكذا ادريس عليهما السلام ، وكلهم قبل نوح عليه السلام .

وأجيب بأن الأولية مقيدة بقوله : (إلى أهل الأرض ، أى فهـو أول رسـول أرسـله الله تعالى إلى قوم يعبدون الأصنام ، ليخرجهم من الاشراك إلى التوحيد ، وأولاد آدم لم يسبق لهم اشراك فرسالته اليهم لتشريع أحكام الدين فقط .

وعموم رسالة نوح عارضة بعد الغرق : ولم يبق إلا ذريته كما قال تعالى : (وجعلنا ذريته هم الباقين) (وعبدا شكورا) أى مستغرقا فى القيام بشكر الله تعالى على نعمائه حـامدا له على جميع الحالات .

(ائتوا النبى) أى محمدا ﷺ . والمعروف أن آدم دلهم على نوح ونوح دلهم على ابراهيم وابراهيم على موسى وموسى على عيسى وعيسى على محمد ﷺ . ولعل ذلك لم يذكر هنا ، لأنه من جملة مالم يحفظه محمد بن عبيد أحد الرواة . والله أعلم . انتهى

وأخرجه البخارى من كتاب التفسير - سورة البقرة - باب (وعلم آدم الأسماء كلها) ج ٦ ص ١٧ - ١٨ .

(٣٢٨) حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، عَنْ أَنَسٍ - هو ابن مالك - رضى الله عنه ، عن النبيّ - صلى الله عليه وسلم . قال أبو عبد الله أى البخارى وقال لى خليفة : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ : لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ أَبُو النَّاسِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ ، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هُنَا ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ ، فَيَسْتَحْيِي ، ائْتُوا نُوحًا ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ . وَيَذْكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ . فَيَسْتَحْيِي ، فَيَقُولُ : ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمٰنِ ، فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، ائْتُوا مُوسَى ، عَبْدًا كَلَّمَهُ اللهُ ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ ، فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ ، فَيَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّهِ ، فَيَقُولُ : ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ ، وَكَلِمَةَ اللهِ وَرُوحَهُ ، فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، ائْتُوا مُحَمَّدًا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ

مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَـأَخَّرَ ، فَيَأْتُونَنِى ، فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّى فَيُؤْذَنُ ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّى وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِى ، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحُدُّ لِى حَدًّا ، فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّى مِثْلَهُ ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِى حَدًّا ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ ، فَأَقُولُ : مَا بَقِىَ فِى النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ .

قال أبو عبد الله ـ أى البخارى : (إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ) يعنى قول الله تعالى : (خَالِدِينَ فِيهَا) .

شرح الحديث ٣٢٩ مأخوذ من شرح القسطلانى

أولا : ذكر البخارى ـ رحمه الله تعالى لهذا الحديث اسـنادين إلى قتادة عن أنس رضى الله عنه .

الأول : حدثه مسلم بن ابراهيم الفراهيدى البصرى ، حدثه هشام الدستوائى ، حدثه قتادة ، هو ابن دعامة .

الثانى : قال له خليفة بن خياط العصفرى ، بضم العين ، وسكون الصاد المهملتين وضم الفاء ، البصرى ـ وكان على سبيل المذاكرة أو التحديث ـ حدثه يزيد بن زريع مصغرا ، أبو معاوية البصرى ، حدثه سعيد ، هو ابن أبى عروبة ، عن قتادة عن أبى هـريرة ـ رضى الله عنه ـ .

وقوله : (يجتمع المؤمنون الخ) فى هذا دليل على أن المؤمنين من الناس هم المفكرون فى طلب الشفاعة ، وهم الساعون إلى الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام .

وقوله : (حتى يريحنا من مكاننا هذا) ـ فيه اشارة إلى أن هـذه الشـفاعة فى فصل القضاء ، وقوله : (لست هناكم) أى لست فى المنزلة التى تؤهلنى للشفاعة .

قوله : (ويذكر سؤاله ربه ماليس له به علم) أى المحكى فى القرآن بقوله تعالى : (رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) أى انك وعدتنى أن

تنجى أهلى ، وان ابنى من أهلى ، ولذا قال الله له : (يا نوح انه ليس من أهلك) وقال : (فلا تسألن ماليس لك به علم) .

أى المراد بأهلك من آمن منهم وعمل صالحا ، وان ابنك لم يؤمن بما أرسلتك به ولم يعمل صالحا ، بل هو عمل غير صالح ، مبالغة بجعله نفس العمل غير الصالح ، أو عمل غير صالح ـ على القراءة الأخرى .

وقوله : (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) كناية عن عصمته ﷺ عن الوقوع فى الذنوب .

وقوله : (فيحد لى حدا) أى يبين أقواما أشفع فيهم ، كأن يقول مثلا : شفعتك فيمن أخل بالصلاة ، أو فيمن يؤخرها عن أوقاتها مثلا ، أو غير ذلك من الأمور العامة ، التى عبر عنها بقوله : (فيحد لى حدا) .

وفى القسطلانى ما يأتى :

واستشكل سياق هذا الحديث من جهة المطلوب ، لأن الشفاعة المطلوبة ، لأجل اراحتهم من طول الموقف يوم القيامة ، لما يحصل لهم من ذلك من الكرب الشديد ، لا للاخراج من النار .

وأجيب بأنه قد انتهت حكاية الاراحة عند لفظ : (فيؤذن لى) وأما ما بعده فهو زيادة على ذلك ، قاله الكرمانى .

وقل فى فتوح الغيب : ايراد قصة واحدة فى مقامات متعددة ، بعبارات مختلفة ، وأنحاء شتى ، بحيث لا تغيير ولا تناقض البتة ـ من فصيح الكلام ـ وبليغه . وهو باب من الايجاز المختص بالاعجاز ، ويحتاج فى التوفيق إلى قانون يرجع اليه ، وهو أن يعمد إلى الاقتصارات المتفرقة ، ويجعل لها أصل ، فما نقص فيه من تلك المعانى شىء يلحق به . أهـ . والله أعلم .

وأخرج البخارى الحديث فى كتاب الرقاق ـ باب ـ صفة الجنة والنار جـ ٨ ص ١١٦ قال أبو عبد الله البخارى .

(٣٢٩) حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنس ـ هو ابن مالك ـ رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُونَ : لَو اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا ، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ الَّذِى خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ، وَيَقُولُ : ائْتُوا نُوحًا ، أَوَّلَ رَسُول بَعَثَهُ اللهُ ، فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ، ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِى اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا ، فَيَأْتُونَهُ ، فيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ، ائْتُوا مُوسَى الَّذِى كَلَّمَهُ اللهُ ، فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ، ائْتُوا عِيسَى فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، ائْتُوا مُحَمَّدًا ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَيَأْتُونِى ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِى ، فَأَحْمَدُ رَبِّى بِتَحْمِيد يُعَلِّمُنِى ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحُدُّ لى حَدًّا ، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ ، وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ ، فَأَقَعُ

سَاجِدًا مِثْلَهُ ، فى الثَّالِثَةِ ، أَوْ الرَّابِعَةِ ، حَتَّىَ مَا بَقِىَ فى النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ .

قال أبو عبد الله البخارى ـ رحمه الله ـ : وكان قتادة يقول عند هذا : أى وجب عليه الخلود . ا هـ

شرح الحديث من القسطلانى جـ ٩ ص ٣١٧ كتاب الرقاق .

(حدثنا مسدد) ـ بضم الميم ، وتشديد الدال المفتوحة ، هو ابن مسرهد .

(حدثنا أبو عوانة) الوضاح بن عبد الله اليشكرى (عن قتادة عن أنس هو بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يجمع الله الناس يوم القيامة) وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : (يجمع الله الناس : الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، يسمعهم الداعى ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس من رءوسهم فيشتد عليهم حرها) .

(فيقولون : لو استشفعنا على ربنا) الاستشفاع طلب الشفاعة ، و ـ لو ـ للتمنى والطلب ، فلا تحتاج إلى جواب ، أو جوابها محذوف ، أى لكان خيرا لنا ، أو نحوه (حتى يريحنا من مكاننا) صريح فى أن الاستشفاع لفصل القضاء والانصراف من الموقف الطويل ، (فيأتون آدم ، فيقولون : أنت الذى خلقك الله بيده) أى بقدرته دون واسطة (ونفخ فيك من روحه) التى استأثر بخلقها وايصالها إلى جسمك دون واسطة ملك .

(وأمر الملائكة فسجدوا لك) اظهارا لفضلك (فاشفع لنا عند ربنا ، فيقول : لست هناكم) أى لست أهلا لهذه المنزلة الرفيعة ، وهى التقدم بالشفاعة (ويذكر خطيئته) وهى أكل الشجرة قال ذلك تواضعا واعتذارا عن الاجابة (ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله فيأتونه ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته) وهى سؤاله ربه ما ليس له به علم (ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا) فيأتونه فيقول : (لست هناكم ، ويذكر خطيئته أى ابراهيم ، وفى رواية همام : (انى كذبت ثلاث كذبات) وزاد سفيان قوله : (انى سقيم) وقوله : (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله لامرأته : (أخبرى الملك انى أخوك) وهذه الثلاث من المعاريض ، إلا أنها لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق منها على نفسه .

قال القسطلانى ــ رحمه الله : وقد ألهم الله الناس سؤال آدم ومن بعده فى الابتداء ، ولم يلهموا سؤال نبينا محمد ﷺ أولا ، مع أن فيهم من سمع هذا الحديث منه ﷺ ـ وتحقق لديه اختصاصه ﷺ بذلك اظهارا لفضيلة نبينا محمد ﷺ ورفعة منزلته ، وكمال قربه ، وتفضيله ، على جميع المخلوقين . ﷺ وشرف وعظم آمين .

وأخرج البخارى من كتاب الرقاق ـ باب : (الصراط جسر جهنم) جـ ٨ ص ١١٧ وَمَا بعدها .

(٣٣٠) حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَان ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، عَن الزُّهْرِى ، أَخْبَرَنِى سَعِيد وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَخْبَرَهُمَا ، عَن النَّبِى ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وقال البخارى ـ رحمه الله :

وَحَدَّثَنِى مَحْمُودُ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِى ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِى ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ ـ قَالَ أُنَاسٌ : يَا رَسُولَ الله ، هَلْ نَرَىَ رَبَّنَا يَوْمَ الْقيَامَة ؟ فَقَالَ : هَلْ تُضَارُّونَ فى الشَّمْسِ ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ قَالُوا : لا ، يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : هَلْ تُضَارُونَ فى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ ؟ قَالُوا : لَا ، يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : فَإِنَّكُمْ تَرَونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلكَ ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ فيَتَّبِعُ مَنْ كان يَعْبُدُ الشَّمْسَ (أَى الشمس) وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ (أَى القمر) وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغيت (أَى الطواغيت) ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ ، فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فى غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِى يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فى الصُّورَةِ الَّتِى يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتَّبِعُونَهُ ، وَيُضْرَبُ

جِسْرُ جَهَنَّمَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ ، سَلِّمْ ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ قالُوا : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ : فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ ، ثُمَّ يَنْجُو ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ : مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ ، فيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَة آثَارِ السُّجُودِ ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِامْتُحِشُوا ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ — يُقَالُ لَهُ : مَاءُ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فى حَمِيلِ السَّيْلِ ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا ، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ ، فَيَقُولُ : لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ، فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ : يَارَبِّ ، قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : أَلَسْتَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟ وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو ، فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ ، فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، فَيُعْطِي اللهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ

يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : رَبِّ ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ، ثُمَّ يَقُولُ ـ أى اللهُ ـ : أَوَ لَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، لَاتَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ ، فَلَايَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ ـ أى الله تعالى ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُول فِيهَا ، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا ، فَيَتَمَنَّى ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا . فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ ، فَيَقُولُ لَهُ ؛ هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَــهُ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ : وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخرُ أَهْلِ الْجَنَّة دُخُولاً .

قَالَ : وَأَبُو سَعِيد الْخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنهما لا يُغَيِّرُ عَلَيْه شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلى قَوْلِهِ : (هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ) ـ قَالَ أَبُو سَعِيد : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : حَفِظْتُ : (مِثْلُهُ مَعَهُ) .

شرح الحديث مأخوذ من القسطلانى ج ٨ ص ٣٣٠ وما بعدها .

(حدثنا أبو اليمان) إلى آخره ـ ذكر البخارى للحديث سندين إلى أبى هــريرة : الأول روى فيه الزهرى عن رجلين : سعيد وعطاء بن يزيد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه والثانى روى فيه الزهرى عن عطاء بن يزيد فقط عن أبى هريرة رضى الله .

وقوله : (هل تضارون) بتخفيف الراء ، أى هل يضيركم ويضركم أحد ، مــن الضــير ، بمعنى الضرر وبتشديد الراء من المضارة ، أى هل تضرون أحدا ، أو يضركم أحد ، عند رؤية الشمس أو القمر دون حجاب ، بمنازعة ، أو مضايقة ، أو تكذيب ومجاملة .

وقد روى (هل تضامون) بتشديد الميم ، من الضم ، وهو الازدحام ، أى أنتم لا تزدحمون عند رؤيته ، كما لا تزدحمون عند رؤية الشمس والقمر ، لأن رؤيتهما متيسرة للجميع ، وكل فى مكانه دون زحمة .

وروى : (هل تضامون) بتخفيف الميم ، من ضامه يضيمه ، من الضيم ، وهو الذل ، أى لا يذل بعضكم بعضا ، بالمزاحمة والمنازعة .

وفى رواية : (لا تضامون ـ أو تضاهون) بالهاء ، أى لا يشتبه عليكم ، ولا ترتابون فى رؤيته ، ولا يعارض بعضكم بعضا ، بل تكونون على يقين أنكم رأيتم ربكم .

وفى رواية (هل تمارون) بضم التاء ـ أى هل تجادلون فى ذلك ، أو يدخلكم شك ومرية فى الرؤية ـ من المراء أى الجدال ـ أو المرية ، بمعنى الشك .

وروى بفتح التاء ، (وأصله : تتمارن) فحذفت احدى التاءين تخفيفا ، وفى رواية البيهقى : (تتمارون) باثبات التاءين على الأصل .

(وقوله : فانكم ترونه كذلك) الكاف ليست لتشبيه المرئى ، فليس لله شبيه ، قال تعالى (ليس كمثله شىء) ـ وانما هى لتشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح واليقين ، وعدم المجادلة ، ونفى الشك فيها .

ومعناه : أنها رؤية حقيقية ، لا شك فيها ، كما أن رؤية الشمس أو القمر دون حجاب لا شك فيها .

والطواغيت : جمع طاغوت ، وهو الشيطان والصنم ، أو كل طاغ ، دعا الناس الى عبادته .

وقوله : : (فيأتيهم ربهم . . الخ) الكلام فى نسبة الاتيان وما أشبهه إلى الرب ، يجرى فيه مذهب السلف والخلف ـ وطريقة السلف فى التشابه أسلم ، لأنهم يؤمنون به ، مع اعتقادهم تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث ، ويفوضون تعيين المراد منه إلى الله تسالب ، فيقولون : الله أعلم بذلك .

وأما طريقة الخلف ـ فيؤولون المتشابه ، بصرفه عن معناه الحقيقى الموهم للتشبيه ـ إلى معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته .

فيقولون فى الاتيان هنا : التجلى للعباد ، حتى يروه بلا كيف ولا انحصار ، وهذه هى الرؤية التى يعرفها المؤمنون الموحدون ، فيقولون حينئذ : أنت ربنا ـ وأما الرؤية الأولى التى ينكرونها ، فقد رجح القاضى عياض أن فى الكلام مضافا محذوفا ، أى فيأتيهم بعض ملائكة ربهم ، ولذا قال : (فى غير الصورة التى يعرفون) .

أى فى غير الصفة التى يعرفونه بها فى الدنيا . فينكرها المؤمنون ، ويمتاز عنهم المنافقون الذين كانوا يدعون أنهم مع المؤمنين ، ويكون ذلك امتحانا لتمييزهم ، ولأن المنافقين لا يستحقون الاكرام برؤية الله تعالى ، كما قال تعالى : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » .

ويكون النبى ﷺ أول من يجوز على الصراط ، وقال النووى ـ رحمه الله تعالى : (أكون أنا وأمتى أول من يجوز على الصراط ويقطعه) .

وقوله : (وفى جهنم كلاليب) أى خطاطيف ، تخطف الناس بسبب أعمالهم ، وهى الشهوات المشار اليها فى حديث : (حفت النار بالشهوات) فمن وقع الدنيا فى الشهوات ، اختطفته الكلاليب فيقع فى النار .

وشوك السعدان ، بسكون العين ، وفتح السين : نبات ذو شوك ، الا أن الكلاليب لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى :

وقوله : (فمنهم الموبق بعمله) الموبَق بفتح الباء ، على زنة اسم المفعول ، أى المهلك بسبب عمله ، وهو الكافر ، (ومنهم المخردل) المخردل : هو المؤمن العاصى ، ومعنى المخردل هنا المصروع .

وعند ابن ماجه مرفوعا : (ثم يستجيز الناس : فناج مسلم ، ومخدوش به ثم ناج ، ومحتبس به ، ومنكوس فيها) .

وفى حديث أبى سعيد : (فناج مسلم ، ومخدوش مكدوس فى جهنم ، حتى يمر آخرهم ، فيسحب سحبا) .

وقوله : (قد امتحشوا) أى أحرقوا واسودوا ، فيصبَ عليهم ماء ، يقال له : ماء الحياة ، أى ماء يكون سببا فى حياة من يصب عليه ، فينبتون صافية أجسامهم ، كصفاء الحبة بكسر الحاء ـ وهى من بزور الصحراء ، حينما تنبت فى حميل السيل ، والحميل بكسر الميم : ما يحمله السيل من الغثاء ، ويكون فيه الحبة ، فتقع فى جانب الوادى ، فتصبح من يومها نابتة ، فشبهوا بها ، لسرعة انباتها ، وصفائها .

وقوله : (يارب : قد قشبنى ريحها) أى أهلكنى ريحها ، (وأحرقنى ذكاؤها) بالمد والقصر ، أى لهبها واشتعالها ، وشدة وهجها .

وقوله : (ما أغدرك) هو فعل تعجب من الغدر ونقض العهد ، وترك الوفاء .

وقوله : (فإذا رأى ما فيها) فى رواية شعيب : (فإذا بلغ بابها ، ورأى زهرتها ، وما فيها من النضرة) ـ ورؤية ما فيها : اما لأن جدارها شفاف ، فيرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، ـ واما أن يكون المراد بالرؤية العلم ، بسبب سطوع ريحها الطيب ، وأنوارها المضيئة ، كما كان يحصل له أذى لفح النار ، وهو من خارجها . أهـ قسطلانى .

وقوله : (سكت ما شاء الله أن يسكت) أى سكت زمانا طويلا ، لا يعلم تقديره وتحديده إلا الله تعالى ، وسكوته كان حياء من الله تعالى ، أن يسأله شيئا بعد أن أعطى ما أعطنى من العهود والمواثيق ، ولكنه يرجع ، ويسأل الله تعالى ، لأنه يغلب عليه الرجاء فى عفو الله وفضله وكرمه ، ولذا قال : (يارب ، لا تجعلنى أشقى خلقك) .

ومعنى : (لا تجعلنى أشقى خلقك) أى أشقى خلقك الذين أدخلتهم الجنة ، فهو عام أريد

به خاص ، ومراده : أنه يصير أشقاهم إذا استمر خارجا عن الجنة ، وكونه أشقاهم ظاهر لو استمر خارج الجنة ، وهم فى داخلها . أهـ قسطلانى .

وقوله : (فلا يزال يدعو حتى يضحك) أى يضحك الله عز وجل منه . قال القسطلانى : وهو مجاز عن لازمه وهو الرضا ، أى حتى يرضى الله عنه ، فإذا رضى أذن بالدخول فيها .

وقوله : (قيل له : تمن من كذا الخ) المعنى . أن الله تعالى يذكره بأجناس من الأشياء التى يكون بها النعيم ، فلا يزال يتمنى ، ويذكره ربه حتى تنقطع به الأمانى ، أى لم يبق فى ضميره شىء يتمناه .

وفى رواية أبى سعيد الخدرى عند أحمد : (فيسأل ويتمنى مقدار ثلاثة أيام من أيام الدنيا) .

وقوله : (وأبو سعيد جالس مع أبى هريرة) المعنى : أن أبا هريرة كان يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ والحال أن أبا سعيد الخدرى جالس يسمعه من أوله إلى آخره ، ولم يغير شيئا مما سمعه منه ، إلا قوله عن النبى ﷺ : (هذا لك ومثله معه) أى كل ما تمنيته لك ومثله معه . قال له أبو سعيد الخدرى : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (هذا لك وعشرة أمثاله) فقال أبو هريرة : (حفظت مثله معه) ـ وجمع بينهما بأن أبا هريرة سمع أولا الحديث كما حدث به ، ثم حدث به النبى ﷺ مرة أخرى بما حدث به أبو سعيد منه ، ويكون فضلا من الله تعالى أخبر به النبى ﷺ أهـ شرح الحديث والله أعلم .

وأخرجه أبو عبد الله البخارى فى كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى : (لما خلقت بيدى) جـ ٩ ص ١٢١ وما بعدها :

(٣٣١) حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فُضَالَةَ ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَس ـ هو ابن مالك ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَجْمَعُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ ، فَيَقُولُونَ : لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا ، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فيَقُولُون : يَا آدمُ ، أَمَا ترى النَّاسَ ؟ خلقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّنَا ، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكَ ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِى أَصَابَ ، وَلٰكِن ائتُوا نُوحًا ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُول بَعَثَهُ اللهُ إلى أَهْلِ الْأَرْض ، فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتى أَصَابَ ، وَلٰكِن ائتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمٰن . فيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فيقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطَايَاهُ الَّتِى أَصَابَهَا ، وَلٰكِن ائتُوا مُوسَى ، عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ ، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا ، فيَأْتُونَ مُوسَى ، فيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِى أَصَابَ ، وَلٰكِنْ ائتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ ، وَرَسُولَهُ ، وَكَلِمَتَهُ وَرُوحَهُ ، فيَأْتُونَ عِيسَى ، فيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلٰكِن ائتُوا مُحَمَّدًا ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : عَبْدًا غُفِرَ لَهُ مَا تقدَّمَ مِنْ ذنبِهِ وَمَا تأَخَّرَ ، فيَأْتُوننى فأَنْطَلِقُ ، فأَسْتأْذِنُ عَلَى رَبِّى ، فيُؤْذَنُ لى عَلَيْهِ ، فإذا رَأَيْتُ رَبِّى وَقعْتُ سَاجدًا ، فيَدَعُنِى مَا شاءَ اللهُ

أَنْ يَدَعَنى ، ثُمَّ يُقَالُ لى : ارفعْ مُحَمَّدًا ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفعْ تُشفَّعْ ، فأَحْمَدُ رَبِّى بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيها ، ثُمَّ أَشفعُ فيَحُدُّ لى حَدًّا ، فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَرْجعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّى ، وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِى ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ مُحَمَّدُ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَحْمَدُ رَبِّى بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّى ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحُدُّ لى حَدًّا ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَرْجَعُ ، فإِذَا رَأَيْتُ رَبِّى وقَعت سَاجِدًا ، فيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِى ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ مُحَمَّدُ ، قُلْ يُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَهُ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَحْمَدُ رَبِّى بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّى ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لى حَدًّا . فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَرْجَعُ ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، مَا بَقِىَ فى النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ .

قَالَ النَّبِىُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَكَانَ فى قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَكَانَ فى قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَكَانَ فى قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً .

شرح حديث الشفاعة الوارد فى البخارى من كتاب التوحيد (باب قول الله : لما خلقت بيدى)
قوله : (يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك) وهو بمعنى قوله فى روايته فى التفسير : (يجتمع المؤمنون يوم القيامة ، فيقولون : لو استشفعنا الخ) وهو المراد من قوله فى كتاب الرقاق : (يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقولون : لو استشفعنا الخ) فالمراد فى الكل أن

الله تعالى يجمع الناس يوم القيامة : المؤمنين منهم والكافرين ، فيقول المؤمنون منهم : لو استشفعنا الخ) ، لأن المؤمنين هم أهل العقل والفكر فيفكرون فيما يكون وسيلة لنجاة الناس جميعا من طول يوم الموقف ، ووسيلة للبدء فى فصل القضاء ، فيسعون إلى الأنبياء المذكورين ، يطلبون منهم الشفاعة لهم ، ليقضى الله بينهم ، فينصرفوا من هول الموقف ، فيعتذر لهم المرسلون بما يعتذرون به ، وما نسب إلى الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ من الخطايا فهو من باب التواضع وأن حسنات الأبرار سيئات المقربين والا فهم صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الوقوع فى الخطايا والزلات ، لأنه يجب لهم الأمانة . ـ وهى حفظ ظواهرهم وبواطنهم من الوقوع فى المحرم والمكروه وخلاف الأولى .

واستئذان النبى ﷺ أولا ـ يكون للشفاعة فى فصل القضاء بين العباد ، وهذه هى التى اختص بها نبينا محمد ﷺ . وهى المقام المحمود الذى وعده الله لمحمد ﷺ .

ثم يكون للنبى ﷺ شفاعات أخرى ، كما يكون لغيره من الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم أجمعين شفاعات كثيرة .

وقد نبه فى الحديث على شفاعات النبى ﷺ لاخراج من قال : لا اله الا الله محمد رسول الله من النار ، فيحد له أولا حدا لقوم مخصوصين ، وهم من كان فى قلبه من الخير أى من الايمان مثقال شعيرة من ايمان ثم يشفع ثانيا ، فيحد له حدا فى قوم هم أقل ايمانا من الأولين ، وهم من كان فى قلبه من الايمان مثقال ذرة ، أى حبة قمح ، ثم يشفع ثالثا ، فيحد الله له حدا فى قوم فى قلبهم مثقال ذرة من ايمان) والذرة : واحدة الذر وهو النمل الصغير ، أو الهباء الذى يظهر فى الشمس الداخلة من كوة) ـ وفى الحديث بيان أفضلية نبينا محمد ﷺ وأمته ـ وفيه الرد على المعتزلة فى نفيهم الشفاعة لأصحاب الكبائر ، اللهم شفع فينا نبينا محمدا ﷺ . آمين .

من روايات حديث الشفاعة من البخارى

وقال أبو عبد الله البخارى ـ رحمه الله ـ فى كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) جـ ٩ ص ١٢٧ وما بعدها :

(٣٣٢) حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْجُعْفِىُّ ، عَنْ زَائِدَةَ ، حَدَّثَنَا بَيَانُ بْنُ بِشْرٍ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِى حَازِمٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ـ هو البجلى ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا ، لَا تُضَامُّونَ فِى رُؤْيَتِهِ .

* * *

(٣٣٣) وقال البخارىُّ ـ رحمه الله تعالى : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ، ابْنُ عَبْدِ اللهِ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْد ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عَطَاءِ ابن يَزِيدَ اللَّيْثِىِّ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ تُضَارُّونَ فِى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ قَالُوا : لا ، يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : فَهَلْ تُضَارُّونَ فِى الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ قَالُوا : لَا ، يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ . يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ : فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ـ الشَّمْسَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبد الْقَمَرَ ـ الْقَمَرَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ ـ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا ـ

أَوْ مُنَافِقُوهَا ـ شَكَّ إِبْرَاهِيمُ ـ أَى ابْنُ سَعْد ـ فَيَأْتِيهِمُ اللهُ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : هَذَا مَكَانُنَا ، حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فى صُورَتِهِ الَّتِى يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتَّبِعُونَهُ ـ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهرَىْ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِى أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَدَعْوَى الرُّسُل يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ ، سَلِّمْ ، وَفى جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَان غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عظَمِها إِلَّا اللهُ ، تَخْطَفُ النَّاس بِأَعْمَالِهِمْ : فَمِنْهُمْ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ ـ أَوْ الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ ـ (أَوْ فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ بَقِىَ بِعَمَلِهِ ـ أَوْ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ) وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ ، أَو الْمُجَازَى أَوْ نَحْوُهُ ، ثُمَّ يَتَجَلَّى ، ـ حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّار ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّار مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا ، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ ، مِمَّنْ يَشهَدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فى النَّار بِأَثَرِ السُّجُودِ ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ ، إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّار قَدِ امْتُحِشُوا ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ ، كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فى حَمِيل السَّيْل ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّار ، هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، اصْرِفْ وَجْهِى عَنِ النَّارِ ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِى رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِى

ذَكَاؤُهَا ، فَيَدْعُو اللهَ ، بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوهُ ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلَنِى غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، وَيُعْطِى رَبَّهُ مِنْ عُهُود وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّار ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا ، سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، قَدِّمْنِى إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِى غَيْرَ الَّذِى أُعْطِيتَ أَبَدًا ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، وَيَدْعُو اللهَ ، حَتَّى يَقُولَ : هَلْ عَسَيْتَ - إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ لا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، وَيُعْطِى مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فإذا قامَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفقهتْ لهُ الْجَنَّةُ ، فرَأَى مَا فِيها مِن الْحَبْرَةِ وَالسُّرُور ، فيَسْكُتُ مَا شاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُت ، ثُمَّ يَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، أَدْخِلْنِى الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ اللهُ : أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ ، وَيْلَكَ يَا ابْن آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَىْ رَبِّ لَا أَكُونَنَّ أَشْقَى خلْقِك ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ مِنْهُ ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ : ادْخل الْجَنَّةَ ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ : تَمَنَّهْ ، فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّى ، حَتَّى إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ ، وَيَقُولُ لَهُ ، تَمَنَّ كَذَا وَكَذَا ، حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِىُّ ، قَالَ اللهُ :

ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ . قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ : وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِىُّ مَعَ أَبِى هُرَيْرَةَ ، لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا ، حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ : ذَلِكَ لَكَ ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ ـ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخدرِىُّ : وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ : ذَلِكَ لكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِىُّ : أَشْهَد أَنِّى حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ لَكَ ، وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ .

شرح حديثى ٣٣٣ ، ٣٣٤ من القسطلانى

قوله : خرج علينا رسول الله ﷺ . فقال : (انكم سترون ربكم يوم القيامة . . الخ) تفيد هذه الرواية أن النبى ﷺ هو الذى ابتدأ اخبارهم بالرؤية ، دون سؤال منهم ، وتفيد الروايات الأخرى أنهم سألوه عن رؤية الله ، فأجابهم بما أجاب . فلعل ذلك قد تكرر فى حالات متعددة ، سألوه فى بعضها ، فأجابهم بذلك وأخبرهم فى بعضها بالرؤية ، دون تقدم سؤال منهم ، ولا حرج فى ذلك والله أعلم .

وقوله : (لا تضامون فى رؤيته) بتشديد الميم ، أى لا تزدحمون عند رؤيته ، حتى ينضم بعضكم إلى بعض من شدة الازدحام ، كازدحامكم عند رؤية الهلال أول الشهر لدقته ، ولكن إذا صار بدرا ، فإن كل انسان يراه وهو جالس فى مكانه لشدة ظهوره ، وقوله : (فانكم ترونه كذلك) أى ترونه رؤية واضحة جلية بلا شك ، وبلا مشقة وبلا اختلاف فى تحققها ، فالتشبيه لبيان تحقق الرؤية ، ونفى الشك فيها . لأن الله تعالى يتنزه عن مشابهة الحوادث ، فليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وقوله : (ويتبع من كان يعبد الطواغيت : هى جمع طاغوت ، وهى الشياطين ، أو الأصنام . وفى الصحاح) الطاغوت : الكاهن ، أو كل رأس ضلال .

(وتبقى هذه الأمة) أى الأمة التى أجابت الدعوة ولو ظاهرا ، (فيها شافعوها ـ أو منافقوها ـ شك ابراهيم) شافعوها : هم الذين يشفعون فى هذه الأمة ـ أو قال : منافقوها) ـ قال الحافظ بن حجر : والأول هو المعتمد ـ أى رواية والله أعلم .

وقوله : (فيأتيهم الله) أى يظهر لهم على غير الصفة التى يؤمنون بها فى الدنيا ،

أو يأتيهم ملك من ملائكته على الاسناد المجـازى ، نحـو قـطع الأمير اللص ، ولذا قـال فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، أى لست ربنا ، فان ربنا لا يشبه المخلوقات فإذا تجلى لنا ربنا بصفاته العلية التى تتنزه عن مشابهة صفات الحـوادث عرفناه (فيأتيهـم ربهم فى صورته التى يعرفون) أى يتجلى الله تعالى لأوليائه بصفاته التى يعـرفون عنه فى الدنيا ــ وهو أنه منزه عن مشابهة الحوادث .

وهذه هى العلامة التى بها يعرفون ربهـم ، أى عرفهـم الله تعـالى بنفسـه ، وأزال عن أبصارهم الموانع ــ وقال فى المصابيح : فى صورته التى يعرفون ، أى فى علامـة جعلهـا الله تعالى دليلا على معرفته ، والتفرقة بينه وبين مخلوقاته . فسمى الدليل والعـلامة صـورة مجازا ، كما تقول العرب : صورة أمرك كذا ، وصورة حديثك كذا .

والأمر والحديث لا صورة لهما ، وانما يريدون حقيقة أمرك وحديثك ، وكثيرا ما يجـرى على ألسنة الفقهاء ، فيقولون : (صورة هذه المسألة . . كذا) . أ هـ قسطلانى

وقوله : (ثم يتجلى أى يتبين ، قال فى الفتح : ويحتمـل أن يكون بالخـاء أى يخلى عنه ، فيرجع إلى معنى : (ينجو من الكلاليب) . أ هـ قسطلانى

وقوله : (حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد . . الخ) قـال ابن المنير : الفـراغ إذا أسند إلى الله تعالى يكون معناه القضاء وحلوله بالمقضى عليه ، والمراد اخراج الموحدين من النار وادخالهم الجنة ، واستقرار أهل النار فى النار .

وحاصله أن معنى يفرغ الله أى من القضاء بعذاب من يفرغ عذابه ، ومن لا يفرغ ، فيكون اطلاق الفراغ بطريق المقابلة ، وان لم يذكر لفظها . أهـ .

وقوله : (أثر السجود) أى موضعه ، وهو الجبهـة ــ أو مـواضع السـجود السـبعة ، ورجحه النووى لكن فى مسلم : (الادارات الوجوه) وهو كما قال عياض يدل على أن المراد بأثر السجود الوجه خاصة ، ثم قال : ودل التنصيص على دارات الوجوه ، أن الوجـه كله لا تؤثر فيه النار اكراما لمحل السجود . أهـ قسطلانى باختصار .

وقوله : (كما تنبت الحبة فى حميل السيل) الحبة بكسر الحـاء مـن بزور الصـحراء ، وحميل السيل : ما يحمله من طين ونحوه يجىء به السيل ، تكون فيه الحبة ، فتقع فى جانب الوادى فتصبح من يومهـا نابتة ، فـالتشبيه فى سرعة الانبات وطـراوته وحسـنه . أ هـ قسطلانى

وقوله : (انفقهت له الجنة) بسكون النون ، وفتح الفاء والهـاء والقـاف ، أى انفتحـت واتسعت ، فرأى ما فيهـا مـن الحبرة والسرور ، والحبرة بفتح الحـاء ، وسـكون الباء الموحدة . أى من النعمة وسعة العيش ونحوه .

وقوله : (لا أكونن أشقى خلقـك) بنون التوكيد ، وروى باسـقاطها ، أى أشـقى أهـل التوحيد الذين هـم أبناء جنسـه فيه . وقـال الطيبى : كأنه قـال : يارب ، أنا وان أعطيت

العهود والمواثيق ، ولكن تأملت كرمك وعفوك ورحمتك ـ وقولك : (لا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) فعلمت أنى لست من الكفار الذين أيسوا من رحمتك ، وطمعت فى كرمك وسعة رحمتك ، فسألتك ذلك ، وكأنه تعالى رضى منه بهذا القول فضحك ، كما قال : فما زال يدعو ، حتى ضحك الله . أهـ والله أعلم .

وأخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ، من باب قول الله تعالى :
(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها نَاظِرَةٌ) جـ ٩ ص ١٢٩ وما بعدها :

(٣٣٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْد ، عَنْ خَالِد بْن يَزِيدَ عَنْ سَعِيدِ بْن أَبِى هِلَال ، عَنْ زَيْد ـ هو ابن أسلم ـ عَنْ عَطَاءِ بْن يَسَار عَنْ أَبِى سَعِيد الْخُدْرِىّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : هَلْ تُضَارُّونَ فى رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَر ، إِذَا كَانَتْ صَحْوًا ؟ قُلْنَا : لَا ، قَالَ فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فى رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذ ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فى رُؤْيَتِهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : يُنَادِى مُنَاد : لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْم إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ برٍّ أَوْ فَاجِرٍ ، وَغُبَّرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرًا ابْنَ اللهِ ، فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ ، لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ ، فَمَا تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا ، فَيُقَالُ : اشْرَبُوا ، فَيَتَسَاقَطُونَ فى جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ ، فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ ، لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ ،

فَمَا تُرِيدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا ، فَيُقَالُ : اشْرَبُوا ، فَيَتَسَاقَطُونَ فِى جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ ؟ فَيَقُولُونَ : فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى : لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا ، قَالَ : فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِى صُورَةٍ غَيْرَ صُورَتِهِ الَّتِى رَأَوْهُ فِيهَا ، أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ ، فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ ؟ فَيَقُولُونَ : السَّاقُ ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً ، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ ، فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا الْجِسْرُ ؟ قَالَ : مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ ، وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ ، لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ ، تَكُونُ بِنَجْدٍ ، يُقَالُ لَهُ السَّعْدَانُ ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ : فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا ، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِى مُنَاشَدَةً فِى الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ ، إِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِى إِخْوَانِهِمْ ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا إِخْوَانُنَا ، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ، وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ، وَيُحَرِّمُ

اللهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّار ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فى النَّارِ إِلَى قَدَمِه ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْه ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودونَ فَيَقُولُ : اذْهَبُوا ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فى قَلْبِه مِثْقَالَ نصْف دينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودُونَ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا ، فمَنْ وَجَدْتُمْ فى قلْبه مِثْقالَ ذرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فأَخْرِجُوهُ ، فيُخْرِجُون مَنْ عَرَفُوا .

قالَ أَبُو سَعِيد : فإِنْ لمْ تُصَدِّقُوا فاقْرَءُوا : (إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذرَّةٍ وَإِنْ تكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها) فيَشْفعُ النَّبِيُّون وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، فيَقُولُ الْجَبَّارُ : بَقِيَتْ شَفَاعَتى ، فيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا ، فَيُلْقَوْنَ فى نَهرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ فى حَافَتَيْهِ ، كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فى حَمِيلِ السَّيْلِ ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ : إِلى جَانِبِ الشَّجَرَةِ ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْس مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ ، فَيُجْعَلُ فى رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمٰنِ ، أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ .

شرح حديث رقم ٣٣٥ مأخوذ من القسطلانى

قوله : (فانكم لا تضارون فى رؤية ربكم يومئذ ، الا كما تضارون فى رؤية الشمس والقمر ، اذا كانت صحوا) .

الكلام من بابْ تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وهو من البلاغة . والمعنى المقصود : حيث أنكم لا تضارون فى رؤية الشمس والقمر ، إذا كانت السماء صحوا ، كذلك لا تضارون فى رؤية ربكم ، فقد أتيت شيئا من العيب ، على تقدير أن رؤية الشمس وقت الصحو من العيب ، وذلك التقدير محال ، لأنه من كمال الرؤية دون ضرر ، والتأكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشيء ببينة . أهـ قسطلانى

وقوله : (وغبرات أهل الكتاب) هو بضم الغين ، وتشديد الباء ، أى بقايا أهل الكتاب ، وهو مرفوع ، أو مجرور ـ عطفا على فاعل ـ يبقى ـ أو على المجرور قبله .

وقوله : (فما تريدون ؟) ـ فى رواية له فى تفسير سورة النساء : (فماذا تبغون ؟ فقالوا : عطشنا ربنا ، فاسقنا ، فيشار : ألا تردون ، فيحشرون إلى النار كأنها سراب ، يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون فى النار . أهـ

وقوله : (كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد) أى كذبتم فى أن عزيرا بن لله ، وفى أنه يستحق العبادة ، وإذا فلا عبادة لكم صحيحة ، بل كنتم على ضلال مبين .

وقوله : (فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس ، فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا اليه اليوم) لفظ الحديث فى سورة النساء : (فارقنا الناس فى الدنيا على أفقر ما كنا اليهم)

ومعناها : نحن فارقنا أقاربنا وأصحابنا فى الدنيا ، وكنا أحوج اليهم فى المعاش رغبة منا فى مقاطعة أعدائك يارب ، فكان احتياجنا اليهم فى الدنيا أشد من حاجتنا اليهم اليوم ، فحيث لم نكن مصاحبين لهم فى الدنيا ، كراهية لما كانوا يعتقدون ، لا نكون مصاحبين لهم فى الآخرة ، مع أنا فى غنى عنهم . ولا يرجى من ورائهم نفع أبدا . أهـ ملخصا من القسطلانى ومن تقرير عليه .

قوله : (فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رأوه فيها)

تقدم أن المراد بالصورة العلامة والدليل على معرفته تعالى ، أو فى صفة غير الصفة التى كانوا يعتقدون اتصافه بها .)

وقوله : (فيقولون : الساق ، فيكشف عن ساقه) ـ قيل : الساق تأتى بمعنى النفس ، أى تتجلى لهم ذاته المقدسة . وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى تفسير : (يوم يكشف عن عن ساق) : هى الشدة من الأمر ، والعرب تقول : (قامت الحرب على ساق) اذا اشتدت . وأصله أن العذارى اللاتى يحافظن على الستراذا اعتراهن كرب شديد وخطب جسيم ، هربن كاشفات عن سوقهن فصار كشف الساق كناية عن حدوث شدة زائدة عن الحد تذهل لها النفس .

وقال : أبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه : الساق النور ، أو ما يتجدد للمؤمنين من الفوائد والألطاف الربانية ، كما قاله ابن فورك ، أو رحمة للمؤمنين ، نقمة لغيرهم ، كما قاله المهلب أهـ قسطلانى .

وقوله : (ثم يؤتى بالجسر) روى بكسر الجيم وفتحها ، وهو الصراط الذى ينصب على متن جهنم . وقوله : (مدحضة مزلة) أى هو مكان تدحض فيه الأقدام وتنزلق ، وتزل ولا تثبت . ــ والحسكة : نبات مفروش فى الأرض . ذو شوك ، يعلق بكل من يمر به ، ــ وقد يتخذ مثله من الحديد .

(ومفلطحة) أى فيها عرض واتساع ، وقال الأصمعى : واسعة الأعلى ، دقيقة الأسفل .

وقوله : (لها شوكة عقيفاء) أى معوجة ، وروى (عقيقة) بوزن كريمة وقوله : (المؤمن عليها كالطرف . . . الخ) أى يختلف حال المؤمنين فى المرور على الصراط ، فمنهم من يمر عليه كالطرف ، أى كلمح البصر ، ومنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف ، ومنهم من يمر عليه كجياد الخيل والركاب أى الابل . فالناس فى مرورهم عليه : منهم ناج : لا يمسه سوء ، ومنهم ناج مخدوش أى ممزق اللحم من الكلاليب ــ أو مكدوس ــ أى مصروع ، واقع فى نار جهنم ، حتى يمر آخرهم ، أى آخر الناجين يسحب سحبا . أهـ

وقوله : (فما أنتم بأشد لى مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار) أى لستم أيها المؤمنون فى الدنيا ــ من جهة طلب الحق ، إذا تبين لكم أنه لكم ، لستم بأشد من طلب المؤمنين من الله ، فى شأن نجاة اخوانهم المؤمنين المعذبين فى النار ، وذلك يكون منهم إذا رأوا أنفسهم قد نجوا ، واخوانهم فى النار فيطلبون من الله تعالى نجاة اخوانهم مثلهم ، فيقولون : ربنا ، اخواننا ــ أى هؤلاء اخواننا ، كانوا فى الدنيا يصلون معنا ، ويصومون معنا ، ويعملون كل الخيرات معنا ، أى فندعوك ربنا أن تنجيهم من النار بفضلك كما أنجيتنا . فيقال لهم : (اذهبوا ، فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من ايمان فأخرجوه)

المقصود من ذلك : أن الله تعالى يقبل شفاعتهم فى اخوانهم ، ويأمرهم باخراجهم من النار على ثلاث مراتب :

الأولى يخرجون من وجدوا فى قلبه مثقال دينار من ايمان ــ الثانية : يخرجون من النار من وجدوا فى قلبه مثقال نصف دينار من ايمان الثالثة : يخرجون من النار من وجدوا فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وقد حرم الله صورهم على النار ، فيعرفونهم من صورهم ويجدون بعضهم قد غاب فى النار الى قدمه ، وبعضهم قد غاب إلى أنصاف ساقيه .

ولما كان آخر من يخرجونهم من النار من وجدوا فى قلبه مثقال ذرة ــ استشهد أبو سعيد الخدرى ــ رضى الله عنه بالآية ، وقال : فاقرأوا ان شئتم : (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها) .

وفى الحديث دليل على أن الأعمال القلبية تتجلى كالشىء المحسوس الذى يكون له مقدار يوزن ــ فالايمان يعرفونه مقدار الدينار ، ومقدار نصفه ، ومقدار الذرة . والله أعلم وقوله : (فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون . . الخ)

المراد : أن الله تعالى بعد أن يقبل شفاعات المكرمين من خلقه ، يقــول : بقيت شــفاعتى واطلاق الشفاعة على اخراج أهل النار بأمر الله من باب المشاكلة ، والمراد : مــا يكون منه تعالى من اخراج من يخرجهم من النار ، دون شفاعة أحد مــن الخلق وأشــار إلى هؤلاء بقوله : (فيقبض قبضة من النار) أى يقبض قبضة من أهل النار مــن المؤمنين المعــذبين فيها ، وهم أقوام من المؤمنين معهم مجرد الايمــان ، ولم يؤذن لأحــد فى الشــفاعة لهــم ، فيخرجهم الله تعالى بفضله ، دون شفاعة أحد .

وقوله (فيلقون فى نهر بأفواه الجنة) المراد بالأفــواه : مفتتح المســالك لقصــور الجنة ، (فينبتون فى حافتيه) أى فى جانبيه ، كما تنبت الحبة فيما يحمله السيل من طين ونحــوه ، فإذا استقرت الحبة على شط مجرى الســيل نبتت فى يوم وليلة ، فشــبه به لسرعة نباته ، وحسنه .

وقوله : (قد رأيتموها إلى جانب الصخرة الخ) تمثيل للمحسوس الذى يرونه من الحبة فى جانب الصخرة أو فى جانب الشجرة ، وتصوير لحــال الحبة حين ظهــورها مــن جهــة الشمس ومن جهة الظل ، فما يكون منها جهة الشمس يكون أخضر . وما يكون منها جهــة الظل يكون أبيض ، لأن الشمس لم تؤثر بأشعتها فيه . أهـ

وقوله : (فيخرجون منها كأنهم اللؤلؤ) أى مثل اللؤلؤ فى الصفاء والنضارة والبياض ثم يحلون بخواتيم الذهب وغيره تكون أطواقا فى أعناقهم ، علامة لهم بها يعرفون ، ولذا يقول أهل الجنة إذا رأوهم : (هؤلاء عتقاء الرحمن) فإذا دخلوا الجنة ورأوا فيها أشياء كثيرة يقال لهم : (لكم ما رأيتم ومثله معه) والله أعلم . اللهم أدخلنا الجنة بعفوك ورحمتك آمين .

حديث الشفاعة من البخارى

أخرجه البخارى من كتاب التوحيد ـ باب ـ قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ج ٩ ص ١٣١ وما بعدها .

وقال أبو عبد الله البخارى رحمه الله تعالى :

(٣٣٥) وقال حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَال ، حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى ، حَدَّثنا قَتَادَةُ عَنْ أَنَس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُهِمُّوا بِذَلِكَ ، فَيَقُولُونَ : لَو اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ آدَمُ ، أَبُو النَّاس ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ، لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، قَالَ : فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِى أَصَابَ : أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا ، وَلكن ائْتُوا نُوحًا ، أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ إِلى أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِى أَصَابَ : سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْم ، وَلكن ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمٰنِ ، قالَ : فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ : إِنِّى لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَات كَذَبَهُنَّ ، وَلكن ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ ، وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا ، قَالَ : فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُ : إِنِّى لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ، الَّتِى أَصَابَ : قَتْلَهُ النَّفْسَ ، وَلكن ائْتُوا عِيسَى ، عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ ، وَرُوحَ

اللهِ وَكَلِمَتَهُ ، قَالَ : فَيَأْتُونَ عِيسَى ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلكن ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَبْدًا غفرَ اللهُ لَهُ مَا تقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَيَأْتُونَنِى ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى فى دَارِهِ ، فَيُؤْذَنُ لى عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِى ، فَيَقُولُ : ارْفَعْ مُحَمَّدُ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَ ، قَالَ : فَأَرْفَعُ رَأْسِى ، فَأُثْنِى عَلَى رَبِّى بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لى حَدًّا ، فَأَخرُجُ ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، قَالَ قَتَادَةُ : وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ : فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى فى دَارِهِ ، فَيُؤْذَنُ لى عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِى ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْفَعْ مُحَمَّدُ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَ ، قَالَ : فَأَرْفَعُ رَأْسِى ، فَأُثْنِى عَلَى رَبِّى بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ ، يُعَلِّمُنِيهِ ، قَالَ : ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحُدُّ لى حَدًّا ، فَأَخْرُجُ ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، قَالَ قَتَادَةُ : وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ : فَأَخرجُ ، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى فى دَارِهِ ، فَيُؤْذَنُ لى عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنى مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِى ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْفَعْ مُحَمَّدُ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ قَالَ : فَأَرْفَعُ رَأْسِى ، فَأُثْنِى عَلَى رَبِّى بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيد يُعَلِّمُنِيهِ ،

قَالَ : ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيُحَد لى حَدًّا ، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، قَالَ قَتَادَةُ ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّار وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، حَتَّى مَا يَبْقَى فى النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ . أَىْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ ـ قَالَ : ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) قال : وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِى وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

شرح حديث ٣٣٦ من القسطلانى

قوله : (وقال حجاج بن منهال) بكسر الميم ، قال القسطلانى : ولعله سمعه منه فى المذاكرة ، أو نحوها . وقوله : (يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك) ـ روى بضم الياء من يهموا وكسر الهاء ، من أهم الرباعى ـ وروى بفتح الياء ، وضم الهاء من هم الثلاثى ، ومعناه : حتى يحزنوا بذلك الحبس ، فيقولون . . . الخ

وقوله (أكله من الشجرة) بدل من خطيئته أو بيان لها (وقد نهى عنها) أى والحال أنه قد نهى عنها أى عن الأكل منها بقوله تعالى : (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) .

وقوله فى نوح عليه السلام : (ويذكر خطيئته التى أصاب : سؤاله ربه الخ) بيان لخطيئته قوله : (رب ان ابنى من أهلى) وكذا ما يأتى بعده فى خليل الله ابراهيم عليه السلام فى قوله : (ويذكر ثلاث كذبات) كما هو فى رواية : احداها

قوله : (انى سقيم) والثانية قوله (بل فعله كبيرهم هذا) والثالثة فى شأن سارة : (هى أختى) وهذه فى الحقيقة ليست كذبا بل هى معاريض ، لكن لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق على نفسه منها ، وكلما كان العبد أعرف بربه كان أشد خوفا له من غيره . أهـ

وقوله : (فاستأذن على ربى فى داره) أى فى جنته التى اتخذها دارا لأوليائه وأضافها اليه تشريفا . أهـ قسطلانى .

أى فهو كقولك فى المسجد : هو بيت الله ، ويقال فى الكعبة : بيت الله ، وذلك كله لتشريفها ، وللتنويه بمكانة من يعظمها ويطهرها ، وقد قال الله تعالى :

(وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) .

قوله : (قال قتادة : وقد سمعته أيضا يقول . . . الخ) المعنى : أن قتادة روى عن أنس

قول النبى ﷺ : (فأخرج – أى من داره – فأدخلهم الجنة) كما أنه روى أيضا عن أنس زيادة هى قوله : (فأخرج ، فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة) .

ثم الاستئذان الذى يكون منه ﷺ : هو استئذانه ربه فى الشفاعة ، لقوله تعالى : (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) ولذلك كان ﷺ بعد أن يؤذن له يقدم بين يدى شفاعته السجود لله ، ثم الثناء عليه ، ثم التحميد له تعالى ، مقدمة للشفاعة .

وقوله : (فيؤذن لى عليه) أى يؤذن لى فى التقدم الى الشفاعة ، كما قال تعالى : (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) وقال : (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) .

وقوله : (الا من حبسه القرآن) أى من وجب عليه الخلود فى النار ، وهم الكفار ، الذين قال الله فيهم (خالدين فيها أبدا) وأنهم ليسوا أهلا للمغفرة ، لقوله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) – فليس هناك من يجرؤ على الاقدام للشفاعة لهؤلاء الكفرة ، لأنهم لا شفيع لهم ، قال تعالى : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) على معنى نفى الشفاعة لهم اصلا – على أنه لو فرض المستحيل ، وجاء من يشفع لهم ، فما تنفعهم شفاعته ، لأنها غير مقبولة ، حيث كانت دون اذن ، كما قال تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) قوله : (ثم تلا الآية) الظاهر أن الذى تلا الآية هو النبى ﷺ – ثم قال النبى ﷺ بعد تلاوة الآية : (وهذا المقام المحمود) أى هو المقام المحمود (الذى وعده نبيكم ﷺ) أى الذى وعده الله نبيكم فى قوله : (ومن الليل فتجهد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) – والظاهر أن الاشارة لما تقدم من الشفاعات التى منها – بل أعظمها الشفاعة للناس فى فصل القضاء ، ليريحهم من كرب الموقف وطوله ، اللهم انا نسألك أن تشفع فينا نبينا محمدا ﷺ أمين . والحمد لله رب العالمين . أ هـ .

وأخرجه البخارى رحمه الله فى كتاب التوحيد ـ باب « كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء) ج ٩ ص١٤٦ وما بعدها :

(٣٣٦) حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ رَاشِدٍ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسًا ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، شُفِّعْتُ ، فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فى قَلْبِه خَرْدَلَةٌ ، فَيَدْخُلُونَ ، ثُمَّ أَقُولُ : أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فى قَلْبِهِ أَدْنَى شَىْءٍ ـ فَقَالَ أَنَسٌ ـ رضى الله عنه : كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى أَصَابع رَسُول اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

شرح حديث ٣٣٧ من القسطلانى

(يوسف بن راشد) هو يوسف بن موسى بن راشد القطان الكوفى ، نزيل بغداد (حدثنا أحمد بن عبد الله) اليربوعى ، روى عنه البخارى بغير واسطة فى الوضوء (حدثنا أبو بكر ابن عياش) بالياء المثناة المشددة ، وبالشين القارىء راوى عاصم احد القراء (عن حميد) بضم الحاء وفتح الميم الطويل أنه قال : (سمعت أنساء ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت النبى ﷺ يقول : اذا كان يوم القيامة ، شفعت) بضم الشين ، وكسر الفاء المشددة من التشفيع ، وهو تفويض الشفاعة اليه والقبول منه ، وفى رواية : (شفعت) بالبناء للفاعل ، مع التخفيف (فقلت : يارب ، أدخل الجنة) من الادخال فهو رباعى بهمزة قطع (من كان فى قلبه خردلة) أى مثقال خردلة من ايمان ـ وفى الرواية : (ان الله تعالى هو الذى يقول ذلك ، وهو المعروف فى سائر الأخبار (فيدخلون) الجنة (ثم أقول) يارب أدخل الجنة من كان فى قلبه أدنى شىء) أى من ايمان ـ وهو التصديق الذى لابد منه لتحقيق الايمان ـ فقال أنس ـ رضى الله عنه : (كأنى أنظر الى أصابع رسول الله ﷺ) أى حيث يقلله عند قوله : (أدنى شىء ، ويشير الى رأس أصابعه بالقلة) ـ قال القسطلانى : سائر الروايات فيها : أن الله يأمره أن يخرج الخ . وفى مستخرج أبى نعيم : (أشفع يوم القيامة ، فيقال لى : لك من كان فى قلبه شعيرة ، ولك من فى قلبه خردلة ، ولك من فى قلبه شىء) قال : فهذا من كلام الرب تعالى مع النبى ﷺ ، والجمع بينهما أن النبى يسأل أولا ثم يجاب الى ذلك ثانيا والله أعلم . أ هـ .

أخرجه أبو عبد الله البخارى ـ رحمه الله فى كتاب التوحيد ـ باب (كلام الرب ـ عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) جـ ٩ ص ١٤٦ وما بعدها :

(٣٣٧) حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنَ زَيْد ، حَدَّثنا مَعْبَدُ بْنُ هِلَال الْعَنَزِىُّ ، قَالَ : اجْتَمَعْنَا نَاس مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَة ، فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِك ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابت الْبُنَانِىِّ إِليْهِ ، يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ ، فَإِذَا هُوَ فى قَصْرِهِ ، فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّى الضُّحَى ، فَاسْتَأْذَنَّا ، فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ . فَقُلْنَا لِثَابِتٍ لَا تَسْأَله عن شَىْءِ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا حَمْزَةَ ، هَؤُلاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُوكَ ، يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ ؟ ـ فَقَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فى بَعْض ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا وَلَكنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمٰنِ ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكنْ عَلَيْكُمْ بِموسَى ، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ ، فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بعِيسَى ؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ ، فَيَأْتُونَ عِيسَى ، فَيَقُولُ : لَسْت لَهَا ، ولكن عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّد ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَأْتُونَنى ،

فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى ، فَيُؤْذَنُ لِى ، وَيُلْهِمُنِى مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا ، لَا تَحْضُرُنِى الْآنَ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَهُ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، أُمَّتِى أُمَّتِى ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، انْطَلِقْ ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ، ثُمَّ أَعُودُ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، أُمَّتِى ، أُمَّتِى ، فَيَقُولُ : انْطَلِقْ ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ـ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فَأَنْطَلِقُ ، فَأَفْعَلُ ، ثُمَّ أَعُودُ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، أُمَّتِى ، أُمَّتِى ، فَيَقُولُ : انْطَلِقْ ، فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ، ـ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا : لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ ، وَهُوَ مُتَوَارٍ فِى مَنْزِلِ أَبِى خَلِيفَةَ ، فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ . فَأَتَيْنَاهُ ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَنَا ، فَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدَ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِى الشَّفَاعَةِ ، فَقَالَ : هِيهِ ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ ، فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَقَالَ :

هيه ، فَقُلْنَا لَهُ : لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا ، فَقَالَ : لَقَدْ حَدَّثَنِى – وَهُوَ جَمِيعٌ – مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً ، فَلَا أَدْرِى : أَنَسِىَ ، أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا ، فَقُلْنَا : يَا أَبَا سَعِيد ، فَحَدِّثْنَا ، فَضَحِكَ ، وَقَالَ : خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ، مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ ، حَدَّثَنِى كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ ، قَالَ : ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَسَلْ تعطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، ائْذَنْ لِى فِيمَنْ قَالَ : لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ ، فَيَقُولُ : وَعِزَّتِى وَجَلَالِى ، وَكِبْرِيَائِى وَعَظَمَتِى : لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ : لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ .

شرح الحديث ٣٣٨ من القسطلانى

(البنانى) نسبة الى بنانة بضم الباء الموحدة وتخفيف النون ، أمة لسعد بن لؤى كانت تحضنه ، فنسب اليها – أو زوجته – أو سكة بالبصرة ، كان ينزلها فنسب اليها وفيه تقديم الرجل الذى هو من خاصة العالم ليسأله .

وقوله : (ماج الناس) أى اضطربوا من شدة هول ذلك اليوم .

وقوله : (ولكن عليكم بابراهيم) قال القسطلانى : فى الاحاديث السابقة : (فيقول آدم عليكم بنوح) ولم يذكر هنا نوحا . ا هـ

نقول لعل آدم عليه السلام يقول : (أئتوا نوحا أو ابراهيم ، فاقتصر معظم الرواة على نوح ، لأنه الذى يليه قبل ابراهيم ، أو لعل بعض الرواة هنا اسقط نوحا نسيانا . والله أعلم .

وقوله : (فأستأذن على ربى . . . الخ) أى أستأذن على ربى فى الاقدام على الشفاعة العامة التى وعده بها ، وهى الشفاعة فى فصل القضاء ، ففى الكلام حذف .

وفى مسند البزار : (أنه ﷺ يقول : يارب عجل على الخلق الحساب) ا هـ .

أى ثم تذهب كل أمة مع من كانت تعبده ، ويؤتى بجهنم وبالموازين ، وتتناثر الصحف . وينصب الصراط ، الى غير ذلك مما سيكون من الأهوال ، ويدخل العصاة النار

ثم بين الشفاعات الأخرى ، فقال : (ويلهمنى ربى محامد ، أحمده بها ، لا تخصرنى الآن الخ)وقوله : (أدنى أدنى أدنى) فى بعض النسخ مرتين ، وللكشميهنى ثلاث مرأت .

قال القسطلانى : وفائدة التكرار التوكيد فى القلة ، أى فهو بالغ أقصى المبالغة فى الأدنى من الايمان ، الذى هو التصديق . (فأخرج منها) لأبى ذر : (أخرج من النار) بتكرارها فى المواضع الثلاثة (لو مررنا بالحسن البصرى ، وهو متوار فى منزل أبى خليفة) أى مختف فى منزل أبى خليفة الطائى البصرى خوفا من الحجاج بن يوسف الثقفى .

وقوله آخرا : (لأخرجن منها من قال لا اله الا الله) أى مع محمد رسول الله .

وفى مسلم : (ائذن لى فيمن قال : لا اله الا الله ، قال : ليس ذلك لك ، ولكن وعزتى وكبريائى ، وعظمتى وجبريائى ، لأخرجن من قال : لا اله الا الله) أى ليس ذلك لك ولكن أفعل أنا ذلك ، تعظيما لاسمى ، واجلالا لتوحيدى .

والمراد : اخراج من قال : (لا اله الا الله) من النار اذا كان مصدقا لها بقلبه ، ليخرج المنافق الذى يقولها بلسانه ، دون تصديق بقلبه ـ ولذاقال النبى ﷺ : (أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة : من قال : لا اله الا الله صادقا مصدقا بها من قلبه أو من نفسه) ـ والمختص بشفاعة الله تعالى من قالها مصدقا ، وان لم يثمر عليه تصديقه بعمل من أعمال الخير . والذى يشفع له النبى ﷺ : من أثمر عليه تصديقه بعمل الخير ، قال ذلك فى شرح المشكاة . ا هـ والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(ثانياً) وهذه روايات حديث الشفاعة من صحيح الإمام مسلم باب (إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة لربهم سبحانه وتعالى) الباب ص ١٠٥ ، الحديث ص ١٠٧ ج ٢ هامش القسطلانى .

(٣٣٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا أَبِى ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِىِ . أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُول اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ تُضَارُّونَ ـ (أَوْ هَلْ تُضَامُّونَ) فى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ قَالُوا : لا ، يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : هَلْ تُضَارُّونَ فى الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ـ الشَّمْسَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ ـ الْقَمَرَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ ـ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ ، فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فى صُورَة غَيْر صُورَتِهِ الَّتى يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا ، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فى صُورَتِهِ الَّتِى

يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتَّبِعُونَهُ - وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ نُجِيزُ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَفِى جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ ، مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَان ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَان ، غيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قدْرُ عِظمِها إِلَّا اللهُ ، تخطفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ بَقِىَ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمْ الْمُجَازَى حَتَّى يَنْجَى ، - حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّار مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا ، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ ، ممَّنْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فى النَّارِ ، وَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَر السُّجُود ، تَأْكُلُ النَّارُ منَ ابْن آدَمَ ، إِلَّا أَثَرَ السُّجُود ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّار أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُود ، فَيُخْرَجُونَ من النَّار ، قَد امْتَحِشُوا ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ منْهُ ، كَمَا تَنْبُتُ الْحبَّةُ فى حَميلِ السَّيْل ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ منَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلُ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، اصْرِفْ وَجْهِى عَنِ النَّارِ ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِى رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِى ذَكَاؤُهَا ، فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ - تبَارَكَ وَتَعَالَى : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَنِى

غَيْرَهُ ؟ فيَقُولُ : لا أَسْأَلُكَ غَيْرَه ، وَيُعْطِى ، رَبَّهُ من عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَن النَّار ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا ، سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يقُولُ : أَىْ رَبِّ ، قَدِّمْنِى إِلَى بَاب الْجَنَّةِ ، فيَقُولُ اللهُ لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ ، لَا تَسْأَلُنِى غيْرَ الَّذِى أَعْطَيْتُكَ ؟ وَيْلَكَ يَا ابْن آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أىْ رَبِّ ، وَيَدْعُو الله ، حَتَّى يَقُولَ لَهُ : فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تسْأَلَ غيْرَهُ ؟ فيَقُولَ : لَا ، وَعِزَّتِك ، فيُعْطِى رَبَّهُ مَا شاءَ مِنْ عُهُود وَمَوَاثِيقَ ، فيُقدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فإِذا قامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، انْفقهتْ لهُ الْجَنَّةُ ، فرَأَى مَا فِيها مِن الْخيْرِ وَالسُّرُور ، فيَسْكُتُ مَا شاءَ اللهُ ، أَنْ يَسْكُت ، ثُمَّ يَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، أَدْخِلْنِى الْجَنَّة ، فيَقُولُ اللهُ ـ تبارَك وَتعَالَى لهُ : أَلَيْسَ قدْ أَعْطيْت عُهُودَك وَمَوَاثِيقك أَنْ لَا تسْأَلَ غيْرَ مَا أَعْطيْت ؟ وَيْلك يَا ابْن آدَمَ ، مَا أَغْدَرَك ، فيَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، لَا أَكُونُ أَشْقى خلْقِك ، فلَا يَزالُ يَدْعُو اللهَ ، حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْهُ ، فإِذا ضحِك اللهُ مِنْهُ ، قالَ : ادْخُل الْجَنَّة ، فإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ : تَمنَّهْ ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى ، حَتَّى إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا ، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانىُّ ، قَالَ اللهُ تعَالَى : ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ .

* * *

قَال عطَاءُ بْنُ يزِيد : و أبُو سعِيد مع أَبِى هُرِيْرةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ـ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا ، حَتَّى إذَا حَدَّث أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُل : وَمِثْلُهُ مَعَهُ ، قَالَ أَبُو سَعِيد : (وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ : (ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ) ـ قَالَ أَبُو سَعِيد : أَشْهَدُ أَنِّى حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَوْلَهُ : (ذَلِكَ لَكَ ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ) ـ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ .

بيان المشكل والغريب فى حديث مسلم

مأخوذ من شرح الامام النووى على صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٠٨ هامش القسطلانى قال الامام النووى ـ رحمه الله ـ : قوله : (هل تضارون فى القمر ليلة البدر) قال :

وفى الرواية الأخرى : (هل تضامون) ـ وروى : (هل تضارون) ـ بتشديد الراء ، وبتخفيفها ، والتاء مضمومة فيهما .

ومعنى المشدد : هل تضارون غيركم فى حال الرؤية بزحمة أو مخالفة فى الرؤية أو غيرها ، لخفائه ، كما تفعلون أول ليلة من الشهر .

ومعنى المخفف : هل يلحقكم فى رؤيته ضير ـ وهو الضرر .

وروى أيضا : (هل تضامون) بتشديد الميم ، وتخفيفها ، فمن شددها فتح التاء ، ومن خففها ضم التاء ، ومعنى المشدد : هل تتضامون ، وتتلطفون فى التوصل الى رؤيته ؟

ومعنى المخفف : هل يلحقكم ضيم ، وهو المشقة والتعب .

قال القاضى عياض ـ رحمه الله تعالى : وقال فيه بعض أهل اللغة : تضامون أو تضارون ـ بفتح التاء ، وتشديد الراء .

وأشار القاضى بهذا الى أن غير هذا القائل يقولهما بضم التاء : سواء شدد أو خفف ، وكل هذا صحيح ظاهر المعنى .

وفى رواية للبخارى : (لا تضامون ـ أو لا تضارون) على الشك ، ومعناه : لا يشتبه عليكم وترتابون فيه ، فيعارض بعضكم بعضا فى رؤيته والله أعلم . ا هـ منه .

وقوله : (فانكم ترونه كذلك) معناه : تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح ، وزوال الشك والمشقة والاختلاف . ا هـ منه .

وقوله : (الطواغيت) جمع طاغوت ، قال الليث وأبو عبيدة والكسائى ، وجماهير أهل اللغة : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله تعالى .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ومقاتل والكلبى : الطاغوت الشيطان ، وقيل : الأصنام ـ وقال الواحدى : الطاغوت يكون جمعا وواحدا ، ويؤنث ويذكر ، قال الله تعالى : (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) فهذا فى الواحد ، وقال تعالى فى الجمع : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) .

وقال فى المؤنث : (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) ـ قال الواحدى : ومثله من (الأسماء الفلك) أى تقع للواحد وللمتعدد .

وقوله : (وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها) قال العلماء : انما بقوا فى زمرة المؤمنين لأنهم كانوا فى الدنيا مستترين بهم ، فيستترون بهم أيضا فى الآخرة ، وسلكوا مسلكهم ، ودخلوا فى جملتهم وتبعوهم ومشوا فى نورهم ، حتى ضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب ، وذهب عنهم نور المؤمنين ، قال بعض العلماء : هؤلاء هم المطرودون عن الحوض ، الذين يقال لهم : سحقا ، سحقا . والله أعلم . ا هـ منه .

وقوله ﷺ : (فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون . . . . الى قوله : فيتبعونه) .

قال النوى ـ رحمه الله تعالى : أعلم أن لأهل العلم فى أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين : ـ أحدهما ـ وهو مذهب معظم السلف ـ أو كلهم ـ أنه لا يتكلم فى معناها ، بل يقولون : يجب علينا أن نؤمن بها ، ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته ، مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شىء وأنه منزه عن التجسم والانتقال ، والتحيز فى جهته ، ومنزه عن سائر صفات المخلوق .

وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين : واختاره جماعة من محققيهم ، وهو أسلم .

والقول الثانى ـ وهو مذهب المتكلمين : أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها ، وانما يسوغ نلك التأويل لمن كان من أهله ، عارف بلسان العرب ، وقواعد الأصول والفروع ، ذا رياضة فى العلم . اهـ .

فعلى هذا المذهب يقال فى قوله ﷺ : (فيأتيهم الله فى صورة الخ) .

ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه ، لأن العادة إن من غاب عن غيره لايمكن رؤيته إلابالاتيان والمجىء ، فعبر بالاتيان والمجىء هنا عن الرؤية مجازا ـ وقيل : الاتيان فعل من أفعال الله تعالى ، سماه اتيانا .

وقيل المراد بيأتيهم الله : أى يأتيهم بعض ملائكته . ا هـ

قال القاضى عياض ـ رحمه الله تعالى : هذا الوجه أشبه عندى بالحديث ، قال : ويكون هذا الملك الذى جاءهم فى الصورة التى أنكروها ، من سمات الحدوث الظاهرة على الملك والمخلوق .

قال : أو يكون معناه : يأتيهم الله فى صورة ، أى يأتيهم الله بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته ، التى لا تشبه صفات الاله ، ليختبرهم ، وهذا آخر امتحان المؤمنين ، فاذا قال لهم هذا الملك ـ أو هذه الصورة : أنا ربكم رأوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه ، ويعلمون أنه ليس ربهم ، ويستعيذون بالله منه . ا هـ نووى .

وقوله : (فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون) قال : فالمراد بالصورة هنا : الصفة ، ومعناه : فيتجلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهم على الصفة التى يعلمونها ويعرفونها ، وانما عرفوه بصفته ، وان لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى ، لأنهم يرونه لا يشبه شيئا من مخلوقاته ، وقد علموا أنه لا يشبه شيئا من مخلوقاته ، فيعلمون أنه ربهم ، فيقولون : أنت ربنا .

وانما عبر بالصورة عن الصفة ، لمشابهتها اياها ، ولمجانسة الكلام ، فانه تقدم ذكر الصورة ـ وأما قولهم : نعوذ بالله منك ، فانما استعاذوا بالله منه ، لكونهم رأوا سمات المخلوق عليه .ا هـ

وأما قوله : (فيتبعونه) فمعناه : يتبعون أمره اياهم بذهابهم الى الجنة ، أو يتبعون ملائكته الذين يذهبون بهم الى الجنة . والله أعلم . ا هـ نووى .

وقوله : (ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم) معناه : يمد الصراط عليها .

وفى هذا اثبات للصراط ، ومذهب أهل الحق اثباته ، وقد أجمع السلف على اثباته . وهو جسر على متن جهنم ، يمر عليه الناس كلهم ، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم أى منازلهم والآخرون يسقطون فى جهنم ـ أعاذنا الله تعالى منها بمنه وفضله وكرمه . آمين .

وقوله : (ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم) هذا من كمال شفقتهم ورحمتهم للخلق ـ وفيه أن الدعوات تكون بحسب المواطن فيدعى فى كل موطن بما يليق به (وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان) الكلاليب : جمع كلوب ، وهو حديدة معطوفة الرأس ، يعلق فيها اللحم ، وترسل فى التنوربه .

وقال صاحب المطالع : هى خشبة فى رأسها عقافة حديد ، وقد تكون حديدا كلها ، ويقال لها أيضا كلاب .

وأما السعدان بفتح السين وسكون العين ، فهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب ، وقوله : (تخطف الناس بأعمالهم) تخطف بفتح الطاء ، ويجوز كسرها ، يقال : خطف يخطف من باب علم يعلم ، ويقال : خطف يخطف من باب ضرب يضرب ، والأول أفصح ، أى تخطف الناس بسبب أعمالهم القبيحة ، أو تخطفهم عل قدر أعمالهم . والله أعلم . . وقوله : (فمنهم المؤمن بقى بعمله . . الخ) قال القاضى عياض ـ رحمه الله : روى على ثلاثة أوجه : أحدها ـ (المؤمن بقى بعمله) بالميم والباء ـ الثانى ـ (الموثق بعمله) بالمثلثة . ـ الثالث ـ (الموبق أى بعمله) ـ ورواه بعضهم : (المخردل) أى المقطع بالكلاليب يقال : خردلت اللحم أى قطعته وقيل : خردلت بمعنى صرعت . وزاد بعضهم فى رواية

للبخارى : (المجردل) بالجيم أى المشرف على الهلاك والسقوط . ا هـ من النووى .
وقوله : (تأكل النار من ابن آدم الا أثر السجود) ظاهر هذا أن النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة وهكذا قاله بعض العلماء ، وأنكره القاضى عياض ، وقال : المراد بأثر السجود الجبهة خاصة . والله أعلم (وقوله : انفقهت له الجنة) أى انفتحت واتسعت ، وقوله : (حتى يضحك الله منه) قال العلماء : ضحك الله منه : هو رضاه بفعل عبده ومحبته اياه ، واظهار نعمته عليه ، وايجابها له . والله أعلم . ا هـ نووى (حتى ان الله ليذكره من كذا وكذا) معناه يقول له : تمن من الشئ الفلانى والشئ الفلانى ويسمى أنواعا له . ا هـ نووى على مسلم

بقية روايات مسلم فى حديث الشفاعة

(٣٣٩) قال : وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّام بْن مُنَبِّه ، قَالَ : هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وذكر أَحاديث ، منها :

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ : تَمَنَّ ، فَيَتَمَنَّى ، وَيَتَمَنَّى ، فَيَقُولُ لَهُ : هَلْ تَمَنَّيْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ) .

* * *

(٣٤٠) حَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيد ، حَدَّثَنِى حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْن يَسَارٍ ، عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ نَاسًا فى زَمَن رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ ، قَالَ : هَلْ تُضَارُّونَ فى رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فى رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا ، لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ؟ قَالُوا : لَا ، يَارَسُولَ اللهِ ، قَالَ : مَا تُضَارُّونَ فى رُؤْيَةِ اللهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فى رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا ، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ : لِيَتْبَعْ كُلُّ أُمَّة مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، فَلا



يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ : مِنَ الْأَصْنَام وَالْأَنْصَابِ إلاَّ يَتَسَاقَطُون فى النَّارِ ، حَتَّى إذَا لَمْ يَبْقَ إلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ : من بَرٍّ وَفَاجِرٍ ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكتَابِ ، فَتُدْعَى الْيَهُودُ ، فيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : نَعْبُدُ عُزَيْرًا ابْنَ اللهِ ، فيُقَالُ : كَذَبْتُمْ ، مَا اتَّخَذَ اللهُ من صَاحبة وَلَا وَلَد ، فَمَاذَا تَبْغُونَ ؟ قَالُوا : عَطشْنَا يَا رَبنَا فَاسْقنَا ، فَيُشَارُ إلَيْهِمْ . أَلَا تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّار ، كَأَنَّهَا سَرَابٌ ، يَحْطِمُ بَعْضَهَا بَعْضًا ، فَيَتَسَاقَطُونَ فى النَّار ، ثُمَّ تُدْعَى النَّصَارَى ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسيحَ ابْنَ الله ، فيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ ، مَا اتَّخَذَ اللهُ منْ صَاحبَةٍ وَلَا وَلَد ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَاذَا تَبْغُونَ ؟ فيَقُولُونَ : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا ، فَاسْقِنَا ، قَالَ : فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ : أَلاَ تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ ، كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَيَتَسَاقَطُونَ فى النَّار ، حَتَّى إذَا لَمْ يَبْقَ إلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ، أَتَاهُمُ رَبُّ الْعَالَمِينَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فى أَدْنَى صُورَة مِنَ الَّتِى رَأَوْهُ فِيهَا ، قَالَ : فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّة مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، قَالُوا : يَا رَبَّنَا ، فَارَقْنَا النَّاسَ فى الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إلَيْهِمْ ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبكُمْ ، فيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ، لَا نُشْرِكُ بِالله شَيْئًا - مَرَّتَيْن أَوْ ثَلاثًا - حَتَّى إنَّ بَعْضَهمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ ، فيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ ، فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ فيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لله مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ ، إلاَّ أَذِنَ اللهُ لَهُ بالسُّجُودِ ،

وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً ، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِى صُورَتِهِ الَّتِى رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ ، وَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا الْجِسْرُ ؟ قَالَ : دَحْضٌ مَزِلَّةٌ ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ ، وَحَسَكَةٌ تَكُونُ بِنَجْد ، فِيهَا شُوَيْكَةٌ ، يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ : كَطَرْفِ الْعَيْنِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ : فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَل ، وَمَكْدُوسٌ فِى نَار جَهَنَّمَ ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّار - فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَده مَا مِنْ أَحَد مِنْكُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلهِ فِى اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِى النَّارِ ، يَقُولُونَ : رَبَّنا ، كَانُوا يَصُومُون مَعَنا ، وَيُصَلُّون وَيَحُجُّون ، فَيُقَالُ لَهُمْ : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّار ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، قَدْ أَخذتِ النَّارُ إِلى نِصْفِ سَاقَيْهِ ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ ، فَيَقُولُ : ارْجِعُوا ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ ، فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَار مِنْ خَيْر ، فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ



ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا ، وَكَانَ أَبُو سَعِيد الْخُدْرِىُّ يَقُولُ : إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِى بِهَذَا الْحَدِيثِ ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : (إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّة وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) ـ فَيَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّار فَيخْرِجُ مِنْهَا قَومًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا ، فَيُلْقِيهِمْ فِى نَهَر فِى أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ : نهَرُ الْحَيَاةِ ، فَيَخْرُجُونَ ، كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِى حَمِيلِ السَّيْل ، أَلَاَ تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ ـ أَو الشَّجَرِ ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْس أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ ، وَمَا يَكُونُ إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ ، قَالَ : فَيَخْرُجُونَ كَالُّؤْلُؤ ، فِى رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ ، الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَيُقَالُ : لَكُمْ عِنْدِى أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا ، أَىُّ شَىْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُ : رِضَاىَ ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا .

وزاد فى رواية : (بِغَيْر عَمَل عَمِلُوهُ ، وَلَا قَدَم قَدَّمُوهُ ، فَيُقَالُ لَهُم : لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ) اهـ .

شرح حديث ٣٤١ من شرح النووى على صحيح مسلم

(قوله : ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى ، الا كما تضارون فى رؤية أحدهما) . معناه : أنتم لا تضارون فى رؤية الله أصلا كما لا تضارون فى رؤية أحدهما حينئذ . ا هـ

وقوله : من بر وفاجر وغبر أهل الكتاب) أما البر فهو المطيع ، والفاجر : هو العاصى ، وغبر أهل الكتاب ـ بضم الغين ، وتشديد الباء الموحدة المفتوحة ، أى بقاياهم . ا هـ منه

وقوله : (كأنها سراب ، يحطم بعضها بعضا) ـ أى فالكفار يأتون جهنم ، وهم عطاش فيحسبونها ماء ، فيتساقطون فيها ، يحطم بعضها بعضا ، لشدة اتقادها . ا هـ

وقوله : (فى أدنى صورة من التى رأوها) الصورة : معناها الصفة ، ورأوها : أى علمها المؤمنون لله تعالى وهم فى الدنيا ـ وهى أنه ليس كمثله شيء . فيرونه على غير الصفة التى علموها له ، ولذلك يعوذون بالله تعالى ، ويقولون : لا نشرك بالله شيئا ـ مرتين أو ثلاثا .

وقوله : (فيكشف عن ساق) فسر ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وجمهور أهل اللغة الساق هنا بالشدة ، أى يكشف عن شدة ، وأمر مهول . وهو مثل تضربه العرب لشدة الأمر ، وعظم الخطب ، ولهذا يقولون : قامت الحرب على ساق . وأصله : أن الانسان اذا وقع فى أمر شديد ، وفجأه كرب عظيم ، شمر عن ساعده ، وكشف عن ساقه ، للاهتمام له .

وقوله : (دحض مزلة) دحض بفتح الدال ، وسكون الحاء وبالضاد منونة ـ ومزلة ـ بفتح الميم ـ والزاى تفتح وتكسر .

والدحض والمزلة بمعنى واحد ، وهو الموضع الذى تزل فيه الأقدام ، وتزلق ولا تستقر ، ومنه : دحضت الشمس مالت . ا هـ نووى

(والحسك) بفتح الحاء والسين : شوك صلب .

وقوله : (فناج مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوش فى نار جهنم) معناه : أنهم على ثلاثةأقسام : قسم يسلم فلا يناله شيء من مكروه ، وقسم يخدش ، ثم ينجو ويخلص ، وقسم يكدس ويلقى فيسقط فى جهنم . ا هـ

وقوله : (فو الذى نفسى بيده ، ما من أحدمنكم بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة ، لاخوانهم الذين فى النار) .

قال الامام النووى ـ رحمه الله تعالى : قوله : (استقصاء الحق) ضبطت على أوجه :ـ

أحدها ـ استيضاء الحق ، بالياء والضاد ، المعجمة ـ والثانى ـ : (استضاء الحق ـ بحذف الياء . الثالث ـ : استيفاء الحق ، بالفاء بدل الضاد ، والرابع ـ : (استقصاء الحق) بالقاف والصاد .

ثم قال : وجميع الروايات التى ذكرناها صحيحة ، لكل منها معنى حسن . وقد جاء فى رواية يحيى بن بكير ، عن الليث : (فما أنتم بأشد مناشدة فى الحق قد تبين لكم ، من المؤمنين يومئذ للجبار ـ تعالى وتقدس ـ اذا رأوا أنهم قد نجوا ـ فى اخوانهم) .

وهذه الرواية التى ذكرها الليث توضح المعنى ، فمعنى الرواية الأولى والثانية : أنكم اذا عرض لكم فى الدنيا أمر مهم ، والتبس الحال فيه ، وسألتم الله تعالى بيانه ، وناشدتموه فى استيضائه ، وبالغتم فيها ، لا تكون مناشدة أحدكم بأشد من مناشدة المؤمنين لله تعالى فى الشفاعة لاخوانهم الذين فى النار .

وأما الرواية الثالثة والرابعة : فمعناهما أيضا ـ مامنكم من أحد يناشد الله فى الدنيا فى استيفاء حقه ، أو فى استقصائه ، وتحصيله من خصمه تاما كاملا ، وأخذه ممن تعدى عليه ـ بأشد من مناشدة المؤمنين الله ـ تعالى ـ فى الشفاعة لاخوانهم الذين فى النار يوم القيامة . ا هـ نووى على مسلم

وقوله : (فيقبض قبضة من النار) معناه : يجمع جماعة من الخلق الذين يعذبون فى النار ، فيخرجهم من النار ، وهم قوم لم يعملوا خيراقط .

وقوله : (قد عادوا حمما ، فيلقيهم ـ . . الخ) أى قد صاروا حمما ، ـ والحمم : بضم الحاء ، وفتح الميم الأولى مخففة ، الواحدة حممة ، وهو الفحم . ونهر ـ بفتح إلهاء وسكونها ، والفتح أجود ، وبه جاء القرآن الكريم

قال تعالى : (أن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق) .

والأفواه : جمع فوهة ، بضم الفاء ، وتشديد الواو المفتوحة ، وهو جمع سمع من العرب ، على غير قياس . ـ وأفواه الأزقة والأنهار ، أوائلها .

قال صاحب المطالع : كأن المراد فى الحديث مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها . ا هـ نووى

وقوله : (مايكون الى الشمس أصيفر وأخيضر) كان هنا تامة . و ـ ما ـ مبتدأ ، وأصيفر خبرها ، مرفوعا ـ أى ما يوجد منها الى جهة الشمس أصيفر وأخيضر ، ولفظ ـ أبيض ـ فى الجملة الثانية : منصوب خبر ـ يكون ـ الثانية ، وجملة ـ يكون ـ واسمها وخبرها ـ خبر المبتدأ ـ وهو قوله : (وما يكون منها الى الظل) .

وقوله : (كنت ترعى بالبادية) المقصود : أن النبى ﷺ قد وصف نبات البادية وصفا دقيقا ، كأنه كان يرعى بالبادية . ا هـ

وقوله : (فيخرجون كاللؤلؤ ، فى رقابهم الخواتم) . قال صاحب التحرير : المراد بالخواتم هنا ـ أشياء تعلق فى أعناقهم ، علامة لهم يعرفون بها ، وتشبيه صفائهم وحسن بشرتهم باللؤلؤ فى الجمال والبهاء ، لعدم ظهور أثر النار عليهم ، والله أعلم . ا هـ نووى .

وقوله : (هؤلاء عتقاء الله) أى يقول أهل الجنة فى شأن هؤلاء الذين كانوا فى النار وأخرجهم الله تعالى ، دون شفاعة أحد من الخلق : (هؤلاء هم عتقاء الله من النار ، الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه) ـ أى بل أدخلهم الله الجنة بمجرد الايمان ، حيث لم يكن لهم عمل صالح أبدا غير الايمان .

وقوله فى الرواية الثانية : (ولا قدم قدموه) القدم معناه الخير ، كما فى الرواية الأخرى ، وقوله : (فما رأيتموه فهو لكم) أى كل ماوقع عليه بصركم فهو لكم ملكا وانتفاعا ، ولا يرون الا ما قدر لهم ، وقوله : (ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين) أى من الذين لم يدخلوا الجنة ، بل استمروا فى النار ، وأما أهل الجنة الذين سبقوهم فبالضرورة يكون عطاؤهم خيرا من عطاء هؤلاء ـ أو قالوا ذلك بحسب ظنهم حينما رأو ما أعطاهم ـ (وقوله : لكم عندى أفضل من هذا الخ) تعجبوا أن يكون هناك أمر محسوس أفضل مما أعطوه ، فبين لهم الله ما أعده لهم من رضاء أفضل ، ولا شك أن رضوان الله أكبر ، قال تعالى : (ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) . ا هـ والله أعلم .

وقال الإمام مسلم فى باب إثبات الشفاعة ، وإخراج الموحّدين من النار جـ٢ ص ١٢٨ هامش القسطلانى :

(٣٤١) حَدَّثَنِى هَارُونُ بْنُ سَعِيد الأَيْلِى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِى مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ عِمَارَةَ ، قالَ أَخْبَرَنِى أَبِى ، عَنْ أَبِى سَعِيد الْخُدْرِىِّ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ - الْجَنَّةَ ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّار - النَّارَ - ثُمَّ يَقُولُ : انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَان ، فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا ، قَدِ امْتُحِشُوا ، فَيُلْقَوْنَ فِى نَهْرِ الْحَيَاةِ - أَوِ الْحَيَا ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ ، كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً.

شرح حديث الشفاعة من صحيح مسلم ص ٣٤٢ من شرح النووى

قوله : (فى اثبات الشفاعة ، واخراج الموحدين من النار) .

قال الامام النووى رحمه الله تعالى : قال القاضى عياض - رحمه الله تعالى : مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ، ووجوبها سمعا ، بصريح قوله تعالى : (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا)

وقوله تعالى : (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وأمثالهما ، وبخبر الصادق - ﷺ ، وقد جاءت الآثار التى بلغت بمجموعها التواتر - بصحة الشفاعة فى الآخرة ، ووقوعها لمذنبى المؤمنين ، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها .

ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها ، وتعلقوا بمذاهبهم فى تخليد المذنبين فى النار ، واحتجوا بقوله تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وبقوله : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) .- وهذه الآيات فى الكفار . وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة ، بكونها فى زيادة الدرجات - فباطل ، وألفاظ الأحاديث فى الكتاب وغيره صريحة فى بطلان مذهبهم ، واخراج من استوجب النار - أى بدون كفر واشراك بالله تعالى .

لكن الشفاعة خمسة أقسام :

أولها ـ مختصة بنبينا محمد ﷺ ، وهى الشفاعة لفصل القضاء ، وللاراحة من هول الموقف ، وتعجيل الحساب .

الثانية ـ الشفاعة فى ادخال قوم الجنة بغير حساب ، وهذه وردت أيضا لنبينا ﷺ وقد ذكرها مسلم رحمه الله .

الثالثة ـ الشفاعة لقوم استوجبوا النار ، فيشفع فيهم نبينا ﷺ ، ومن شاء الله تعالى من الصالحين .

الرابعة ـ الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين ، فقد جاءت هذه الأحاديث باخراجهم من النار بشفاعة نبينا محمد ﷺ والملائكة واخوانهم من المؤمنين الصالحين ، ثم يخرج الله تعالى كل من قال : لا اله الا الله ، كما جاء فى الحديث : (لا يبقى فيها الا الكافرون) .

الخامسة ـ الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها ، وهذه لا ينكرها المعتزلة ، ولا ينكرون أيضا شفاعة الحشر .

قال القاضى عياض : وقد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح ـ رضى الله عنهم ـ شفاعة نبينا محمد ﷺ رغبتهم فيها . ـ وعلى هذا لا يلتفت الى قول من قال : انه **يكره أن يسأل الانسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة محمد ﷺ لكونها لا تكون إلا للمذنبين ،** فانها قد تكون لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات ، ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج الى العفو ، غير معتد بعمله ، مشفق أن يكون من الهالكين . ا هـ نووى (الحياة ـ أو الحيا) رواية غير مالك : (الحياة) من غير شك ـ ثم أن الحيا ـ مقصور هو المطر ، سمى بذلك ، لأنه تحيا به الأرض ، ولذلك يحيا به المحترقون ، وتحدث لهم النضارة (وقوله : ألم تروها) يلفت أنظارهم الى صفاء لونها كالذبات ، والى شىء من ضعفها . ا هـ نووى .

أخرجه مسلم فى الباب نفسه ص ١٣١ من هامش القسطلانى جـ ٢

(٣٤٢) قال الإمامْ مسلم ـ رحمه الله تعالى :

وَحَدَّثَنِى نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الجَهْضَمِيُّ ، حَدَّثَنَا بِشْرٌ ـ يَعْنِى ابن مُفَضَّل ـ عَنْ أَبِى مَسْلَمَةَ ، عَنْ أَبِى نَضْلَةَ ، عَنْ أَبِى سَعِيد ـ رضى الله عنهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ، فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ ، وَلٰكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ ـ أَوْ قَالَ : بِخَطَايَاهُمْ ـ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا ، أُذِن بِالشَّفَاعَةِ ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ، ضَبَائِرَ ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ ، تَكُونُ فى حَمِيلِ السَّيْلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ .

شرح حديث ص ٣٤٣ من شرح النووى على صحيح مسلم

قوله : (أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون) معنى هـذا أن الكفار الذين هم أهل النار ، والمستحقون للخلود فيهـا ، فـانهم لا يمـوتون فيهـا أبدا ، ولا يحيون فيها حياة ينتفعون بها ، ولا يستريحون معها ، كما قال تعالى : (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور) .

وكما قال تعالى : (لا يموت فيها ولا يحيا) ـ وهذا جار على مذهب أهل الحـق أن نعيم أهل الجنة دائم ، وأن عذاب أهل الخلود فى النار دائم .

قوله : (ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهـم ـ أو قـال بخـطاياهم . . .الخ) معناه : أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى بعد أن يعذبوا المدة التى ارادها الله تعالى ـ وهـذه الاماتة اماتة حقيقية ، يذهب معها الاحساس ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم ثم يميتهـم ، ثم يكونون محبوسين فى النار من غير احساس ـ المدة التى قدرها الله تعالى ثم

يخرجون من النار موتى قدصاروا فحما فيحملون ضبائر ، ضبائر أى جماعات متفرقة وروى : (ضبارات) وهو جمع ضبارة بفتح الضاد وكسرها لغتان ولم يذكر الهروى فيها الا الكسر ـ والضبائر بالفتح فقط . ا هـ أى ثم يخرجون من النار موتى قدصاروا فحما ويلقون علٰى أنهار الجنة ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فيحيون ، وينبتون ، كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، أى فى سرعة نباتها وضعفها ، فتخرج لضعفها صفراء ملتوية ، ثم تشتد قوتهم بعد ذلك ، ويسيرون الى منازلهم ، وتكمل أحوالهم .

فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ـ ومعناه .

وحكم القاضى عياض ـ رحمه الله تعالى فيه وجهين : (أحدهما) أنها اُماتة حقيقية ، (والثانى) أنه ليس بموت حقيقى ، ولكن يغيب احساسهم بالآلام عنهم . ـ قال : ويجوز أن تكون آلامهم أخف ، فهذا كلام القاضى .

قال النووى : والمختار ما قدمناه . . والله أعلم .

وقوله : (كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية) تقدم معناه ، وهو أنهم قالوا : كأن النبى ﷺ كان يسكن البادية ، ورأى نبات الحبة فى حميل السيل فى الأودية ، وأنها تخرج صفراء ملتوية . ا هـ والله أعلم .

(٣٤٣) وقال الإمام مسلم ـ رحمه الله تعالى فى الباب نفسه ص ١٣٣ هامش القسطلانى :

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِىُّ كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ : قَالَ عُثْمَانُ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَبِيدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن مَسْعُود ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : إِنِّى لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْل النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ : رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبوًا ، فَيَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَهُ : اذْهَبْ ، فَادْخُل الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَأْتِيهَا ، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى ، فَيَرْجِعُ ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : اذْهَب ، فَادْخُل الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَأْتِيهَا ، فَيُخَيَّلُ إِلَيْه أَنَّهَا مَلْأَى ، فَيَرْجِعُ ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : اذْهَبْ ، فَادْخُلْ الْجَنَّةَ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا ، ـ أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَال الدُّنْيَا ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِى ـ أَوْ أَتَضْحَكُ بِى ، وَأَنْتَ الْمَلِكُ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ضَحِكَ ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، قَالَ : فَكَانَ يُقَالُ : ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً .

* * *

(٣٤٤) وفى رواية أُخرى عن ابن مسعود مثل ذلك ، إلا أنه قال : رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا ، فَيُقَالُ لَهُ : انْطَلِقْ ، فَادْخُلْ الْجَنَّةَ ، فَيَذْهَبُ

فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِى كُنْتُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيُقَالُ لَهُ : تَمَنَّ ، فَيَتَمَنَّى ، فَيُقَالُ لَهُ : لك الَّذِى تَمَنَّيْتَ ، وَعَشَرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فيقُولُ : تَسْخَرُ بى ، وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

شرح حديث رقم ٣٤٣ ٣٤٤ من النووى

قوله : (رجل يخرج من النار حبوا) ـ وفى الرواية الأخرى : (زحفا) .

قال أهل اللغة : الحبو ـ المشى على اليدين والرجلين ، وربما قالوا : على اليدين والركبتين ـ وربما قالوا : على يديه ومقعدته .

وأما الزحف فقال ابن دريد وغيره : هو المشى على الاست مع اشرافه بصدره .

فحصل بهذا أن الحبو والزحف متماثلان أو متقاربان ، ولو ثبت اختلافهما حمل على أنه فى حال يزحف ، وفى حال يحبو ـ والله أعلم . ا هـ من النووى .

وقوله : (أتسخر بى ـ أو أتضحكك بى ؟ . . الخ) هذا شك من الراوى .

فان كان الذى ورد هو : (أتضحك بى ؟) فمعناه : أتسخر بى ، لأن الساخر فى العادة يضحك ممن يسخر به ، فوضع الضحك موضع السخرية مجازا .

وأما معنى : (أتسخر بى ؟) هنا ، ففيه أقوال ثلاثة : ـ أحدها ـ أنه خرج على المقابلة الموجودة فى معنى الحديث ، دون لفظه ، لأنه عاهد الله مرارا أنه لا يسأل غير ما سأل ، ثم غدر ، فحل غدره محل الاستهزاء ، فسمى جزاء السخرية سخرية وقال : (أتسخر بى) أى (أتعاقبنى بالاطماع ؟) .

والقول الثانى : أن معناه نفى السخرية التى لا تجوز على الله تعالى ، كأنه يقول : أعلم أنك لا تهزأ بى ، لأنك رب العالمين ، وما أعطيتنى فهو حق ، ولكن العجب أنك أعطيتنى هذا وأنا غير أهل له .

والقول الثالث قاله القاضى عياض ـ رحمه الله تعالى : أن يكون هذا الكلام صدر من هذا الرجل ، وهو خير ضابط لما قاله ، من أجل ما ناله من السرور ، ببلوغ ما لم يخطر بباله ، فلم يضبط لسانه دهشا وفرحا ، فقاله ، وهو لا يعتقد حقيقة معناه ، وجرى على عادته فى الدنيا فى مخاطبة المخلوق . ـ وهذا كما قال النبى ﷺ فى الرجل الآخر : انه لم يضبط نفسه من الفرح ، فقال : (أنت عبدى ، وأنا ربك) والله أعلم . ا هـ نووى .

ثم قال النووى ـ رحمه الله : واعلم أنه وقع فى الروايات : (أتسخر بى) ؟ وهو صحيح . يقال : سخرت منه ، وسخرت به ، والأول هو الأفصح ، وبه جاء القرآن العزيز ، قال : ان تسخروا منا فانا نسخر منكم) ـ والثانى فصيح أيضا ، ولذا قال بعض العلماء : انما جاء بالباء لارادة معناه ، كأنه قال : (أتهزأ بى) والله أعلم . أ هـ نووى .

وقوله : (رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه) بالجيم والذال المعجمة قال أبو العباس ثعلب وجماهير العلماء من أهل اللغة وغريب الحديث وغيرهم : المراد ـ بالنواجذ هنا : الأنياب ، وقيل : المراد بالنواجذ هنا ـ الضواحك ، وقيل : المراد بها الأضراس ، وهذا هو الأشهر فى اطلاق النواجذ فى اللغة ، ولكن الصواب عند الجماهير ما قدمناه .

وفى هذا جواز الضحك ، وأنه ليس بمكروه فى بعض المواطن ، ولا بمسقط للمروءة ، اذا لم يجاوز به الحد المعتاد من أمثاله ، فى مثل تلك الحال . والله أعلم . ا هـ نووى

وقوله ﷺ : فيقول الله تعالى له : اذهب ، فادخل الجنة ، فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ـ وفى الرواية الأخرى : (لك الذى تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا) هاتان الروايتان بمعنى واحد ، واحداهما تفسير الأخرى فالمراد بالأضعاف الأمثال ، فان المختار عند أهل اللغة أن الضعف المثل .

وأما قوله ﷺ فى رواية أخرى عند مسلم : فيقول الله تعالى (أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها) ـ وفى الرواية الأخرى : (أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا ، فيقول : رضيت رب ، فيقول : لك ذلك ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، فقال فى الخمسة : رضيت رب ، فيقول : هذا لك ، وعشرة أمثاله) ـ قال النووى ـ رحمه الله تعالى : فهاتان الروايتان لا تخالفان الأوليين ، فان المراد بالأولى من هاتين الروايتين أن يقال له أولا : (لك الدنيا ومثلها) ثم يزاد الى تمام ـ عشرة أمثالها ـ كما بينه فى الرواية الأخيرة ـ وأما الأخيرة فالمراد بها أن أحد ملوك الدنيا ، لا ينتهى ملكه الى جميع الأرض ، بل يملك بعضا منها .

ثم منهم من يكثر البعض الذى يملكه ، ومنهم من يقل بعضه ، فيعطى هذا الرجل مثل أحد ملوك الدنيا خمس مرات ، وذلك كله قدر الدنيا كلها .

ثم يقال له : (لك عشرة أمثال هذا) فيعود معنى هذه الرواية الى موافقة الروايات المتقدمة ، ولله الحمد . وهو أعلم . ا هـ نووى بلفظه .

تابع حديث الشفاعة وآخر من يدخل الجنة من صحيح مسلم قال الإمام مسلم ــ رحمه الله تعالى :

(٣٤٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسٍ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ : آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً ، وَيَكْبُو مَرَّةً ، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً ، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا ، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، فَيَقُولُ اللهُ ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ : يَا ابْنَ آدَمَ ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : لاَ ، يَارَبِّ ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، ــ وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْذُرُهُ ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ ، هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيَقُولُ لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا ، تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا . وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْذُرُهُ ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا ، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ ، هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَدْنِنِي مِنَ الشَّجَرَةِ ، لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا ،



وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِى أَنْ لَا تَسْأَلَنِى غَيْرَهَا ؟ قَالَ : بَلَى ، يَارَبِّ ، هَذِهِ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْذُرُهُ ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا ، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتُ أَهْلِ الْجَنَّة ، فَيَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، أَدْخِلْنِيهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا يَصْرِينِى مِنْكَ ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟ فَيَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّى وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُود ــ رضى الله عنه ــ

فَقَالَ : أَلاَ تَسْأَلُونِى مِمَّ أَضْحَكُ ؟ قَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ ؟ قَالَ : هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، حِينَ قَالَ : (أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّى ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟) .

فَيَقُولُ : إِنِّى لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ ، وَلَكِنِّى عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ) .

* * *

أقول : إلى هنا ــ قد نقلت معظم الروايات التى ذكرها الإمام مسلم ، فى صحيحه ، وبقى فيه روايات كثيرة ، غالبها ليس فيه كبير تغيير عمّا نقلته هنا ، فلذلك اكتفيت بهذا القدر .

مع العلم بأن فى غالب ما ذكرته من الروايات زيادات ، أو مخالفة فى الأسلوب لا يغنى عنه غيره ــ وهذا هو السبب فى تكثير هذه الروايات هنا

إلا أن فى بعض الروايات التى لم أذكرها زيادة ، يجب ذكرها ، وهى :

قال : (ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُور الْعِين ، فَتَقُولَان لَهُ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِى أَحْيَاكَ لَنَا ، وَأَحْيَانَا لَكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : مَا أُعْطِىَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ) اهـ .

شرح حديث مسلم رقم ٣٤٥ من شرح النووى على صحيح مسلم

قوله ﷺ : (فهو يمشى مرة ، ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة) قال النووى رحمه الله : أما يكبو فمعناه يسقط على وجهه ـ وأما تسفعه النار ـ فهو بفتح التاء ، واسكان السين ، وفتح الفاء ، ومعناه تضرب وجهه ، وتسوده ، وتؤثر فيه أثرا سيئا . ـ وقوله : (لأنه يرى ما لاصبر له عليه) أى لأنه يرى حالة لهذا الرجل ، لا صبر له عليها ، لذلك عذره الله تعالى فى الرجوع عن عهده ومواثيقه .

وقال النووى ـ رحمه الله تعالى : معناه ـ لأنه يرى نعمة لا صبر له عليها ـ أى عنها . فيكون الذى يرى هو ذلك الرجل . والله أعلم . اهـ

وقوله : (يا ابن آدم ، ما يصريني منك ؟) يصريني بفتح الياء ، واسكان الصاد ، أى ما الذى يقطع مسألتك منى .

قال أهل اللغة : الصرى بفتح الصاد ، واسكان الراء هو القطع .

وروى فى غير مسلم : (ما يصريك منى) قال ابراهيم الحربى : هو الصواب ، وأنكر الرواية التى فى صحيح مسلم .

وقال النووى : وليس هو كما قال ، بل كلاهما صحيح ، فان السائل متى انقطع من المسئول ، انقطع المسئول منه ، والمعنى : أى شىء يرضيك ويقطع السؤال بينى وبينك . والله أعلم . اهـ نووى .

وقوله : (قالوا : مم تضحك يارسول الله ، قال : من ضحك رب العالمين) قال النووى : قد قدمنا معنى الضحك من الله تعالى ، وهو الرضا والرحمة ، وارادة الخير لمن يشاء رحمته من عباده . والله أعلم . اهـ

وقوله ﷺ : (فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين ، فتقولان : الحمد لله الذى أحياك لنا ، وأحيانا لك) . ـ قال النووى ـ رحمه الله تعالى : هكذا ثبت فى الروايات والأصول : (زوجتاه) بالتاء ، تثنية زوجة بالهاء ، وهى لغة صحيحة معروفة ، وفيها أبيات كثيرة

من شعر العرب ، وذكرها ابن السكيت وجماعات من أهل اللغة .

وقوله ﷺ : (فتقولان) هو بالتاء المثناة من فوق ــ قال : وانما ضبطت هــذا ، وان كان ظاهرا : لكونه مما يغلط فيه بعض من لا يميزه ، فيقول بالمثناة من تحت ــ وذلك لحن لاشك فيه ، قال الله تعالى : (اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) وقال تعالى : (ووجد من دونهــم امرأتين تذودان) وقال تعالى : (أن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) وقال تعالى : (فيهما عينان تجريان) ــ وأما قــوله : الحمــد لله الذى أحياك لنا ، وأحيانا لك ، فمعناه : الذى خلقك لنا وخلقنا لك ، وجمــع بيننا فى هــذه الدار الدائمــة السرور ، والله أعلم . ا هـ نووى

ثالثا ـ حديث الشفاعة من سنن النسائى

ـ باب زيادة الإيمان ـ ج ٨ ص ١١٢ ـ ١١٣

(٣٤٦) عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : مَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ فى الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فى الدُّنْيَا ، بِأَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فى إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ ، قَالَ : يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ، وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا ، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : اذْهَبُوا ، فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ ، قَالَ : فَيَأْتُونَهُمْ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ ، : فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، فَيُخْرِجُونَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا قَدْ أَخرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا ، قَالَ : وَيَقُولُ : أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فى قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الْإِيمَانِ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ كَانَ فى قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ دِينَارٍ ، حَتَّى يَقُولَ : مَنْ كَانَ فى قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ . قَالَ أَبُو سَعِيد : فَمَنْ لَمْ يُصَدِّق فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الآيَةَ :

(إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ... إِلى عَظِيمًا) اهـ .

شرح حديث الشفاعة من سنن النسائى

قوله : (ما مجادلة أحدكم فى الحق يكون له فى الدنيا ، بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم فى اخوانهم الذين أدخلوا النار) .

المعنى : أن الانسان فى الدنيا اذا كان له حق ـ وقد تبين وظهر له ، فلابد أن يجادل عنه ، ويدافع خصمه ، حتى يأخذ حقه منه .

فالمؤمنون اذا خلصوا من النار ، وبقى اخوانهم المؤمنون فى النار ، يجادلون عنهم ربهم ، أى يطلبون منه أن يرحم اخوانهم بالخروج من النار حيث انه قد تفضل عليهم بالنجاة من النار من أجل ايمانهم ، فيقــولون : ربنا ، هؤلاء اخــواننا كانوا مــؤمنين مثلنا ، ويؤدون أركان الاسلام معنا : ويصلون ويصومون معنا ، ويحجــون معنا ، أى وأنت يارب رحمتك وسعت كل شىء ، فارحم اخواننا هؤلاء .

أى فليست مجادلة المؤمن فى الدنيا لأخذ حقه ممن هو عنده ـ بأشد مجادلة من مجــادلة المؤمنين ربهم ، لأجل اخوانهم المؤمنين ، بل اما أن تستوى المجادلتان ، أو تكون مجــادلة المؤمنين عن اخوانهم أشد ، وأقوى من مجادلتهم لأخذ حقهم فى الدنيا .

وفى ذلك بيان لعظيم فضل الله تعالى ، حيث وسع الرجاء للمؤمنين أن يطلبوا منه اخراج اخوانهم المؤمنين ، فلم يقدم المؤمنون على ذلك الا بعد أن أيقنوا أن باب الرجــاء مفتوح ، وأن الاذن لهم فى الشفاعة لاخوانهم محقق ، فقد قال تعــالى : (مــن ذا الذى يشــفع عنده الا باذنه) .

ويدل أيضا على عظيم التراحم بين المؤمنين حيث يعطف الناجون منهــم على اخــوانهم المؤمنين . نسألك اللهم أن تشفع فينا نبيك محمــدا ﷺ وترضى عنا . آمين . ا هـ والله أعلم

رابعاً : حديث الشفاعة من صحيح الترمذى

(باب ما جاء فى الشفاعة) جـ ٢ ص ٧٠ وما بعدها :

(٣٤٧) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ :

أُتِى رسولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِلَحْمٍ ، فَرُفِعَ إليه الذِّراع ؛ فَأَكَلَهُ ـ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ـ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ، ثُمَّ قَالَ : أَنَا سَيِّدُ النَّاس يَوْم الْقِيَامَةِ ، هَلْ تَدْرُونَ لِمَ ذَاكَ ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ : الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فى صَعِيد وَاحِد ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِى ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ ، فَبَلَغَ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ ، وَلَا يَحْتَمِلُون ، فيَقُولُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَا تَرَوْنَ مَا قدْ بَلَغكُمْ ؟ أَلَا تَنْظُرُون مَنْ يَشْفعُ لكُمْ إلَى رَبِّكُمْ ؟ فيَقُولُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : عَلَيْكُمْ بِآدَمَ ، فيَأْتُونَ آدَمَ ، فيَقُولُونَ : أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، اشْفَعْ لَنَا إلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ آدمُ إنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا ، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِى عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ ، نَفْسِى ، نَفْسِى ، نَفْسِى ، اذْهَبُوا إلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إلَى نُوح ، فيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا ، اشْفَعْ لَنَا إلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى

إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ نُوحٌ : إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا ، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِى دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِى ، نَفْسِى ، نَفْسِى ، نَفْسِى ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا ، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّى قَدْ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ــ فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِى الْحَدِيثِ ــ نَفْسِى ، نَفْسِى ، نَفْسِى ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى ، فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى الْبَشَرِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا ، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّى قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا ، لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِى ، نَفْسِى ، نَفْسِى ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ، فَيَأْتُونَ عِيسَى ، فَيَقُولُونَ : يَا عِيسَى ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ عِيسَى : إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا ، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا نَفْسِى ، نَفْسِى ، نَفْسِى ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ : فَيَأْتُونَ

مُحَمَّدًا ، فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَخِرُّ سَاجِدًا لِرَبِّي ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا ، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، أُمَّتِي ، يَارَبِّ ، أُمَّتِي ، يَارَبِّ ، أُمَّتِي ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ ، مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ ، وَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى .

قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

شرح حديث الترمذى فى الشفاعة رقم ٣٤٧

قوله : (فى صعيد واحد) قال فى القاموس : والصعيد التراب أو وجه الأرض ، والطريق أ هـ .

وقوله : (وينفذهم البصر) فى القاموس : (ونفذهم) : جازهم وتخلفهم ، كأنفذهم . ا هـ ـ أى يحيط بهم البصر ، ويتجاوزهم .

وقوله : (وينفذهم البصر) فى القاموس : (ونفذهم) : جازهم وتخلفهم ، كأنفذهم . ا هـ ـ أى يحيط بهم البصر ، ويتجاوزهم .

كفارا) .

وهكذا ما اعتذر به فى هذه الرواية ـ وفيما تقدم من الروايات اعتذر بقوله : (انى سألت ربى ما ليس لى به علم) .

فلعله يكون قد ذكر الأمرين معا ، واقتصر كل راو على ما ذكره ـ مع أنه لا ينافى ما قاله الآخر . ا هـ . والله أعلم .

قوله : (أبو حيان : هو أحد رواة الحديث عند الترمذى : ا هـ

خامساً : حديث الشفاعة من سنن الإمام ابن ماجة .

من الجزء الأول ـ باب فى الإيمان ص ١٦ :

(٣٤٨) عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : إذا خَلَّصَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ ، وَأَمِنُوا ـ فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فى الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فى الدُّنْيَا ـ أَشَدَّ مُجَادَلَةً ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فى إِخْوَانِهِمُ ، الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ ، قَالَ : يَقُولُون : رَبَّنَا ، إِخْوَانُنا ، كانُوا يُصَلُّون مَعَنا ، وَيَصُومُون مَعنا ، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا ، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا ، فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ منْهُمْ ، فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ ، لَا تَأْكُلُ النَّارَ صُوَرَهُمْ ، فَمنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إلى أَنْصَافِ سَاقَيْه ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْه ، فَيُخْرِجُونَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنا ، قَدْ أَخرَجْنَا مَنْ قَدْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يَقُولُ : أَخْرِجُوا مَنْ كان فى قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الإِيمَان ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فى قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ دينَارٍ ، ثُمَّ مَنْ كان فى قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّة مِنْ خَرْدَل .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ هَذَا ، فَلْيَقْرَأْ : (إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّة وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) .

شرح حديث ابن ماجة فى الشفاعة رقم ٣٤٩

قوله : (فيعرفونهم بصورهم ، لا تأكل النار صورهم . . الخ)
ظاهر هذا أن النار لا تأكل جميع الوجه ، لأنه هو الذى يكون صورة للانسان ، والنار لا تأكل مواضع السجود ، ومنها الجبهة ، فيكون الوجه كله قد أكرمه الله تعالى ، ولم تحرقه النار ، لأن الوجه كله يخضع ساجدا لله تعالى .

وفى رواية لمسلم : (ان قوما يخرجون من النار يحترقون ، الا دارت وجوههم) قال النووى ـ رحمه الله ـ : وهى جمع دارة ، وهو ما يحيط بالوجه . ا هـ

وفى رواية لمسلم : (ان قوما يخرجون من النار يحترقون ، الا دار ت وجوههم) قال النووى ـ رحمه الله ـ : وهى جمع دارة ، وهو ما يحيطهبالوجه . ا هـ

وحديث ابن ماجة هذا يقوى أن صورة الوجه تبقى كلها . والله أعلم . ا هـ

أخرجه ابن ماجه جـ ٢ ص ٣٠٢ ـ ص ٣٠٣ :

(٣٤٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يُلْهَمُونَ ـ أَوْ يَهُمُّونَ ـ شَكَّ سَعِيدٌ ـ يَقُولُونَ : لَوْ تَشفَّعْنَا إلى رَبِّنَا ، فَأَرَاحَنَا مِنْ مَكَانِنَا ، فَيَأْتُونَ آدمَ ، فيَقُولُونَ : أَنْتَ آدمُ ، أَبُو النَّاس ، خَلقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ ، فَاشْفَعْ لَنا عِنْدَ رَبِّكَ ، يُرِحْنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ وَيَشْكُو إِلَيْهِمْ ذَنْبَهُ ، الَّذِى أَصَابَ ، فَيَسْتَحْيِي مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِ ائتُوا نُوحًا ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُول بَعَثَهُ اللهُ إلى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَهُ ، فيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ ، وَيَسْتَحْيِي مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِ ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمٰنِ : إِبْرَاهِيمَ ، فَيَأْتُونَهُ ، فيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلكِنِ ائْتُوا مُوسَى : عَبْدًا : كَلَّمَهُ اللهُ ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ ، فيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ قَتْلَهُ النَّفْسَ بِغَيْرِ النَّفْس ، وَلٰكِنِ ائْتُوا عِيسَى : عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ ، وَكَلِمَةَ اللهِ وَرُوحهُ ، فَيَأْتُونَهُ فيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ـ صَلَّى اللهُ عَليْهِ وَسَلَّمَ ـ عَبْدًا غفرَ اللهُ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ : فيَأْتُونى ، فَأَنْطَلِقُ ، فَأَمْشِى بَيْنَ السِّمَاطَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (السِّماط بكسر السين : الصف من الناس) فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى ، فَيُؤْذَنُ لى ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجداً ، فَيَدَعُنى مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِى ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ يَا مُحَمَّدُ ، وَقُلْ تُسْمَعُ ، وَسَلْ

تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشفَّعْ ، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ،ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحُدُّ لى حَدًّا ، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ،ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِية ،فإذا رَأَيْتُ ربى وَقَعْتُ سَاجِداً فيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِى ، ثُمَّ يُقَالُ لى : ارْفَعْ مُحَمَّدُ ، قُلْ تُسْمَعْ ، وَسَل تُعْطَهُ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِى ، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيد يُعَلِّمُنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحُدُّ لِى حَدًّا ، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّى وَقَعْتُ سَاجِداً ، فَيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِى ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ مُحَمَّدُ ، قُلْ تُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِى ، فَأَحْمَدُهُ بتَحْمِيد يُعَلِّمنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحُدُّ لى حَدًّا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا بَقِىَ إِلَّا مَنْ حَبَسهُ الْقُرْآنُ) .

أقول : هذا الحديث قد تقدم شرح ما فيه من المشكل ، فلا داعى لاعادته ، والله أعلم .
(ملحوظة) فى تكرار حديث الشفاعة .
اجماع أهل الحديث على اخراج حديث الشفاعة دليل على صحته بل ربما يبلغ مبلغ التواتر ، فيكون ردا على من أنكر الشفاعة .

٣٦ ـ (ما جاء فى وقوف العبد بين يدى ربه يوم القيامة)

(وسؤال الأَنبياءِ عن التبليغ)

(حديث وقوف العبد بين يدى ربه يوم القيامة) .

من صحيح البخارى ـ كتاب الزكاة ـ باب الصدقة قبل الردّ
جـ ٢ ص ١٠٩ .

(٣٥٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّد ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ ، أَخْبَرَنَا سَعْدَانُ بْنُ بِشْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُجَاهِد ، حَدَّثَنَا مُحِلُّ بْنُ خَلِيفَةَ الطَّائِىُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَدِىَّ بْنَ حَاتِم ، ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ : كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَجَاءَهُ رَجُلَان : أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ ، وَالْآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ فَإِنَّهُ لا يَأْتِى عَلَيْكَ إِلاَّ قَلِيلٌ ، حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ ، وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ ، لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ ، ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَىِ اللهِ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ : أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا ؟ فَلَيَقُولَنَّ : بَلَى ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ ؛ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا ؟ فَلَيَقُولَنَّ : بَلَى ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِه ، فَلَا يَرَى إِلاَّ النَّارَ ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ ، فَلَا يَرَى إِلاَّ النَّارَ ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ ، وَلَوْ بِشِقٍّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ

(وأخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق ـ باب علامات النبوة فى الإسلام).

(٣٥١) حَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ الْحَكَم ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ ، أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ ، أَخْبَرَنَا سَعْدٌ الطَّائِىُّ ، أَخْبَرَنَا مُحِلُّ بْنُ خَلِيفَةَ ، عَنْ عَدِىِّ بْنِ حَاتِم ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ ، فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ ، فَقَالَ : يَا عَدِىُّ ، هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ ؟ قُلْتُ : لَمْ أَرَهَا ، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا ، قَالَ : فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ، لَا تَخَافُ أَحَدًا ، إِلاَّ اللهَ ، قُلْتُ فِيمَا بَيْنِى وَبَيْنَ نَفْسِى : فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ سَعَّرُوا الْبِلَادَ ؟ ـ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتُفْتَتِحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى ، قُلْتُ : كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ ؟ قَالَ : كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ ، يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ : مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ . أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ : أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا ، فَيُبَلِّغَكَ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، فَيَقُولُ : أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً وَوَلَدًا ، وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ ، فَلَا يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ ـ قَالَ عَدِىٌّ : سَمِعْتُ النَّبِىَّ ـ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : اتَّقُوا النَّارَ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ .

قَالَ عَدِيٌّ ـ رضى الله عنه ـ فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَة ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ، لاَ تَخَافُ إِلاَّ الله ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ ـ أَبُو الْقَاسِمِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ .

شرح الحديثين من القسطلانى

العيلة بفتح العين : الفقر ، وقطع السبيل أى قطع الطريق على المارين به ، ويكون من طائفة يترصدون فى المكامن ، لأخذ مال ، أو لقتل نفس ، أو لارعاب الناس ، اعتمادا على القوة والشوكة مع البعد عن الغوث .

والعير : الابل تحمل الميرة والطعام وغيرهما مما يحتاج الى حمله فى السفر ، وقوله : (بين يدى ربه ، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان) . هذا على سبيل التمثيل ، لأن الله تعالى لا يحيط به شيء ، ولا يحجبه حجاب ، وانما يستتر عن أبصارنا بما وضع فيها من الحجب ، للعجز عن الادراك فى الدنيا ، فاذا كان فى الآخرة ، كشفها عن أبصارنا وقوى أبصارنا ، ويشير الى ذلك قوله تعالى : (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) .

والحيرة بكسر الحاء وسكون الياء المثناة ، كانت بلد ملوك العرب ، الذين هم تحت حكم فارس .

(ودعار طيء) بالدال المهملة : قطاع الطريق (الذين سعروا البلاد) أى ملأوها شرا ، مستعار من ـ استعار النار ـ وهو توقدها .

(لتفتتحن) بالبناء للفاعل (ولتفتحن) بالبناء للمجهول .

(والظعينة ـ بالظاء والعين : المرأة فى الهودج) .

ولئن طالت بكم حياة لترون الخ) أى يخرج أحدكم ملء كفه : ذهبا أو فضة ، فلا يجد أحدا يقبله منه ، أى لعدم الفقراء حينئذ ـ قيل : ويكون ذلك زمن عيسى عليه السلام .

وجزم البيهقى بأن ذلك كان فى زمن عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ، لحديث عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز ثلاثين شـــهرا ، لا والله ، ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم ، فيقول : اجعلوا هذا حيث ترون فى الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله ، نتذاكر من نضعه فيه فــلا نجــده ، قــد أغنى عمــر الناس ـ رواه البيهقى ـ وفيه تصديق ماروينا فى حديث عدى بن حاتم . ا هـ والله أعلم

حديث (يدنو المؤمن مِن ربّه حتى يضع عليه كنفه)

أخرجه البخارى فى كتاب التفسير – من سورة هود – عليه السلام ج ٦ ص ٧٤ .

(٣٥٢) حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْع ، حَدَّثنَا سَعِيدٌ وَهِشَامٌ ، قَالاَ : حَدَّثنَا قَتَادَةُ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ ، قَالَ : بَيْنَا ابْنُ عُمَرَ يَطُوفُ ، إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ – أَوْ قَالَ : يَا ٱبْنَ عُمَرَ ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فى النَّجْوَى ؟ فَقَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّه – وَقَالَ هِشَامٌ : يَدْنُو الْمُؤْمِنُ (أى من ربه) حَتَّى يَضَعَ عَلَيْه كَنَفَهُ ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِه ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ يَقُولُ : أَعْرِفُ ، يَقُولُ : رَبِّ ، أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ ، فَيَقُولُ : سَتَرْتُهَا فى الدُّنْيَا ، وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ ، وَأَمَّا الآخَرُونَ – أَوِ الْكُفَّارُ – فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الأَشْهَادِ : (هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) .

* * *

قال القسطلانى – رحمه الله تعالى : وأخرجه البخارى أيضاً فى المظالم والأدب والتوحيد – وأخرجه مسلم فى التوبة – وأخرجه النسائى فى التفسير والرقائق – وأخرجه ابن ماجة فى السنّة . ا هـ قسطلانى ج ٤ ص ٢٥٨ .

شرح حديث

يدنو المؤمن من ربه من القسطلانى من كتاب المظالم جـ ٤ ص ٢٥٤ ، ومن كتاب التفسير ــ سورة هود عليه السلام جـ ٧ ص ١٧١

قال رحمه الله ــ : (حدثنا مسدد) هو ابن مسرهد (حدثنا يزيد زريع) بضم الزاى مصغرا (حدثنا سعيد وهشام) سعيد بن أبى عروبة ، وهشام بن أبى عبدا الدستوانى (حدثنا قتادة بن دعامة عن صفوان بن محرز) بضم الميم وسكون الحاء المهملة ، وكسر الراء ــ آخره زاى المازنى (قال : بينا ابن عمر) عبد الله بن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنهما (يطوف) بالكعبة (اذ عرض له رجل) ــ وفى المظالم بلفظ (بينا أنا أمشى مع ابن عمر رضى الله عنهما ــ آخذ بيده ، اذ عرض له رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ــ أو يا ابن عمر ، هل سمعت النبى ﷺ فى النجوى ؟) أى ما قال فى النجوى التى تكون فى القيامة بين الله تعالى وبين المؤمنين أى حين حسابهم ، وفى المظالم بلفظ كيف سمعت النبى ﷺ فى النجوى ، فقال : سمعت النبى ﷺ الله عليه وسلم يقول : يدنى المؤمن من ربه) وقال هشام فى روايته : (يدنو المؤمن ــ أى من ربه) .

وفى المظالم : (ان الله ــ عز وجل ــ يدنى المؤمن) أى يقربة (فيضع عليه كنفه) بفتح الكاف والنون ــ كنفه : جانبه ــ والدنو ، والكنف مجازان ، والمراد الستر ، والرحمة ــ أى ستره ــ والمراد : يستره عن أهل الموقف ، لئلا يفتضح بين أهل الموقف (فيقرره بذنوبه) يقول له : (تعرف ذنب كذا ؟) يقول العبد : أعرف رب ، أعرف مرتين (فيقول الله جل وعلا له : (سترتها عليك فى الدنيا ، وأغفرها لك اليوم ، ثم تطوى صحيفة حسناته) وفى رواية (ثم يعطى صحيفة حسناته (وأما الآخرون ــ أو الكفار) شك من الراوى ، وفى المظالم (وأما الكافر والمنافقون أو المنافق ، فينادى على رءوس الأشهاد : (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) ــ وفى الحديث دليل على أن ستر الله فى الآخرة لمن لم يتجاهر بالمعاصى فى الدنيا ، وكونت فى ستر الله تعالى ، أما من جهر وتجاهر بالمعصية فليس أهلا لستر الله عليه فى الآخرة ، وفى المظالم : (حتى اذا قرره بذنوبه ، ورأى فى نفسه أنه قد هلك) اللهم انا نسألك أن تستر علينا فى الدنيا والآخرة بحبك وفضلك يا كريم آمين .

حديث : (يلقى العبد ربه ، فيقول : أى فُلْ ، ألم أكرمك إلخ)

أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ـ من كتاب الزهد ج ١٠ ص ٣٤٢ هامش القسطلانى .

(٣٥٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى عُمَرَ ، حَدَّثَنَا سُفْيَان ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِى صَالِح ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَة ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : قالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، هلْ نرَى رَبَّنا ـ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قالَ : هلْ تُضارُّون فى رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فى الظَّهِيرَةِ ، ليْسَتْ فى سَحَابَةٍ ؟ قالُوا : لا ، قالَ : فهلْ تُضارُّون فى رُؤْيَةِ الْقمَرِ ليْلة الْبَدْرِ ليْس فى سَحَابَة ؟ قالُوا : لا ، قالَ : وَالَّذِى نفْسِى بِيَدِهِ ، لا تُضارُّون فى رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ ، إلاَّ كمَا تُضارُّون فى رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا ، قالَ : فيَلْقى الْعَبْدَ ، فيَقُولُ : أَىْ فُل ، أَلَمْ أُكْرِمْك ؟ وَأُسَوِّدْك ، وَأُزوِّجْك ، وَأُسَخِّرْ لك الْخيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذرْك ترْأَس ، وَترْبَعُ ؟ فيَقُولُ : بَلَى ، قالَ : فيقول : أفظننْت أنَّك مُلاقىَّ ؟ فيَقُولُ : لَا ، فيَقُولُ : فإِنِّى أَنْسَاك كمَا نسِيتنِى ، ثُمَّ يَلْقى الثَّانى ، فيَقُولُ : أَىْ فُل ، أَلمْ أُكْرِمْك ، وَأُسَوِّدْك ، وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ ؟ وَأَذَرْكَ تَرْأَس ، وَتَرْبَعُ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، أَىْ رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِىَّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ : فَإِنِّى أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِى ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ ، وَبِرُسُلِكَ ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ ،

وَيُثْنِى بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ ، فَيَقُولُ : هَهنَا إِذًا ، قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا ـ عَلَيْكَ ، وَيَتَفكَّرُ فى نَفْسِهِ : مَنْ ذَا الَّذِى يَشْهَدُ عَلَىَّ ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ : انْطِقِى ، فَتَنْطِقُ فَخذُهُ ، وَلَحْمُهُ ، وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ ، وَذَلِكَ لِيَعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ ، وَذَلكَ الَّذِى يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْه .

* * *

وأخرجه مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه فقال :

(٣٥٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر بْنِ النَّضْر بْن أَبِى النَّضْر ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْر هَاشِمُ بْنُ أَبِى الْقَاسِم ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ الأَشْجَعِىُّ ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِىِّ ، عَنْ عبيد الْمَكْتَبِ ، عَنْ فُضَيْلٍ عَن الشَّعْبِىِّ ، عَنْ أَنَس بْن مَالكٍ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُول اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَضَحِكَ ، فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ ؟ قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : مِن مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ : يَارَبِّ ، أَلَمْ تُجرْنِى مِنَ الظُّلْم ؟ قَالَ : يَقُولُ : بَلَى ، قَالَ : فيَقُولُ : فَإِنِّى لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِى إِلاَّ شاهِدًا مِنِّى ، قَالَ : فَيَقُولُ : كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ شَهِيدًا ، وَبِالْكِرَام الْكَاتِبِينَ شُهُودًا ، قَالَ : فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ : انْطِقى ، قَالَ : فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ ، قَالَ : ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَام ، قَالَ : فَيَقُولُ : بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ .

* * *

وأخرجه الترمذى فى جامعه عن أبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما ـ وهو مختصر عن روايتى مسلم المذكورتين هنا ، فقال :

(٣٥٥) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، وَأَبِى سَعِيد ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا : قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا ، وَمَالًا وَوَلَدًا ، وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقٍ يَوْمَكَ هَذَا ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ لَهُ : الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِى . قال أبو عيسى الترمذى : حديث صحيح غريب .

شرح الحديثين من النووى على صحيح مسلم

قوله : (لا تضارون فى رؤية ربكم ، الا كما تضارون فى رؤية أحدهما) أى ستـرون ربكم رؤية حقيقية ، يقينية ، لا تشكون فيها ، كما لا تشكون فى رؤيتكم الشمس دون سحابة ـ أو رؤيتكم القمر ليلة البدر ، دون سحابة

وقوله : (فيلقى العبد) أى فيلقى الله العبد (فيقول) له : (أى قل) أى يا فلان ، كناية عن اسمه ، وهو بضم الفاء ، واسكان اللام ، وهو ترخيم على غير قياس ، وقيل : هى لغة بمعنى فلان . حكاها القاضى .

وقوله : (ألم أكرمك وأسودك) أى ألم أجعلك سيدا على غيرك (وأزوجك) أى وأمتعك بزوجة خلقتها لك تسكن اليها (وجعل بينكم مودة ورحمة) ـ وأسخر لك الخيل والابل ، وأذرك) أى أتركك (ترأس) أى تكون رئيس القوم وكبيرهم (وتربع) وفى رواية : (ترتع) .

قال النووى ـ رحمه الله تعالى : ومعناه تأخذ المرباع الذى كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة ، وهو ربعها ـ يقال : ربعتهم ، أى أخذت ربع أموالهم ، ومعناه : ألم أجعلك رئيسا مطاعا ؟) .

وقال القاضى بعد حكاية نحو ما ذكرته : (عندى أن معناه ـ تركتك مستريحا لا تحتاج الى مشقة وتعب ، من قولهم : اربع على نفسك ، أى ارفق بها ، ومعناه بالمثناة (ترتع) : تتنعم ، وقيل : تلهو ، وقيل : تعيش فى سعة ـ وقوله : (فانى أنساك كما نسيتنى) أى

أمنعك الرحمة ، كما امتنعت من طاعتى ، وأتركك دون عطف ورحمة ، كما تركت طـاعتى ، دون تفكير فيها ـ وقوله ﷺ فى الحديث الأول : (فيقول الله تعـالى له : ههنا اذا) معناه : أن الله تعالى يقول ذلك للعبد الذى زعم أنه آمن بالله وبكتابه وبرسله وصلى وصام وتصدق الى آخر ما يقول ، وهو كاذب فى كل ذلك ، ويظن أن كذبه ينجيه ذلك اليوم ، وذلك هو المنافق الذى يقول الله تعالى فى وصفهم :

(يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء ألا انهـم هم الكاذبون) .

فيقول الله لمن صفته هكذا : (ههنا اذا) معناه قف ههنا ، حتى تشهد عليك جوارحك ، اذ كنت وصرت منكرا (ويقـول الله له : الآن نبعـث شـاهدنا عليك ، ويتفـكر) أى العبد (فى نفسه) قائلا : (من الذى يشهد على) جاهلا أن جوارحه هـى التى تشـهد عليه (فيختم على قلبه) أى يخرس فمه فلا يقدر على الكلام (وتنطق جوارحه بعمله) وذلك كمـا قـال تعالى : (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) .

(وذلك المنافق الذى يسخط الله عليه) فيقول لأركانه : بعدا لكنّ وسحقا) أى بعـدا عن رحمة الله ـ والسحق : أشد البغض (فعنكن كنت أناضل) أى انما أنكرت لأنى كنت أدافع عنكن ، فكيف تشهدن على ؟ وأنكن اللاتى سيكون العذاب عليكن ، ولكن أنطقهـا الله الذى أنطق كل شىء . نسأل الله تعـالى أن يسـتر عيوبنا ويغفـر ذنوبنا ويدخلنا الجنة بفضـله وكرمه . آمين .

حديث : (يجاءُ بابن آدم يوم القيامة ، فيوقف بين يدى الله) .

أخرجه الترمذى فى جامعه ـ باب ـ (ما جاءَ فى شأن الحشر) جـ ٢ ص ٦٩ فقال :

(٣٥٦) عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَن النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يُجَاءُ بابْن آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَأَنَّهُ بَذَج ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَى اللهِ ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : أَعْطَيْتُكَ وَخَوَّلْتُكَ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ ، فَمَاذَا صَنَعْتَ ؟ فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، جَمَعْتُهُ وَثَمَّرْتُهُ ، فَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ ، فَارْجِعْنِى آتِكَ بِهِ ، فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّمْ خَيْرًا ، ـ فَيُمْضَى بِهِ إِلَى النَّارِ) .

قال الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ فى وصف هذا الحديث :

(وقد روى هذا الحديث غير واحد عن الحسن ـ أحد رجال السند قوله : (ولم يسندوه ـ وإسماعيل بن مسلم أحد رجال السند ، وهو الذى روى عن الحسن ـ يضعف هذا الحديث من قبل حفظه . ا هـ) .

قوله : (كأنه بذج) ـ قال فى القاموس : البذج محركة : ولد الضأن ، كالعتود من المعز ، جمعه بذجان بالكسر . ا هـ

والحديث دليل على أن العبد اذا لم يقدم مما يملكه ـ شيئا لآخرته ، فلن يغنيه ذلك من الله شيئا ، قال تعالى : (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه)

فعلى العاقل ألا يغتر بكثرة ما يجمع ، ولكن يفرح بخير ما يقدم ، حتى لا يندم حيث لاينفعه الندم ، قال تعالى : (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت) وفقنا الله للعمل للآخرة آمين .

حديث : (من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى)

أَخرجه الترمذى ـ رحمه الله تعالى فى جامعه قبل أَبواب تفسير القرآن . جـ ٢ ص ١٥٢ :

(٣٥٧) عَنْ أَبِى سَعِيد الْخُدْرِىِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ الرَّبُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ ، وَذِكْرِى عَنْ مَسْأَلَتِى ، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطى السَّائِلِينَ ، وَفَضْلُ كَلَام اللهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلام كَفَضْل اللهِ عَلَى خَلْقِهِ .

(قال أَبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله تعالى : حديث حسن غريب)

* * *

(حديث سؤال نوح عليه السلام ؛ هل بلغت ؟)

أَخرجه البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ من كتاب الأَنبياء ـ عليهم السلام باب (إنا أَرسلنا نوحاً إلى قومه أَن أَنذر قومك . الآية) جـ ٤ ص ١٣٤ والقسطلانى جـ ٥ ص ٣٣٨ :

(٣٥٨) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِى صَالِح ، عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَجِىءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، أَىْ رَبِّ ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : لَا ، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِىٍّ ، فَيَقُولُ لِنُوح : مَنْ يَشْهَدُ

لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَأُمَّتُهُ ـ فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ ، وَهُوَ قَوْلَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) ـ والوسط : (العدل) .

* * *

وأخرجه البُخاري ـ رحمه الله تعالى أيضاً فى كتاب التفسير من تفسير سورة البقرة جـ ٦ ص ٣١ بلفظ قريب مما هنا .

* * *

(٣٥٩) وأخرجه الترمذى بلفظ قريب أيضاً عن أبى سعيد الخدرى وقال فيه :

(فيَقُولُون : مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ ، وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ ، فَيُقَالُ : مَنْ شُهُودُكَ ؟ .. إلى آخره) .

ثم قال : حديث حسن صحيح .

* * *

وأخرجه ابن ماجة فى باب صفة أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ جـ ٢ ص ٢٩٧ فقال :

(٣٦٠) عَنْ أَبِى سَعِيد الخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : يَجِيءُ النَّبِيُّ ـ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ ـ وَمَعَهُ الثَلَاثَةُ ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ ، فَيُقَالُ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : لاَ ، فَيُقَالُ : مَنْ شَهِدَ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، فَيُدْعَى أُمَّةُ



مُحَمَّد ، فَيُقَالُ : هَلْ بَلَّغ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ ؟ فَيَقُولُونَ : أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ ، أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا ، فَصَدَّقْنَاهُ ، قَالَ : فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)

قوله : (والوسط : العدل) ، قال القسطلانى ـ رحمه الله تعالى هذا من لفظ الحديث وليس مدرجا فيه . ا هـ وحديث ابن ماجة يدل على أن السؤال بلفظ : (هل بلغت قومك) ليس مختصا بنوح عليه السلام ، ـ بل ان ذلك يكون فى جميع الأنبياء أى المرسلين ـ مع أممهم .

فالأمم يجحدون ، والأنبياء يطلبون شهادة محمد ﷺ وأمته . فتشهد أمة محمد ﷺ ، (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أى شهيدا على شهادة أمته ، مزكيا لهم بأنهم شهداء عدول ، جزى الله تعالى عنا نبينا افضل ما جازى نبيا عن أمته آمين . وشفعه فينا يوم الزحام آمين .

والحمد لله رب العالمين .

٣٧ ــ (الجنة محرمة على الكافرين ولا تنفعهم قرابة)

حديث : (يلقى إِبْرَاهِيمُ عليه السلام آزَرَ يوم القيامة) أخرجه البخارى ــ رحمه الله تعالى ــ فى كتاب (بدءِ الخلق) .

باب قوله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلا) ج ٤ ص ١٣٩ :

(٣٦١) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِى أَخى عَبْدُ الْحَمِيدِ ، عَنِ ابْن أَبِى ذِئْبٍ ، عَنْ سَعِيد الْمَقْبُرِى عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ــ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ــ عَنِ النَّبِىِّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ : يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لَا تَعْصِنِى ، فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَالْيَوْمَ لا أَعْصِيكَ ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : يَارَبِّ ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِى أَنْ لاَ تُخْزِيَنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، وَأَىُّ خِزْىٍ أَخْزَى مِنْ أَبِى الأَبْعَدِ ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى : إِنِّى حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ يَا إِبْرَاهِيمُ ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ ؟ فَيَنْظُرُ ، فَإِذَا هُوَ بَذِيخٍ مُلْتَطِخٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ ، فَيُلْقَى فِى النَّارِ .

* * *

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب التفسير ــ من سورة الشعراء ج ٦ ص ١١١ بلفظ مختصر ــ وفى القسطلانى ج ٧ ص ٣٧٨ .

شرح الحديث

رقم ٣٦٢ من القسطلانى جـ ٥ ص ٣٤٣

(حدثنا اسماعيل بن عبد الله) بن أبى أويس الأصبحى ابن اخت الامام مالك ــ وأخوه عبد الحميد أبو بكر الأعشى بن أبى أويس . وابن أبى ذئب : محمد بن عبد الرحمن وسعيد بن أبى سعيد المقبرى ، بضم الباء ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال : يلقى ابراهيم ــ عليه السلام ــ أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة ، أى سواد كالدخان ، وغبرة أى غبار ، فيقول له ابراهيم ــ عليه السلام ــ ألم أقل لك : لاتعصنى) اشارة الى قوله تعالى : (يا أبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا) .

فيقول أبوه : (فاليوم لا أعصيك . فيقول ابراهيم ــ عليه السلام ــ : يارب انك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يبعثون) أى فانه دعا بذلك ولم يكن بدعاء ربه شقيا ، فهو كان يرجو الاجابة .

قال : (وأى خزى أخزى من أبى الأبعد) أى من رحمة الله ، فالفاسق بعيد من رحمة الله والكافر أبعد منه ــ قال تعالى : (ان رحمة الله قريب من المحسنين) . فيقول الله تعالى : (انى حرمت الجنة على الكافرين) أى وان أباك كافر ، فالجنة حرام عليه (ثم يقال : يا ابراهيم (ما تحت رجليك ؟) على الاستفهام ، ليلتفت عن النظر الى آزر (فاذا هو بذيخ) الذيخ يكسر الذال ، وسكون الياء ، آخره خاء معجمة : ضبع كثير الشعر (ملتطخ) أى بالدم أو بالرجيع الذى يخرج منه (فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار) .

وعند ابن المنذر : (فاذا رآه كذلك تبرأ منه ، وقال : لست أبى) ــ والحكمة فى مسخه ضبعا دون غيره من الحيوان أن الضبع أحمق الحيوان ، ومن حمقه أنه يغفل عما يجب التيقظ له ، فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس اليه ــ شبه به ــ والحديث دليل على أن شرف الولد لا ينفع الوالد اذ لم يكن مسلما ــ وكذا العكس . كنوح عليه السلام مع ابنه . والله أعلم .

حديث : (يقال لأهون أهل النار عذاباً)

أخرجه البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ من كتاب (بدءِ الخلق) .

باب (خلق آدم) جـ ٤ ص ١٣٤ شرح القسطلانى جـ ٥ ص ٣٢٤ وما بعدها :

(٣٦٢) حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْص ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِث ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِى عِمْرَانَ الْجَوْنِىِّ ، عَنْ أَنَس يَرْفَعُهُ : إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ لأَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا : لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَىْءٍ ، كُنْتَ تَفْتَدِى بِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْتَ فِى صُلْبِ آدَمَ : أَنْ لَا تُشْرِكَ بِى ، فَأَبَيْتَ .

* * *

وأخرجه البخارى فى باب ـ (صفة الجنة والنار) كتاب الرقاق قسطلانى جـ ٩ ص ٣٢١ بلفظ :

(٣٦٣) حَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِى عِمْرَانَ ـ أَى الجَوْنِىّ ـ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِك ـ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لأَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لَو أَنَّ لَكَ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَىْءٍ أَكُنْتَ

تَفْتَدِى بِهِ ؟ فيَقُولُ : نعَمْ ، فيَقُولُ : أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا ، وَأَنْتَ فى صُلْبِ آدَمَ : أَنْ لَا تُشْرِكَ بِى شَيْئًا ، فَأَبَيْتَ أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِى .

* * *

وأَخرجه الإمام مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ من باب الكفارات ج ١٠ ص ٢٦٤ هامش القسطلانى :

(٣٦٤) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذ الْعَنْبَرِىُّ ، حَدَّثَنَا أَبِى ، حَدَّثَنا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِى عِمْرَان الْجَوْنِىِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لأَهْوَن أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا ، لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا ؟ فيَقُولُ : نَعَمْ ، فيَقُولُ : قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا ، وَأَنْتَ فى صُلْبِ آدَمَ : أَنْ لَا تُشْرِكَ ـ أَحْسِبُهُ قَالَ : وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ ، فَأَبَيْتَ إلاَّ الشِّرْكَ .

* * *

(٣٦٥) وأَخرجه مسلم بسند آخر ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ نَبِىَّ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يُقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْض ذَهَبًا ، أَكُنْتَ تفْتَدِى بِهِ ؟ ـ فيَقُولُ : نعَمْ ، فَيُقَالُ لَهُ : قَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ .

* * *

(٣٦٦) وفى رواية أُخرى له :

(فَيُقَالُ لَهُ : كَذَبْتَ ، قَدْ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ) اهـ .

شرح الحديث
مأخوذ من شرح النووى على صحيح مسلم ـ
رحمهما الله تعالى

قال النووى ـ رحمه الله تعالى : (المراد بقوله : أردت منك فى الرواية الأولى طلبت منك ، وأمرتك ، وقد أوضحه فى الروايتين الأخيرتين بقوله : (سئلت أيسر من ذلك) فيتعين تأويل (أردت) على ذلك ، جمعا بين الروايات ، لأنه يستحيل عند أهل الحق أن يريد الله تعالى شيئا فلا يقع .

ومذهب أهل الحق أن الله تعالى مريد لجميع الكائنات : خيرها وشرها ، ومنها الايمان والكفر ـ فهو تعالى مريد لايمان المؤمن ، كما هو مريد لكفر الكافر ، خلافا للمعتزلة فى قولهم : انه أراد الايمان للكافر ، ولم يرد كفره ـ تعالى الله عن قولهم الباطل ـ فانه يلزم من قولهم اثبات العجز فى حقه تعالى ، وأنه وقع فى ملكه مالم يرده .

وأما الحديث فقدبينا تأويله ـ أى بما سبق .

وأما قوله : (كذبت) فالظاهر أن معناه : يقال له : لو رددنا الى الدنيا ، وكانت لك كلها ، أكنت تفتدى بها ؟ فيقول : نعم : فيقال له : كذبت ، قد سئلت أيسر من ذلك ، فأبيت .

ويكون هذا من معنى قوله تعالى : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) ـ ولابد من هذا التأويل ، ليجمع بينه وبين قوله تعالى : (ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) أى لو كان لهم ذلك كله يوم القيامة ، وأمكنهم الافتداء به ـ لافتدوا به .

وفى هذا الحديث دليل على أنه يجوز أن يقول الانسان : (الله يقول) وقد أنكره بعض السلف وقال : يكره أن يقول : (الله يقول) وانما يقال : (قال الله) ـ وقد قدمنا فساد هذا المذهب وبينا أن الصواب جواز ذلك . وبه قال عامة العلماء من السلف والخلف ، ـ وبه جاء القرآن العزيز فى قوله تعالى : (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) .

وفى الصحيحين أحاديث كثيرة مثل هذا . والله أعلم . اهـ من النووى .

وفى القسطلانى جـ ٥ ص ٣٢٤ : (يرفعه) أى الى النبى ﷺ (تفتدى به) أى لخلاص نفسه مما وقع فيه بدفع ما يملكه (سألتك ما هو أهون من ذلك) أى حين أخذ الميثاق ، فأبيت اذ أخرجتك الى الدنيا الا الشرك . اهـ قسطلانى .

٣٨ - (احتجاج الجنة والنار وشكوى النار)

حديث : (تحاجَّت الجنَّة والنَّار)

أخرجه البخارى - رحمه الله تعالى - فى كتاب التفسير - من سورة (ق) ج ٦ ص ١٣٨ فقال :

(٣٦٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّد ، حَدَّثَنا عَبْدُ الرَّازِقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّام ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : مَالِى لَا يَدْخُلُنِى إِلاَّ ضُعَفاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ ؟ قَالَ اللهُ - تَبارَكَ وَتَعَالَى - لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِى ، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِى ، وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِى ، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِى ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ ، حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ ، فَتَقُولُ : قَط ، قَط ، قَط ؛ فَهُنَاكَ تَمْتَلِئُ ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يُنْشِئُ اللهُ لَهَا خَلْقًا) .

***

وأخرجه البخارى فى كتاب التوحيد - باب ما جاء فى قول الله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) ج ٩ ص ١٣٤ قال بسنده إلى أبى هريرة .

(٣٦٨) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا ، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ : يَارَبِّ ، مَالَهَا ، لاَ يَدْخُلُهَا إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ ؟ وَقَالَتِ النَّارُ : ـ يعنى ـ أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ ، فَقَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِى ، وَقَالَ لِلنَّارِ : أَنْتِ عَذَابِى ، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا ، قَالَ : فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا فَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيد ؟ ـ ثلاثاً ـ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ ، فَتَمْتَلِئُ ، وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلى بَعْض ، وَتَقُولُ : قَطٍ ، قَطٍ ، قَطٍ .

* * *

وأخرج الحديث مسلم فى صحيحه فى باب جهنم ـ أعاذنا الله تعالى منها ـ وقد أخرجه الإمام مسلم بروايات متعددة عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ

(٣٦٩) أولاها : مثل رواية البخارى الأُولى ، المذكورة فى سورة (ق) وزاد فيها :

(وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فَمَالِى لَا يَدْخُلُنِى إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ) وقال فيها : (وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا) .

* * *

(٣٧٠) الرواية الثانية مثل الرواية الأُولى ، إلا أنه قال : (احْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ) .

* * *

(٣٧١) والرواية الثالثة : عن أبي هريرة من جملة أحاديث ، وقال فيها : (وَقَالَتِ الْجَنَّةُ) : فَمَالِى ، لَا يَدْخُلُنِى إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ ، وَسَقَطُهُمْ وَغَرَثُهُمْ) وهى مثل غيرها من الروايتين .

* * *

(٣٧٢) وأخرجه مسلم فى الرواية الرابعة عن أبي سعيد الخدرى ـ ـ رضى الله عنه ـ مثل حديث أبي هريرة ـ وقال : (وَلِكِلَيْكُمَا مِلْؤُهَا) ولم يذكر ما بعده من الزيادة .

* * *

ثم أخرجه مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ بسنده إلى أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ فقال :

(٣٧٣) عَنْ قَتَادَةَ ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ قَدَمَهُ ، فَتَقُولُ : قَطْ ، قَطْ ، وَعِزَّتِكَ ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ .

* * *

وأخرجه أيضاً عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ فقال :

(٣٧٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّهُ قَالَ : (لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا ، وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ ، فَيَنْزَوِى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ،

وَتَقُولَ : قَط ، قَط ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ ، وَلَا يَزَالُ فى الْجَنَّةِ فَضْلٌ ، حَتَّى يُنْشِىءَ اللهُ لَهَا خَلْقًا ، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ .

* * *

(٣٧٥) وقال مسلم فى رواية أيضاً :

(عَنْ أَنَس - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِىِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : يَبْقَى مِنَ الْجَنَّة مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَبْقَى ، حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا مِمَّا يَشَاءُ) .

* * *

وأخرج الترمذى - رحمه الله تعالى - حجاج الجنة والنار ، فقال بسنده :

(٣٧٦) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : احْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ : يَدْخُلُنِى الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ ، وَقَالَتِ النَّارُ : يَدْخُلُنِى الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ ، فَقَالَ لِلنَّارِ : أَنْتِ عَذَابِى ، أَنْتَقِمُ بِكِ مِمَّنْ شِئْتُ ، وَقَالَ لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِى ، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ شِئْتُ .

شرح أحاديث
البخارى من القسطلانى جـ ٧ ص ٣٥٤

(حدثنا عبد الله بن محمد) المسندى (عبد الرزاق بن همام) بتشديد الميم وفتح الهاء (معمر) بن راشد - همام بن منبه . (تحاجت الجنة والنار) أى تخاصمت بلسان المقال - ولا حرج فى ذلك على قدرة الله تعالى - أو بلسان الحال .

(فقالت النار : أثرت) بضم الهمزة مبنيا للمفعول ، بمعنى اختصصت (بالمتكبرين والمتجبرين) مترادفان لغة ، فالثانى تأكيد لسابقه ، أو المتكبر : المتعظم بما ليس فيه ،

والمتجبر : الممنوع الذى لا يوصل اليه ، أو الذى لا يكترث بأمر الضعفاء من الناس وسقطهم .

(وقالت الجنة : مالى ؟ لا يدخلنى الا ضعفاء الناس) الذين لا يلتفت اليهم لمسكنتهم (وسقطهم) بفتحتين : هم المحتقرون بين الناس ، الساقطون من أعينهم ، لتواضعهم الى ربهم ، وذلتهم له (قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتى) سماها رحمة ، لأن بها تظهر آثار رحمته تعالى ، كما قال : (أرحم بك من أشاء من عبادى) والا فرحمة الله تعالى من صفاته التى لم يزل بها موصوفا (وقال للنار : انما أنت عذاب) وفى نسخة : عذابى ، أعذب بك من أشاء من عبادى ، ولكل واحدة منهما وفى نسخة منكما ملؤها ، ـ (فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله) ـ وفى مسلم : (حتى يضع الله رجله) .

وأنكر ابن فورك لفظ ـ (رجله) وقال : انها غير ثابتة ـ وقال ابن الجوزى : هى تحريف من بعض الرواة .

ورد عليهما برواية الصحيحين بها ، وأولت بالجماعة ، كرجل من جراد ، أى يضع فيها جماعة ، وأضافهم اليه اضافة اختصاص .

وقال محييا لسنة : القدم والرجل فى هذا الحديث من صفات الله المنزهة عن التكييف والتشبيه ، فالايمان بها فرض ، والامتناع عن الخوض فيها واجب ، فالمهتدى من سلك فيها طريق التسليم ، والخائض فيها زائغ ، والمنكر معطل ، والمكيف مشبه ، (ليس كمثله شىء) .

(فتقول) أى النار اذا وضع رجله فيها : (قط ، قط ، قط) ثلاثا ، بتنوينها مكسورة ، ومسكنة .

وعند أبى ذر : (مرتين فقط) ـ فهناك تمتلىء ويزوى) بضم أوله ، وفتح ثالثه (بعضها الى بعض) أى تجتمع وتلتقى على من فيها ، ولا ينشىء لها خلقا (ولا يظلم الله ـ عز وجل ـ من (خلقه أحدا) . أى لم يعمل سوءا .

(وأما الجنة فان الله عز وجل ينشىء لها خلقا) أى لم يعملوا خيرا قط حتى تمتلىء فالثواب ليس موقوفا على العمل .

وفى حديث أنس عند مسلم مرفوعا : (يبقى من الجنة ما شاء الله ، ثم ينشىء لها مما يشاء) ـ وفى رواية له : (ولا يزال فى الجنة فضل ، حتى ينشىء الله لها خلقا ، فيسكنهم فى فضل الجنة) اهـ من القسطلانى كتاب التفسير ج ٧ ص ٣٥٥

وقال القسطلانى فى شرح الحديث ، من كتاب التوحيد ـ باب ـ (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ج ١٠ ص ٤١٣

(اختصمت الجنة والنار الى ربهما) تعالى ، مجازا عن حالهما المشابه للخصومة ، أو حقيقة بأن خلق الله فيهما الحياة والنطق ـ والله أعلم

وقال أبو العباس القرطبى : يجوز أن يخلق الله ذلك القول ، فيما شاء من أجزاء الجنة والنار ، لأنه لا يشترط عقلا فى الأصوات أن يكون محلها حيا على الراجح ، ـ ولو سلمنا الشرط ، لجاز أن يخلق الله تعالى فى بعض أجزائها ، الجمادية حياة ، لاسيما وقد قال بعض المفسرين فى قوله تعالى : (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) . ان كل ما فى الجنة حى . ويحتمل أن يكون ذلك بلسان الحال ، والأول أولى .

واختصامهما : هو افتخار احداهما على الأخرى بمن يسكنها ، فتظن النار أنها بمن ألقى فيها من عظماء الدنيا آثر عند الله من الجنة ، وتظن الجنة أنها بمن يسكنها من أولياء الله تعالى آثر عند الله من النار .

(فقالت الجنة : مالها ؟) مقتضى الظاهر أن تقول : (مالى) ؟ ولكنها تقول ذلك على طريق الالتفات (لا يدخلها الا ضعفاء الناس وسقطهم) أى الضعفاء الساقطون من أعين الناس ، لتواضعهم لربهم وذلتهم له (فقال الله) مجيبا لهما ، ومبينا بأنه فضل لاحداكما على الأخرى ، من طريق من يسكنكما ، ـ وقد رد الله ذلك الى مشيئته ، فقال تعالى (للجنة : أنت رحمتى ، وقال للنار : أنت عذابى ، أصيب بك من أشاء ، ولكل منكما ملؤها ، فأما الجنة فان الله لا يظلم من خلقه أحدا ، وأنه ينشىء للنار من يشاء) من خلقه (فيلقون فيها ، فتقول : هل من مزيد ؟ ثلاثا ـ حتى يضع فيها قدمه) هو عبارة عن زجرها ، وتسكينها ، كما يقال : جعلته تحت رجلى ، ووضعته تحت قدمى ، (فتمتلىء ويرد بعضها) بضم الياء وفتح الراء (الى بعض ، وتقول : قط ، قط ، قط) بالتكرار ثلاثا ، للتأكيد مع فتح القاف وتسكين الطاء ، مخففة فيها ـ أى حسبى .

وهذا الحديث قد سبق فى سورة ـ ق ـ بخلاف هذه الرواية ، فانه قال هناك : (وأما النار فتمتلىء ، ولا يظلم الله من خلقه أحدا ، وأما الجنة ، فان الله ينشىء لها خلقا) ـ وكذا فى صحيح مسلم قال : (وأما الجنة فان الله ينشىء لها خلقا) .

فقال جماعة : ان الذى ورد هنا من المقلوب ، وجزم ابن القيم بأنه غلط ، محتجا بأن الله تعالى أخبر بأن جهنم تمتلىء من ابليس وأتباعه . أى بقوله تعالى : (لأملأن جنهم من الجنة والناس أجمعين) .

وكذا أنكرها البلقينى ، واحتج بقوله : (ولا يظلم ربك أحدا) .

وقال أبو الحسن القابسى : المعروف أن الله ينشىء للجنة خلقا ، ـ قال : ولا أعلم فى شىء من الأحاديث أنه ينشىء للنار خلقا ، الا هذا الحديث . اهـ

واحتج بأن تعذيب غير العاصى لا يليق بكرمه تعالى ، بخلاف الانعام على غير المطيع . ـ وقال البلقينى : حمله على أحجار تلقى فى النار أقرب من حمله على ذى روح يعذب بغير ذنب . اهـ

قال فى الفتح : ويمكن أن يكونوا من ذوى الأرواح ، ولكن لا يعذبون فيها ، كما فى الخزنة الذين يتولون تعذيب أهل النار .

ويحتمل أن يراد بالانشاء ابتداء ادخال النار . وعبر عن ابتداء الادخال بالانشاء فهو انشاء الادخال ، ـ لا الانشاء بمعنى ابتداء الخلق ، بدليل قوله : (فيلقون فيها ، وتقول : هل من مزيد ؟) . اهـ ما قاله القسطلانى هنا

شرح أحاديث الامام مسلم

وهو مأخوذ من شرح الامام النووى جـ ١٠ ص ٢٩٧ هامش القسطلانى .

قال ـ رحمه الله : (قوله ﷺ : تحاجت النار والجنة . . . الخ) .

هذا الحديث على ظاهره ، وأن الله تعالى جعل فى النار والجنة تمييزا ، تدركان به ، فتحاجتا ، ولا يلزم هذا أن يكون ذلك التمييز فيهما دائما .

وقوله ﷺ : (وقالت الجنة : فمالى ، لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم) ـ أما سقطهم فبفتح السين والقاف وأما عجزهم فبفتح العين والجيم ، جمع عاجز ، أى العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها والثروة والشوكة ـ والسقط : الضعفاء المحتقرون منهم .

وأما رواية محمد بن رافع ففيها : (لا يدخلنى الا ضعاف الناس وغرثهم) فروى على ثلاثة أوجه ، حكاها القاضى ، وهى موجودة فى النسخ . أحدها ـ غرثهم ـ بغين معجمة مفتوحة ، وراء مفتوحة ، وثاء مثلثة ، قال القاضى : هذه رواية الأكثرين من شيوخنا .

ومعناها البله الغافلون ، الذين ليس لهم والغرث : الجوع . والثانى ـ عجزتهم ـ بعين مهملة مفتوحة ، وجيم وزاى ، وتاء ، جمع عاجز كما سبق .

والثالث ـ غرتهم ـ بغين معجمة مكسورة ، وراء مشددة ، وتاء مثناة فوق ، وهذا هو الأشهر فى نسخ بلادنا .

ومعناها : البله الغافلون ، الذين ليس لهم فتك ، وحذق فى أمور الدنيا ـ وهو نحو الحديث الآخر (أكثر أهل الجنة البله) .

قال القاضى : معناه سواد الناس وعامتهم من أهل الايمان ، الذين لا يفطنون للسنة ، فيدخل عليهم الفتنة ، أو يدخلهم فى البدعة أو غيرها ، فهم ثابتو الايمان ، وصحيحو العقيدة ، وهم أكثر المؤمنين ـ وهم أكثر أهل الجنة ، وأما العارفون والعلماء العاملون ، والصالحون والمتعبدون ، فهم قليلون ، وهم أصحاب الدرجات العلى . ـ قال : وقيل : معنى الضعفاء هنا وفى الحديث الآخر : (أهل الجنة كل ضعيف متضعف) أنه الخاضع لله تعالى ، المذل نفسه لله تعالى ، ـ ضد المتكبر المتجبر .

وقوله ﷺ : (فتقول : قط ، قط) باسكان الطاء فيهما ، وبكسرها منونة ، وغير منونة .

وقوله ﷺ : (فلا تمتلىء حتى يضع الله ـ تبارك وتعالى ـ رجله)

وفى الرواية التى بعدها : (لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع فيها رب

العزة ـ تبارك وتعالى ـ قدمه ، فتقول : قط ، قط) .

وفى الرواية الأولى : (فيضع قدمه عليها) .

هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات ـ وقد سبق مرارا بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين :

أحدهما ـ وهو قول جمهور السلف ، وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم فى تأويلها ، بل نؤمن أنها حق على ما أراده الله تعالى ، ولها معنى يليق بها ، وظاهرها غير مراد .

والثانى ـ وهو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها .

فعلى هذا اختلفوا فى تأويل هذا الحديث ، فقيل : المراد بالقدم هنا : المتقدم ، وهو شائع فى اللغة ، ومعناه : حتى يضع الله ـ تعالى ـ فيها من قدمه لها من أهل العذاب .

قال المازرى والقاضى : هذا تأويل النضر بن شميل ، ونحوه عن ابن الأعرابى ، الثانى ـ أن المراد قدم بعض المخلوقين ، فيعود الضمير فى قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم .

الثالث ـ أنه يختمل أن يكون فى المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية .

وأما الرواية التى فيها : (حتى يضع الله فيها رجله) فقد زعم الامام أبو بكر بن فورك أنها غير ثابتة عند أهل النقل ، ولكن قد رواها مسلم وغيره ، فهى صحيحة ـ وتأويلها كما سبق فى القدم .

ويجوز أن يراد بالرجل الجماعة من الناس ، كما يقال : رجل من جراد ، أى قطعة منه .

قال القاضى : أظهر التأويلات ـ أنهم قوم استحقوها ، وخلقوا لها ، قالوا : ولابد من صرفه عن ظاهره ، لقيام الدليل القطعى على استحالة الجارحة على الله تعالى . اهـ من النووى على مسلم . والله أعلم .

نسألك اللهم أن تنجينا من النار ، وتدخلنا الجنة بمنك وفضلك مع الأبرار ، وتمتعنا بالنظر الى وجهك الكريم ـ آمين يارب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حديث : (اشتكت النار إلى ربها)

أخرجه البخارى ـ رحمه الله ـ فى كتاب (بدء الخلق ـ باب صفة النار) ـ جـ ٤ ص ١٤٠ .

(٣٧٧) حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَان ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، عَنِ الزُّهْرِى ، قَالَ : حَدَّثَنِى أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : اشْتَكَتِ النَّارُ إِلى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ ، أَكَلَ بَعْضِى بَعْضًا ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْن : نَفَسٍ فى الشِّتَاءِ ، وَنَفَسٍ فى الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ .

شرح الحديث من القسطلانى جـ ٥ ص ٢٨٨

(اشتكت النار الى ربها) أى اشتكت حقيقة بلسان المقال ، بحياة يخلقها الله تعالى فيها ، أو مجازا بلسان الحال ـ عن غليانها ، وأكل بعضها بعضا ـ فقالت : يارب ، أكل بعضى بعضا ، فأذن لها ربها (بنفسين) حملها البيضاوى على المجاز ، وغيره حملها على النفس الحقيقى ، وهو فى الأصل ما يخرج من الجوف ويدخل فيه من الهواء : (نفس فى الشتاء ، ونفس فى الصيف) بجر نفس على البدلية (فأشد ما تجدون فى الحر) وفى رواية : (من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير) أى هذا كله من ذلك النفس .

والذى خلق الملك من الثلج والنار قادر على اخراج الزمهرير من النار اهـ قسطلانى والله أعلم .

٣٩ ــ (ما جاء فى حوض النبى صلى الله عليه وسلم)

حديث الحوض أخرجه البخارى ــ رحمه الله تعالى ــ فى باب الحوض ــ جـ ٨ ص ١١٩ .

(٣٧٨) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَر ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنِ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ــ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ــ عَنِ النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ : أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْض ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِى رِجَالٌ مِنْكُمْ ، ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونى ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، أَصْحَابِى ، فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ .

* * *

وأخرجه البخارى بسند آخر ، عن حذيفة ــ رضى الله عنه عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وأخرجه مسلم من طريق حصين عن أبى وائل ، عن حذيفة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

* * *

وأخرجه البخارى أيضاً بسنده إلى أنس بن مالك ــ رضى الله عنه عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال :

(٣٧٩) حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ، عَنْ أَنَس ــ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ : لَيَرِدَنَّ عَلَىَّ نَاسٌ مِنَ أَصْحَابِى الْحَوْض حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ ،

اخْتُلِجُوا دُونِى ، فَأَقُولُ : أَصْحَابِى ، فيَقُولُ : لَا تَدْرِى ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ .

وأخرج مسلم الحديث فى المناقب . اهـ قسطلانى .

* * *

وأخرجه البخارى أيضاً بسنده إلى سهل بن سعد — رضى الله عنه — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال :

(٣٨٠) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِى مَرْيَمَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّف ، حَدَّثَنِى أَبُو حَازِم ، عَنْ سَهْل بْنِ سَعْد ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ — قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : إِنِّى فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، مَنْ مَرَّ عَلَىَّ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، لَيَرِدَنَّ عَلَىَّ أَقْوَامٌ ، أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِى ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ .

قَالَ أَبُو حَازِم : فَسَمِعَنِى النُّعْمَانُ بْنُ أَبِى عِيَاشٍ ، فَقَالَ : هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ عَلَى أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ — رَضِىَ اللهُ عَنْهُ — لَسَمِعْتُهُ ، وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا :

(فَأَقُولُ : إِنَّهُمْ مِنِّى ، فَيُقَالُ : إِنَّكَ لاَ تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ : سُحْقًا ، سُحْقًا ، لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِى) .

* * *

وأخرجه البخارى أيضاً بسنده إلى أبى هريرة — رضى الله عنه — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال :

(٣٨١) وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبِ بْنِ سَعِيد الْحَبَطِىُّ ، حَدَّثَنَا أَبِى ، عَنْ يُونُسَ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ —

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِى ، فَيُجْلَوْنَ عَنِ الْحَوْضِ ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، أَصْحَابِى ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ لاَ عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى .

وَقَالَ شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِى : كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يُحَدِّثُ عَن النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : (فَيُجْلَوْنَ) ـ وَقَالَ عُقَيْلٌ ـ أى عن الزهرى : (فَيُحَلَّئُونَ) .

***

وأخرجه البخارى أيضاً عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ بلفظ أطول مما سبق فقال :

(٣٨٢) حَدَّثَنِى إِبْرَاهِيمُ بن الْمُنْذِرِ الحزامىُّ ، حَدَّثَنِى محمد بن فُلَيْح حَدَّثَنَا أَبِى ، حَدَّثَنَا هِلاَلٌ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَار ، عَنْ أَبِى هُرَيرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ ، فَإِذَا زُمْرَةٌ ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهم ، خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : هَلُمَّ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ ؟ قَالَ : إِلَى النَّارِ وَاللهِ ، قُلْتُ : وَمَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى ، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ ، خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِى وَبَيْنِهِمْ ، فَقَالَ : هَلُمَّ ، قُلْتُ : أَيْنَ ؟ قَالَ : إِلَى النَّارِ وَاللهِ ، قُلْتُ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلاَّ مِثْلُ هَمَلِ النَّعَم .

***

وأخرجه البخارى أيضاً بسنده عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فى الباب نفسه جـ ٩ ص ٣٤٣ قسطلانى ، فقال :

(٣٨٣) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِى مَرْيَمَ ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ - أى ابن عبد الله الجمحى - قَالَ : حَدَّثَنِى ابْنُ أَبِى مُلَيْكَةَ ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَتْ : قَالَ النَّبِىُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِنِّى عَلَى الْحَوْضِ ، حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَىَّ مِنْكُمْ ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ مِنْ دُونِى ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ مِنِّى ، وَمِنْ أُمَّتِى ، فَيُقَالُ : هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ ؟ وَاللهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُون عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، فكَانَ ابْنُ أَبِى مُلَيْكَةَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا ، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا

(أعقابكم تَنْكِصُونَ : تَرْجِعُونَ إِلى الْعَقَبِ) .

شرح حديث الحوض

روايات البخارى من شرح القسطلانى

أولا : شرح حديث ابن مسعود - رضى الله عنه :

قوله : (أنا فرطكم على الحوض) فرطكم بفتح الفاء والراء ، بعدها طاء مهملة ، أى سابقكم اليه ، لأصلحه وأهيئه لكم .

والفرط : الذى يتقدم الواردين ، ليصلح لهم الحياض . فهنيئا لوارديه ، جعلنا الله تعالى منهم ، بوجهه الكريم ، من غير عذاب ، انه كريم وهاب .

وفيه بشارة عظيمة بهذه الأمة المحمدية ، - زادها الله شرفا به آمين .

(وليرفعن رجال منكم ، حتى أراهم) - اللام للقسم ، والفعل مبنى للمجهول ، وهو مبنى على الفتح ، لاتصاله بنون التوكيد ، ورجال نائب فاعل ، أى ليظهرن له رجال ، حتى يراهم بعينه .

(ثم ليختلجن) بضم الجيم ، وواو الجماعة محذوفة ، لالتقاء الساكنين ، أى يجتذبون ويقتطعون عنى (فأقول : يارب ، أصحابى) أى من أمتى (فيقال : انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك) أى من الردة عن الاسلام أو من المعاصى . اهـ

ثانيا ـ شرح حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه . (قوله : ليردن) من الورود (على ناس من أصحابى) أى من أمتى (الحوض حتى اذا عرفتهم اختلجوا) بالبناء للمجهول ، أى جذبوا وأخذوا بشدة (دونى) أى بالقرب منى (فأقول : أصحابى) وفى رواية : (أصيحابى) بالتصغير للتقليل (فيقول : لا تدرى ما أحدثوا بعدك) من المعاصى ، التى هى سبب الطرد والحرمان من الشرب . اهـ والله أعلم .

ثالثا ـ شرح حديث سهل بن سعد ـ رضى الله عنه .

عن النبى ﷺ قال : (أنا فرطكم على الحوض ، من مر على شرب) أى من مكن من المرور على شرب منه ـ وفى رواية : (يشرب) بالمضارع المجزوم ـ وزاد ابن أبى عاصم : (ومن صرف عنه لم يرد أبدا) ـ (ومن شرب منه لم يظمأ أبدا ، وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوننى) .

وفى رواية : (ويعرفونى) (ثم يحال بينى وبينهم) .

قال أبو حازم ، أحد رواة الحديث : (فسمعنى النعمان بن أبى عياش ، فقال : هكذا سمعت من سهل ؟) بتقدير همزة الاستفهام قبل ـ هكذا (فقلت : نعم) (فقال النعمان : أشهد على أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه لسمعته ـ وهو يزيد فيها) أى عن النبى ﷺ : (فأقول : انهم منى) أى ان الذين يحال بينى وبينهم ـ هم من أمتى (فيقال : انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك) أى من المعصية الموجبة لطردهم ، وبعدهم عن الحوض (فأقول : سحقا ، سحقا) أى بعدا وكررها تأكيدا ـ فبعدا (لمن غير بعدى) أى غير دينه ، لأنه لا يقال للعصاة بغير الكفر : (سحقا ، سحقا) بل يشفع لهم ، ويهتم بأمرهم ، كما هو بالمؤمنين رءوف رحيم ـ ﷺ ونفعنا بشفاعته آمين . والله أعلم .

رابعا ـ شرح حديث أبى هريرة الأول ـ رضى الله عنه ـ

قوله : (يرد على يوم القيامة رهط) الرهط : ما دون العشرة الى اربعين . (من أصحابى ، فيجلون) مبنى للمجهول ـ من الاجلاء ـ أى يبعدون ويطردون ويصرفون عن الحوض .

وفى رواية : (فيحلئون) بالحاء والهمزة ، وتشديد اللام ، أى يطردون ـ (عن الحوض ، فأقول : يارب أصحابى) ، فيقول الله تعالى : (انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك) انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ، القهقرى نصب على المصدرية ، لفعل من غير لفظه ، كقولك : قعدت جلوسا ـ ورجعت القهقرى ، وهى الرجوع الى خلف ، فكأنك رجعت الرجوع ، الذى يعرف بهذا الاسم .

وقال ابن الأثير : القهقرى ـ المشى الى خلف من غير أن يعيد وجهه ، الى جهة مشيه . قيل : انه من باب القهر ، ـ وقال الأزهرى : معناه الارتداد عما كانوا عليه . اهـ

خامسا ـ شرح حديث أبى هريرة الثانى الطويل ـ رضى الله عنه ـ قوله : (بينا أنا نائم) أى على الحوض (فاذا زمرة) أى جماعة ـ وفى رواية : بينا أنا نائم) .

قال القسطلانى : ويحتمل أن توجه رواية النون ـ أنه رأى ذلك فى المنام وهو ما سيقع فى الآخرة ـ أى ورؤيا الأنبياء وحى .

(حتى اذا عرفتهم خرج رجل) أى ملك ـ على صورة رجل ـ موكل بذلك (من بينى وبينهم) ـ فقال لهم : هلم ـ أى تعالوا (فقلت له : أين) تذهب بهم (قال) الملك : أذهب بهم إلى (النار والله) بالخفض بواو القسم (قلت) له : (وما شأنهم ؟) حتى تذهب بهم الى النار (قال) الملك : (انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى) وهو الرجوع الى خلف (ثم اذا زمرة ، حتى اذا عرفتهم ، خرج رجل من بينى وبينهم ، فقال : هلم) أى تعالوا (قلت : أين ؟ قال : الى النار والله ، قلت : وما شأنهم ؟ قال : انهم ارتدوا بعدك ، على أدبارهم القهقرى ، فلا أراه) بضم الهمزة ، أى فلا أظن أنه (يخلص منهم) أى من هؤلاء الذين دنوا من الحوض ، وكادوا يردونه ، فصدوا عنه ـ وفى رواية : (فيهم) بدل ـ منهم (الا مثل همل النعم) بفتح الهاء والميم ، أى ضوال الابل ، واحدها هامل ـ أو هى الابل بلا راع ، ولا يقال ذلك فى الغنم ، يعنى أن الناجى منهم قليل ، فى قلة النعم الضالة ، وهذا يشعر بأنهم صنفان : كفار وعصاة . اهـ

سادسا ـ شرح حديث أسماء بنت أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما ـ

عن النبى ﷺ قال : (انى على الحوض) أى يوم القيامة ـ (حتى أنظر) بالرفع ، والنصب ، أى حتى أن أنظر (من يرد على منكم ، وسيؤخذ ناس من دونى) أى بالقرب منى (فأقول : يارب ، منى ومن أمتى) هذا أعم من قوله : أصيحابى ـ أو أصحابى (فيقال : هل شعرت) أى هل علمت (ما عملوا بعدك ؟ ـ والله ما برحوا) أى ما زالوا (يرجعون على أعقابهم) أى مرتدين .

(فكان ابن أبى مليكة) أى الراوى عن أسماء (يقول : اللهم انا نعوذ بك أن نرد على أعقابنا ـ أو نفتن عن ديننا) .

قال القسطلانى ـ رحمه الله ـ : وفيه أشارة الى أن الرجوع على العقب كناية عن مخالفة الأمر ، الذى تكون الفتنة بسببه ، فاستعاذ منهما جميعا لذلك . والله أعلم . اهـ قسطلانى .

وهذه مباحث فى الكلام على الحوض من القسطلانى جـ ٩ ص ٣٣٥ .
ذكرناها لأهميتها : تتميما للفائدة ، والله المستعان .

قال فى الصحاح : الحوض واحد الأحواض والحياض ، وحضت أحوض : اتخذت حوضا ، واستحوض الماء : اجتمع ، والمحوض بالتشديد : شىء كالحوض ، يجعل للنخلة تشرب منه .

وقال ابن قرقول : والحوض حيث تستقر المياه ، أى تجتمع لتشرب منها الابل . اهـ

واختلف فى حوضه ـ ﷺ : هل هو قبل الصراط أو بعده ؟

قال أبو الحسن القابسى : الصحيح أن الحوض قبل الصراط .

قال القاضى فى تذكرته : والمعنى يقتضيه ، فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم ـ واستدل بما فى البخارى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ مرفوعا : (بينا أنا قائم على الحوض ، اذا زمرة ، حتى اذا عرفتهم ، خرج رجل من بينى وبينهم ، فقال : هلم ، فقلت : أين ؟ قال : الى النار والله . . . الحديث .

قال القرطبى : فهذا الحديث يدل على أن الحوض يكون فى الموقف قبل الصراط لأن الصراط ، انما هو جسر ممدود ، يجاز عليه ، فمن جازه سلم من النار .

وقال آخرون : انه بعد الصراط ـ وصنيع البخارى فى ايراده لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة ، وبعد نصب الميزان مشعر بذلك .

وفى حديث أنس عن الترمذى ما يدل له ، ولفظه :

(سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى ؟ فقال : أنا فاعل ، فقلت أين أطلبك ؟ قال : أطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط ، قلت : فان لم ألقك ؟ قال : أنا عند الميزان ، قلت : فان لم ألقك ؟ قال : أنا عند الحوض) .

ويؤيده ظاهر قوله ﷺ فى حديث الحوض : (من شرب منه لم يظمأ أبدا) لأنه يدل أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ، لأن ظاهر حال من لا يظمأ أن لا يعذب فى النار ـ ثم قال :

وأما حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ المستدل به على القبلية ـ فأجيب عنه باحتمال أنهم يقربون من الحوض ، بحيث يرونه ، ويرون ، فيدفعون الى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط . فليتأمل . اهـ

ونقول : قد تأملناه فوجدناه غير قوى اذا عرضناه على طريق البحث ، لأن حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ صريح فى أن ذلك يكون فى الموقف ، والنبى ﷺ قائم على الحوض ، فيفاجأ بهذه الزمرة ترد للشرب ، فيخرج رجل ، من بينه وبينهم ، فيحول بينهم وبين الحوض ، فالتأويل الذى ذكره بعيد جدا .

وأما التأييد الذى قاله من حديث صفة الحوض ، وهو : (من شرب منه لم يظمأ أبدا) فلا يتم به ذلك له ، لأنه ظاهره الدلالة على أنه فى الموقف قبل الصراط ، ويكون الشرب منه لدفع العطش الذى يكون فى الموقف ، ولمنع حدوث العطش بعد ذلك كما يكون علامة للنجاة من النار ، ـ ولو كان بعد الصراط فى الجنة ، فماذا تكون الفائدة فيه ـ والجنة لا ظمأ

فيها ــ وانما يحتاج الشرب منه من كان فى الموقف ، فمن شرب منه حينئذ لا يظمأ أبدا ، ولا يعذب فى النار ، وينجو من كلاليب الصراط .

وأما تأويلهم لحديث أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ بأنهم يقربون منه على الصراط ثم يقعون فى النار ، فهذا التأويل لا يخطر ببال أحد يبحث فى العلم .

على أن هذا الحديث قد ذكر فيه : (فأقول : أين ؟ فيقول : الى النار ، فيقال : انك لا تدرى ماحدثوا بعدك) ــ وذلك كالصريح فى أن ذلك فى الموقف قبل الصراط . اهـ والله أعلم .

ثم قال القسطلانى : (وقال صاحب التذكرة : والصحيح أن له ﷺ حوضين : أحدهما فى الموقف قبل الصراط والآخر فى الجنة ، وكلاهما فى الجنة ، وكلاهما يسمى كوثرا . اهـ

وتعقبه القسطلانى بأن الكوثر نهر فى الجنة ، وماؤه يصب فى الحوض ، ويطلق على الحوض أيضا ــ كوثر ، لكونه يمد منه .

وفى حديث أبى ذر عند مسلم : (ان الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة) .

وقد سبق أن الصراط جسر جهنم ، وأنه بين الجنة وأرض الموقف ، فلو كان الحوض دونه ، لحالت النار بينه وبين الماء الذى يصب من الكوثر فى الحوض . والله أعلم .

ونقول : هذا التعقيب غير ظاهر ، لأنه قاس أمر الآخرة على شئون الدنيا ، وقال : ان النار تحول بين مرور الماء من الكوثر الذى فى الجنة ــ أى الى الحوض ــ وذلك فيه قياس لعالم الغيب ــ الذى ليس له مصدر الا السمع ــ على عالم الشهادة ، فهو كلام فى أمر ليس للعقل فيه مجال ، وانما مصدره السمع كما تقدم . والله أعلم .

على أنه ليس أحد يعلم باليقين مكان النار ، حتى يجزم بأنها تحول بين ماء الكوثر وبين الحوض .

زد على ذلك ما قدمناه من أن الحوض انما يحتاج اليه فى موقف ، يتعرض الناس فيه للعطش الشديد ، وذلك انما يتحقق فى الموقف ــ أو النار ــ وأهل النار مقطوع بحرمانهم من كل ما يدفع عنهم العطش ، فقد قال الله تعالى :

(ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) .

وأما أهل الجنة فهم فى أعظم نعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ومن كأس كان مزاجها كافورا ومن كأس كان مزاجها زنجبيلا فلم يبق هناك مكان يحتاج المؤمن فيه الى دفع العطش الا أرض الموقف . والله أعلم .

هذا هو الذى يقتضيه البحث العلمى ــ ان كان ذلك موكولا الى البحث والعقل ولكن قد بينت أن ذلك ليس له مصدر الا السمع ، وقد ثبت ذلك السمع بحديث أبى هريرة وغيره . وهذا ما ظهر . والله أعلم .

(تتمة تتعلق بالحوض)

نذكر فيها الأحاديث التى ذكرها البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ فى وصف الحوض ، فقد ذكر فى باب الحوض أحاديث فى وصفه ، وهى :

١ ـ روى بسنده الى ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ .

قال : (أمامكم حوض ، كما بين جرباء وأذرح) وجرباء ـ بفتح الجيم ، وسكون الراء ، بمد وقصر : قرية بالشام ـ وأذرح ـ بفتح الهمزة ، وسكون الذال ، وضم الراء ، وبعدها حاء مهملة : قرية أخرى بالشام أيضا .

وقد وضح المراد من هذا الحديث ـ ما رواه الضياء المقدسى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ مرفوعا فى ذكر الحوض ، فقال فيه : (عرضه مثل ما بينكم وبين جرباء وأذرح) وقد ورد : (أن زواياه سواء) . اهـ

٢ ـ وأخرج البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال النبى ﷺ : (حوضى مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه فلا يظمأ أبدا) .

وعند ابن أبى الدنيا ، عن النواس بن سمعان ، مرفوعا :

(أول من يرد عليه من يسقى كل عطشان) .

وحديث البخارى فى الحوض أخرجه أيضا مسلم فى صحيحه .

٣ ـ وأخرج البخارى عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : (ان قدر حوضى كما بين أيلة وصنعاء من اليمن ، وأن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء) .

وأيلة ـ بفتح الهمزة ، وسكون الياء التحتية المثناة ، فلام مفتوحة ، بعدها هاء : كانت مدينة عامرة ، بطرف بحر القلزم (البحر الأحمر) من طرف الشام ، وهى الآن خراب ، يمر بها الحاج من مصر ، وتكون عن شمالهم ، واليها تنسب العقبة المشهورة عند أهل مصر : (خليج العقبة) عقبة أيلة .

٤ ـ وأخرج البخارى عن أبى هريرة أيضا رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى) ـ أى منبرى الذى هو فى الدنيا ، بعينه يكون يوم القيامة على حوضى .

أو المراد : أن له عليه الصلاة والسلام فى القيامة منبرا ، يكون على حوضه ، يقف عليه ، يدعو الناس منه الى الشرب من الحوض ـ والله أعلم .

وسبق الحديث فى آخر كتاب الصلاة ، وأخرجه مسلم فى صحيحه فى الحج .

٥ ـ وأخرج البخارى ـ رحمه الله ـ أيضا ـ عن عقبة بن عامر بن عيسى بن أبى الأسود

الجهنى – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ خرج يوما (أى الى البقيع) فصلى على أهل البقيع صلاته على الميت ، ثم انصرف ، فصعد على المنبر – (أى كالمودع للأحياء والأموات) – فقال : انى فرط لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وانى والله لأنظر الى حوضى الآن ، وانى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض – أو مفاتيح الأرض – وانى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ، ولكنى أخاف عليكم أن تنافسوا فيها) أى تتنافسوا فى الدنيا ، فتقتتلوا عليها .

٦ – وأخرج البخارى – رحمه الله – عن معبد بن خالد ، أنه سمع حارثة بن وهب – رضى الله عنه – يقول : سمعت النبى ﷺ – وذكر الحوض – فقال : (كما بين مكة وصنعاء) – وفى رواية أخرى له ، قال المستورد : (أحد الرواة) ألم تسمعه ذكر الأوانى ؟ قال المستورد – وهو ابن شداد بن عمرو القرشى ، الصحابى ابن الصحابى – رضى الله عنهما :

(ترى فيه الآنية مثل الكواكب) أى كثرة وضياء – يعنى أنا سمعته قال ذلك – وهذا مرفوع ، وان لم يصرح به ، لأن سياقه يدل على رفعه .

وفى حديث أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى – من رواية الحسن ، عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – : (أكثر من عدد نجوم السماء) .

ولمسلم : (فيه أباريق ، كنجوم السماء) . اهـ ما ذكر البخارى فيما يتعلق بالحوض والله أعلم .

٤٠ ـ (ما جاء فى ذبح الموت يوم القيامة)

حديث يذكر فيه ذبح الموت على الصراط .

أخرجه ابن ماجه فى سننه ـ باب (صفة النار) ج ٢ ص ٣٠٥ فقال :

(٣٨٤) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ ، وَجِلِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمْ الَّذِى هُمْ فِيهِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ ، فَرِحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمْ الَّذِى هُمْ فِيهِ ، فَيُقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ ، قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ ، فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلَاهُمَا [1] : خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ ، لَا مَوْتَ فِيهَا أَبَدًا .

* * *

وقد جاء ذبح الموت فى حديث الترمذى ـ باب ـ (ما جاء فى خُلُودِ أهل الجنة وأهل النار) ـ قال فى آخر الحديث :

(٣٨٥) فَإِذَا أَدْخَلَ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، قَالَ : أُتِى بِالْمَوْتِ ، فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ الَّذِى بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَهْلِ النَّارِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ ، يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ ، فَيُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ ،

---

[1] كلاهما : جاء هنا بالألف ، فلعله على لغة من يلزم المثنى الألف ، لأنه توكيد للمجرور هنا .

وَأَهْلِ النَّارِ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : هَؤُلآءِ ، وَهَؤُلآءِ ، قَدْ عَرَفْنَاهُ ـ هُوَ الْمَوْتُ الَّذِى وُكِّلَ بِنَا ، فَيُضْجَعُ ، فَيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ الَّذِى بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، خُلُودٌ ، لاَ مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ ، خُلُودٌ لاَ مَوْتَ .

قال الترمذى ـ رحمه الله ـ حديث حسن صحيح .

شرح حديث ذبح الموت

(يؤتى بالموت يوم القيامة ، فيوقف على الصراط . . . الخ) .

ظاهر الحديث أن ذلك على الحقيقة ، ولا مانع عقلا من أن يخلق الله تعالى الموت على صورة حيوان ، ويوقف ، ويذبح ، والله تعالى قادر على كل شيء يدخل فى حيز الامكان ـ وأحوال الآخرة مغايرة لأحوال الدنيا ، كما جاء فى وزن الأعمال ، فقد قيل : (توزن الكتب أو الأعمال) وعلى كل فذلك خارج عن العادة والمألوف ـ ويحتمل أن يكون ذلك تمثيلا لما يكون به اليأس من الموت ليطمئن أهل الجنة بنعيمهم ، وييأس أهل النار من موتهم أو خروجهم ، لأن الجميع اذا علم وتيقن أن لا موت ، فكأنه رأى ذبح الموت وعدم اتصاف أحد به قطعا . ونحن نؤمن بما ثبت عن الرسول ﷺ ، ولا نبحث عن كيفية تحققه ، حيث انه يدخل تحت قدرة الله تعالى . والله أعلم .

حديث : (يقول الله : من كان فى قلبه مثقال حبّة من خردل ، من إيمان فأخرجوه) .

أخرجه البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ من كتاب الرقاق ـ باب صفة الجنة والنار ـ ج ٨ ص ١١٥ فقال :

(٣٨٦) حَدَّثَنَا مُوسَى ـ هو ابن إسماعيل ـ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى ، عَنْ أَبِيه ، عن أَبِى سَعِيد الْخُدْرِىِّ ، ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِىَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ قَالَ : إِذَ دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ ـ النَّارَ ، يَقُولُ اللهُ : مَنْ كَانَ فى قَلْبِه مِثْقَالُ حَبَّة مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَان فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرَجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا ، وَعَادُوا حُمَمًا ، فَيُلْقَوْنَ فى نَهَر الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فى حَمِيلِ السَّيْل ـ أَوْ قَالَ : حَمِيةِ ـ وَقَالَ النَّبِى ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُت صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً .

* * *

وأخرجه البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتاب الإيمان ـ من باب تفاضل أهل الإيمان فى الأعمال ـ فقال :

(٣٨٧) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ـ (هو ابن أَبِى أُوَيْس بن عبد الله ـ الأَصبحى ، المدنى ، ابن أُخت الإمام مالك ، إمام دار الهجرة) قال :

حَدَّثَنى مَالكٌ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِىِّ ، عَنْ أَبِيه ، عَنْ أَبِى سَعِيد الْخُدْرِىِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ

قَالَ : يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ـ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ ـ النَّارَ ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا ، فَيُلْقَوْنَ فِى نَهَرِ الْحَيَا ـ أَوِ الْحَيَاةِ ـ شَكَّ مَالِكٌ ، فَيَنْبُتُون كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِى جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَوْا أَنَّها تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً .

قال وهيب : حدثنا عمرو : (الحياة) وقال : (خرْدَل مِنْ إِيمَان)

شرح الحديث الأول من شرح القسطلانى
جـ ٩ ص ٣٢٣

(موسى بن اسماعيل) أبو سلمة التبوذكي الحافظ (حدثنا وهيب) مصغرا ابن خالد الباهلي مولاهم ، الكرابيسي الحافظ (حدثنا عمرو بن يحيى ، عن أبيه) يحيى بن عمارة ـ بضم العين وتخفيف الميم ، المازنى .

(من كان فى قلبه) أى زيادة على أصل التوحيد (مثقال حبة من خردل من ايمان) بالتنكير ، ليفيد التقليل ، والايمان ليس بجسم فيحصره الوزن ، والمراد : أن العمل ـ وهو عرض ـ يجعل فى جسم على مقدار العمل عنده تعالى ، ثم يوزن ، أو تمثل الأعمال جواهر (قد امتحشوا) أى احترقوا واسودوا (وعادوا حمما) أى صاروا فحما (فى نهر الحياة) هو النهر الذى من غمس فيه حيى (الحبة) بكسرها الحاء ـ بزر العشب ـ أو البقلة الحمقاء (حميل السيل) بفتح الحاء وكسر الميم ، فعيل بمعنى مفعول ، أى محمول السيل ، وهو ما جاء به السيل من طين وغثاء ونحو ذلك ـ (أو قال : حمية) بفتح الحاء ، وكسر الميم ، وتشديد الهاء المثناة التحتية ـ أى معظم جرى النهر واشتداده (ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية ؟) أى منعطفة ، وذلك مما يزيد الرياحين حسنا ، باهتزازه وتميله ـ والمراد : أنهم شبهوا بالحبة فى حميل السيل ، فانها تنبت فى يوم وليلة ، فشبه بها سرعة عود أبدانهم .

وقال النووى ـ رحمه الله ـ : شبهوا بها لسرعة نباته يكون ضعيفا ، ثم لضعفه يكون أصفر ملتويا ، ثم بعد ذلك تشتد قوته . اهـ والله أعلم .

شرح الحديث الثانى رقم ٣٨٨ من القسطلانى ج ١ ص ١٠٥

(حدثنا اسماعيل بن أبى أويس) ابن أخت الامام مالك ، كلموا فيه كأبيه ، لكن أثنى عليه ابن معين ،والامام أحمد ــ وقد وافقه على رواية هذا الحديث ــ عبد الله بن وهب ، ومعن بن عيسى ، عن مالك ــ وليس هو فى الموطأ .

قال الدار قطنى : هو غريب صحيح .

(أخرجوا) أى من النار ، كما فى رواية الأصيلى (من كان فى قلبه) أى زيادة على أصل التوحيد ، ويشهد لهذا قوله : (أخرجوا من النار من قال : لا اله الا الله ، وعمل من الخير ما يزن كذا) .

ثم ان المراد بقوله : (حبة من خردل) المراد : التمثيل ، فيكون عيارا فى المعرفة ، لا فى الوزن حقيقة ، لأن الايمان ليس بجسم فيحصره الوزن والكيل ، لكن ما يشكل من المعقول قد يرد الى عيار محسوس ليفهم ، ويشبه به ليعلم .

والتحقيق فيه : أن يجعل عمل العبد ــ وهو عرض ــ فى جسم على مقدار العمل عنده تعالى ، ثم يوزن ، أو تمثل الأعمال بجواهر ، فتجعل فى كفة الحسنات جواهر بيضاء مشرقة ، وفى كفة السيئات جواهر سوداء مظلمة .

واستنبط الغزالى من قوله : (أخرجوا من النار من كان فى قلبه . . . الخ) .

نجاة من أيقن بالايمان ، وحال بينه وبين النطق بالشهادتين الموت .

قال ــ أى الغزالى ــ : وأما من قدر على النطق ، ولم يفعل حتى مات مع ايقانه بالايمان بقلبه ، فيحتمل أن يكون امتناعه بمنزلة امتناعه عن الصلاة ، فلا يخلد فى النار ، ويحتمل خلافه ، ــ ورجح غير الغزالى الثانى ، فيحتاج الى تأويل قوله (فى قلبه) فيقدر فيه محذوف ، تقديره : منضما الى النطق بالشهادتين مع القدرة عليه .

ومنشأ الاحتمالين : الخلاف فى أن النطق بالايمان شطر ، فلا يتم الايمان الا به ــ وهو مذهب جماعة من العلماء ــ واختاره الامام شمس الدين وفخر الاسلام ــ أو هو شرط لاجراء الأحكام الدنيوية فقط .

وهو مذهب جمهور المحققين ، وهو اختيار الشيخ أبى منصور ــ والنصوص معاضدة لذلك ، قاله التفتازانى . اهـ .

وقد أخرج هذا الحديث مسلم أيضا فى الايمان ، وهو من عوالى البخارى رحمه الله تعالى على مسلم بدرجة ــ وأخرجه النسائى أيضا .

وفى هذا الحديث الرد على المرجئة ، لما تضمنه من بيان ضرر المعاصى مع الايمان ، والرد على المعتزلة القائلين بأن المعاصى موجبة للخلود فى النار ، نجانا الله تعالى من النار بفضله وكرمه ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار آمين ــ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وطعام أَهل النَّارِ

حديث (حُفَّتِ الْجَنَّةُ بالمكاره ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهوَاتِ)

أَخرجه الإِمام الترمذى فى جامعه ــ (باب حفت الجنة بالمكاره) جـ ٢ ص ٩٢ .

(٣٨٨) عَنْ أَبِى هُرَيْرَة ــ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ ــ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ــ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قال* : لمَّا خلقَ اللّٰهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَقَالَ : انْظُرْ إِلَيْهَا ، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ إِلَى أَهلِها فِيها ، قَالَ : فجَاءَها وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللّٰهُ لأَهْلهَا فيهَا ، قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، قَالَ : فَوَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا ، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ : ارْجَعْ إِلَيْهَا ، فَانْظُرْ إِلى ما أَعْدَدْتُ لأَهْلِها فِيهَا ، قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهَا ، فَإِذَا هِىَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْت أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ ــ قَالَ : اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِها فِيها ، فإِذا هِىَ يَرْكبُ بَعْضُها بَعْضًا ، فرَجَع إِلَيْهِ ، فقالَ : وَعِزَّتِك لا يَسْمَعُ بِها أَحَدٌ فيَدْخُلها ، فأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهوَات ، فَقَالَ : ارْجَعْ إِلَيْهَا ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا .

قال أَبو عيسى الترمذى ــ رحمه اللّٰه تعالى : (حديث حسن صحيح) .

* * *

أخرجه أبو داود فى سننه ـ باب خلق الجنة والنار ـ ج ٤ ص ١٨٥ فقال بسنده إلى أبى هريرة .

(٣٨٩) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَىْ رَبِّ ، وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا ، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَىْ رَبِّ ، وَعِزَّتِكَ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَدْخُلُهَا أَحَدٌ ، قَالَ : فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ ، قَالَ : يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا فَيَدْخُلَهَا ، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ، ثُمَّ قَالَ : يَاجِبْرِيلُ ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : أَىْ رَبِّ ، وَعِزَّتِكَ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا ..

* * *

وأخرج هذا الحديث النسائى فى سننه عن أبى هريرة أيضاً ، بألفاظ قَرِيبَةً مما ذكره الترمذى وأبو داود ، فى باب (الحلف بعزة الله تعالى) .

شرح الحديثين

قوله : (حفت بالمكاره) وقوله : (حفها بالكاره) أى جعل الأمور التى تكرهها النفوس بطبعها محيطة بها من كل جانب ، فلا يصل اليها أحد الا اذا تجرع غصص هذه المكاره التى تحيط بها .

والكلام على التمثيل ، فقد شبه حال التكاليف الشاقة على النفوس ، التى لا يصل أحد الى الجنة الا بأدائها ، والقيام بها ، والمحافظة عليها ، ـ ومنها الصبر على البلايا والمحن والمصائب . ـ شبه ذلك كله بحال أسوار كثيفة من الأشواك ، التى يكمن فيها كل حيوان ضار : من الوحوش والحيات والعقارب وهذه الأسوار الكريهة محيطة ببستان عظيم ، تلتف به من كل مكان ، بحيث لا يصل أحد الى هذا البستان ، ولا يحظى بالتنعم بما فيه من النعيم ، الا بعد أن يتخطى هذه الأسوار البغيضة ، ويتجشم المشاق التى تلحقه حين سلوكه فيها ، من وخز أشواكها ، ولدغ عقاربها وحياتها ، ومقارعة حيواناتها المفترسة .

ولا شك أن ذلك يحتاج الى جهاد شاق طويل ، وصبر دائم ، فكذلك الجنة لا ينالها ويحظى بنعيمها الدائم السرمد ، الا من تخطى شدائد دنياه ، مجاهدا لنفسه ، صابرا على ما يصيبه فيها ، راضيا بقضاء الله تعالى ، قائما بتكاليف الاسلام خير قيام ، مستهينا بكل شدة تعترضه ، مسترخصا كل تضحية أمام مرغوبه ، مضحيا بالنفس والمال أمام مطلوبه ـ من الجنة .

فهى الثمن الذى اشترى الله به نفوس المؤمنين وأموالهم ، فقال :

(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوارة والانجيل والقرآن . . الآية .

لذلك قال جبريل ـ عليه السلام ـ بعد أن رآها قد حفت بالمكار : (وعزتك لقد خفت ـ أو خشيت ـ أن لا يدخلها أحد) .

وأما النار فقد حفت بالشهوات التى تميل اليها النفوس بطبعها ، ولا يحتاج مرتكبها الى تعب وعناء فى ملابستها ، بل ان نفسه تجذبه الى الانحدار اليها والتردى فيها .

فالنار بئس المستقر ، وساءت مرتفقا ، ولكن أحيط بها كل ما ترغب فيه النفوس وتستلذه الأعين ، فتقرب النفوس هذه الشهوات ، وتجنى من تلك اللذات وهى تظن أنها بعيدة من الوقوع فى النار ، وكلما جنت منها لذة أوقعتها فى لذة أحسن منها ـ والنفس راغبة دائما فى الزيادة ، ولا تزال تنغمس فى لذة تحبها الى لذة أحسن منها ، ولا تفيق حتى تقطع سور الملذات ، فتقع فى النار وهى لا تشعر ، وتريد الخلاص منها ، فلا تقدر .

فكل انسان يميل بطبعه الى الشهوات ، لاسيما من كان فى مجتمع سوء ، وبيئة فاسدة ، ولا يزال ينغمس فى الشهوات ، حتى يأتيه الموت ، وهو غارق فى شهواته ، غافل عما ينجيه من الايمان والعمل الصالح ، فيقع فى النار .

لذلك قال جبريل ـ عليه السلام ـ بعد أن رآها قد حفت بالشهوات :

(وعزتك ، لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد ، الا دخلها) .

أى دخلها مخلدا ان كان كافرا مشركا بالله غيره ـ أو دخلها معذبا للتطهير من ذنوبه ان كان مؤمنا عاصيا ، اغترفت نفسه من الشهوات المحرمة .

نجانا الله تعالى من النار ، وأدخلنا الجنة دار القرار ، مع المتقين الأبرار .

آمين ـ والحمد لله رب العالمين .

حديث : (يلقى على أهل النار الجوع)

أخرجه الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ فى باب صفة طعام أهل النار .
جـ ٢ ص ٩٦ ـ ٩٧

(٣٩٠) عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ ، ـ فَيَعْدِلُ ما هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ، فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَام مِنْ ضَرِيع ، لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِى مِنْ جُوع ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالطَّعَام ، فَيُغَاثُونَ بِطَعَام ذِى غُصَّة ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغُصَصَ فى الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ . فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ فَيُرْفَعُ إِلَيْهِمْ الْحَمِيمُ بِكَلاَلِيب الْحَدِيدِ ، فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وُجُوهَهُمْ ، فَإِذَا دَخَلَتْ بُطُونَهُمْ قَطَّعَتْ مَا فى بُطُونِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : ادْعُوا خزَنَةَ جَهَنَّمَ ، فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَات ؟ قالُوا : بَلَى ، قالُوا : فادْعُوا ، وَمَا دُعَاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فى ضَلَال ، قَالَ : فَيَقُولُونَ : ادْعُوا مَالِكًا ، فَيَقُولُونَ : يَامَالِكُ ، لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ، قَالَ : فَيُجِيبُهُمْ : إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ : قَالَ الْأَعْمَشُ : نُبِّئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ ، وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ أَلْفَ عَام قَالَ فَيَقُولُونَ : ادْعُوا رَبَّكُمْ ، فَلاَ أَحَدَ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ، قَالَ : فَيُجِيبُهُمْ : اخْسَئُوا فِيهَا

وَلَا تُكَلِّمُونَ ـ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَئِسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ فى الزَّفِيرِ وَالْحَسْرَةِ وَالْوَيْلِ .

قال عبد الله بن عبد الرحمن : (والناس لا يرفعون هذا الحديث)

وقال أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ : إنما نعرف هذا الحديث عن الأعمش ، عن شمَّرَ بن عطيّة ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء عن أبى الدرداء .

وعبد الله بن عبد الرحمن : هو أول رجال السند ، ـ أى الذى روى عنه الترمذى ا هـ .

شرح الحديث

قوله : (يلقى على أهل النار الجوع) أى ان الله تعالى يسلط الجوع على أهل النار فينزل بهم من الجوع ألم شديد (فيعدل ما هم فيه من العذاب) أى ان الألم الذى يعتريهم من الجوع يساوى ما هم فيه من عذاب النار (فيستغيثون) من ألم الجوع أى يطلبون طعاما يدفع عنهم ألم الجوع (فيغاثون بطعام من ضريع) قال أبو السعود المفسر : والضريع يبيس الشبرق ، وهو شوك ترعاه الابل مادام رطبا ، واذا يبس تحامته ، وهو سم قاتل . ـ وقيل : هى شجرة نارية تشبه الضريع ، وقال ابن كيسان :

هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه ، فسمى بذلك (لا يسمن ولا يغنى من جوع) أى ليس من شأنه الاسمان والاشباع ـ كما هو شأن طعام الدنيا ، وانما هو شىء يضطرون الى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم ، بل لزيادة ألمهم (فيستغيثون) أى يعودون الى الاستغاثة (بالطعام) لدفع حرارة الجوع وتسكين ألمه ، (فيغاثون بطعام ذى غصة) أى بطعام ينشب فى الخلوق ، ولا يكاد ينساغ ، بل يبقى فى وقهم ولا ينزل الى بطونهم (فيذكرون) أى يتذكرون حالهم فى الدنيا ، وأنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب ، أى يسعون فى مرور الغصة من الحلقوم بالماء الذى يشربونه (فيستغيثون بالشراب) لاجازة الغصة التى لحقتهم من الطعام (فيرفع اليهم الحميم) الماء الحار المغلى (بكلاليب الحديد) أى بخطاطيف الحديد (فاذا دنت من

وجوههم شوت وجوههم) كما قال تعالى : (يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) ولذا قال فى الحديث : (فاذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم) أى من الأمعاء (فيقولون) أى يقول بعضهم لبعض : (ادعوا خزنة جهنم) أى اطلبوا منهم أن يدعوا الله لكم لينقذكم من هذا العذاب (فيقولون) أى تقول لهم الخزنة على سبيل التوبيخ والتقريع : (ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) أى بالمعجزات والآيات الواضحة وتنذركم هذا العذاب ، فلم تؤمنوا ؟ (قالوا : بلى) أى قد أتتنا الرسل (قالوا) أى قالت الخزنة لهم : اذا كان الأمر كذلك (فادعوا) أنتم الله ، فلستم أهلا لشفاعة الشافعين (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) أى فى ضياع لا ينفع ولا يقبل (فيقولون) أى بعضهم لبعض : (ادعوا مالكا) أى ادعوا رئيس الخزنة لعله يقبل أن يدعو الله لكم (فيقولون : يا مالك ليقض علينا ربك) أى اطلب لنا من ربك أن يقضى علينا فنموت ونستريح من العذاب (فيجيبهم بقوله : انكم ماكثون) فى العذاب كما قال تعالى : (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) (فيقولون : ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم) يلجأون الى الله بعد اليأس من دعاء غيره ممن يظنون أن دعاءه ينفع (فيقولون : ربنا غلبت علينا) أى فى الدنيا (شقوتنا وكنا قوما ضالين) فيعترفون بذنبهم ، ثم يطلبون الاخراج من النار قائلين : (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) فيجيبهم ربهم (اخسئوا فيها) أى اسكتوا فى النار سكوت هوان ، وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت ولا تكلمون باستدعاء الاخراج من النار (فعند ذلك ييئسوا من كل خير - ويأخذون فى الزفير والحسرة والويل) نجانا الله تعالى من عذاب النار آمين .

(حديث إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة لربهم ــ سبحانه وتعالى) .

أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى جـ ٢ ص١٠٧ هامش القسطلانى .

(٣٩١) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، حَدَّثَنِى عَبْدُ الرَّحْمٰنِ ابْنُ مَهْدِى ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ ثَابِت الْبُنَانِى ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ابْنِ أَبِى لَيلى ، عَنْ صُهَيْبٍ ــ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ــ عَنِ النَّبِىِّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ : إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ اللهُ ــ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلى رَبِّهِمْ .

* * *

(٣٩٢) وأخرجه مسلم برواية أخرى بهذا الإسناد ، وزاد فيها :

(ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) .

* * *

وأخرج ابن ماجة فى سننه حديث رؤية المؤمنين لربهم بلفظ آخر ، فقال :

(٣٩٣) عَنْ جَابِرِ بْن عَبْدِ اللهِ ــ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ــ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فى نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ

لَهُمْ نُورٌ ؛ فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، قَالَ : وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ : (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيم) قَالَ : فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ منَ النَّعيم ، مَادَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْه ، حَتَّى يُحْجَبَ عَنْهُمْ ، وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فى دِيَارِهِمْ .

* * *

وأخرجه ابن ماجه أيضاً عن صهيب ـ رضى الله عنه ـ قَالَ :

(٣٩٤) تَلَا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ هَذِهِ الْآيَةَ : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) ـ وَقَالَ : إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، نَادَى مُنَاد : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا ، يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا هُوَ ؟ أَلَم يُثَقِّلْ اللهُ مَوَازِينَنَا ، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةِ وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ : فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمْ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَر ـ يعنى إِلَيْهِ ـ وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ .

* * *

قال المحشى على سنن ابن ماجة : (وفيه أن الله تعالى يزيل عن قلوبهم الحرص ، ويعطيهم مالا يطمعون المزيد عليه ، ويرضيهم بفضله) .

ثم قال : أى المحشى المذكور :

(وفى بعض النسخ : «ينجينا» بإثبات الياء ، كما فى الترمذى ، مع أنه معطوف على المجزوم : إما للإشباع ، أو للتنزيل منزلة الصحيح اهـ) .

وأخرجه الترمذى والنسائى وغيرهم ـ من رواية حمادبن سلمة ، عن ثابت ، عن ابن أبى ليلى ، عن صهيب ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ . اهـ نووى .

شرح حديث مسلم من شرح النووى على مسلم

قال النووى ـ رحمه الله تعالى ـ : (قوله : حدثنا عبد الله بن عمر بن ميسرة ، حدثنى عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانى ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صهيب ، عن النبى ـ ﷺ ـ

قال : (اذا دخل أهل الجنة الجنة . . . . الحديث) .

هكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة ، وغيرهم من رواية حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانى ، عن ابن أبى ليلى ، عن صهيب ، عن النبى ﷺ .

قال أبو عيسى الترمذى ، وأبو مسعود الدمشقى وغيرهما :

(لم يروه هكذا مرفوعا عن ثابت ـ غير حماد بن سلمة .

ورواه سلمان بن المغيرة ، وحماد بن زيد وحماد بن واقد ، عن ثابت عن ابن أبى ليلى من قوله ، ليس فيه ذكر النبى ﷺ ، ولا ذكر صهيب .

قال النووى ـ رحمه الله ـ : وهذا الذى قاله هؤلاء ليس بقادح فى صحة الحديث فقد قدمنا فى الفصول ـ أن المذهب الصحيح المختار الذى ذهب اليه الفقهاء ، وأصحاب الأصول ، والمحققون من المحدثين ، وصححه الخطيب البغدادى ـ أن الحديث اذا رواه بعض الثقات متصلا وبعضهم مرسلا ، أو بعضهم مرفوعا ، وبعضهم موقوفا ، حكم بالمتصل وبالمرفوع ، لأنها زيادة الثقة ، وهى مقبولة عند الجماهير من كل الطوائف ـ والله أعلم . اهـ كلام النووى .

وأما شرح الحديث فقال النووى ـ رحمه الله ـ فيه وفى مثله :

أعلم أن لأهل العلم فى أحاديث الصفات قولين :

أحدهما ـ وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم فى معناها ، بل يقولون : يجب علينا أن نؤمن بها ، ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته ، مع اعتقادنا الجازم بأن الله تعالى ليس كمثله شىء ، وأنه منزه عن سائر صفات المخلوقات .

وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين ، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم ـ أى للعقيدة .

والقول الثانى – وهو مذهب معظم المتكلمين – أنهـا تتأول على مـا يليق بهـا حسـب مواقعها ، وانما يسوغ تأويلها لمن كان عارفا بلسان العرب وقواعد الأصـول والفـروع . والله أعلم . اهـ نووى .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين .

(حديث خطاب الله تعالى لأهل الجنة)

أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق ـ باب صفة الجنة والنار ج ٨ ص ١١٤ ومن القسطلانى ج ٩ ص ٣١٩ .

(٣٩٥) حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ؛ إِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، يَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا ، وَسَعْدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا ، لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالُوا : يَا رَبِّ ، وَأَىُّ شَىْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِى ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا .

* * *

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب التوحيد ـ باب ـ (كلام الرب مع أهل الجنة) .

(٣٩٦) بسنده إلى أبى سعيد الخدرى أيضاً ج ٩ ص ١٥١ قسطلانى ج ١٠ ص ٢٥١ بألفاظ قريبة مما ذكر هنا ـ إلا أنه قال :

(أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟) .

وأخرج هذا الحديث مسلم فى صحيحه ـ فى باب (كتاب الجنة ونعيمها وأهلها) كما أخرجه أيضاً الترمذى ج ٢ ص ٩١ ، وقال :

حديث حسن صحيح ، وألفاظهما مثل ألفاظ البخارى ـ رحمه الله ـ فى كتاب الرقاق ، وقال : (ألا أعطيكم) ؟

شرح الحديث ، من القسطلانى

قوله : (أحل عليكم رضوانى) بضم الهمزة ، وكسر الحاء المهملة ، وتشديد اللام ، أى أنزل عليكم رضوانى .

وفى حديث جابر عند البزار : (قال : رضوانى أكبر) قال فى الفتح :

وفيه تلميح بقوله تعالى : (ورضوان من الله أكبر) لأن رضاه سبب لكل فوز وسعادة ، وكل من علم أن سيده راض عنه ، كان أقر لعينه ، وأطيب لقلبه من كل نعيم ، لما فى ذلك من التعظيم والتكريم . انتهى .

وقال الطيبى ـ رحمه الله تعالى ـ : أكبر أصناف الكرامة رؤية الله تعالى :

ونكر (رضوان) فى التنزيل ، ليدل على أن شيئا يسيرا من الرضوان خير من الجنات وما فيها ، قاله صاحب المفتاح .

ثم قال الطيبى : والأنسب أن يحمل على التعظيم ، أى ورضوان عظيم يليق أن ينسب الى من اسمه الله معطى الجزيل .

ومن عطاياه الرؤية ، وهى أكبر أصناف الكرامة ، فحينئذ يناسب معنى الحديث الآية ، حيث أضافه الى نفسه ، وأبرزه فى صورة الاستعارة ، بقوله : (أحل عليكم رضوانى) وجعل الرضوان كالجائزة للوفود النازلين على الملك الأعظم . اهـ قسطلانى ـ نسأله تعالى أن يمتعنا بالنظر الى وجهه الكريم فى جنات النعيم ـ آمين يارب العالمين .

(حديث استئذان بعض أهل الجنة ربّه أن يزرع)

أخرجه البخارى – رحمه الله تعالى – فى كتاب التوحيد – من باب – (كلام الرب مع أهل الجنة) ج ٩ ص ١٥١ .

(٣٩٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَان ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ ، حَدَّثَنَا هِلَالٌ عَنْ عَطَاءِ ابْنِ يَسَار ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ النَّبِىَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِن أَهْلِ الْبَادِيَة – أَنَّ رَجُلًا مِن أَهْلِ الْجَنَّةِ ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فى الزَّرْع ، فَقَالَ : أَوَلَسْتَ فيمَا شِئْتَ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلٰكِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ – فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ ، وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَىْءٌ . فَقَالَ الْأَعْرَابِىُّ : يَا رَسُولَ اللهِ ، لاَ تَجِدُ هَذَا إِلاَّ قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا ، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْع ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا أَصْحَاب زَرْعٍ ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

***

وأخرج البخارى – رحمه الله تعالى – هذا الحديث فى كتاب المزارعة فى باب مجرد ، عقب كراء الأرض بالذهب .

شرح الحديث من القسطلانى ج ١٠ ص ٤٥١
(حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين المهملة ، وتخفيف النون الأولى ، وبعد الألف نون أخرى – العوق (حدثنا فليح) بضم الفاء مصغرا – ابن سليمان (حدثنا هلال) بن على

المعروف بابن أسامة (عن عطاء بن يسار) بالسين المهملة المخففة (عن أبى هريرة) رضى الله عنه (أن النبى ﷺ) ولأبى ذر : (أن رسول الله ﷺ كان يوما يحدث أصحابه ـ وعنده رجل من أهل البادية : أن رجلا من أهل الجنة) بفتح همزة أن لأنه فى موضع المفعول (استأذن ربه) أى يستأذن ـ وصيغة الماضى للتحقق ، ولأبى ذر عن الحموى : (يستأذن ربه فى الزرع ، فقال) أى ربه له : أو لست كائنا (فيما شئت) من المشتهيات ؟ (قال : بلى ، ولكنى) ولأبى ذر عن الكشميهنى : ولكن (أحب أن أزرع) أى فأذن له (فأسرع وبذر ، فبادر الطرف نباته) أى أسرع كطرف العين نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره) أى جمعه فى البيدر (أمثال الجبال) كل ذلك كان قبل طرف العين (فيقول الله تعالى) له : (دونك) خذه (يا ابن آدم فانه لا يشبعك شىء) لما فى طبعه أنه لا يزال يطلب المزيد أو لا يقنع بما عنده (فقال الأعرابى : يا رسول الله ، لا تجد هذا) الذى زرع (الا قرشيا أو أنصاريا ، فانهم أصحاب زرع) أى يحبون الزرع (فأما نحن) أهل البادية فلسنا أصحاب زرع ، فضحك رسول الله ﷺ) والحديث دليل على أن الانسان يحن الى ما كان عليه ، ولو كان غنيا . اهـ والله أعلم .

حديث سوق الْجَنَّة

أخرجه الإمام الترمذى – رحمه الله تعالى فى جامعه – فى باب – (ما جاء فى سوق الجنة) ج ٢ ص ٨٩ – ٩٠ .

(٣٩٨) عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، أَنَّهُ لَقِىَ أَبَا هُرَيْرَةَ ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – : أَسْأَلُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ فى سُوق الْجَنَّةِ ، فَقَالَ سَعِيدٌ : أَفِيهَا سُوقٌ ؟ قالَ : نعَمْ ، أَخْبَرَنِى رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إذا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لَهُمْ فى مِقْدَارِ يَوْم الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّام الدُّنْيَا ، فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ ، وَيَبْرُزُ لَهُمْ عَرْشُهُ ، وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فى رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ – وَمَا فِيهِمْ مِنْ دَنِىٍّ – عَلَى كُثْبَان الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ ، وَمَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِى أَفْضَلُ مِنْهُمْ مَجْلِسًا ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ ، وَهَلْ نَرَى رَبَّنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : هَلْ تَتَمَارَوْنَ فى رُؤْيَة الشَّمْسِ ، وَالْقَمَر لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ قُلْنَا : لا ، قَالَ : كَذَلِكَ لا تَمَارَوْنَ فى رُؤْيَة رَبِّكُمْ ، وَلَا يَبْقَى فى ذَلكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إلاَّ حَاضَرَهُ اللهُ مُحَاضَرَةً ، حَتَّى يَقُولَ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ : يَا فُلَانُ بْنَ فُلان ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ؟ فيُذَكَّرُ ببَعْضِ غَدَارَتِهِ فى الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ،

أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِى ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، فَسَعَةُ مَغْفِرَتِى بَلغتْ بك مَنْزِلَتكَ هَذه ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلكَ غَشيَتْهُمْ سَحَابَةٌ منْ فَوْقِهِمْ ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيباً لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قطُّ ، وَيَقُولُ رَبُّنَا ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ ، فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ ، فَنَأْتِى سُوقاً قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ ، وَلَمْ تَسْمَع الآذَانُ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ ، فَيُحْمَلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا ، لَيْسَ يُبَاعُ فِيهَا وَلَا يُشْتَرَى . وَفِى ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، قال : فَيُقْبَلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنزِلَة الْمُرْتَفِعَةِ فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ ـ وَمَا فِيهِم دَنِىٌّ ـ فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ ، فَمَا يَنْقَضِى آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَخَيَّلَ إِلَيْهِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِى لأَحَد أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا ، ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلَنَا ، فَيَتَلَقَّانَا أَزْوَاجُنَا ، فَيَقُلْنَ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَال أَفْضَلَ مَا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ ، وَيَحُقُّنَا أَنْ يَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا .

قال أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله تعالى : حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، ـ وقد روى سويد بن عمرو ، عن الأوزاعى شيئاً من هذا الحديث (ملحوظة) :

(سويد بن عمرو ليس من رجال السند ، وأما الأوزاعى فإنه من رجاله) .

***

وأخرجه ابن ماجة فى سننه جـ ٢ ص ٣٠٧ عن أبى هريرة ، وزاد فيه :

(٣٩٩) (فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ ، وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ ، وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ) ..

وقال فيه :

(وَلَا يَبْقَى فِى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ ، إِلاَّ حَاضَرَهُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مُحَاضَرَةً ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ لِلرَّجُلِ مِنْكُمْ : أَلاَ تَذْكُرُ يَا فُلَانُ يَوْمَ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا ، يُذَكِّرُهُ بَعْضَ غَدَرَاتِهِ فِى الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِى ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، فَبِسَعَةِ مَغْفِرَتِى بَلَغْتَ مَنْزِلَتَكَ هَذِهِ) ... إلخ .

وقال فيه : (فَنَحْمِلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا) وقال : (وَمَا فِيهِمْ دَنِىءٌ) .

(شرح حديث سوق الجنة)

قوله : (سوق الجنة) شبه المكان الذى يجتمع فيه المؤمنون ، ويحملون منه ما يشتهون مما لم تنظر مثله العيون ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر على القلوب - أو يحمل اليهم ذلك - بالسوق فى الدنيا - ويلقى أهل الجنة بعضهم بعضا فرحين بما أوتوا ، وبما أوتى اخوانهم المؤمنون .

وقوله : (فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ، ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة) هذا الكلام ونظيره من أحاديث الصفات ، وفيها من المتشابه ، وأنت تعلم مما سبق لك فى هذا الكتاب أن مثل هذا يجرى فيه طريقة السلف وطريقة الخلف ، وأن مذهب السلف - عدم التأويل ، بل يعتقدون تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه ، ويفوضون علم ذلك الى الله تعالى مؤمنين ومصدقين بما وصف الله به نفسه ، أو وصفه رسوله ﷺ . - ومذهب الخلف التأويل فيؤولون ذلك : يتبدى لهم ملك من ملائكة - أو تتبدى لهم نعمته واحسانه فى روضة الخ ويعتقدون أيضا تنزيه الله عن مشابهة خلقه .

وقوله : (على كثبان المسك والكافور) الكثبان جمع كثيب ، وهو فى الأصل المرتفع من الرمل وهذه الكثبان : شىء كثير مرتفع ، ولكن من المسك ومن الكافور .

وقوله : (ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة الخ) ـ المعنى : أن الله تعالى يكلمه كلاما كثيرا يتعلق بتذكيره أعماله ، كما يذكره بنعمته عليه بالمغفرة والرحمة ، بعد أن ذكره ببعض غدراته ـ أى معاصيه الكبرى التى يعد ارتكابها غدرا لأمانة التكاليف التى حملها الانسان .

وفى هذه السوق يقابل المؤمنون بعضهم بعضا ، ويتعارفون ، ويهنىء بعضهم بعضا ، ويفرح بعضهم لبعض ، ولا يوجد فى الجنة حزن لأحد ولا استعلاء أحد على أحد ، وكلهم راضون بما أوتوا ، فرحين مستبشرين ، كما قال تعالى : (ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا) وبعد السوق يذهبون الى أزواجهم ، وبهم من الجمال مالا يقدر أحد على وصفه ، رزقنا الله تعالى الجنة ونعيمها ، وأنعم علينا بالنظر الى وجهه الكريم ، وجمعنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا والحمد لله رب العالمين . اهـ

وهذا آخر ما تيسر لنا جمعه من شرح الأحاديث القدسية التى وجدت فى الكتب الستة وفى موطأ مالك رحمهم الله تعالى ـ ونفعنا بسنة رسول الله ﷺ . آمين



دليل الجزء الأول من كتاب « الأحاديث القدسية »



رقم الحديث	الصحيفة	أول الحديث	الكتاب
١٤٧	١٦٦	ان يمين الله ملأى ، لا يغيضها نفقة . . الخ	البخارى
١٤٨	١٦٦	يا ابن آدم أنفق أنفق عليك . . الخ	مسلم
١٤٩	١٦٧	رواية أخرى لمسلم ، مغايرة للأولى	مسلم
١٥٠	١٦٨	لما خلق الله الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال . . الحديث	الترمذى
١٥١	١٦٨	ان الله أوحى الى : أى هؤلاء الثلاثة نزلت فهى دار هجرتك	الترمذى
١٥٢	١٦٩	ما من حاكم يحكم بين الناس الا جاء يوم القيامة وملك آخذ بقفاه . . الخ	ابن ماجه
١٥٣	١٦٩	انى يعجزنى ابن آدم وقد خلقتك من مثل هذه . . الحديث	النسائى
١٥٤	١٧٠	يا ابن آدم ، اثنتان لم تكن لك واحدة منهما . . الحديث	النسائى
	١٧١	**(١٦) (ما جاء فى الصيام وفضله)**	
١٥٥	١٧١	الصيام جنة ، فلا يرفث ، ولا يجهل . . الحديث	البخارى
١٥٦	١٧١	كل عمل ابن آدم له الا الصوم ، فانه لى . . الحديث	البخارى
١٥٧	١٧٢	الصوم لى ، وأنا أجزى به . . الحديث	البخارى
١٥٨	١٧٢	والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك	الموطأ
١٥٩	١٧٢	وفى رواية . يقول الله : انما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلى . . الخ	الموطأ
١٦٠	١٧٢	كل عمل ابن آدم له ، الا الصيام هو لى . . الحديث	مسلم
١٦١	١٧٣	كل عمل ابن آدم له ، الا الصيام . . الخ رواية ثانية	مسلم
١٦٢	١٧٣	وفى رواية « قال اذا لقى الله فجزاه فرح	مسلم
١٦٣	١٧٣	ان ربكم يقول : كل حسنة بعشرة امثالها ، الى سبعمائة ضعف . . الخ	الترمذى
١٦٤	١٧٤	أحب عبادى الى أعجلهم فطرا	الترمذى
١٦٥	١٧٤	كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة بعشر امثالها . . الحديث	ابن ماجه
١٦٦	١٧٤	رواية ثانية لابن ماجه مختصرة	ابن ماجه
١٦٧	١٧٥	ان الله تبارك وتعالى يقول : الصوم لى . . الحديث	النسائى
١٦٨	١٧٥	رواية ثانية للنسائى ، فيها تغيير عن الأولى	النسائى
١٦٩	١٧٥	رواية ثالثة لمسلم فيها زيادة	النسائى
	١٨١	**(١٧) (ما جاء فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لامته يوم عرفة ، وخطبة يوم النحر)**	
١٧٠	١٨١	دعا النبى ﷺ لامته يوم عرفة ، فأجيب قد غفرت لهم . . الحديث	ابن ماجه
١٧١	١٨١	ما من يوم اكثر من ان يعتق الله عز وجل فيه عبدا أو أمة من النار من يوم عرفة	النسائى
١٧٢	١٨٢	اتدرون أى يوم هذا ؟ . . الحديث	ابن ماجه

رقم الحديث	الصحيفة	أول الحديث	الكتاب
٢٤١	٢٤٧	حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير . . الحديث	مسلم
٢٤٢	٢٤٧	كان رجل يداين الناس ، فكان يقول لفتاه . . الحديث	مسلم
٢٤٣	٢٤٨	ان رجلا لم يعمل خيرا قط ، وكان يداين الناس . . الحديث	النسائى
٢٤٤	٢٥٠	ان رجلا مات فدخل الجنة	مسلم
٢٤٥	٢٥٠	تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم . . الحديث	البخارى
٢٤٦	٢٥١	رواية أخرى لمسلم فيها بعض تغيير	البخارى
٢٤٧	٢٥١	كان تاجر يداين الناس فاذا راى معسرا . . الحديث	البخارى
٢٤٨	٢٥٢	ان رجلا فيمن كان قبلكم اتاه الملك ليقبض روحه . . الحديث	البخارى
٢٤٩	٢٥٣	تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس . . الخ	مسلم
٢٥٠	٢٥٣	رواية أخرى لمسلم فيها بعض تغيير	مسلم
٢٥١	٢٥٣	رواية ثالثة لمسلم فيها تغيير عما سبق	مسلم
٢٥٢	٢٥٤	رواية رابعة لمسلم مغايرة أيضا	مسلم
٢٥٣	٢٥٤	روايتان لمالك قريبتان مما سبق	الموطأ
٢٥٤	٢٥٤	رواية لابى داود غير ماسبق	أبو داود
٢٥٥	٢٥٤	لا يحل لرجل أن يهجر أخاه . . الحديث	البخارى
٢٥٦	٢٥٥	حديث عائشة ومخاصمة ابن الزبير رضى الله عنهما	البخارى
٢٥٧	٢٥٨	حديث المتحابين فى الله : (ان الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون . . الخ	مسلم
٢٥٨	٢٥٨	أن رجلا زار أخا له فى قرية ، فأرصد الله على مدرجته ملكا . . الخ	مسلم
٢٥٩	٢٥٨	حديث المتحابين فى الله برواية مالك فى الموطأ	الموطأ
٢٦٠	٢٥٩	رواية أخرى لمالك للحديث عن معاذ بن جبل – رضى الله عنه –	الموطأ
٢٦١	٢٥٩	رواية لمالك ومعها قصة طريفة عن أبى ادريس الخولانى . . الخ	الموطأ
٢٦٢	٢٦٠	رواية للترمذى للحديث عن معاذ بن جبل – رضى الله عنه	الترمذى
٢٦٣	٢٦٣	ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدنى . . الخ	مسلم
٢٦٤	٢٦٤	يا عبادى ، انى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم حرما . . الخ	
٢٦٥	٢٦٥	انى حرمت الظلم على نفسى وعلى عبادى ، فلا تظالموا . . الحديث	
٢٦٦	٢٦٦	يا عبادى كلكم ضال الامن هديته ، فسلونى الهدى أهدكم . . الخ	الترمذى
٢٦٧	٢٦٧	رواية فى الحديث لابن ماجة ، فيها بعض زيادة ونقص ومغايرة	ابن ماجة

دليل الجزء الثانى